المناهل



36



تصدرها

وزارة الشؤون الثقافية

الرباط - المغرب

العدد السادس والثلاثون

السنة الرابعة عشرة

ذو الحجة 1407

يوليوز 1987

عددٌ خاصّ

بمؤرّخي الدَّولة العلويّة الشّريفة

فهرس

تقديم

يتحرك الشعبُ المغربي عن بكرة أبيه، وفي تلقائيةٍ حافلةٍ، للترحيب سنوياً بحلول تاريخ مناسبتيْن مجيدتيْن ترصّعان جِيدَ مغربنا الحديث : ذكرى ميلادِ صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله في التاسع من يوليوز (عيد الشباب)، وذكرى اعتلاء جلالتِه عرش أسلافه الميامين، في الثالث من مارس (عيد العرش).

وجلالُ المناسبتيْن / العيديْن ـ بتمثلِ الدّلالة الثرية للاحتفاء السنوي المتميِّز باستقبالهما ـ يضع على مثقفي هذه الأُمةِ من حمَلة القلم، مسؤوليةَ النهوض بوظيفةِ البحث الدائب فيما

ينفض الغبار عن خصوصيات المغرب الثقافية والحضارية، ويلقي كاشف الضوء على مقوماته التاريخية والمُجتمعية.

ودولتُنا العلويةُ بعريض تاريخ نضالها في خدمة أُمةٍ جُبلت على الولاء الموصولِ لعرشها، يحرص مثقفوها على التأدية الأَمينة لواجبهم العلمي، تجاه التعريف والإشادة بالفعل الإيجابي المشرق لملوكها الغر المحجلين، عرفاناً بعظيم ما يسدونه خاصة، من صوْن للدين واللغة والمذهب، واسترجاع للمحتل من الثغور، والمغتصب من الأَجزاء.

وتتشرف فخورةً، وزارةُ الشؤون الثقافية - من خلال إصدار هذا العددِ الممتاز من مجلة «المناهل» - بتخصيص قرائها، بملف متخصص مرجعي عن «مؤرخي الدولة العلوية الشريفة»، تخليداً لذكرى العيديْن، ومواكبةً من صفوة مؤرخينا المعاصرين - بمختلف ميولاتهم - لأَفراح الشعب، إثباتاً لحضورهم العلمي المقدّر، وتوثيقاً شاهداً على أَحداثه البارزة.

محمد بن عيسى

وزير الشؤون الثقافية

مؤرخو الدول

بين الأمانة التاريخية والالتزامات الوظيفية

عبد الوهاب ابن منصور
مؤرخ المملكة

للمؤرخين ينابيع كثيرة يستقون منها أخبار القضايا والوقائع، منها الأحداث المنظورة، والروايات المسموعة والأنباء المكتوبة، ومنها آثار الماضي الباقية من مباني ووثائق ومسكوكات وغيرها. وهم على ذلك محتاجون إلى كثير من الفطنة والذكاء لعمل المقارنات والقيام بالنقد اللازم والتقويم الصحيح لإجلاء الحقائق وإصدار الأحكام وربط المسببات بالأسباب، وإلا كانوا مجرد اخباريين ينقلون ما رأوه أو سمعوه أو قرأوه دون أن يستعملوا فكرا أو يجيلوا نظرا.

وكلا الصنفين : صنف الاخباريين وصنف المؤرخين لا غنى عنه للآخر، ولا غنى عنهما معا لتخليد حياة الأمم والأفراد النابهين، الأولون يقدمون المادة الخام التي يصير التاريخ بدونها مجرد احتمالات وتأويلات لا تثبت حقيقة ولا تؤكد واقعا، والآخرون يتناولون المادة الخام التي وضعها

الاخباريون بين أيديهم فيستكنهون أغوارها ويحللون عناصرها ويعرفون مدى تأثير بعض تلك العناصر في بعض، ثم يعرضونها بحسن الرأي ودقة المعايير على محك النقد والاختبار، فيبقون الصالح وينبذون الفاسد، تماما كما يفعل أي صانع ماهر عندما توضع بين يديه جملة من المواد الأولية، فيعرف ما يأخذ منها وما يذر، ولأي شيء يصلح ما أخذ منها وفي أي تركيبة يدخله ومع أي مادة أخرى يضمه.

ونضرب مثالا على الصنفين فيما يخص تاريخنا المغربي بعلي ابن أبي زرع وعبد الرحمان ابن خلدون، الأول اكتفى في (الأنيس المطرب بروض القرطاس) و(الذخيرة السنية) بسرد أخبار الوقائع والأحداث مرتبة حسب التسلسل التاريخي لوقوعها في عهود الأسر القائمة والسلاطين والأمراء الحاكمين، لا يذكر علة معقولة لحادث ولا يبدي رأيا خاصا في واقع، والثاني يطرح الوقائع والحوادث على بساط النقد والتحليل، فيرى ما أدى إلى حدوث الحادث من حسن سياسة وشدة حزم إن كان فيما حدث نجاح وبلوغ مرام، أو ما أدى إليه من فساد رأي وسوء تدبير إن كان الأمر على عكس ذلك، وهو يربط الحوادث جميعها بأمزجة الحكام وتصرفات بطاناتهم وآثار البيئات التي حكموا فيها ممالكهم وإماراتهم، غير غافل عن الظروف السياسية والاقتصادية والقبلية وشبيبة الدولة وهرمها وبداوتها وتحضرها ليصل بقارئي تاريخه إلى نتائج معللة ظاهرة الأسباب، فعل ذلك على الخصوص في مقدمة تاريخه وخاتمته وإن ظهر في أغلب ما بينهما مجرد واحد من الاخباريين.

والمؤرخ إن كان من الصنف الأول ـ صنف الاخباريين ـ وجب عليه أن يكون صادقا في رواية ما رأى من الحوادث وشاهد من الوقائع، أمينا

فيما ينقل من الروايات المسموعة والنصوص المكتوبة عما لم يحضره بنفسه ولم يشاهده بعينه من سير السلاطين وأحوال القصور وأخبار الدول والبلدان، وإن كان من الصنف الثاني ـ صنف المؤرخين النقاد ـ كان من واجباته الأولى أن يلتزم الصدق ولا يتبع الهوى في نقده وتحليله، لأن اتباع الهوى في التاريخ كاتباع الهوى في الدين، الأول يضل عن سبيل الحقيقة والثاني يضل عن سبيل الله، فلا سبيل للوصول إلى الحقيقة التاريخية إذا كان المؤرخ ينطلق فيما يصل إليه من نتائج ويصدر من أحكام ـ من منطلقات عقائد وعواطف ونزعات وميول قد يكون منها الديني والمذهبي وقد يكون منها المادي والنفعي، وكم افترى على التاريخ وطمس حقائقه وزيفها مؤرخون لم يكن يعنيهم إلا إرضاء الأمراء والتزلف إلى الحكام، وكم كذب على التاريخ وزيف حقائقه مؤرخون أعمتهم عقائدهم الدينية وزاغت بهم عن الصراط السوي مذاهبهم السياسية التي يومنون بها عن صدق أو يتظاهرون بالايمان بها نفاقا، فهؤلاء المنحرفون من المؤرخين الواقعون تحت تأثير الأغراض النفعية والعقيدة الدينية أو المذهب السياسي، ينبغي أن ينظر إلى أقوالهم بحذر شديد لخلو أقوالهم من الصدق وبعد رواياتهم عن الحقيقة واتسام حكاياتهم بالتزيد، فكم عزوا من خير وفضل إلى أهل مللهم ونحلهم وستروا من معايبهم وعوارهم وضخموا من أعمال لهم ضئيلة هزيلة، وهولوا من منجزاتهم ولو كانت غير ذات بال، وكم التمسوا من أعذار وأوجدوا من مبررات لأولياء نعمهم ولو كانت جرائمهم وجرائرهم مما لا يمكن ستره عن أقوامهم واخفاؤه عن الشعوب التي اكتوت بنيران بغيهم وتجرعت العلقم والصاب من كؤوس بطشهم وعسفهم، يستوى في هذا الانحراف والزيغ عن محجة التاريخ البيضاء مؤرخون مسلمون وغير مسلمين، وقد

حصل شيء من هذا في تاريخنا المغربي القديم والحديث، فنحن إذا نظرنا إلى ما كتبه إسماعيل بن الأحمر عن بني عبد الواد في الشطر الثاني الذي خصصه لذكرهم من كتابه (روضة النسرين) وإلى ما كتبه عنهم يحيى ابن خلدون - أخو المؤرخ الكبير - في كتابه (بغية الرواد) أو ما كتبه عنهم محمد بن عبد الجليل التنسي في كتابه (نظم الدر والعقيان) نجد الأقوال متناقضة والروايات متضاربة، فالأول كان من كتاب بني مرين فهو ينسب كل نقيصه إلى أعدائهم وأقتالهم بني عبد الواد، والثاني والثالث كانا من كتاب بني عبد الواد فهو ينسب كل فضيلة ومكرمة إليهم، ومثل هذا ما وقع فيه مؤرخونا وهم يصفون المعارك التي دارت بين المغاربة وأعدائهم، ففي حالة الانتصار كانوا يبالغون في أعداد القتلى والأسرى من الأعداء حتى ليذكرون أن رؤوس القتلى في معركة من المعارك كدست وجعلت منها مآذن اذن المؤذنون فوقها للصلاة، وان السبايا من الأعداء رخصت اثمانهن حتى كان ينادى على الواحدة منهن في السوق بأقل من الثمن الذي كان ينادى به على النعجة أو الماعز، أما في حالة الانكسار فإن مؤرخينا كانوا يهونون ولا يهولون، ونجدهم يلتمسون الأعذار لمن أدار من قوادنا رحى المعارك التي انهزمنا فيها حتى ولو كانت أسباب تفريطهم واضحة، وروائح تخاذلهم فائحة، ومسؤوليتهم عن الهزيمة والفضيحة أجلي من الشمس في الظهيرة، ولو كان هذا التحريف للحقيقة يتعلق بالحاضر الذي جرت فيه تلك المعارك لهان الأمر، ولقلنا أنه من باب رفع المعنويات وشحذ العزائم والهمم كما تفعل أجهزة الدعاية في الوقت الراهن، ولكن الأمر يتعلق بالتاريخ الذي يخط للمستقبل بحيث لا يتعلق التحريف بخدعة حربية ولا يرفع معنويات

جنود ولا يحرض مومنين على مقاتلة ثـانيـة تقع مستقبلا، وهو أمر مستقبح في حق المؤرخ لا يسوغ له ولا يجوز.

وكم يؤلمني في هذا الموضوع بـالـذات تحريف بعض المؤرخين للكلم عن مواضعه وهم يسترون الأخطاء ويلتمسون الأعذار ببلاهة متناهية لمرتكبيهـا، كاستشهادهم في حالة انكسـارنـا بقول اللـه عز وجل : ﴿**ورد اللـه الـذين كفروا بغيظهم لم ينـالـوا خيرا**﴾ وقـولـه : ﴿**إن يمسسكم قرح فقـد مس القوم فرح مثله**﴾ وقولـه : ﴿**إن تكونوا تـالمون فـإنهم يـالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون**﴾، وتهوينهم مصيبـة سقوط مدينـة إسلاميـة في أيـدي النصـارى وخروج أهلهـا منهـا حقراء أذلاء بمثل قـولهم : (سـلامـة الأديـان مقـدمـة على سـلامـة البلـدان والأبـدان) ! ومن النصوص التي قرأتهـا قـديمـا وانطبعت في ذهني لا تبرحـه ولا تريم في بـاب تهوين النكسات والاعتذار للمتخاذلين والطغـاة الـذين تسببوا فيهـا رسـالـة محمد ابن الأحمر آخر ملوك غرناطة إلى السلطان محمد الشيخ الوطـاسي المسماة (الروض العاطر الأنفاس، في التوسل إلى المولى سلطان فـاس). التي استشهـد فيها ببيت أبي العتاهية وهو يعتذر عن نفسه :

هي المقادير فلمني أو فذر　　　إن كنت أخطأت فما أخطا القدر

وكأنه بهذا البيت يريد أن يبرئ نفسه من مسؤوليـة ضيـاع الأنـدلس ويلصقها بالحق سبحانه وتعالى، ومن النصوص التي قرأتها حـديثـا وانطبعت في نفسي مثل الأولى التي قرأتها قديما فقرات ختم بها محمـد بن محمـد ابن سماك العاملي المالقي كتابه (الزهرات المنثورة) اطرى بها سلطانه محمد الغني بـاللـه النصري الذي كانت الأندلس في عهده وعهود خلفائه من أسرته أذل من عير

الحي والوتد، وشمس الإسلام فيها على وشك المغيب لافتراق كلمة المسلمين وشدة ضغط النصارى عليهم ومحاصرتهم للرقعة الصغيرة التي بقيت للإسلام بها، فقد قال في تلك الفقرات بلهجة المتملق المتودد إلى أميره : إن مصره قيروان الأمصار، وعصره هو خير الأعصار، وكلمة الإسلام ثابتة فيه إلى يوم القيامة ومستقرة، وحال المسلمين فيه أحسن حالة، وزمانهم فيه أبهج زمان، فليس له من ثان، ووطنهم أبعد عن السوء وأدفعه للحدثان ! وكل ذلك بسعادة مدبر شأنها ومقيمها، إنسان عين الوجود من إقليمها (يعني سلطانه)، إلى غير ذلك من الهذيان والغثاء الذي لم يكن هو يومن به ولم يكن قراؤه أيضا ليثقوا به.

ولنعد بعد هذا إلى صنف متميز من المؤرخين، أعني صنف مؤرخي الدول والممالك الذين يتخصصون في كتابة سير الملوك والأمراء والرؤساء والأسر الحاكمة والأحداث والوقائع التي حدثت في عهودهم، وقد وجد هذا الصنف منذ وجدت الحكومات في العصور الغابرة التي واكبت نشأة التاريخ وهو موجود اليوم وسيبقى موجودا ما دامت الإمارات والرئاسات قائمة ولو تغيرت النعوت والألقاب، لأنه من أجهزتها المقترنة بها واللازمة لها، لما له من قدرة على توجيه الرأي العام وشرح السياسات المتبعة وتعليل الوقائع والأحداث حسب الرغبة التي تبديها الأنظمة القائمة أو يحسها مؤرخوها منها، وقد عرف المغرب هذا الجهاز من قديم، وجميع الأسر التي تعاقبت على ملك المغرب من عهد إدريس الأول إلى عهد الحسن الثاني كان لها مؤرخون يسجلون أخبارها، ويخلدون أحداثها، ويشيدون بمفاخرها ومآثرها ويحفظون ما قيل في سلاطينها وملوكها وأمرائها من فائق الشعر ورائق النثر، وليس من الضروري أن نثبت في هذه العجالة أسماء المؤرخين الذين

كتبوا عن ملوك المغرب وأرخوا لعهود أسرهم، فذلك موضوع ينبغي أن يخص بأطروحة جامعية أو بحث طويل، والإشارة إلى آحاد منهم تكفي كأبي بكر بن علي الصنهاجي المعروف بالبيذق وعبد الملك ابن صاحب الصلاة بالنسبة للموحدين، والخطيب محمد ابن مرزوق العجيسي وإسماعيل ابن الأحمر النصري بالنسبة للمرينيين، والقاضي محمد الكراسي بالنسبة لبني وطاس، وعبد العزيز الفشتالي وأحمد ابن القاضي بالنسبة للسعديين، وأبي القاسم الزياني ومحمد الكنسوسي وأحمد ابن الحاج وعبد الرحمان ابن زيدان بالنسبة للعلويين.

ولا يشترط في هذا الصنف من المؤرخين أن يكون جزءا من جهاز الحكم ولا مستخدما عنده، فقد قام عدد من المؤرخين قديما ويقومون حديثا بكتابة سير ملوك ورؤساء وتسجيل أخبار أسر وأنظمة بدافع الهواية والرغبة في البحث وتقصي الحقائق، أو بدافع الإعجاب والتقدير أو الكراهية والاستهجان لشخص رئيس أو تصرفات نظام، كما فعل جان لاكوتور الذي كتب أخيرا سيرة ذاتية للجنرال دوكول وهو لم يكن في يوم من الأيام من أعوانه ولا مساعديه، وكما فعل مؤلف كتاب (تاريخ الدولة السعدية التاكمادرتية) الذي أخفى اسمه خوفا على نفسه واتقاء لشر من غمز قناتهم في كتابه، ولكن أن يكون مؤرخو الدول جزءا من جهاز الحكم أفضل وأحسن إذا صدقوا القول، لأنهم يكونون قريبين من مواقع المسؤولية ومصادر القرار، حتى إذا كتبوا عن الدولة أو رئيسها كتبوا عن بينة من الأمر، فهم أقرب إلى الحقائق من غيرهم وأقدر على كتابتها من سواهم، وأغنى عن الجولان في متاهات الفروض والتخيلات التي يجول فيها كثير من المؤرخين البعداء.

وبالفعل يكون أغلب مؤرخي الدول ذوي صلة مكينة بالملوك والرؤساء والزعماء الحاكمين على العموم كأن يكونوا وزراء في حكوماتهم، أو كتابا في دواوينهم، أو مسامرين لهم ومحاضرين في مجالسهم الخاصة، أو خطباء لهم وأئمة في الصلاة، أو رفقاء لهم في الأسفار، وهذا القرب يتيح لهم أن يلتقطوا الأخبار ويعرفوا الأسرار، ويسمعوا المحادثات ويطلعوا على المراسلات إن لم يكونوا هم أنفسهم مؤكلين بتحرير ما يرسل منها والإجابة عما يرد منها وتسجيلها وحفظها بعد قضاء الغرض منها، والمؤرخون الذين يحظون بهذا النوع من التقريب يقتضي منهم وازع المروءة وواجب الوظيف أن يكونوا ملتزمين وأوفياء لمن قربوهم ووضعوا فيهم ثقتهم، فوظيفة من هذا النوع ليست تكريما يوهب اعتباطا، وإنما هي أمانة وعهد وعقد والتزام، فإما أن يكون المرء قادرا على النهوض بأعبائها وحمل مسؤولياتها وتبعاتها، وإما أن يحس من نفسه عجزا عن تحملها، وخير له في هذه الحالة أن يتخلى عنها ويتركها لمن هو أصلح لها وأقدر على مواجهة تكاليفها منه، فليس من المعقول أن يتشكك مؤرخو الدول المقربون أو يشككوا غيرهم في أعمال قد يكونون هم أنفسهم ساهموا في صنعها بحظ كبير أو صغير، وليس من المعقول أيضا أن ينتقدوا تصرفات يجهلون خلفياتها ولا يعلمون عن بواعثها ودواعيها ما يعلمه من قام بها، وليس من المروءة في شيء أن لا يكونوا «ملتزمين» مع من أحسنوا إليهم وإلى ذويهم وأغدقوا عليهم من نعمهم الظاهرة والباطنة وغضوا الطرف عن صفواتهم وعفوا عن زلاتهم وأقالوهم من العثرات، وإلا كانت الحياة خالية من الفضل والخير، وأحسن لمن يحس منهم عدم قدرة على الوفاء وعدم استطاعة للالتزام أن ينسحب

من الساحة ليتحمل وهو في منأى عنها تبعة الرأي الذي يرتئيه وعاقبة القول الذي يصدر عنه.

على أن هذا لا يعني أن يكون مؤرخو الدول مجرد امعات وببغاوات يسبحون بحمد الدول والحكومات التي يخدمونها ويشيدون بمآثر ليست لها وينوهون بأعمال لم تقم بها أو لم تبذل في عملها مجهودا، ولكن المطلوب منهم أن يعملوا على التوفيق بين ما تقتضيه الأمانة التاريخية والالتزام بالوظيفة والوفاء للمخدوم، وهم إذ أحسنوا التوفيق وأجادوا الانسجام تكون مقالاتهم أدنى إلى الصدق وأقرب من الحقيقة وأجدر أن يوثق بها ويعتمد عليها.

على أن من مؤرخي الدول من يقف أحيانا حائرا أمام وقيعة من الوقائع أو قضية من القضايا لا يستطيع لها تبريرا ولا يجد لها تأويلا، فيحار حينئذ كيف يثبتها وفي أي شكل يعرضها وبأي علة يعللها، سيما إذا كانت من القضايا الشائكة التي تكون لها أصداء بعيدة المدى عميقة الغور في الرأي العام الداخلي والخارجي، وهم في هذه الحالة يفضلون السكوت عنها أو المرور بها مر الكرام كما يقال، وخلافا لما يظن كثير من النقاد ويجهلونه فإن الحيرة أو السكوت لا يكونان ناشئين عن جبن في قول الحقيقة وتردد بين ما يعتقدونه وبين الالتزام بما يجب أن يقولوه، وإنما منشأ الحيرة وباعث السكوت يتكون لدى مؤرخي الدول من جهلهم بحقيقة القضية أو الواقعة، لأنها من أسرار الدولة الخفية، ولأن أنباءها من الأنباء التي عميت عليهم ولم يقدروا على استقصائها خوفا من الريبة والشك وأدبا مع من أحب إخفاءها وأبى إطلاع أحد عليها حتى ولو كان من المقربين، ومن القضايا التي لم يشر إليها مؤرخو المغرب بالمرة قضية خطبة السلطان

مولاي إسماعيل للأميرة كونتي من عمها لويس الرابع عشر، والتنازل عن ميناءي سبتة ومليلية المعروض على السلطان مولاي سليمان، ومن النوع الثاني الذي مر عليه المؤرخون المغاربة مرور الكرام قضية إغراق الأسطول المغربي في القرن التاسع عشر، فلهذا نجد بعضا من مؤرخي الدول مغاربة وغير مغاربة يغفلون ذكر قضايا وظواهر وأحداث أو يختصرون القول فيها اختصارا ويختمون أنباءهم عنها بقولهم (في خبر يطول شرحه) أو (في خبر طويل لا يسع المقام لذكره).

بيد أن التقدم العلمي الذي يشهده العالم والتطور التقني للبحث العلمي وسيادة روح التسامح بين الناس ولا سيما في الأوساط الثقافية وانفتاح خزائن الكتب والوثائق أمام الباحثين والدارسين يسد كل ذلك ما يوجد من الثغرات في تاريخ دولة من الدول، إذ الذي عميت أنباؤه عند هذه الدولة توجد أخباره عند دولة أخرى، كما أن انقضاء عهد السياسة والديبلوماسية المكتومة جعل الناس يعيشون وهم مطمئنون على أن قضايا التاريخ ووقائعه لا تضيع ولن تضيع، وسوف تعرف على حقيقتها وبتفاصيلها في العاجل أو في الآجل القريب.

ومن حسن حظ المغرب أن الله سبحانه وتعالى منحه في شخص جلالة محمد الخامس رحمه الله ملكا متنورا عمل على الرغم من الوسائل المحدودة التي كانت بين يديه في البداية على إيضاح السياسة الرشيدة التي كان يسلكها لتحرير السيادة الوطنية وتحقيق الأماني القومية من خلال الخطب التي كان يلقيها عند حلول عيد العرش من كل سنة ومن خلال البلاغات التي كانت تصدر عن ديوانه الشريف والتصريحات التي كان يدلي

بها بين الحين والحين، كما خلف رحمه الله رصيدا من الوثائق والمستندات تبين نضاله اليومي لصالح شعبه والصراع العنيف الذي كان يجري باستمرار بينه وبين السلطات الاستعمارية الطاغية، ويوم تنشر هذه الوثائق والمستندات سيعرف المغاربة ـ وهم بالفعل يعرفون ـ من خلالها أي عبئ ثقيل اضطلع بحمله هذا الملك العظيم لقيادة شعبه نحو مستقبل زاهر يليق بماضيه الحافل بجلائل الأعمال وعظائم الأمور، وجلالته هو الذي أسس المطبعة الملكية لإحياء التراث التاريخي والعلمي لوطنه، وهو الذي أنشأ بصفة قانونية منصب مؤرخ المملكة بقصره العامر ليضطلع بإحياء التاريخ وجمع وثائقه وجعلها في متناول الباحثين والدارسين الذين يجدون فيها مادة دسمة تغذي ماهم بصدد تأليفه من الدراسات النافعة عن ماضينا المجيد، وتقيهم سموم الوثائق الأجنبية المشوبة التي تصطبغ بالعنصرية المقيتة والتعصب المذموم.

كما أن من حسن حظ المغرب أن وهبه الله العلي القدير في شخص جلالة الحسن الثاني عاهلا مثقفا وقائدا حكيما وسياسيا ماهرا تتسم سياسته في مختلف المجالات بسمو مبادئها ونبل مقاصدها وحسن تصريفها وتدبيرها، كما تتسم أقواله بالصدق والصراحة المتناهية، فمن خلال الخطب التوجيهية والكلمات الإرشادية والرسائل التي لا يفتأ جلالته يوجهها إلى شعبه مباشرة أو إلى شعبه من خلال نوابه بمجلس النواب، ومن خلال الندوات الصحفية والتصريحات التي يدلي بها في الأندية السياسية يطلع شعبه في الداخل والناس في الخارج على التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تشهدها مملكته، ومن خلال المراسلات والتقارير التي تنشرها مصالح قصره

أو أجهزة حكومته بين الحين والحين يعرف الناس المواقف المتخذة والمناهج المبعة والخطط المقررة للتعامل مع الدول أو لمواجهة التطورات الحاصلة في العالم، ولا يستنكف جلالته من القيام بنقد ذاتي إذا ظهر أن خطة من الخطط غير ملائمة وإنها لم تأت بالفائدة المتوخاة إما لأسباب داخلية وإما لظروف خارجية، وحتى لبعض العوامل الطبيعية كتقلبات الطقس وتوالي القحط والجفاف.

وجلالته يشجع الكتابة في التاريخ والبحث فيه، ويسعى جاهدا لنشر التراث التاريخي والأدبي والعلمي لمملكته سواء تعلق هذا التراث بأسرته العلوية أو تعلق بالأسر الملكية الأخرى التي سبقتها، لأن جلالته وريث الأسر والعروش المغربية كلها، فلا فرق عنده بين الإمام إدريس ويعقوب المنصور وأحمد الذهبي وإسماعيل بن الشريف ومحمد بن يوسف، إنهم كلهم آباؤه وأسلافه، مجده من مجدهم وعزه من عزهم، وكرامته من كراماتهم، فلا غرو أن يكون تاريخهم جميعا يدخل في اهتمامه ويقع تحت رعايته وعنايته، فبالإضافة إلى ما تقوم به حكومته من أعمال في هذا الباب أنشأ بقصره العامر مديرية للوثائق الملكية ووسع نطاق المطبعة الملكية وجمع كتب قصوره بمختلف جهات مملكته في المكتبة الحسنية التي تستقبل مئات من الزوار الوطنيين والأجانب بصدر رحب، وتقدم لهم ما تحتوي عليه من كتب تراثية تفيدهم فيما يعدون من رسائل وأطروحات، ويقومون به من بحوث ودراسات.

فلا مبالغة إذا قال الإنسان بكل تأكيد أن تاريخ المغرب أصبح بفضل الحسن الثاني في مأمن من الضياع والتزييف، سواء كان يكتبه

مؤرخون من قصره أو مؤرخون من خارج قصره، ولا مبالغة إذا ما قال الإنسان أن المؤرخ أصبح بفضل ثقافة جلالة الحسن الثاني ورحابة صدره وشدة تسامحه أقدر على قول الحقيقة وأكثر امتلاكا لوسائل تجليتها وتوضيحها سواء كانت حلوة عذبة المذاق، أو مرة لا تلذ ولا تستساغ.

الرباط **عبد الوهاب ابن منصور**

من المؤلَّفات الإسبانيّة في تاريخ المغرب وعصر الدّولة العلويّة

محمد العربي الخطابي

عني عدد غير قليل من المؤلفين الأسبان بتاريخ المغرب في عهد الدولة العلوية الشريفة أو في عصر ملك من ملوكها، وسنكتفي في هذا المقال بالإشارة إلى كتابين اثْنين يعنى أحدهما بتاريخ المغرب العام، ويقدم معلوماتٍ ضافيةً ومفصلة عن عهد الدولة العلوية بحكم أن مؤلفه عاش مدة بمدينة طنجة في عصر السلطان المنعَّم مولاي الحسن الأول وكان له اطلاع واسع بكثير من جوانب الحياة الداخلية وعلاقات المغرب بالدول الأجنبية ولا سيما إسبانيا، والكتاب الثاني مختصٌّ بعهد السلطان المنعَّم سيدي محمد بن عبد الله.

1) تاريخ المغرب لمانويل كاستيانوس.

صدرت الطبعة الأولى من كتاب «وصف تاريخي للمغرب ونبذة موجزة عن دولهِ الحاكمة[1] في شانتت ياقب كومبوستيلا عام 1878، ثم

(1 P. Manuel Castellanos : «Descriptcion historica y breve reseña de sus dinastias, Santiago de Ccompostela 1878.

صدرت طبعات أُخرى من هذا الكتاب فيما بعد مع تعليقات وتنقيحات. والطبعة التي بين يديّ هي الثالثة، صدرت بعنوان «تاريخ المغرب Historia de Marrucos» وطبعت في طنجة بعناية البعثة الكاثوليكية الأسبانية عام 1898؛ ومؤلف الكتاب هو مانويل كاستيانوس، الذي كان قسيساً من طائفة الفرنسيسكان. وتكمن أهمية هذا الكتاب في كونه ثاني تأليف أجنبي حول تاريخ المغرب العام، والأول هو الذي ألفه القسيس الفرنسي ليون كَودار[2] بعنوان «وصف المغرب وتاريخه» طبع في باريس عام 1867.

قسم ما نويل كاستيانوس كتابه إلى قسمين :

القسم الأول مرتّب على ثلاثة عشر باباً قدَّم فيها المؤلف نبذة عن جغرافية المغرب الطبيعية والبشرية والاقتصادية، وخص كل مدينة من المدن الرئيسية بباب من أبواب هذا القسم (فاس وتطوان وطنجة وأصيلا والعرائش وسلا والرباط وفضالة وأزمور والجديدة وآسفي والصويرة وأكَدير) فأعطى عن كل مدينة نبذةً تاريخية وجغرافية وأثرية وذكر الأحداث البارزة التي عرفتها هذه المدن.

أما القسم الثاني فأفرده المؤلف للكلام على المغرب وسكانه قبل الفتح الإسلامي وعلى الدول التي تعاقبت على حكمه، وقد رتب المؤلف هذا القسم على ثلاثة وعشرين باباً، منها ثمانية أبواب تختص بالدولة العلوية الشريفة، ويبلغ عدد صفحات هذه الأبواب الثمانية ثلاث وتسعين ومائتين، أي ما يقرب من نصف الكتاب.

Leon godard : «Description et histoire du Maroc» Paris 1867. (2

وفيما يلي تلخيص للمواضيع التي تناولتها الأبواب الخاصة بالدولة العلوية :

الباب 15 : بداية دولة الشرفاء العلويين وقيام أبي حسون في سوس، مبايعة مولاي رشيد في سجلماسة وخضوع أقاليم المغرب الأُخرى لسلطانه، قيام الخضر غيلان في العرائش، مبايعة سيدي محمد في مراكش، دولة مولاي إسماعيل بعد مبايعته في مكناس، موقف المغاربة تجاه الأَماكن التي تحتلها اسبانيا، جيش البواخرة ـ مولاي اسماعيل يستردّ عدداً من المواقع المغربية من يد النصارى، محاصرة سبتة، وفاة مولاي اسماعيل ومسألة خلافته على عرش المغرب.

الباب 16 : البعثة التبشيرية الفرنسسكانية ومولاي اسماعيل، مبايعة مولاي أحمد في مكناس وامتناع فاس من قبول بيعته، سكان المناطق الجبلية بناحية تطوان وقيامهم على عامل الناحية، الخلاف بين مولاي أحمد وأخيه مولاي عبد الملك وعواقب ذلك.

الباب 17 : مبايعة مولاي عبد الله، البارون دي ريبردا ومحاصرة سبتة، وفاة مولاي عبد الله ومبايعة ابنه سيدي محمد، مشاريع السلطان سيدي محمد بن عبد الله وإصلاحاته الداخلية، علاقاته بالدول الأُوربية، تبادل السفارات بين المغرب واسبانيا وتحسن العلاقات بينهما، البعثة التبشيرية الفرنسسكانية وسفارة ضون خورخي خوان، السلطان يقلل من عدد عساكر البواخرة، محاصرة سبتة ومليلية، اتفاقيات مع اسبانيا، خروج مولاي اليزيد عن الطاعة، وفاة سيدي محمد وقيام مولاي اليزيد ودخوله في

حرب مع اسبانيا، تبادل الأسرى من المبشرين والقناصل النصارى، الفتن الداخلية، وفاة مولاي اليزيد.

الباب 18 : مبايعة مولاي سليمان، عمله الداخلي وعلاقاته مع الدول الأجنبية : المعاهدة المغربية الأسبانية ومزاياها، تمرد سوس، علي باي العباسي في المغرب، بدايته ونهايته، التدابير الإنسانية التي اتخذها السلطان مولاي سليمان، الفتن الداخلية في عهده، وفاته ومبايعة مولاي عبد الرحمن ابن هشام، الغزو الفرنسي للجزائر، الحرب بين فرنسا والمغرب، قنبلة طنجة والصويرة، موقعة وادي إسلي، الصلح بين فرنسا والمغرب.

الباب 19 : مولاي عبد الرحمن والدول النصرانية، ضعف اسبانيا تجاه المغرب، قراصنة سلا، الهجوم المغربي على الأماكن التي تحتلها اسبانيا، وفاة مولاي عبد الرحمن ومبايعة ابنه سيدي محمد، العلاقات المغربية الأسبانية في عهده، اسبانيا تعلن الحرب على المغرب، ظهور الوباء والمجاعة، معركة تطوان، مولاي العباس يطلب الصلح، معركة واد راس، عقد الصلح وشروطه (مع النص الكامل للعقد)، الديوانة المغربية.

الباب 20 : معاهدة التجارة بين المغرب واسبانيا (نصها الكامل)، مزاعم الجلالي الروكَي، الحالة الداخلية في المغرب، وفاة سيدي محمد ومبايعة ابنه مولاي الحسن، الاضطرابات في فاس ودخول مولاي الحسن إليها.

الباب 21 : مولاي الحسن والعلاقات الخارجية، مؤتمر مدريد عام 1880، خطاب المفوض الفرنسي جوريس في المؤتمر، مداخلات المفوض المغربي السيد محمد بركَاش ومندوب بريطانيا العظمى، نصّ المعاهدة، الحالة في سوس وفي قبيلة زعير، المسألة المغربية الإيطالية.

الباب 22 : مناقب مولاي الحسن، الحملة السلطانية على سوس، استقبال السلطان للوفد الدبلوماسي الإنجليزي في مراكش وللوفد الدبلوماسي الإسباني في الرباط، مولاي الحسن يوفد سفارةً إلى البابا ليون الثالث عشر : الغاية من هذه السفارة التي سافر أعضاؤها على ظهر بارجة حربية اسبانية، أهمية هذه السفارة ومغزاها، مولاي الحسن يزور تطوان وطنجة ثم يعود إلى فاس مارّاً بالعرائش.

الباب 23 : حركة مولاي الحسن نحو تافيلالت، حرب مليلية، سفارة مرتينث كامپوس، وفاة السلطان مولاي الحسن في تادلا ونقل جثمانه الشريف إلى رباط الفتح، مبايعة ولده مولاي عبد العزيز.

هذا وقد أضاف المؤلف إلى الكتاب ثلاثة ملاحق :

الأول ـ عن البعثات التبشيرية الفرنسسكانية في المغرب (نبذة تاريخية).

والثاني ـ عن التجارة في المغرب.

والثالث ـ عرض فيه المؤلف بالتفصيل مصادر تاريخ المغرب (كالروض القرطاس وتاريخ ابن خلدون ورحلة ابن بطوطة، ووصف إفريقيا لمحمد بن الحسن الوزان، ووصف إفريقيا لمارمول كاربخال الأسباني... الخ).

أهمية كتاب كاستيانوس :

إن أول انطباع يخرج به قارئ هذا الكتاب هو أن المؤلف يفتقر في كثير من الأحيان إلى الحد الأدنى من الموضوعية والنزاهة الفكرية، ولاسيما في حكمه على الوقائع التي يسردها في كتابه، فالقسيس كاستيانوس ينقاد

لعاطفة دينية جامحة يطبعها التعصب وكراهية الإسلام وتجاهل رسالته من غير تحفظ ولا هوادة، إلا أننا إذا استثنينا هذه العيوب الشائنة وغضضنا الطرف عنها لكونها صادرة عن مبشر نصراني عاش في القرن التاسع عشر من غير أن يستطيع التخلص من القيود الفكرية والعاطفية التي بقيت سائدة في أوربا المسيحية منذ العصورالوسطى، فإننا نجد مع ذلك أن كتاب كاستيانوس جدير بالاهتمام لما احتواه من المعلومات ولاسيا في كل ما يتصل بالعلاقات المغربية الأوربية، وبصفة خاصة علاقات المغرب بإسبانيا مما يدل على أن المؤلف كان على اطلاع واسع بمصادر الأخبار وعلى النصوص المتعلقة بها من وجهة نظر أوربية إسبانية، وإذا كان هذا الكتاب لايستحق في نظري أن يترجم إلى العربية بكامله لما يوجد بين سطوره من سبّ وتحامل، إلا أنه يمكن الاستفادة منه باستخلاص ما فيه من معلومات حول سياسة الدول الأجنبية تجاه المغرب في عهد الدولة العلوية الشريفة. وجدير بالذكر أن أبا العباس الناصري نقل معلومات من كتاب كاستيانوس في «الاستقصا» مشيراً إلى صاحبه أحياناً وساكتاً عنه في الغالب، وهو يذكره باسم مانويل.

2) المغرب في النصف الثاني من القرن الثامن عشر :

هذا هو الاسم الرئيسي للكتاب الذي ألفه المؤرخ الإسباني المعاصر رامون لوريد دياث، وعنوانه الفرعي : «الحياة الداخلية» السياسية والاجتماعية والدينية في أيام السلطان سيدي محمد بن عبد الله (1790 - 1757)[3].

(3) Ramon Lourido Diaz, «Marruecos en la segunda mitad del siglo XVIII, Vida interna : politica, social y religiosa durante el Sultanado de Sidi Muhammad B. Abd Allah 1757 - 1790, Madrid 1978.

ويدل اسم الكتاب دلالة واضحة على موضوعه واتجاهه، فهو لا يُعنى إلا بالحياة الداخلية في عصر السلطان المنعَّم سيدي محمد بن عبد الله، وهذه ميزة ينفرد بها الكتاب من حيث إن حصر الاهتمام بدواليب الحياة الاجتماعية والسياسية المغربية الداخلية عمل شاقّ يتطلب ـ فضلاً عن حسن التمييز والنزاهة ـ الرجوع إلى عدد من المصادر المغربية والأجنبية، من كتب ووثائق، مع غربلتها، وتقديم نظرة شاملة وواضحة عن العصر المقصود، وربما كان في نية لوريدو أن يخص السياسة الخارجية في عهد سيدي محمد الثالث بكتاب منفرد، والمؤلف قادر على ذلك وقد سبق له أن نشر بحوثاً ووثائق في الموضوع ترجمنا بعضها إلى العربية.[4]

يشتمل الكتاب الذي نحن بصدده على مقدمة وعرض تحليلي ونقدي للمراجع الأوربية والمغربية، وهو مرتّب على سبعة أبواب.

ففي الباب الأول يتكلم المؤلف على ما أصاب المغرب من عزلة وفوضى قبل مبايعة سيدي محمد بن عبد الله، ويمهد لذلك بنبذة تاريخية عن الدولة العلوية في نطاقها التاريخي والجغرافي، مستعرضاً الوضع الداخلي للبلاد في عهد مولاي اسماعيل ومن جاء بعده من ملوك.

وأفرد المؤلف الباب الثاني للكلام على مشاريع السلطان سيدي محمد ابن عبد الله الرامية إلى إعادة تنظيم البلاد في المجالات العسكرية والمالية والإدارية والدينية.

---

4) «تعليمات كارلوس الثالث لمبعوثه لدى السلطان سيدي محمد بن عبد الله»، مجلة المناهل، العدد 16 (ديسمبر 1979) ص 10 ـ 21.

وتهتم بقيـة أبواب الكتـاب بعـدد من المـواضيـع الـدقيقـة كأثر الجيش بفرقه المختلفة في التوجيهات السياسية والعسكرية، وتحركات قبائل صنهاجة ومواقفهـا من السلطـة المركزيـة، وموقف السلطـان من الطوائف الصوفيـة، ويُخْتَتَم الكتاب بباب عن أفراد الأسرة المالكة وعلاقـات بعضهم ببعض وأثر ذلك في الحياة السياسية الداخلية بالمغرب.

وقد ألقى المؤلف في صدر كتـابه نظرة تحليليـة ونقـديـة على المراجع التي أمكنـه الاطلاع عليهـا في سبيل إعـداد كتـابه، وفيما يلي تلخيص لهـذا العرض بحسب تقسيم المؤلف نفسه :

أ ـ المؤلفون الأوربيـون المعـاصرون للسلطـان سيـدي محمـد بن عبد الله :

من هؤلاء طائفة كتبوا مؤلفاتهم في حياة هذا السلطان أو بعد وفاتـه بقليل، وكلهم عـاشوا في المغرب مـدةً من الزمن تزيـد أو تنقص، ولم يكتب أي واحد منهم تاريخا كاملا للمملكة المغربية سواء من حيث المدة الزمـانيـة أو من حيث المضمون التاريخي.

من هـؤلاء بيـدي دي مـورفيـل، البحّـار الفرنسي الـذي وقـع أسيراً بالمغرب عقب هجومٍ فاشل شنّته البحرية الفرنسية على مرسى العرائش عـام 1765، وهذا البحـار هو أول من نشر في أوربـا أخبـاراً عن المغرب في عهـد سيدي محمد بن عبد الله[5].

(5 Bidé de Maurville, «Relation de lAffaire de Larache», Amsterdam 1775.
وقد ترجمت دوقة دي كَيز الفرنسيـة التي كانت تقطن في مـدينـة العرائش هـذا الكتـاب إلى اللغة الفرنسية، وطبع عام 1940 بالعرائش.

ويجب الإشارة في هذا الصدد أيضاً إلى جورج هوست، الذي كان مستخدماً في شركة دانماركية تتاجر في مرسى آسفي وسلا، ووضع كتاباً اقتصر فيه على تقديم معلومات عن إقليمي مراكش وفاس خلال عام 1760 و 1768، ثم ألَّف كتاباً آخر بعنوان «تاريخ سلطان المغرب سيدي محمد بن عبد الله»،(6) وذلك بعد وفاة العاهل المغربي. ويشتمل هذا الكتاب على معلومات ضافية عن حياة هذا السلطان وعن علاقاته السياسية والتّجارية، داخلَ البلاد وخارجها.

إلا أن أشهر المؤلفات الأُوربية المختصة بالمغرب هو بلا شك كتاب لوى شِينْيِ الفرنسي «أبحاث تاريخية حول المغاربة وتاريخ إمبراطورية المغرب»،(7) طبع في باريس عام 1787 وكان شيني قنصلاً لفرنسا في المغرب بين عام 1767 ـ 1787، وعُرِف باطلاعه على خفايا السياسة المغربية، وكان قناصل الدول الأجنبية في ذلك الزّمن يعدُّونه أوسعهم معرفة بدقائق الأسرار المغربية.

والجزء الثالث من الكتاب المذكور هو الذي يبحث في تاريخ المغرب بالذّات، ويُعنَى الباب الخامس منه بعهد السلطان سيدي محمد، إلا أنه لم يتناوله بتمامه حيث اضطر إلى مغادرة المغرب في مستهل عام 1782، ولم يصْدر كتابه إلا بعد مرور خمس سنين من هذا التاريخ أي قبل وفاة

(6 Georg Höst, «Den Marocanske Kaiser Mohamed Ben Abdellahs Historie», Kiobenkam 1791.

(7 Louis Chenier «Recherches historiques sur les maures et histoire de lEmpire du Maroc» Paris 1787.

السلطان بزمانٍ يسير. والباب الخامس من كتاب شيني يتناول بالبحث هذه المواضيع :

أ) التدابير التي اتخذها سيدي محمد بن عبد الله في ميدان التجارة والضرائب.

ب) إدارة شؤون الدولة.

ج) الاقتصاد الداخلي.

د) الفِتَن الداخلية.

هـ) الوقائع السياسية الرئيسية في المملكة. هذا ويضيف المؤلف في الباب السادس من الكتاب مسائل عامة تتعلق بأُسلوب التعامل بين المغرب وأُوربا في شؤون الدبلوماسية والتِّجارة، ويتخلل ذلك آراء المؤلف بخصوص النَّهج الذي يتعين على فرنسا سلوكه في تجارتها مع المغرب لمصلحة بلاده بطبيعة الحال.

إن شِيني لم يقتصر على سرد الوقائع التاريخية بل إنه أضاف إليها تأمّلاته الخاصة، وأفرغها في قالب حماسي تظهر فيه الرغبة في النصيحة.

أما آخر الأُوربيين المعاصرين للسلطان سيدي محمد بن عبد الله من الذين خَلَّفوا آثاراً عن المغرب فهما الإنجليزيان وليام لامبريير وجاميس جراى جاكسون، فالأول كان طبيباً دعاه السلطانُ نفسه إلى المغرب لمعالجة نجلٍ له أُصيب بمرض في عينيه، وبقي في المغرب أزيدَ من ستة أشهر، وقد

سجّل انطباعاته عن هذه البلاد في كتاب سمّاه «رحلة من جبل طارق إلى طنجة وسلا وموغادور، ثم إلى مراكش عبر جبال الأطلس...»[8]

أما جراى جاكسون فقد وصل إلى المغرب في السنة التي وصل فيها لامبريير ومكث فيه إلى عام 1806؛ وبالرغم من أن هذا التاجر الإنجليزي كانت له - كالفرنسي شيني والإنجليزي لامبريير - أفكار مسبّقة عن الحضارة المغربية، إلا أنه أظهر من العطف والرغبة في الاطلاع أكثر منها. وهو يبدي في كتابه «نبذة عن الإمبراطورية المغربية...» تفاؤلاً مفرطاً، ولهذا فإن التاريخ السياسي لا يجد له مجالاً في كتاب جراى جاكسون.



ب - مؤلفات لاحقة :

بعد تحليل هذه المراجع الأُوربية المتصلة بعهد السلطان سيدي محمد ابن عبد الله ألقى السنيور لوريدو نظرةً على عدد من مؤلفاتِ الأُوربيين من أهل القرن التاسع عشر والقرن العشرين فذكر منها :

1) «نبذة جغرافية وإحصائية عن إمبراطورية المغرب» تأليف السويدي ج. جرابرج دي هيمسو[9] (جنوا 1834).

2) كتاب «وصف المغرب وتاريخه» تأليف الفرنسي ليون كَودار»، وقد سبقت الإشارة إليه في مطلع هذا المقال.

---

8) William Lemprière, «Tour From Gibraltar to Tangier, Sallee, Mogador, and thence over Mount Atlas to Maroco...» London 1791.

9) J. Graber di Hemso, «Speccio geografico et statistico dell Impero di Marocco». Genova 1834.

3) وكتاب «تاريخ المغرب» تأليف مانويل كاستيانوس الذي تحدثنا عنه وذكرنا جملةً من مواضيعه.

4) «تقاييد حول تاريخ المغرب» تأليف كانوباس ديل كاستييو (مدريد 1913).[10]

5) «تاريخ المغرب» تأليف خ. بيكر[11] (مدريد 1915).

6) «سياسة كارلوس الثالث» تأليف ب . رودريكس كاصادوا (مدريد 1946).[12].

7) «الصداقة بين سيدي محمد وكارلوس الثالث...» تأليف طورا فيرير، وهو بحث نشر في مجلة «تمودة» 4 (1956) ص 213 ـ 228.[13]

هذا بالإضافة إلى عدد من المؤلفات الأُخرى الصادرة باللغة الفرنسية، وجلّها معروف عند المؤرخين والباحثين، ولا حاجة إلى إطالة الكلام بذكرها.

إن كتاب «المغرب في النصف الثاني من القرن الثامن عشر» الذي ألفه رامون لوريدو هو في نظري من أوسع المؤلفات الأجنبية التي تعنى بالشؤون الداخلية المغربية في عهد السلطان المنعم سيدي محمد بن عبد الله وهو كتاب فريد في موضوعه فضلاً عما يتسم به من جمال العرض ودقة التحليل وحسن التبويب واستقصاء الأحداث الداخلية التي تستحق التسجيل وتقدم

(10 Cãnovas del Castillo, «apuntes para la historia de Marruecos», Madrid 1913.

(11 J. Becker, «Historia de Marruecos», Madrid 1915.

(12 V. Rodriguez Casado, «Politica Marroqui de Carlos III» Madrid 1946.

(13 D. torra Ferrer, «La Amistad entre Mawlay Muhammad y Carlos III segun Gonzales Salmon» Tamuda, 4 (1956) pp. 213 - 228.

للقـارئ صورة متكاملـة عن المملكـة المغربيـة في حقبـة دقيقـة من أحقـاب تاريخها الحـديث، ولا شـك أن هـذا الكتـاب يستحق أن يترجم إلى اللغـة العربيـة لتعمَّ فـائـدتـه؛ وعسى أن يسمح لي الوقت بتقـديم فصولٍ منـه ولـو بشكل موجز مساهمةً منّي في خدمة تاريخ المغرب. والله ولي التوفيق.

الرباط **محمد العربي الخطّابي**

الوراقة المغربية
في العصر العلوي الرابع

محمد المنوني

والقصد إلى أيام أربعة سلاطين علويين : السلطان ـ محمد الرابع 1276 ـ 1290 / 1859 ـ 1873.

- السلطان الحسن الأول 1290 ـ 1311 / 1873 ـ 1894.
- السلطان عبد العزيز 1311 ـ 1325 / 1894 ـ 1908.
- السلطان عبد الحفيظ 1325 ـ 1330 / 1908 ـ 1912.

فهي فترة تستوعب أكثر من نصف قرن : من 1276 / 1859 حتى 1330 / 1912، غير أن ازدهار الوراقة خلال هذه المدة كان في عهد محمد الرابع، وبلغ الشأو البعيد أيام الحسن الأول.

☆ ☆ ☆

ومن ملامح هذا الازدهار وفرة دخل الوراقين من النساخة : فالحاج إدريس ابن إدريس العمروي اكتسب من مردود هذه المهنة عقارا[1]، ومحمد ابن عبد السلام ابن عزوز : اشترى من ثمن منتسخاته من «القاموس المحيط» دار سكناه في حي باب دكالة من مراكش[2]، والعباس بن محمد بن عبد الرحمن السجلماسي يكتب في كل سنة مؤلفا واحدا ويبيعه بمائة ريال هي نفقة عولته[3].

بينما يحدد لوراق ـ عام 1286 هـ ـ أجرة نساخته بثمان أواقي (8 دراهم) للكراس الواحد في مقاس 180/220[4]، والكراس يستوعب 10 أوراق، وكان الوراق هو الفقيه السيد ابراهيم بن محمد بن حمدون ابن الحاج السلمي المرداسي الفاسي.

☆ ☆ ☆

وعاش إلى صدر هذه الفترة خطاطون من طراز خاص، وقد عرفنا من بينهم ـ سلفا[5] ـ محمد بن أبي القاسم القندوسي؛ وكان في بعض مكتوباته يسرف في تفخيم الحروف على طولها وعرضها، ومن هذا أنه كتب اسم الجلالة في ورقة كبرى، وجعل طول حروفه القائمة يتجاوز المتر، في عرض على هذه النسبة، فجاء عملا في شكل غريب بديع، وحدث أنه أنفق في

---

1) محمد غريط : «فواصل الجمان...» المطبعة الجديدة بفاس 1347 هـ : ص 142.
2) محمد بن علي دنية «مجالس الانبساط بشرح تراجم علماء وصلحاء الرباط» خ.س 779 : 76/2.
3) انظر اسم الوراق رقم 23.
4) جاء هذا بخط محمد بن الطالب ابن سودة، عند نهاية المخطوط خ.س 171 : ص 353.
5) عند القسم الخامس من حلقات الوراقة المغربية.

مداده نحو عشرة من الريـال (بصرف وقتـه)، ثم جعل ذلـك في إطـار خشبي مزخرف، وعلقه قبلة الجامع الإدريسي بفاس[6]، حيث لا يزال بها.

1 - وبعـد القنـدوسي لمـع اسم الشرفي : عبـد الرحمن بن العربي بن المهدي الأندلسي ثم الفاسي، ت 1304 / «1887»[7]، وكان يكتب بخط شبيه في وضعه بـالخـط الأنـدلسي أيـام ازدهـاره، وبـه كتب نسخـة من «الروض الهتون» لابن غازي، خ،ع،ك 1177 / 2.

2 - ثم ابن سليمان : محمد الكبير بن محمد الغرناطي ثم الفاسي، نزيل مراكش ودفينهـا : 1317 / 1899، فيقول غريـط[8] يصف خطـه القـويم : «هو الـدر اليتيم، تغـازلت في وجـه الرقيم عيونـه، وتقـوست لرمي الأغراض نونه، وافترت عن شنب الإجادة سماته، واستقـامت عروش السطور ألفـاتـه كقناة في كف محراب، أو إمام في محراب»، وبخطه كانت كتابة المطبوعـات الحجرية الأولى بفاس.

ويقول المـدرومي[9] عن محمـد المفضل غريـط : «وخطت في الصحف يراعه ما شاء من محاريب وتماثيل».

---

6) عبد السلام اللجائي : «المفاخر العلية...» خ.س 460.

7) ترجمته في «فواصل الجمان» ص 208 - 216.

8) «فواصل الجمان» عند ترجمته ص 200 - 201، وترجمتـه - أيضـا عنـد ابن إبراهيم في الإعلام : المطبعة الملكية. 129/7 - 130.

9) «الدرة السنية في تاريخ الدولة الحسنية» تأليف محمد بن أحمد بن محمد المدرومي الحسني المدعو ابن داني، خ.س 481 ص 110.

ومن هذه المدينة ننتقل إلى مكناس، مع أحمد بن عبد الرحمن بصري، وفي تعبير ابن زيدان عند ترجمته :[10] «ومنه فشا بارع الخط بالحضرة المكنسية، حتى كان يضرب بجودته المثل».

ومن نفس المدينة محمد بن إدريس الوستري آتي الذكر.

3 - وفي مراكش : عبد القادر الدكالي العيسوي البوعزيزي المراكشي، ت حدود 1290 / 73 - 1874، يذكر عنه ابن الموقت :[11] «وكان يحترف بالنساخة، وقد أعطاه الله خطا بارعا لا يتبدل ولا يمكن الضرب عليه، يكتبه بقلم القصب، ومن رءاه يظنه بقلم النحاس، لأنه لا يزيد ولا ينقص رقة أو غلظا...».

4 - ومن مدينة الصويرة : محمد بن الحاج محمد الريفي التسماني نزيل طنجة، ت 1313 / 95 - 1896، وكان يكتب منتسخاته بخط دقيق على ورق رقيق، وفي حجم صغير يسعه داخل اليد[12].

5 - وفي سلا الخطاط محمد المكي بن البشير، وهو الذي ندبه الناصري لكتابة النسخة الأولى من «الاستقصا» قبل تقديمها للسلطان[13].

وفي تطوان : مفضل بن محمد أفيلال آتي الذكر، وكان جميل الخط والزخرفة[14].

---

(10) اتحاف أعلام الناس، المطبعة الوطنية - الرباط 1929/1347 : 362/1.

(11) السعادة الأبدية، ط.ف عند ترجمته 136/2 - 137.

(12) «زهر الآس، في بيوتات فاس» تأليف عبد الكبير بن هاشم الكتاني خ.ع.ك 1281 ج 1 ص : 369.

(13) «مؤرخو الشرفاء» الترجمة العربية، دار المغرب - الرباط 1977/1397 : ص : 258.

(14) محمد داود : «تاريخ تطوان» : القسم الثاني من المجلد 7، ص. 182.

وفي هذه الفترة وصلت المطبعة الحجرية للمغرب، وتمركزت في فاس : المدينة التي لمع بها وراقون مطبعيون اضطلعوا بنسخ المؤلفات المنشورة بهذه المطبعة، وهو موضوع نستبعده من هذا العرض. لنحيل على تفاصيله المنشورة في مكان آخر[15].

☆ ☆ ☆

وإلى هنا نتساءل عن التأليف في قواعد الوراقة، غير أنه لم يظهر ـ في هذا العصر ـ سوى شذرات تناثرت بين ثلاث مؤلفات :

ـ «الجيش العرمرم» لمحمد بن أحمد الكنسوسي، ط.ف : 2 / 159 ـ 186.

ـ ثم «هداية الضال المشتغل بالقيل والقال» لمحمد المامون الكتاني : مخطوط خ،ع،ك 320 / 1 : ص 123 ـ 132.

ـ وثالثا : «مشموم عرار النجد والغيطان...» للعربي المشرفي : مخطوط خ.س 12082.

☆ ☆ ☆

وإلى هذا فإن إنتاج الكاغد المحلي انقطع من هذه الفترة، وصار الاعتماد ـ بالمرة ـ على الورق المستورد من أوربا.

ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى الورق الأبيض الناصع الذي صار يستخدم للنساخة في أواخر هذا العهد وبعده إلى نحو عشرة الأربعينيات م،

---

15) محمد المنوني : «مظاهر يقظة المغرب الحديث» : دار الغرب الإسلامي في بيروت 1985/1405 : 257/1 ـ 315.

وكان يكتب على حاشيته طابع صغير مستطيل، بداخله إسما «المهدي·الحلو. وبن سوسان»، والواقع أن هذا الورق ليس من إنتاج المغرب، وإنما كان **يصنع في إنكَلترا برسم التاجرين الفاسيين، فينقش إسمهما داخل الطابع.**

☆ ☆ ☆

أما أدوات الوراقة فالمذكور منها لا يزال قليلا، ومن ذلك قلم نحاس في متحف البطحاء بفاس رقم 705، 45، وهو مزخرف بالنقش في وجهه، وفي ظهره ـ عند الوسط ـ تاريخ صنعه عام 1284 هـ.

وبنفس المتحف مجمع فخار رقم 713، 45 : يحتوي على عيون 13. أوسطها أكبرها، وهو مربع، مع نتوء في جوانبه المزينة بنقوش محفورة.

وعن أصداء ذلك في الأدب المغربي : نشير إلى قطعة شعرية كتبها محمد الفاطمي الصقلي على غطاء مجمع للنساخة، وعدد أصناف الأمدة به في ستة ألوان : أسود. وأزرق. وأخضر. وأصفر. وأبيض. وأحمر قانئ[16].

وفي ديوان «الروض الفائح» محاورة شعرية ـ على روي حرف اللام ـ بين الحاج إدريس السناني والشاعر الفاسي علال ابن شقرون، وكانت حول دواة وصفها الشاعر السناني بأنها عجيبة الصنع، غريبة الوضع[17].

☆ ☆ ☆

ونختم هذه المقدمة، بالإشارة إلى أن الطباعة السلكية بالخصوص، لم يؤثر ظهورها ـ كثيرا ـ على نشاط النساخة، وكان عدد من المهتمين يعدلون

---

16) قطعة من «ديوان» الأديب الصقلي كانت في المكتبة الأحمدية بفاس.

17) ديوان «الروض الفائح» للحاج إدريس السناني : خ.ع.ك 2678.

عن بعض هذه المطبوعات إلى قراءة المخطوط منها باليد، ومما يدل لهذا إعادة كتابة بعض المطبوعات المصرية بنسخها بالخط المغربي، حتى إن بعض الوراقين آخر منتسخاتهم، يضيفون نقل الكلمة الختامية لمصحح المطبوع، وفي الخزانة الحسنية نماذج من ذلك.

الوراقة الرسمية

أيام السلطان الحسن الأول

بعد مدخل الدراسة ينتهي بنا المطاف إلى عرض نماذج من نشاط الوراقة والوراقين ومنوعات من أعمالهم، انطلاقا من ديوان النساخين على عهد الحسن الأول، فيقول عنه ابن زيدان :[18]

«وكان ولوعا بنسخ الكتب والبحث عن البارعين في الخط المتقنين، ويجلبهم لحضرته للكتابة والنسخ، لا يفارقون حضرته سفرا ولا حضرا، اتخذ لهم محلا خاصا بهم برحاب القصر وعين لهم من يقوم بشؤونهم، ويقضي لهم مئاربهم، ويناولهم ما يحتاجون إليه، ويجرى عليهم الجرايات الكافية، وينعم عليهم بالنعم السابغة الضافية، ويتردد عليهم لمحل مزاولة أشغالهم الأونة بعد الأخرى».

ومن مفادات هذه الفقرة أنه كان للنساخين مكتب خاص ملحق بالقصر السلطاني، وذلك ما تشير له أيضا رسالة صادرة عن قاضي فاس عبد الهادي الصقلي، حيث سيرد نصها عند الملحق 1.

18) «النهضة العلمية في عهد الدولة العلوية» حسب منتسخات منها، ونحو من هذا لنفس المؤلف في «الدرر الفاخرة»، المطبعة الاقتصادية بالرباط 1937/1356 : ص : 40.

ونستفيد ـ مرة ثـانيـة ـ أن النسـاخين كانوا يتنقلون بتنقلات الركاب الحسني، ونضيف أنهم حينما يخيمون يكون لهم خباء على حدة، إسوة بـأخبيـة بقيـة الحـاشيـة، حسب لائحـة توزيع الأخبيـة على المرافقين بتـاريخ شوال 1310، فياتي فيها ذكر **خباء الطلبة النساخين**[19].

وإشارة أخرى في هذا الصدد، من جهة أحد الوراقين بـالبلاط الحسني وقد نسخ كتاب «التصريف» للزهراوي خ،س 134، فيذكر عند نهايـة السفر السـابع وهو الأخير : «وقـع الفراغ من انتسـاخـه صبيحـة عـاشر المحرم عـام 1307 هـ، على يـد عبـد القـادر بن محمـد بن إدريس الشهير بـابن المقـدم، العمروي البويحياوي، وذلك **صحبة الركاب الملكي** في حركـة الجبـال ومـا وراءها، لتفقد السواحل المغربية».

6 ـ وكان على النســاخين مشرف لتنسيـق أعمـــالهم، فيترجم ابن إبراهيم[20] للطيب بن عمير الشرقي، ويـذكر أن العـاهـل الحسن الأول كلفـه **بخزانة كتبه، ومباشرة النسخ والتسفير على يده.**

☆ ☆ ☆

وإلى بعض مـؤلفـات الطب والتنجيم والأوفـاق، كان الغـالب على المنتسخات الحسنية كتب الصنعة الكيماوية، فـاستنسخ منهـا مجموعـة ضخمـة دبجها الوراقون المغاربة بخطوط جيدة، وزخرفة أنيقة، وتسفير بديع، حيث تزخر بالكثير منها الخزانة الحسنية بالرباط.

---

19) ابن زيدان في «العز والصولة» المطبعة الملكية 1961/1381 : 227/1.

20) «الإعلام» المطبعة الملكية 1975 : 269/3.

7 ـ وإضافة لذلك استنسخ العاهل المنوه به من الإستانـة والقـاهرة وإسبانيا، وكان الذي وجهه إلى العاصمة العثمـانيـة هو الخطـاط البـارع عبـد النبي البوري الفاسي، برسم نسخ كتب الجلدكي[21].

8 ـ وفي القـاهرة اضطلـع بنسـخ مـؤلفـات الكيميـاء والطب، وراق مصري : سـويقي بن أحمـد الجبـل العـدوي، حسب تـوقيعـه في منتسخـاتـه الكثيرة المحفوظة بنفس الخزانة بخط مصري، وتسفير مصري.

ويوجد على بعض مكتوباته ـ بأوائلها ـ اسم «التازي وكيل مصر»، أو «الأمين لحلـو»، إشـارة إلى إشرافهما على أعمـال النسـخ بـالقـاهرة، حسب المخطوطات ذوات الأرقام 128، 129، 136، 141، 201، 623.

وبالخزانة ذاتها مخطوط ـ في الكيمياء ـ يحمل رقم 1370 / 1، وفي آخره التصريح بكتابته من نسخة الكتبخانة الخديوية المصرية.

ويبدو أن اهتمام الحسن الأول بالوراقة بدأ من أيام خلافته عن والـده بمراكش، فيذكر ابن زيدان[22] أنـه وقف على رسـالـة بتوقيع محمـد بن أحمـد بناني[23] رفعها إلى المنوه به، بعد مـا كتب برسمـه «شمس المعـارف»، ويحليـه في الرسالة بـ«سيدنا الخليفة».



21) «النهضة العلمية» : تعليق المؤلف.

22) «النهضة العلمية» حسب منتسخات منها.

23) هو الوراق المراكشي العالم، حيث سيرد ذكره بين الوراقين عند رقم 26.

وإلى هنا فقد عرفنا ثمانية من الوراقين الحسنيين، ونقدم ـ الآن ـ ستة من الموظفين في النساخة الحسنية، إستنادا إلى منتسخاتهم الباقية، وكانوا يذيلونها بأسمائهم :

9 ـ الزيداني : الحسن بن الحسن ابن زيدان العلوي[24].

10 ـ السباعي : عبد السلام بن عبد الواحد بن عبد الله البلعيشي الإدريسي.

11 ـ ابن الشريف : محمد المختار بن عمر الشريف.

12 ـ ابن المقدم : عبد القادر بن محمد بن إدريس العمروي البويحياوي.

13 ـ الحسين بن عبد المولى.

14 ـ النصيلة : إبراهيم بن محمد بن إبراهيم السجتاني.

وفضلا عن هؤلاء كان يشتغل في النساخة الرسمية خطاطون من كتاب الوزارات، حيث سترد أسماؤهم ومنتسخاتهم في مكانها من هذه الدراسة.

أيام السلطان العزيز

15 ـ ليس لدينا ـ الآن ـ سوى إشارة إلى كتب انتسخت تحت إشراف الوزير أحمد بن موسى، وذلك بمناسبة ذكر الفقيه محمد (بن محمد) بن

24) كتب اسمه ـ كاملا ـ آخر المخطوط رقم 11,383.

مبارك الغيغائي[25]، فيفيد أحد رفقائه[26] في الحاشية الأحمدية، أنه كان مكلفا عند الوزير بمباشرة الكتب التي تنسخ.

ويلاحظ أنه ـ لحد الآن ـ لم يظهر سوى واحد من المنتسخات العزيزية : «التبر المسبوك في نصيحة الملوك» للغزالي، بخط إبراهيم السجتاني آنف الذكر، وكان كتبه برسم الحضرة العلية، وفرغ منه في 27 جمادى الثانية 1313 هـ : خ.ي 197.

أيام السلطان الحفيظ

وعمل السلطان الحفيظ لبعث هذه الخطة، فكان بلاطه يستوعب عددا من النساخين، يجتمعون في بنيقه (مكتب) في القصر السلطاني بفاس الجديد، وكان من بينهم المؤرخ محمد بن علي الدكالي السلوي[27].

الوراقة شبه الرسمية

والمعني بالأمر خمسة أسماء، انطلاقا من عبد العزيز بن أبي بكر بن عبد الكبير الغرديس التغلبي الفاسي، فيذكر عنه :

---

25) ترجمته عند ابن إبراهيم في «الإعلام» 168/7 ـ 170.

26) هو محمد العلمي بن أحمد بن رحال البخاري : في مقيدته عن نشاط دراسة الرياضيات والفلك بمكناس في القرن 19 : مجلة «المناهل» بالعدد 30 ص 65.

27) من إفادة المؤرخ المرحوم جعفر الناصري خلال عام 1946/1365.

16 ـ العربي بن عبد القادر المشرفي :[28] «...فمنذ قدمت مهاجرا لمدينة فاس، أغناني عن عطاء الناس، وقد كتبت له خزانة بخط يدى، ما تركت فنا إلا وكتبت له أمهاته بوافر أجرة، دون العطايا التي يخصني بها».

ثم الأمير العباس بن السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام، وكان استنسخ لخزانته بمكناس طائفة مهمة من المخطوطات، حيث سيرد ذكر بعضها عند الوراقين رقم 83,21.

وثالثا : عامل مراكش أحمد بن القائد عمر بن أبي ستة المراكشي، كان له طائفة من الطلبة يكرمهم ويواجرهم على ملازمة انتساخ «دلائل الخيرات» للجزولي، ثم يجمع عددا ثم يسفره...[29].

رابعا : إدريس بن عبد الهادي العلوي الشاكري الفاسي، فتأتي في ترجمته[30] إشارة إلى أنه استنسخ دواوين وكتبا علمية.

خامسا : الوزير محمد الكبير بن العربي الجامعي ثم الفاسي، وقد جعل النساخ ـ لكتب العلم ـ مرتبين في داره مع مسفر[31].

28) «مشموم عرار النجد والغيطان...» مخطوط خ.س 12082.
29) ابن إبراهيم في «الإعلام» : عند ترجمته 418/2 ـ 419.
30) «المصدر» 51/3.
31) «المصدر» 216/7.

الوراقة على مستوى المهتمين عامة

وراقون مختصون

والقصد إلى الذين يغلب على منتسخاتهم مادة أو مواد متقاربة، ويتبع تعدادهم ترقيم الوراقين السابقين.

17 ـ **الفاسي :** عبد السلام بن أحمد بن العربي الفهري، ت 1281 / «1864».

أ ـ «إضاءة الراموس» لمحمد بن الطيب الفاسي : نسخة تامة في مجلدين عليهما ملكية العربي بن المختار الجامعي بتاريخ 1254 هـ.

خ. س 244.

ب ـ «نسخة أخرى» : تامة في مجلدين خ. س 246.

ج ـ «نسخة ثالثة» ينقصها المجلد الرابع خ. س 544.

د ـ «نسخة رابعة» : تامة في أربع مجلدات، عليها تملك الأمير العلوي مولاي العباس سابق الذكر : بتاريخ 1294 هـ. خ. س 1071.

هـ ـ «نسخة خامسة» : تامة في مجلدين.

خ. س 4976.

و ـ «نسخة سادسة» : في تجزئة رباعية ينقصها المجلد الثالث.

خ. س 6111.

ز ـ «نسخة سابعة» : النصف الأول في مجلد.

خ. س 7991.

حـ - «نسخة ثامنة» : تامة في مجلدين.

خ. س 11207.

ط - «نسخة تاسعة» : الربع الثالث في مجلد.

خ. س 12087.

وهذه النسخ التسع كلها خالية من تاريخ النسخ واسم الناسخ.

ي - «نسخة 10» : تامة في مجلدين بتاريخ 15 ربيع الثاني 1261 هـ.

خ.ع.ك 344.

ك - «نسخة 11» : تامة في مجلدين.

خ.ع.حـ 136.

ل - «نسخة 12» : النصف الثاني في مجلد.

خ.ق. 847[32].

م - ومن المنتسخات الأخرى للمترجم : «التقاط الدرر» للقادري : خ.س 2/122، وهو المخطوط الوحيد الذي صرح في آخره باسمه قائلا : **وكتبه عبد السلام بن أحمد الفاسي، فكان هذا مفتاحا عرّفنا - عن** طريق المقارنة - بخط الوراق في منتسخاته السابقة واللاحقة.

ن - «مناسك الحج» للبويعقوبي.

خ.س 397.

---

32) «فهرس مخطوطات خزانة القرويين» للأستاذ المرحوم محمد العابد الفاسي 514/2 - 515.

ص ـ «ياقوتة الحواشي على شرح الإمام الخراشي» تـأليف ابن الحـاج اليبـدري : نسخـة تـامـة في أربع مجلـدات، وفرغ من نسخهـا أوائـل رجب 1246 هـ.

خ.س 1811.

ع ـ «حاشية على شرح المكودي للخلاصة» تـأليف الحسن الزيـاتي : النصف الثاني في سفر.

خ. س 7734.

ف ـ «إرشاد الساري» للقسطلاني : السفر الأول.

خ.س 10778.

ض ـ «التنوير» لابن عطاء الله : في جزء كان في المكتبة الأحمديـة بفاس.

فهي ثمـانيـة عشر من منتسخـات الوراق الفـاسي بخطـه المسنـد المليح المتقن، ولما أخفى اسمه في أغلب مكتوباتـه، خلت ترجمتـه[33] من التعريف بعمله في الوراقة، وهو ميدان برز فيه كما رأينا.

18 ـ **الفاسي :** عبد النبي بن عبد الرحمن المجذوب بن عبد الحفيـظ الفهري، ت 1283 / «66 ـ 1867»[34].

أ ـ «صحيح البخاري» : ثلاثة أسفار من نسخة ثمانية التجزئة :

السفر الأول : فرغ منه أوائل 1260 هـ.

---

33) ترجمته عنـد أبي المواهب جعفر الكتـاني في «الشرب المحتضر...» ط.ف ص : 8 م 4، ثم عنـد ابنه محمد بن جعفر في «سلوة الأنفاس...» ط.ف 323/2 ـ 324.

34) أورده الفضيلي في «الدرر البهية» ط.ف 274/2.

السفر الثاني : 20 صفر 1261 هـ.

الثالث : السبت 6 ذي القعدة 1261 هـ.

خزانة خاصة.

بـ «نسخة أخرى» : السفر الرابع دون تاريخ.

خ.ع.ك 141.

ج - «نسخة أخرى» : السفر السابع من تجزئة ثمانية دون تاريخ.

خ.س 11252.

د - «نسخة أخرى» : سفران من تجزئة عشارية : السفر التاسع فرغ منه عصر الجمعة 26 محرم 1252 هـ.

السفر العاشر : زوال يوم الجمعة 10 صفر 1252 هـ.

كتبهما بالزاوية الحمزية برسم رئيسها عبد الوهاب بن عبد الله بن محمد العياشي.

مكتبة الزاوية الحمزية رقم 399.

هـ - «نسخة أخرى» : الجزء العشرون من تجزئة عشرينية، بتاريخ 19 صفر 1252 هـ.

كتبه بالزاوية الحمزية باسم رئيسها المنوه به.

مكتبة الزاوية الحمزية رقم 409

9 - وبرسم الرئيس المتكرر الذكر كتب الرحلة العياشية «ماء الموائد...» في مجلدين :

الأول : فرغ منه عشية السبت منسلخ جمادى الأولى 1250 هـ.

خ.س 4784.

الثاني : عشية الأربعاء 26 ذي الحجة 1250 هـ.

خ.س 629.

ز ـ «السنن الصغرى» للنسائي : سفران من تجزئة ثلاثة.

الأول : خ.ع.ك 1877

الثاني : خ.ع.ك 2408.

حـ ـ «المحكم في الأداب والحكم» لأبي مدين الفاسي، فرغ منه زوال يوم الأربعاء 12 صفر 1240 هـ.

خ.س 1034

ط ـ «الروض العطر الأنفاس» لابن عيشون ربيع الثاني 1245.

خ.س 3579

وهناك نسخة من صحيح البخاري بخط عبد النبي الفاسي، وكانت في خزانة محي الدين الأمير عبد الفادر الجزائري بدمشق، فيتحدث عنها الشيخ محمد عبد الحي الكتاني : «وكان للأمير عبد القادر ـ رحمه الله ـ نسخة من الصحيح بخط فاسي خطاط : هو الخطيب أبو محمد عبد النبي بن المجذوب الفاسي، وكان كثير النسخ والنقل، وهذه النسخة، في عشر مجلدات، خطها جميل، وورقها صقيل جدا، أعطى منها الأمير سعيد مجلدا للنقيب ابن زيدان صاحب تاريخ مكناس لما زار دمشق، ومجلدا أعطانيه في هذه المرة جزاه الله خيرا، وبقية الأجزاء لا أدري أين هي ؟ وإن كانت النسخ بخط المذكور كثيرة...».

19 ـ **ابن الحاج :** محمد المهدي بن محمد بن حمدون السلمي المرداسي الفاسي، ت 1290 / «1873»[35].

---

35) ترجمته في «سلوة الأنفاس» 238/1.

أ - الموطأ للإمام مالك في سفر فرغ منه فاتح محرم 1264 هـ.
خزانة خاصة.

ب - الشفا للقاضي عياض 11 جزءا من تجزئة 12.

خ.ع.ك 453.

20 - **الدمنتي : محمد بن علي بن سليمان البجمعوي نزيل مراكش.**

نسختان من «دلائل الخيرات» للحزولي مصححتان : الأولى فرغ منها ظهر الخميس 16 رجب 1300 هـ، في داره بالزاوية الناصرية، بدرعة : بقبة الشيخ القباب، كتبها ؛وقابلها على نسخ عديدة من أحباس خزانة الزاوية الناصرية بخط سيد المهدي الفاسي.

ويضيف:وبهذه الخزانة عدة كتب بخطه، منها «حلية أبي نعيم...» في ثمانية أسفار كبار صحاح، ومنها «شرح سيد مهدي الكبير على الدلائل...» وقد رأيت - يقول الناسخ - شرحه الصغير - المتداول - بخطه بدرعة برباط المزوار...

خزانة خاصة.

النسخة الثانية : فرغ منها قرب زوال يوم الإثنين 3 جمادى الثانية 1301 هـ، كتبها من نسختين بخط سيدي المهدي الفاسي بالزاوية الناصرية.
رأيتها عند أحد الكتبيين بالرباط.

21 - **الفاسي : عمر بن عبد الرحمن الفهري ت 1309 / 1892.**

أ - «المقصد الأحمد» لعبد السلام القادري : 4 صفر 1288 هـ، كتبه للأمير العلوي مولاي العباس. خ.س 640.

ب - «ممتع الأسماع» لمحمد المهدي الفاسي : 7 شعبان 1300 هـ.

خ.س 12058.

ج - «أزهار البستان» لعبد الرحمن الفاسي : متم 1300 هـ.

خ.س 583.

د - «الشفا» للقاضي عياض : 3 جمادى الثانية 1304 هـ.

خ.ع.ج 467.

هـ - «ابتهاج القلوب» لعبد الرحمن الفاسي : 7 صفر 1300 هـ.

خ.س 11800.

22 - **ابن عزوز :** محمد بن عبد السلام الحصيني الرباطي، ت 1309 / 91 - 1892.

كان - حسب محمد دنية[36] - مولعا بالنساخة، **كتب من القاموس إحدى عشرة نسخة...**

23 - **السجلماسي :** العباس بن محمد بن عبد الرحمن الحجرتي الفاسي، ت 1311 / «1894».

يذكر عنه محمد عبد الحي الكتاني : «كان يكتب في كل سنة نسخة من «الجنان على المختصر الخليلي» بخطه الأنيق، ويبيعها بمائة ريال هي عولته».

24 - **الناصري :** أحمد بن خالد بن حماد السلوي، ت 1315 / 1897.

---

36) «مجالس الانبساط. بشرح تراجم علماء وصلحاء الرباط» 76/2.

كتب ـ بيـده ـ الكثير من المـؤلفـات، وخصـوصـا كتب التراجم والأخبار، واعتنى بها وصححها وقابلها، وفي المكتبة النـاصريـة ـ بسلا ـ قسم مهم يحتوي على ما خطه بيمينه من الكتب النادرة، وما صححه وقـابلـه من الدواوين في مختلف الفنون[37].

25 ـ **الفاسي :** أبو القاسم بن عبد النبي بن عبد الرحمن المجذوب الفهري، ت 1315 / 1898[38].

أ ـ «صحيح البخاري» : الأسفـار 2، 5، 7، أعوام 1276، 1277، 1279 هـ.

خ.س 6116.

ب ـ «الموطأ» للإمام مالك في سفرين : 1278 هـ.

خ.س 2089.

ج ـ «الشفا» للقاضي عياض : سفران : الأول متم صفر 1273 هـ، والثاني 29 ربيع الأول 1275 هـ.

خ.س 5605.

د ـ «نسخة أخرى منها» : سفران : الإثنين 3 رمضان 1273 هـ.

خ.س 570.

ـ هـ ـ «نسخة ثالثة في سفر» : 20 صفر 1282 هـ.

خزانة خاصة.

---

37) من إفادة المؤرخ المرحوم جعفر الناصري خلال عام 1946/1365، وللناصري ترجمة موسعة تتصدر الجزء الأول من «الاستقصا» ط. دار الكتاب بالدار البيضاء 1954، كتبها ولدا المؤلف المؤرخان المرحومان : جعفر ومحمد الناصريان.

38) أورده الفضيلي في «الدرر البهية» 275/2.

26 ـ **البناني : محمد** بن أحمد بن الطيب المراكشي، ت 1317 / 1899[39].

قال عنه المشرفي :[40] «فاق أقرانه في جودة الخط، فهو فيه مفرد علم، مارس كتب القاموس، فكانت نسخه التي كتبها ـ بيده ـ لا تعاقب في الصحة، **أخرج منه ـ بخط يده ـ مجلدات كثيرة**».

أ ـ غير أن المعروف ـ الآن ـ من منتسخاته من «القاموس» نسخة واحدة، في مجلد مستطيل يستوعب الكتاب بكامله، بخط مغربي مجوهر مدموج مليح ملون مجدول، كتبه لنفسه، وفرغ منه أوائل جمادى الأولى 1279 هـ.

خ.س 2508.

ب ـ ومن منتسخاته الأخرى : «الشفا» لعياض.

خ.ع.ج 478.

ج ـ «شرح ديوان الشعراء الستة» للأعلم : ليلة الأحد 9 ربيع الثاني 1276.

جائزة الحسن الثاني 1977 : 13م.

د ـ «وسيلة الفقير المحتاج...» اسم شرح الشمائل الترمذية لبدر الدين الحمومي : 1288 هـ، برسم القاضي محمد بن عبد الواحد الدويري.

خ.س 1495.

39) ترجمته عند ابن إبراهيم في «الإعلام» 119/7 ـ 129.

40) «نزهة الأبصار...» خ.ع.ك 579 ص 476.

27 ـ **الشبيهي :** محمد الفضيل بن محمد الفاطمي بن محمد الحسني الإدريسي الزرهوني، ت 1318 / «1900».

كتب بخطه ـ حسب محمد عبد الحي الكتاني[41] ـ نسخة عشارية التجزئة من «صحيح البخاري»، وضبطها عشرات المرات، واعتمد فيها على نسخة ميارة من الصحيح.

وفي تعبير ابن زيدان عند ترجمته :[42] «ونسخ ـ بخطه ـ «صحيحي البخاري ومسلم» نسختين بذل المجهود في تصحيحها، ومقابلتها على الأصول المعول عليها بالمغرب، فكانتا عديمتي النظير، ولا سيا نسخة البخاري فإنها لا تعزز بثاني، وكذا كتب ـ بخطه ـ ما عدا الترمذي من بقية الكتب الست، وكذا كتب غير ذلك».

28 ـ **الفيضي :** أحمد بن مبارك بن عبد الله السجلماسي ثم المكناسي، نزيل تمكَروت وكاتب شيوخها الناصريين، ت 1325 / «07 ـ 1908»[43].

أ ـ السنن الصغرى للنسائي : 1289 هـ.

خ.ن 957.

---

41) في «التنويه والإشادة بمقام رواية ابن سعادة»، وهي المقدمة التي كتبها المذكور تصديراً لصورة السفر الثاني من نسخة ابن سعادة من صحيح البخاري، حيث نشر ذلك في باريس 1928/1347.

42) «اتحاف أعلام الناس» 518/5 ـ 520.

43) «اتحاف أعلام الناس» 464/1 ـ 465، مع «رياض الجنة» لعبد الحفيظ الفاسي، المطبعة الوطنية بالرباط 1932/1350 : 103/1 ـ 104.

ب - الجامع الصحيح للترمذي : 1290 هـ.

خ.ن 697.

29 - **سي حدُّو** بن موسى الفاسي ت 1330 / «11 - 1912».

نسخ - بيده - كتب الحديث الست[44]، ثم صارت - جميعها بالتتابع - إلى الأستاذ المرحوم إدريس بن الماحي الإدريسي القيطوني الفاسي، حسبما أخبرنيه قبيل وفاته، تغمده الله - تعالى - برحمته.

30 - **الشبيهي** : الموهوب اسما بن محمد بن الموهوب الحسني الإدريسي الزرهوني، ت 1333 / «1915»[45].

سفران من «صحيح البخاري» من نسخة عشارية : الأول : 14 ربيع الأول 1316 هـ.

الثاني : 22 رجب 1316 هـ.

خزانة خاصة.

وراقون ذكرتهم المصادر

والقصد إلى الذين ليس لهم اختصاص في منتسخاتهم حسب النماذج التالية :

31 - **محبوبة** : محمد بن عبد العزيز بن عبد الوهاب بن أحمد السلوي، ت 1279 / «1863».

44) «النهضة العلمية» لابن زيدان حسب منتسخات منها، حيث كتب للمنوه به ترجمة وجيزة بإحدى التعاليق.

45) له ترجمة في «اتحاف أعلام الناس» 381/4 باسم الموهوب بن الموهوب بنسبته إلى جده.

يذكر عنه الناصري :[46] «كثير الدرس والتقييد والنسخ للكتب المعتبرة».

ومن المعروف من منتسخاته «حاشية البناني على شرح المحلي لجمع **الجوامع» : عشية الثلاثاء 18 ربيع الأول 1267 هـ.**

خ.ع.د 2061.

32 ـ **التسولي :** أحمد بن علي بن عبد السلام الورتناجي الشبراوي ثم الفاسي، كان حيا عام 1280 / 1864.

وهو ولد الفقيه التسولي الشهير، فينقل عنه عبد السلام اللجائي[47] بصدد شرح والده على تحفة ابن عاصم :

«حدثني ولده السيد أحمد أنه **نسخ من نسخة المؤلف ما يقارب 200 نسخة».**

33 ـ **كَنبور :** الحاج لحسن بن محمد بن أحمد الورياغلي ثم اللجائي، ت 1283 / «1866».

له ـ حسب عبد السلام الهواري[48] ـ خط لطيف كتب به عدة كتب.

---

46) «الاستقصا» 112/9.

47) «المفاخر العلية...» خ.س 460، وذكر أحمد التسولي ـ أيضا ـ عبد الكبير بن هاشم الكتاني في «زهر الأس في بيوتات فاس»، خ.ع.ك 1281 ج 1 عند بيت بني التسولي : محليا له بالفقيه العدل.

48) «تنوير الصدور في التعريف بسيدي الحاج لحسن كَنبور» تأليف القاضي عبد السلام بن محمد بن طاهر الهواري الفاسي : خ.ع.ك 11/1264.

ومن منتسخاته : أ ـ «شرح عقيدة الرسالة القيروانية» لجسوس : 1258 هـ.

خ.س 5498.

ب ـ «شرح الشمائل الترمذية» لجسوس، مهمشا بتعاليق الناسخ بخطه : عشية السبت 17 جمادى الأولى 1264 هـ.

خ.س 6740.

34 ـ **السلوي :** محمد بن محمد بن أبي مدين بن إبراهيم التاملي العثماني الفاسي، ت 1290 / «1873».

يصفه محمد عبد الحي الكتاني بأنه حسن القراءة والخط، جيد الضبط، نسخ كثيرا بخطه وضبطه الجيد.

35 ـ **ابن إدريس :** إدريس بن محمد بن إدريس العمراوي البويحياوي الفاسي، ت 1296 / «1879».

قال عنه غريط :[49] «كان يكثر إلى النسخ التفاته، ويستدرك به ما فاته، كتب من الصحيح نسخا عديدة، ومن كتب الأدب جملة مفيدة، اكتسب من أثمانها عقارا، ومن معانيها خبرة واعتبارا».

ومن منتسخاته : أ ـ «الشفا» لعياض : منتصف جمادى الأولى 1280 هـ.

خزانة خاصة.

ب ـ «غرر الخصائص الواضحة...» للوطواط : منتصف ربيع الأول 1281 هـ.

خ.ع.ج 148.

49) عند التعريف به في «فواصل الجمان» ص 142 ـ 162.

ج ـ «صحيح مسلم» : الأسفار 2، 4، 5 من نسخة خماسية، كتبها من ثلاثة أصول معتبرة في الصحة ورباعية التجزئة، ثم فرغ من آخرها عند فاتح شعبان 1283 هـ.

خ.س 6905.

د ـ «ديوان» والده الوزير محمد ابن إدريس تنقصه الورقة الأولى، وهو الجامع لما عثر عليه من شعره.

خ.س 12057.

36 ـ الحاج **محمد الشلح** نزيل الرباط، ت 1298 / «80 ـ 1881».

وهو إسم احتفظ محمد سباطة[50] بنشاطه في هذه المهنة، فكان له ولوع كبير ينسخ «كتب التصوف» و«صحيح البخاري»، فضلا عن كتابته لعدد من «دلائل الخيرات بشرحه»، ولـ«تنبيه الأنام» لابن عظوم القيرواني.

37 ـ **الركَراكَي :** إبراهيم بن محمد بن مَحمد الأغوريي.

يصفه محمد المختار السوسي[51] بأنه كان نساخا للكتب الكبرى بخط جيد، ويضيف : «لعله توفي حوالي رأس القرن».

38 ـ **الوستري :** محمد بن إدريس بن الطيب المكناسي، ت بعد 1300 / «82 ـ 1883».

خطاط بارع مكثر[52].

---

50) «الفتح الرباني في التعريف بالشيخ سيدي فتح الله بن الشيخ سيدي أبي بكر البناني» ج 2 : مخطوط المكتبة التطوانية بسلا.

51) «المعسول» 322/5.

52) «اتحاف أعلام الناس» 271/4 : عند ترجمته.

وعلى هـذه الصفـة تعرف ثـلاثـة من آثـاره : أ ـ «ثمـار القلـوب» للثعالبي : 1301 هـ.

خ.س 1671ز.

ب ـ »رحلة البلوي» : خالية من تاريخ الانتساخ.

خ.س 11480.

ج ـ «مجموعة» بها ثلاث مؤلفات صغيرة.

خزانة خاصة.

39 ـ **العلـوي :** محمد بن عبد الله بن محمد بن الطـاهر الحسني الإسماعيلي المكناسي، ت 1304 / «1887».

قال عنه ابن زيدان[53] «نسخ بخطه البارع كتبا عديدة : حديثية وفقهية ونحوية».

والمعروف ـ الآن ـ من منتسخاته : أ ـ «الشمائل الترمذية» بأولها وآخرها لوحتان مزخرفتان بالألوان والتذهيب : 19 ربيع الأول 1290 هـ.
خزانة خاصة.

ب ـ «الشفـا» لعيـاض : النصف الثـاني في سفر : الجمعـة 9 محرم 1299 هـ.

خ.س 11269.

40 ـ **السملالي :** إبراهيم بن عبد الله بن محمد السوسي، ت 1306 / «88 ـ 1889». كان نساخا توجد الكتب التي نسخها[54].

---

53) «المصدر» 267/4 : عند ترجمته.

54) «المعسول» 24/11.

41 ـ **فرموج :** محمد العباس بن عبد الهادي بن محمد الصنهاجي المكناسي، ت 1307 / «1890».

في ترجمته عند ابن زيدان :[55] «له خط بارع... ولوع بنسخ الكتب لا تكاد تجده إلا كاتبا، مع اتقان وتحري»، أخذ أصول الخط عن أحمد بن عبد الرحمن بصري سابق الذكر.

ولا يوجد ـ الآن ـ من منتسخاته سوى «الجيش الكفيل بأخذ الثار...» لمحمد بن محمد الصغير الشنجيطي : الخميس 26 جمادى الأولى 1287 هـ.

ح.س 16.

42 ـ **ابن عطية :** محمد البشير بن أحمد بن محمد المراكشي ت 1308 / «90 ـ 1891».

ينوه به ابن إبراهيم[56] قائلا : «وكان له خط رائق نسخ به الكثير بعد الستين من القرن الفارط... وكان جيد الضبط والاتقان لما نسخ، لا يوجد فيه تحريف ولا إلحاق، ولم أر شبيها به في ذلك إلا الفقيه السيد محمد بن أحمد بناني رحمه الله».

43 ـ **الصنهاجي :** محمد بن أحمد بن عيسى الفاسي **الوزير** ت 1309 / 1892. اشتغل في أول أمره بالنساخة[57].

---

55) «اتحاف أعلام الناس» 423/5 ـ 425 : عند ترجمته.

56) «الإعلام» 78/6 ـ 79 : عند ترجمته.

57) «فواصل الجمان» ص 78 مع «الإعلام» المراكشي 72/7.

44 ـ **الكتاني :** محمد المامون بن عمر بن الطائع بن إدريس الحسني الإدريسي الفاسي، ت 1310 / 1892.

في حديث له عن الوراقة بتأليفه «هداية الضال»[58] يذكر : «...ومنها التمعش بالكتابة، وهي حرفتي وحرفة والدي والسلف الصالح قبل ذلك».

ويعرف من منتسخاته : أ ـ «نظم الدر واللآل في شرفاء عقبة ابن صوال» لمحمد الطالب ابن الحاج : 5 رمضان 1279 هـ.

خزانة خاصة.

ب ـ «إتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين» لمرتضى الزبيدي : الجزء الأول من السفر الثاني : 29 صفر 1281 هـ.

خ.ق 655.

45 ـ **الرغاي :** محمد بن أحمد الرباطي، ت 1315 / «97 ـ 1898».

له ولوع كبير بالنساخة، نسخ دواوين عديدة كـ«القاموس» و«نفح الطيب» و«إحياء» الغزالي ونحوها[59].

46 ـ **دنية :** محمد بن أحمد بن علي الأندلسي الرباطي ت 1316 / «1898».

---

58) خ.ع.ك 1/320 ص : 123، والإسم الكامل «هداية الضال المشتغل بالقيل والقال».

59) محمد دنية في كتابيه «الانبساط» : المخطوط المتكرر الذكر 104/2، مع «النسمات الندية» المطبعة الاقتصادية بالرباط 1355 هـ : ص : 53.

وصفه ابن أخيه محمد بن علي دنية[60] بحسن الخط وتمام الضبط فيما نسخه من كتب عديدة من الحديث وغيره.

47 ـ **التادلي :** محمد بن الكبير من أولاد زيدوح من بني موسى، المراكشي الدار، ت 1317 / «1899 ـ 1900».

نوه ابن إبراهيم[61] بخطه البارع الذي نسخ به كتبا كثيرة.

48 ـ **الكردودي :** أحمد بن محمد بن عبد القادر الكَلالي الحسني الإدرِيسي الفاسي، ت 1318 / «1900».

كان له خط رائق خط به عدة كتب[62].

ومن منتسخاته «النوادر» للقالي في سفرين : 1272 هـ.

خ.ع.ج 18.

49 ـ **ابن بوزيد :** محمد بن بنعيسى السلوي، ت 1319 / «01 ـ 1902».

نوه بوراقته الأمير العالم العباس بن السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام، وجاء ذلك في تعليق بخطه آخر نسخة من «صحيح مسلم» في ثلاث مجلدات، فكتب ما يلي : «يقول كاتبه : قد اشتريت هذه النسخة من مدينة سلا من فقيه عالم، وهو السيد محمد بن عيسى بن بوزيد، وهي بخط يده، ومن الصحة بمكان».

خ.س 11244.

---

60) «النسمات الندية» ص : 32.

61) «الإعلام» 129/7 : عند ترجمته.

62) «المصدر» 440/2 : عند ترجمته.

50 ـ **ابن زيدان :** عبد القادر بن عبد الرحمن بن علي الحسني العلوي الإسماعيلي المكناسي، ت 1321 / «1903».

قال عنه ابن زيدان :[63] له خط بارع، نسخ عدة كتب فقهية وحديثية وتاريخيه.

51 ـ **التناني :** محمد بن علي بن بعز الدركَاوي، ت 1328 / «10 ـ 1911».

وصفه أحمد الكشطي[64] بالبراعة في الخط ووفرة المنتسخات.

52 ـ ونذيل هذه اللائحة باسمين وصف كل منهما **بالنساخ :** الحاج عبد السلام **النساخ** حج عام 1280 / 63 ـ 1864، وجاء ذكره عند ابن زيدان[65].

53 ـ السيد محمد أجنين **النساخ**، كتب «كنز الذخائر...» لمؤلف توفي أواخر القرن 13هـ، حسب ابن إبراهيم[66].

54 ـ ثم نستدرك إسم **الفاسي :** عبد الكبير بن عبد الرحمن المجذوب بن عبد الحفيظ الفهري، ت 1295 / 1878.

---

63) «اتحاف أعلام الناس» 353/5 : عند ترجمته.

64) «التعريف بالبلدة التنانية...» مخطوط خاص، واسم مؤلفه كاملا : أحمد بن الحاج علي بن إبراهيم بن محمد بن علي التناني الياسيني الكشطي.

65) «اتحاف أعلام الناس» 481/5.

66) «الإعلام» 44/7.

فيقول عنه عبد الحفيظ الفاسي :[67] «كتب - بيده - عدة نسخ من الكتب الستة الشهيرة، وبلغ من تعظيمه أنه ما كتب حديثا واحدا وهو على غير طهارة تامة».

وراقون معروفون من خلال منتسخاتهم

55 - **ابن إدريس :** عبد النبي بن محمد بن إدريس العمراوي البويحياوي الفاسي.

«مرءاة المحاسن» لمحمد العربي الفاسي : 27 رمضان 1272 هـ.

خ.س 341.

56 - **البطاوري :** محمد بن علي بن عبد الرحمن الشرشالي الرباطي.

«ربيع الأبرار» للزمخشري : آخر ربيع الثاني 1279 هـ، برسم الشريف محمد بن عبد الجبار بن علي الحسني الوزاني اليملاحي.

خ.س 7012.

57 - **ابن إبراهيم :** عبد العزيز بن محمد بن محمد الدكالي المشنزائي الفاسي.

أ - «الدر الثمين» لمحمد بن أحمد ميارة : عصر الأحد 28 جمادى الأولى 1281 هـ.

خ.س 3792.

---

67) «خطوات وخطرات» خ.ع.د 4401 : أول مجموع، والفقرة المنقولة مكتوبة ضمن خط المؤلف بهذا المصدر، وانظر ابن إبراهيم في «الإعلام» 159/8.

ب - «شرح النصيحة الزروقية» لابن زكري في مجلد، فرغ منه 19 شعبان 1279 هـ.

خ.س 480.

ج - «مجموعة مؤلفات».

خ.ع.ك 474.

58 - **الحميدي** : أحمد بن الحاج محمد بن مَحمد الحسناوي[68].

«أوضح المسالك وأسهل المراقي...» للرهوني : الثمن الرابع : 1282 هـ، برسم العلامة الحاج محمد بن علي بن الهاشمي البقالي الحسني : كتبه من أصله.

في حوزة البعض.

59 - **الصفار** : إدريس بن محمد.

«الشفا» لعياض : نسخة خزائنية : خطا وزخرفة وتذهيبا وتلوينا وتسفيرا : منسلخ ذي الحجة، 1285 هـ، برسم عبد الكريم بن أبي بكر الحلو.

خ.ع.ج 636.

60 - **ابن داني** : محمد بن الحاج المختار التلمساني ثم التازي.

«لمح السحر...» لابن ليون التجيبي : 28 من ذي القعدة 1286 هـ.

خ.س 404 : أول مجموع.

61 - **الزرهوني** : محمد بن العربي بن الهاشمي الفاسي.

أ - «الفتح الرباني...» لمحمد بن الحسن البناني 1278 هـ : من خط محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد السلام البناني الفاسي أصلا، الرباطي دارا.

خ.س 8414.

---

68) يضيف الناسخ : «من ذريه الولي... موسى بن علي الحميدي».

ب ـ «رسالة في السياسة»، ألفها محمد بن سعيد المراكشي المالكي باسم عاهل مصر وما ولاها السلطان حسن.

خ.ع.ج 94 : ضمن مجموع.

ج ـ «واسطة السلوك» في سياسة الملوك لأبي حمو عاهل المغرب الأوسط : فاتح 1287 هـ.

خ.ع.ج 94 : ضمن مجموع.

د ـ النزهة المبهجة» للأنطاكي : نسخة مصححة : دون تاريخ.

خ.س 4182.

هـ ـ «شرح المقامات الحريرية» للشريشي : النصف الأول في سفر : دون تاريخ.

خ.ع.ج 129.

62 ـ **السقاط** : محمد التاودي بن مَحمد الفاسي، كان حيا 1288 / «1871»[69].

«المورد المعين على المرشد المعين» لمحمد بن الطيب القادري : النصف الأول 24 ربيع الأول 1256 هـ : برسم عامل فاس الطيب البياز الأنصاري.

خ.ق 870.

63 ـ **الطوبي** : عبد الحق بن العلامة عبد الوهاب بن القاضي الهاشمي السلوي.

أ ـ «شرح الحكم العطائية» لابن عباد، كتبه لشيخه محمد (بن عبد العزيز) محبوبة (السلوي).

خ.س 7

69) ترجمته عند ابن إبراهيم في «الإعلام» 328/6 ـ 329.

ب ـ «ذخيرة المحتاج» للشيخ المعطى الشرقاوي العمري : مجلد منها : 21 ربيع الأول 1288 هـ، كتبه للقائد أبي شعيب بن الحاج السعيدي.

خ.س 7867.

مع مجلدات أخرى من «الذخيرة المعطوية» ـ قبل هذا الرقم وبعده، كتبها الطوبي لنفس القائد.

64 ـ **الحلو** : عبد الكريم بن أبي بكر بن محمد بن عبد العزيز المريني الوطاسي ثم الفاسي.

«مصحف شريف» في سفر كتبه لنفسه : 4 شوال 1290.

معرض جائزة الحسن الثاني 1971 ر.

65 ـ **التطاري** : محمد بن العربي الفاسي[70].

أ ـ «المقامات الحريرية» : 13 شعبان 1288 هـ.

خ.س 71.

ب ـ «الشفا» لعياض : النصف الثاني في سفر : 15 ربيع الأول 1290 هـ.

خ.س 6861.

ج ـ مجموع يشتمل على : 1 ـ «كتاب الوصول لحفظ الصحة في الفصول» تأليف لسان الدين ابن الخطيب : 27 رمضان 1291 هـ.

2 ـ «كتاب الأغذية» لمحمد بن إبراهيم الرندي : متم شوال 1291 هـ.

---

(70) توجد معلومات عنه في «مظاهر يقظه المغرب الحديث» 199/1.

3 ـ «زاد المسير في علاج البواسير» للقوصوني : 9 قعدة 1291 هـ.

خ.س 77.

66 ـ **اليوبي : محمد** بن الهاشم الفاسي.

«تيسير الوصول إلى جامع الأصول» لابن الديبع الشيباني : النصف الثاني : 1292 هـ.

خ.س 6553.

67 ـ **العيدوني : محمد** (بن محمد) بن أبي زيان (التلمساني ثم الفاسي).

أ ـ «الشفا» لعياض : نسخة تامة في سفر : صبيحة الجمعة 6 صفر 1277 هـ.

خ.س 1989.

ب ـ «صحيح البخاري» : السفر الخامس وهو الأخير، مقابل على نسخة مبارة : صبيحة الأربعاء 12 قعدة 1293 هـ.

خ.س 7110.

ج ـ «شرح المختصر الخليلي» لأبي علي بن رحال : المجلد 4 دون تاريخ.

خ.س 3702.

68 ـ **عمور : محمد** بن التهامي الفاسي.

«الشفا» لعياض : النصف الثاني في سفر : 1294 هـ.

خ.ع.ج 491.

69 ـ **خضور** : الحاج أحمد بن الحاج قاسم السلوي.

أ ـ «المسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل» لليفرني : صبيحة الإثنين 18 شعبان 1268 هـ.

خزانة خاصة.

ب ـ «الأقنوم في مبادي العلوم» : «أرجوزة مطولة لأبي زيد عبد الرحمن الفاسي : ذي القعدة 1279 هـ.

خ.س 6585.

ج ـ «صحيح مسلم» : النصف الثاني في مجلد يبتدي من كتاب البيوع : الخميس من شهر شوال 1284 هـ.

خ.س 7319.

د ـ «قوت القلوب» لأبي طالب المكي : السفر الأول : آخر ذي الحجة 1292 هـ.

ح.س 516.

هـ ـ «صحيح البخاري» : السفر الأخير : 1294 هـ.

خ.س 10801.

70 ـ **ابن داني :** محمد بن محمد بن محمد التازي المراكشي دارا[71].

«كتاب النكث المستخرج من كتاب المشابكة» المنسوب لمحمد بن الحاج الشريف الحسني : في سبعة أسفار : الجمعة 9 ربيع الثاني 1303 هـ : برسم السلطان الحسن الأول : مجلد منها.

خ.س 1352.

71 ـ **البصري :** عبد الواحد بن الطيب المكناسي.

«كشف الأسرار...» لعلي جلبي : 25 شعبان 1304 هـ : برسم السلطان الحسن الأول.

خ.س 1590.

---

71) قد يكون هو محمد بن داني الكبير، المترجم عند ابن إبراهيم في «الإعلام» 64/7 ـ 65.

72 ـ **الفاسي :** عبد العزيز بن عبد القادر بن عبد الواحد الفهري ت 1304.

«الشفا» لعياض : النصف الثاني في سفر : ضحوة السبت 17 صفر 1294 هـ.

خزانة خاصة.

73 ـ **الطاهري :** محمد بن الراضي بن الطيب بن الرضي الحسني المكناسي.

«زهر الربى على المجتبى» للسيوطي، كتب منه نحو نصفه الأخير، وفرغ منه 24 ذي الحجة 1306 هـ.

كان في المكتبة الأحمدية بفاس.

74 ـ **الصقلي** : الفاطمي بن الحسين الحسيني الفاسي، ت 1310 / 1893.

خلف منتسخات عديدة بالخط والمطبعة الحجرية الفاسية.

75 ـ **التاشفيني :** محمد بن أحمد بن محمد المختار بن عمر بن علي بن مسعود، اللمتوني المرابطي الفاسي من نسل يوسف بن بن تاشفين حسب ذكر المترجم، ت 1311 / «1893»[72].

أ ـ «أوضح المسالك وأسهل المراقي...» للرهوني : نسخة تامة في أربعة أسفار مقابلة على خط المؤلف : الجمعة 11 صفر 1260 هـ، ووقع الفراغ من المقابلة يوم 13 ربيع الثاني 1265 هـ.

خ.س 8503.

---

(72) هو مؤلف «اللؤلؤ المكنون في اختصار ابن عيشون».

ـ ب ـ «عرائش البيان في حقائق القرآن» للورتجيبي : السفر الثاني وهو الأخير : الثلاثاء 28 رمضان 1277 هـ.

خ.ع.ك 273.

ج ـ «شرح المرشد المعين» لبدر الدين الحمومي : 29 جمادى الأولى 1280.

خ.ع.د 2062.

76 ـ **الشفشاوني :** عبد القادر بن عبد الكريم بن محمد الورديغي الخيراني البرنسي، ت 1313 / «1895»[73].

«البهجة في شرح التحفة» للتسولي : 14 ذي القعدة 1303 هـ في سفرين.

خ.س2681.

77 ـ عبد الخالق **برادة**

«مصحف شريف» : الربع الرابع، في إخراج رائع تذهيبا وتلوينا : 1313 هـ.

خ.ع.ج 760.

78 ـ **الكردودي :** محمد بن محمد بن عبدالقادر الكلالي الحسني الإدريسي الفاسي، ت 1317 / 99 ـ 1900.

أ ـ «مختصر كتاب البرهان في علم الميزان» للجلدكي : الأحد فاتح صفر 1306 هـ.

خ.س 15.

73) ترجمته عند الزركلي في «الأعلام» : الطبعة الثانية : 165/4.

ب - «مصححات أفلاطون» لجابر بن حيان : 15 صفر 1306 هـ.
خ.س 1120.

79 - **الفلاوي** - محمد بن محمد بن عبد الرحمن.
الشفا لعياض : النصف الثاني في سفر : 25 رمضان 1320 هـ.
في حوزة البعض.

80 - **ابن إدريس** : الطاهر بن محمد بن إدريس العمراوي البويحياوي الفاسي.

«الإعلام بفضل الصلاة على خير الأنام» تأليف محمد بن عبد الرحمن بن علي النميري : في سفر : الأحد 17 شوال 1322 هـ.

خزانة خاصة.

81 - **الفاسي** : محمد الهادي بن عبد النبي بن عبد الرحمن المجذوب الفهري ت 1323 / 1906.

كتب - بخطه - «الخمس الأول» الضائع من «نسخة ابنْ سعادة» من صحيح البخاري، فجاء في سفر فرغ منه يوم 12 ذى الحجة 1285 هـ.
خ.ع.د 1332.

82 - **الشرقاوي** : الحسن بن بنداود بن العربي بن المعطي بن صالح العمري البجعدي.

«الأزهار في الصلاة على النبي المختار» تأليف الشيخ المعطي المذكور : الأحد 25 شعبان 1324.

خزانة خاصة.

83 ـ **فرموج :** محمد بن عبد الهادي بن محمد بن محمد العربي الصنهاجي المكناسي : ت 1329 / «1911»[74].

أ ـ «التسهيل لعلوم التنزيل» لابن جزي : الإثنين 9 جمادى الأولى 1270 هـ.

خ.ع.ك 348.

ب ـ «نشر المثاني» لمحمد بن الطيب القادري في سفرين : 14 ذي الحجة 1285 هـ، مهمش بخط الأمير العلوي مولاي العباس المتكرر الذكر.

خ.س 972.

ج ـ «التنبيهات» للقاضي عياض : في مجلد من حجم طويل بخط دقيق يتخلله بياض. 1286 هـ : برسم الأمير مولاي العباس المتكرر الذكر.

خ.س 534.

د ـ ديوان الحيوان للسيوطي في سفر : 10 شعبان 1286 هـ، برسم نفس الأمير.

خ.س 989.

هـ ـ الكامل للمبرد في سفر : 14 ربيع الثاني 1288 هـ.

خ.س 803.

و ـ مطالع الإشراق لعبد السلام القادري.

خ.ع.ك 1234 / 7.

---

(74) تاريخ وفاته من وثيقة مسجلة في «كناش التركات والوصايا» للمحكمة الشرعية بمدينة مكناس رقم 10، عدد 300. وجعل المرحوم ابن زيدان تاريخ وفاته في جمادى الأولى 1318، عند ترجمته من «إتحاف أعلام الناس» 280/4. والمترجم هو والد العدل في المحكمة الشرعية بأحواز مكناس المرحوم السيد محمد فرموج، المتوفي أواسط عام 1375 هـ.

84 ـ نذيل على هذه اللائحة بأربعة وراقين خلت منتسخاتهم من تاريخ الكتابة، بدءا من **العواد** : أحمد الحسني المعزاوي :

«فتح الباري» لابن حجر العسقلاني : ينقصه السفر التاسع.
خ.س 3354.

85 ـ **ابن فقيرة** : المكي بن محمد بن محمد بن العناية الأنصاري المكناسي :

«شرح الرائية الشريشية» لأبي مدين الفاسي.
خ.ع.ك 930 / 1.

86 ـ **القباج** : الحاج محمد بن الحاج مَحمد الفاسي :

«صحيح البخاري» : الأسفار 1، 3، 4، 6، 7، 8.
خ.س 5000.

87 ـ **الشرقاوي** : صالح بن التهامي العمري نزيل سطات ودفينها.

«نفح الطيب» للكنتي. خ.ع.ك 237.

☆ ☆ ☆

88 ـ ثم نذيل ـ مرة أخرى ـ بأسماء نستدركها، انطلاقا من محمد **بن أبي رقيه** التلمساني ثم المكناسي، ت 1279 / 62 ـ 1863.

«شرح لامية العجم» للماغوسي :[75] 27 حجة 1273 هـ.
خ.س 11435.

---

75) على ظهر الورقة الأخيرة من هذا المخطوط كتب البعض : «كاتب هذا المجلد هو الفقيه النبيه، الخير الأديب، سيدي محمد بن أبي رقية التلمساني أصلا، المكناسي دارا، ومنشؤه ـ رحمه الله ـ بتازة، وانتقل ـ بعد ـ لمكناسة لضرورة، وتوفي بها ـ رحمه الله ـ عام تسع وسبعين ومائتين وألف».

89 ـ ابن ناصر : محمد بن محمد الدرعي المراكشي.

أ ـ «موطأ الإمام مالك» : 1270 هـ.

خ.س 1994.

ب ـ «نسخة أخرى» : الثلاثاء 7 ذي القعدة 1281 هـ.

خ.س 3056.

90 ـ **محمد بن موسى**

«الشفا» العياض في سفر مزخرف : مهل رجب 1287 هـ.

خ.س 994.

91 ـ **ابن أبي رقية :** أحمد بن محمد بن عبد الرحمن التلمساني ثم المكناسي ثم الرباطي، ت 1324 / 06 ـ 1907[76].

«شرح لامية العجم» للماغوسي : 6 ذي القعدة 1280 هـ.

خ.س 12447.

92 ـ **الدرعي :** الحاج المحجوب المراكشي، عمر مائة سنة وسنة، إلى أن توفي 1349 / 30 ـ 1931.

يذكر عنه محمد عبد الحي الكتاني : «كثير النسخ لدلائل الخيرات»، يكتب نسخة منه كل أسبوع، وإن عدد النسخ التي وصلت لدرعة ـ وحدها ـ بخطه نحو أربعمائة نسخة.

وراقون مزخرفون ومسفرون

93 ـ **أجانا :** إدريس بن التهامي المكناسي.

76) ترجمته في «مجالس الانبساط» 131/2.

عالم يحترف تسفير الكتب وإصلاح المبتور منها[77].

94 ـ **ابن موسى :** الطاهر بن الحاج عبد السلام الفاسي، ت 1284 / 1867.

من منتسخاته أ ـ «إرشاد الساري» للقسطلاني، في عشرة أسفار أتم نسخها عام 1281 هـ، وهو في المكتبة العبدلية بتونس، وجاء في وصفه بفهرسها :[78] «بكل جزء منها (هذه النسخة) طالع مذهب مزوق بألوان من الدهن، وكل طالع يخالف شكله شكل غيره، ومرقوم به ما ابتدئ به ذلك الجزء من أبواب الصحيح، عدا الأول فإن المرقوم به إسم الشارح القسطلاني بالذهب بالقلم الثلثي، والصحيفتان الأوليان من كل جزء مجدولتان بالذهب».

ب ـ ومن منتسخاته المحفوظة بالمغرب : «سنن ابن ماجه» : النصف الأول في مجلد : 1260 هـ.

خزانة خاصة.

ح ـ «إرشاد الساري» للقسطلاني : السفران : الأول، والعاشر : مهل ربيع الثاني 1264 هـ.

خ.س 11406.

95 ـ **السملالي :** أحمد بن الطاهر الأزموري، ت 1284 / 67 ـ 1868 بمراكش.

قال عنه محمد دنية :[79] وخطه بديع، وله اقتدار على التدبيج والترصيع».

---

77) «إتحاف أعلام الناس» 23/2 : عند ترجمته.

78) 20/2.

79) «النسمات الندية» ص : 63.

96 ـ **أفيلال :** مفضل بن محمد بن الهامسي الحسني العلمي التطواني، ت 1304 / 86 ـ 1887.

جميل الخط، يتقن الزخرفة ويكتب بالذهب[80].

97 ـ **چنون :** سليمان بن أبي بكر بن محمد بن عبد الله الفاسي.

كان هو القائم بزخرفة المنتسخات الحسنية، ونوه به القاضي عبد الهادي الصقلي[81] بأنه «قد حاز التبريز في صناعته، وزاد على من تقدم ببراعته».

ولحسن الحظ خلف نموذجا من تفوقه في مهنته : في **مصحف** شريف من حجم صغير، يذيله بالتصريح بأنه هو كاتبه ومزوقه، فجاء آية في **الجمال، يزدان عند بدايته بلوحتين، وعند نهايته بلوحتين، وكلها قمة في** الروعة : زخرفة وتلوينا وتذهيبا وإبداعا، وتجاوزت الزخرفة باطن المصحف الشريف إلى جوانبه الخارجية، فزينت ـ من جهاتها الثلاث ـ بتنميق وتلوين يتجاوب مع العمل الداخلي، ثم جاء التجليد يتناسب ـ في جماله وتذهيبه ـ مع منمنات المصحف الشريف.

أما خطه فكان جميلا مبسوطا مع تضييق الكتابة، مشكولا مجدولا ملونا مذهبا، وأتمه عام 1280 هـ.

كان من معروضات جائزة الحسن الثاني سنة 1971.

98 ـ **چنون :** عبد الله بن سليمان المنوه به.

---

(80) محمد داود «تاريخ تطوان» : القسم الثاني من المجلد 7 ص : 182.

(81) خلال رسالته الواردة بالملحق الأول.

وتعود الإفادة به إلى «ظهير عزيزي» - 1318 هـ - بتوقير واحترام عبد الله بن سليمان جنون ومن إليه، مع تحليته بـ«المترجم»، وكانت هذه الحلية تعني العارف بزخرفة الكتب.

وإلى هذا فالظهير يشير إلى ما بيد المذكور من ظهير السلطان الحسن الأول، فكأن عبد الله جنون كان يعمل في هذه المهنة بالبلاط الحسني، وبعده صار يشتغل بالبلاط العزيزي.

والظهير - كاملا - سيرد نصه عند الملحق 2.

99 - **البطاوري** : التهامي بن علي الرباطي، ت 1325.

وهو - حسب محمد دنية[82] - عالم له معرفة بتسفير الكتب.

100 - **الحلو** : محمد بن الحاج محمد بن أبي بكر المريني الوطاسي ثم الفاسي.

وقد كتب رسالة للسلطان الحفيظ بتاريخ 13 جمادى الآخرة 1326 هـ، وفيها يذكر أنه هو مزخرف وثيقة البيعة الحفيظية، مع استعداده لخدمه الكتب السلطانية : تذهيبا وتزويقا وتسفيرا.

وسيكون نص الرسالة هو الملحق 3.

يضاف إلى هذه الأسماء إشارة عند الفضيلي[2/82] يذكر فيها أنه أدرك أفرادا من أسرة «الدلائيين» يحترفون بتسفير الكتب ونحو ذلك.

---

82) «مجالس الانبساط» 137/2، وترجمته - أيضا - عند محمد بوجندار في «الاغتباط بتراجم أعلام الرباط» خ.ع.د 1287 : 49/2.

2/82 - «الدرر البهية» 345/2.

وراقات من النساء

101 ـ **فاطمة** بنت الشيخ أحمد البدوي بن أحمد الشهير بزويتن الفاسي.

يذكر عنها المؤرخ محمد بن علي الدكالي : «ورأيت بالقرويين من فاس عام 1304 : جزءا من صحيح البخاري بخط جيد لازال قريب العهد بالكتابة، وبئاخره ما نصه : كتبته خديمة العلم فاطمة بنت أحمد البدوي، وعلى طرر الكتاب تقايبد مفيدة، فسألت الطالب الذي كان بيده الجزء المذكور : من تكون هذه السيدة الكاتبة لهذه النسخة ؟ فقال لي : إنها بنت الشيخ سيدي أحمد البدوي زويتن، صاحب الزاوية بسويقة ابن صافي من طالعة فاس»[83].

102 ـ **فاطمة** بنت محمد بن الطيب البدوي زويتن الفاسي.

أوردها مؤلف «الروض المنيف»[84]، وذكر أنها كانت زوجة للشريف عبد السلام بن عبد الله بن محمد الوزاني الفاسي، وعقب قائلا : «السيدة فاطمة ـ المذكورة ـ فقيهة ونساخة، ولقد رأيت بخطها كتاب «الشفا» لسيدي القاضي عياض في غاية الجودة، وقل مثلها ـ في المعرفة والخط ـ من النساء».

---

83) من «محاضرة في تعليم البنت» للقاضي المرحوم أبي بكر بن الطاهر زنيبر السلوي : خ.س 6094.

84) مخطوط في حوزة أحد الأشراف الوزانيين، والإسم الكامل للكتاب : «الروض المنيف في التعريف بأولاد مولاي عبد الله الشريف».

103 ـ **فاطمة**، هكذا ورد إسمها غفلا في ذيل مخطوطة من «الفقهية» لأبي السعود الفاسي، كتبتها بخطها، وهو مغربي مبسوط مشكول، يميل ـ قليلا ـ إلى وضع الخط المراكشي، ثم فرغت من انتساخها عند متم ربيع الثاني 1326 هـ.
خ.س 9907.

وراقون يزاولون المهنة في وضع متأزم

104 ـ **الزموري** : عبد السلام بن محمد الفاسي، ت 1279 / 1862.

أ ـ «زاد البوس والموئق المحبوس» : إسم ديوان صغير نظمه وكتبه وهو في «سجن مصباح» بمراكش.
خ.س 3602.

ب ـ «المسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل» لليفرني : 10 رمضان 1260 هـ أيام إقامته بمراكش.
خ.س 207.

ج ـ «نزهة الحادي...» لليفرني : 2 ربيع الأول 1261 هـ، برسم عامل مراكش أحمد بن القائد عمر بن أبي ستة.
خزانة خاصة.

105 ـ **القادري** : عبد الوهاب بن محمد العابد الحسني الفاسي، ت 1282 / 65 ـ 1866.

«الشفا» للقاضي عياض : 14 شوال 1250 هـ : في سجن مصباح بمراكش، ثم قابله مع رفيقه في السجن عبد السلام الزموري آنف الذكر.
خ.ع.ك 657

106، 107 ـ عبد الرحمن **الراشدي** ورفيقه الذي لم يسم.

«منتخب كنز العمال» : نسخا ـ بالسجن ـ معظمه برسم مولاي إدريس بن عبد الهادي العلوي الشاكري ثم الفاسي[85].

وراقون مصححون للمنتسخات

107 ـ **ابن سودة «المقدم» :** محمد بن الطالب بن محمد المري الفاسي، ت 1294 / 1877.

أ ـ صحح «بغية السالك» للساحلي، بعدما استأجر على انتساخها، وفرغ من ذلك في شعبان 1286 هـ.

خ.س 171.

ب ـ كما صحح «التنوير» لابن عطاء الله، في مخطوطة كانت في المكتبة الأحمدية بفاس.

108 ـ **الكنسوسي :** محمد بن أحمد بن محمد المراكشي، ت 1296 / 1877.

اضطلع بتصحيح نسخة من «القاموس» استكتبها الوزير محمد العربي بن المختار الجامعي، وعهد إليه بمراجعتها، فعارضها بعشرات من النسخ الصحيحة، واستفرغ وسعه في ذلك مدة تزيد على سنتين، حتى تم التصحيح وتوابعه في مفتتح عام 1271 هـ، وهذه النسخة ـ بذاتها ـ تحفظ ـ كاملة ـ في :

خ.س 8112[86].

---

85) ابن إبراهيم في «الإعلام» 52/3.

86) للمزيد من التفاصيل يرجع إلى محمد المنوني : «نشاط الدراسات اللغوية في المغرب العلوي» : مجلة دعوة الحق العدد 4، السنة 11 ص : 56 ـ 57.

109 ـ **اللجائي :** عبد الرحمن بن علي بن عبد السلام الحسني.

صحح الترميز في «مصحف شريف» وقع الفراغ من كتابته يوم 6 جمادى الأولى 1300 هـ.

خ.س 2

مخرج كتاب من المبيضة

110 ـ **بوغالب :** عبد السلام بن الطائع الحسني الإدريسي الفاسي، ت 1290 / «1873»[87].

خرج «حاشية ابن منصور على الشرح المختصر لتفتازاني على تلخيص القزويني»، وتولى نقلها من مبيضة مؤلفها ـ تحت إشراف المخرج ـ أبو بكر بن الرشيد الصقلي الحسيني، ثم فرغ من ذلك يوم 18 محرم 1251 هـ.

خ.س 11428

☆ ☆ ☆

111 ـ يضاف للوراقين الرسميين اسم «ناصر بن علي»، استناداً إلى الرسالة الحسنية التالية :

«نامر خدامنا الأرضين أمناء البنيقة المراكشية، أن يدفعوا للطالب ناصر بن علي النساخ مائة مثقال صلة له، والسلام، في 7 ربيع النبوي عام 1305».

112 ـ ويضاف للوراقين غير الرسميين : أسم محمد بن محمد بن محمد (أربعا) بن عبد الرحمن بن الجيلاني، التلمساني المُغَوْفَلي النجار، التازي المنشأ، المكناسي الدار، حسب تعبيره في تقديم اسمه ونسبه.

87) ترجمته في «سلوة الأنفاس» 96/3 ـ 97.

كتب ـ بخطه وقابل ـ «الروض اليانع الفائح...» تأليف الحسن بن محمد التادلي المعداني المداجي، وفرغ منه عند فاتح ذي القعدة 1282 هـ.
خ.ع.د 1835

ثم **محمد بن داني**، يقول عنه المدرومي[88] : «...وخطه الرائق يسحر كل مقلة... درب بتحلية الطروس، وتزيينها كالعروس، فآونة يحوم على ما يبهر الأبصار، وتارة ينهج منهج الاختصار»، وقد يكون هذا هو **ابن داني الكبير**، سابق الذكر عند رقم 70.

الملحق الأول
رسالة من قاضي فاس عبد الهادي الصقلي
إلى الحاجب أحمد بن موسى

وتتعلق بسليمان چنون سابق الذكر بين المزخرفين، وفيها يقترح القاضي تعيين نحو أربعة من الطلبة. ليتعلموا صناعة الزخرفة على سليمان چنون، اعتبارا بأن هذه المهنة صارت مقصورة عليه، مع ملاحظة أن هذه الرسالة ضاع من آخرها مكان التاريخ وإمضاء كاتبها، غير أنه سجل خلفها أن باعثها هو القاضي المنوه به، وهذا نص الباقي من الرسالة :

محبنا الأعز الأمجد، الفقيه النبيه الأوحد، الوزير الأرشد، الحاجب الأسعد السيد أحمد، بن الفقيه الوزير الأعظم، المنعم السيد موسى، رعاك الله، وسلام عليك ورحمة الله، عن خير مولانا أيده الله.

88) الدرة السنية ص. 92.

وبعد : فغير خاف عليكم أن السيد سليمان چنون المترجم، قد حاز التبريز في صناعته، وزاد على من تقدم ببراعته، وبسبب ذلك عيناه لخدمة الكتب المولوية، غير أنا كلما ألزمناه المواظبة على الخدمة **بالمحل الذي به النساخ** تعلل بعلل، وقد رأينا أن الأوفق هو انخراطه في سلك النساخ المذكورين يقبض الراتب معهم، لتنقطع دعاويه، ويقوم بما كلف به، فنحبك أن تنهي هذا للعلم الشريف.

كما نحبك أن تنهي له أسماه الله، أن هذه الصناعة كادت تنعدم لكونها مقصورة على من ذكر، ولابأس **بتعيين نحو الأربعة من الطلبة لأخذها** وتعلمها منه، وأحببناك أن يكون هذا من جملة محاسن حسنات مولانا الإمام، التي ابتهجت بها الأيام...

من وثائق خ.س

الملحق الثاني

ظهير عزيزي بتجديد التوقير والاحترام لعبد الله بن سليمان چنون ومن إليه

يعلم منّ كتابنا أعز الله أمره، أننا جددنا ـ بحول الله وقوته ـ لماسكه المترجم الطالب عبد الله بن سليمان كَنون، ما بيده من ظهير سيدنا الوالد قدسه الله، المتضمن توقيرهم واحترامهم ودفع اليد العادية عنهم، تجديدا تاما،

نأمر الواقف عليه من عمالنا وخدامنا أن يعلمه ويعمل بـه، والسلام، في 16 من شعبان الأبرك، عام 1318.

من وثائق جائزة الحسن الثاني سنة 1971
الدار البيضاء رقم 44

الملحق الثالث

نص المقصود من رسالة إلى السلطان الحفيظ
كتبها محمد بن الحاج محمد بن أبي بكر الحلو
على هلهلة تعابيرها

وبعـد : فـإني أنهي لشريف علم مـولانـا... بـأني كنت حسنت النصر وأنمقته، وزينته بالذهب كما يليق... بواسطـة الفقيـه سيـدي أحمـد بن مواز، وأنمقت وزينت هـذه الأبيـات، وكتبتهـا وحسنتهـا بـالـذهب والتزويـق، والتسفير بالذهب، التي هي من إنشاء مولانا أمير المومنين...

ومهما أراد سيـدنـا... أن ينمـق ويـزين كتـابـا بـالـذهب والتزويـق، والتسفير بالذهب، فنحن على الخدمة للأعتاب الشريفة...

وفي 13 جمادى الثاني عام 1326، محمد بن الحاج محمد بن أبي بكر الحلو

الرباط **محمد المنوني**

توضيـــح

المصادر والمراجع تذكر وضعيتها عند الإحالة الأولى : مخطوطة ومكانها ورقمها، أو مطبوعة وبلد الطبع وتاريخه، ولا يتكرر ذلك عند الإحالات التالية :

وترد اختصارات لمراكز المخطوطات كالتالي :

خ.س : الخزانة الحسنية بالرباط.

خ.ع.د : قسم حرف الدال من مخطوطات الخزانة العامة بالرباط.

خ.ع.ك : قسم حرف الكاف من مخطوطات الخزانة العامة بالرباط.

خ.ع.ج : قسم حرف الجيم من مخطوطات الخزانة العامة بالرباط.

خ.ع.حـ : قسم حرف الحاء من مخطوطات الخزانة العامة بالرباط.

خ.ق : خزانة القرويين بفاس.

خ.ي : خزانة ابن يوسف بمراكش.

خ.ن : الخزانة الناصرية بتمكَروت.

توضيـح ثان

هنا تتم الحلقة السادسة من مسلسل «الوراقة المغربية»، وقد نشرت ـ تباعا ـ كالتالي :

ـ القسم الأول : من الفتح الإسلامي حتى نهاية العصر الوطاسي : مجلة «البحث العلمي» العدد 16 ص 37 ـ 65.

ـ القسم الثاني : الدولة السعدية : «نفس المجلة» ع 18 ص 17 ـ 47.

ـ القسم الثالث : العصر العلوي الأول : مجلة «دعوة الحق» : العدد 10، السنة 16 ص 80 ـ 92.

ـ القسم الرابع : عصر السلطان العلوي محمد الثالث : «نفس المجلة» : العدد 2، السنة 18 ص 45 ـ 56.

ـ القسم الخامس : العصر العلوي الثالث : المجلة ذاتها العدد 4، السنة 23 ص 10 ـ 24، مع العدد 246 ص 133 ـ 151.

م. م.

حول مخطوطة:

الابتسام عن دولة ابن هشام
لأبي العلاء إدريس

د. عبد الهادي التازي

في تأليفه (دليل مؤرخ المغرب الأقصى) أشار الفقيه سيدي عبد السلام ابن سودة رحمه الله في الجزء الأول إلى هذا المخطوط النفيس الذي يحمل عنوان (الابتسام عن دولة ابن هشام وديوان العبر في أخبار أهل الثالث عشر).

وقد قال عنه : إنه لأحد الكتاب الذي كان يحمل إسم «إدريس» ولم يقدم ابن سودة معلومات أكثر من هذا عن مؤلف المخطوط، غير أنه ذكر أنه كان كاتبا مع الوزير أبي عبد الله محمد بن إدريس العمراوي وزير السلطان مولاي عبد الرحمن والمتوفي سنة 1264 = 1847.

وبعد أن يذكر أن كتاب الابتسام يفتتح بهذه الجملة : «فسبحان من يبدئ ويعيد، ويحكم في خلقه بما شاء ويريد»... يفيد أن الكتاب يهتم بتاريخ دولة السلطان الجليل أبي زيد مولانا عبد الرحمن ابن مولانا هشام

المتوفي سنة 1276 = 1859. وبعد أن ذكر ابن سودة أنه توجد من الكتاب نسخة بخزانته الأحمدية، أفاد أن الأصل بخط المؤلف يوجد بخزانة أبي فارس عبد العزيز ابن محّمد فتحا بن إدريس العراقي الحسيني...».

وقد كان يقصد إلى الفقيه العدل الثبت والد صديقي وزميلي في الدراسة الأستاذ سيدي الوافي العراقي الذي أوقفني على أصل الكتاب وتفضل بتقديم معلومات تكميلية تتصل بهذا «المخطوط» الذي أصبح اليوم بفضل الوسائل المتوفرة للتصوير - موجودا عند عدد من المهتمين بتدوين تاريخ المغرب وبخاصة الخزانة الصبيحية والخزانة الشرقاوية...

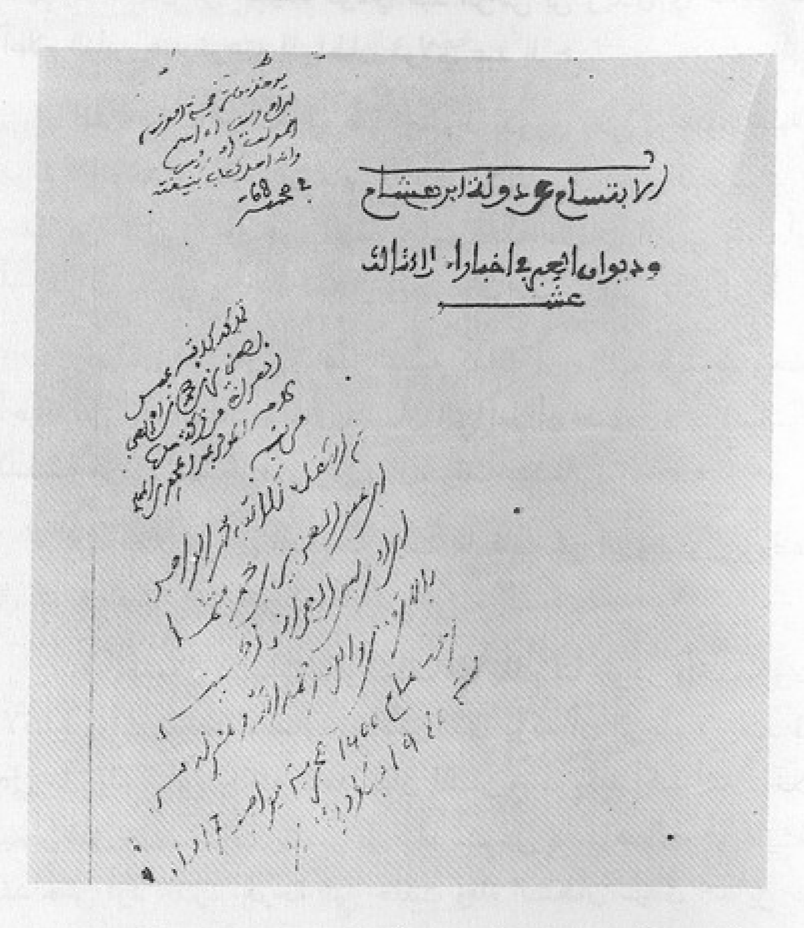
وقد أفادني الزميل أن الكتاب المذكور تملكه والده من تركة جده لأمه الموثق المؤرخ المولى عبد المجيد بن المهدي العراقي على ما تؤكده طرة بخط والده على الورقة الأولى من الكتاب. كما أفادني كذلك أن الطرة الثانية التي توجد في أعلى الصفحة الأولى هي بخط الفقيه الحجوي مؤلف كتاب الفكر السامي وقد علق بها قائلا يوخذ من ترجمة الوزير ابن إدريس أن إسم المؤلف إدريس وأنه أحد كتاب بنيقته (أي ديوانه)[1]...

---

1) ورد في الصفحة 127 من المخطوط ما يلي : «وكانت لي أمة أتسرى بها، فكان الفقيه يظن أني مغرم بها، فأنشدني ممازحا لي فقال :

إدريس مـــاذا التغـــالي	في حب هـــذي الأميـــة
حـــاكيت فيهـــا غرامـــا	أحـــوال غيـــلان ميـــه
اضحت حبـــابـــة لمـــا	صرت يـــزيـــد أميـــه !

وأن البتر الذي لاحظه المرحوم بن سودة في الكتاب كان عملا بدافع من منافسة لبعض من ورد الحديث عنهم في الورقات المبتورة من قضاة وعلماء..!



الورقة الأولى من الكتاب، يلاحظ أنها تتضمن أربعة خطوط : العنوان وهو خط المؤلف، وعن أعلى اليسار خط الفقيه الحجوي، وتحته خط سيدي عبد العزيز العراقي، ويليه قلم ولده سيدي الوافي مالك الكتاب.

والجدير بالذكر أن هذا المخطوط مما لم يقف عليه عدد ممن كانوا يتوقون إلى الوصول إليه بسبب ضن مالكه به، إذ كان تاج مفرق خزانته اللهم إلا ما كان من النقيب مولاي عبد الرحمن بن زيدان في كتابه اتحاف أعلام الناس عند ترجمته للسلطان مولاي عبد الرحمن[2].

لقد أحببت أن أنبه إلى هذا المخطوط بدوري نظرا لما يحتوي عليه من فوائد لا توجد في غيره كان منها ما يتصل بالتاريخ الدولي للمغرب مما ظل خفيا عن الذين كتبوا حول الموضوع، سواء منه علاقات المغرب بدول أوربا أو إمارات المشرق وخاصة الحجاز ومصر وطرابلس وتونس والجزائر...

وقد كان مما دعاني إلى هذا التنبيه كذلك أن مؤلف المخطوط يتحدث أحيانا عن أيام السلطان المولى سليمان التي نعلم أن كتاب «إتحاف الناس» للنقيب مولاي عبد الرحمن بن زيدان، وقف عندها...

هذا فضلا عن أن المخطوطة كانت مما غاب عن البروفيسور بروفنصال في كتابه القيّم : «مؤرخو الشرفاء»...

وفي مقدمة (الابتسام) ذكر المؤلف أنه يقدم لنا «نوادر وأخبار وعتها الأفئدة ورأت بعضها الأبصار...» الأمر الذي يؤكد أن الرجل لا يعتمد فقط على ما رواه الناس ولكنه شاهد عيان للتاريخ... وقد أكد أنه ـ خلافا لبعض المؤرخين ـ سوف يقتصر على الحديث على ما شاهده هو أو عايشه... لقد عاش أولا الفترة الحرجة التي خلفت وفاة السلطان سيدي محمد بن عبد

2) من المعلوم أن مخطوطات النقيب بن زيدان صارت إلى الخزانة الحسينية وهي تحمل هناك رقم 12490.

الله، عندما كان الأخوة يتنافسون على الحكم إلى أن تمت البيعة للسلطان مولاي سليمان الذي دشن أعماله بالتمين ببناء المساجد وتشجيع العلماء والطلبة، حيث كان يحضر مجالسهم بين الفينة والأخرى...

الصفحة الثانية من الكتاب.

وقد خصص المؤلف حيزا من كتابه للعلماء الذين كانوا يعيشون على عهد مولاي سليمان مصدرا بقطب المغرب الشيخ التاودي بن سودة ثم ولده أبي العباس أحمد الذي ولي قضاء فاس... والشيخ عبد القادر بن شقرون والطيب بن كيران والديوري والعراقي والمنجرة وبرادة الخ.

وقد تخلص من هذه اللائحة الطويلة إلى ذكر لائحة للعلماء الذين (سمع بهم في غير مدينة فاس) فذكر جملة طيبة من عيون الفقهاء والأدباء كان فيهم من حضر المؤلف مجلسه بمراكش في جامع ابن يوسف...

ومن طريف ما يحكيه ما يتعلق بسجلماسة التي كانت ما تزال معروفة العين على عهد مولاي سليمان ومولاي عبد الرحمان...

وبعد هذا ينتقل المخطوط لذكر كتاب السلطان مولاي سليمان فيذكر منهم ابن الصديق الريسوني واليمني بوعشرين المكناسي وبناني دفين القيروان أثناء ذهابه للحج...

وفي أثناء حديثه عن الحوادث التي جرت في أيام السلطان مولاي سليمان... ذكر منها قيام عبد القادر بن الشريف في بادية الجزائر الذي أغار على ثغر وهران وتلمسان حيث تتابعت الحروب بينه وبين الترك مدة طويلة الأمر الذي تسبب في هجرة عدد كبير من أهل تلمسان إلى ديار المغرب وخاصة بفاس فرارا من جور الأتراك على حد تعبير المؤلف، وفي نفس الوقت ثار ابن الأحرش أيضا على الأتراك الذين اشتد حنقهم على كل الاعراب «فلا يقدر أحد من الناس أن يدعى أنه من أصحاب مولاي العربي الدرقاوي !!».

وبعد أن يتحدث عن مصرع أحدهم كانت له معرفة بما سماه «الخَنْقَطِيرَة» ـ السحر ـ تعرض للكيرة (الحرب) التي شبت بين باي تونس وباي الجزائر حيث قدم وصفا للصدام الذي حصل بين الإيالتين زمانا طويلا إلى أن صالح بينهما السلطان العثماني... وهنا يأتي المؤلف بمعلومات عن أسباب هذه (الكيرة) وعن مصرع مصطفى باشا حاكم الجزائر الذي كان أعجوبة الدنيا في النهم والشره !

ويتحدث المؤلف كذلك عن الكيرة التي نشبت بين ولاية الجزائر وبين الإنجليز في شهر شوال 1229 = شتنبر ـ اكتوبر 1814 حيث احتلت المراكب الإنجليزية الميناء وأخذت تقصف المدينة بالكور، «والبنب» طوال ثمان ساعات لم يبق فيها برج ولا دار ولا بناء إلا وتأثر من فعل الاغارة بما في ذلك منار المرسى الذي كان من أعجب مصانع الدنيا بناء واتقانا وصيانة... تفصيلات هامة عن هذه الحادثة[2م] التي أعقبتها الثورة على عمر باشا وتولية أحمد باشا الدرقاوي مكانه لأن هذا الأخير كان يميل للعرب وكان يصر على أنه لا يبقي تركيا في بر الجزائر..! حيث لم تلبث دولة الأتراك أن انقرضت وانطوى بساطهم...

وبهذه المناسبة يستطرد بذكر أحد البحريين المجاهدين من إيالة الجزائر يحمل إسم (حميدو) الذي ورد على السلطان مولاي سليمان فأكرم مقدمه قبل أن يساعده على العودة برا إلى بلاده...

وقد ذكر من الحوادث التي جرت أيام السلطان مولاي سليمان دخول بني الأصفر (الفرنسيين ـ نابليون) إلى مصر سنة 1212 = 1797 ـ 98 حيث

2م) مولود قاسم نايت بلقاسم : شخصية الجزائر الدولية ج 1 ص 200.

يقدم لنا معلومات مطرفة، ونقرأ عمن فر بنفسه من المصريين نحو السودان أو طرابلس على ما سمعه المؤلف من أهلها... وبالإضافة إلى ما ورد في صلب الكتاب نجد تعليقا بحاشية المخطوط عن وقعة دخول الفرنسيس لمصر نقلا عن كتاب (تحفة الناظرين) للشيخ عبد الله الشرقاوي...

لقد بقي المؤلف مع الحديث عن مصر المحتلة حتى خرجت فرنسا منها بسبب محاصرة إنجلترا، وبسبب وقعة الجزار بالشام التي يستعرضها المؤلف.

وقد بقيت مصر فوضى إلى أن اتفق أهل مصر مع من كان معهم من الأتراك على تولية الحاج محمد علي باشا... بمساعدة الترك والمغاربة.

ومن المعلومات التي اشتمل عليها المخطوط ما يتعلق بالأمر الذي وصل من أسطنبول سنة ست وعشرين = 1811م إلى محمد علي يأمره بالمسير إلى الحرمين لقتال الأمير سعود الوهابي، حيث يحاول المؤلف تقديم الأمير سعود حسب ما سمعه من أهل مصر... كان يضرب الناس إذا رآهم يقرأون دليل الخيرات ! وكان أصحابه لا يذعون أحداً يزور قبر النبي ﷺ، وإن وجدوا أحداً ضربوه إذا كان آفاقيا، ومن ذلك ما وقع لوالدنا رحمه الله في سنة خمسة عشر = 1801م... وكنت معه يقول المؤلف، وكان الأمير سعود ينهى الناس عن شرب الدخان وحلق اللحا...! ولم يكن يفعل شيئا من هذا «الناموس» الذي يكون للملوك، فإذا رأيته ظننت أنه واحد من قومه... وكان الوهابيون أشد الناس بغضا للأتراك...

وبعد هذا التقديم يعود لتتبع حملة جيش محمد علي ضد الوهابيين الذين هزموا الجند الأمر الذي دعا محمد علي لتعزيز الحملة = بابنه إبراهيم...

حيث انحصر الوهابيون في «الدرعية» لعدة سنوات. إلى أن تم الصلح فدخلها الأتراك وهدموا أسوارها... حديث طويل عن الحركة الوهابية لكنه يتركه معلقا إلى أن يتحدث عن أحد الشيوخ التونسيين بالجامع الأزهر يسمى أبا الحسن علي الميلي... الذي نراه يحمل حملة عنيفة على الشيخ حمدون ابن الحاج بسبب قصيدة هذا الشيخ التي مدح فيها الأمير سعود الوهابي، وكان سبب القصيدة ـ يقول المؤلف ـ أن أبا إسحاق مولاي إبراهيم بن السلطان مولانا سليمان لما أراد التوجه لأرض المشرق بنية الحج ظهر لأبيه أمير المؤمنين أن يوجه معه كتابا يستعطف فيه الوهابي لأنه كان أمير مكة في ذلك الوقت وخاف أن يمنع ولده من الوقوف بعرفة... فلما كتب له الكتاب كتب معه قصيدة يمدحه بها...

إن هذا الحديث عن الحركة الوهابية يمكن أن يفيدنا حول مدى مصداقية ما يكتب حول الموقف المغربي من الحركة الوهابية..!!

وينتقل المؤلف بعد هذا إلى ما أحدثه محمد علي في مصر مما لم يكن معروفا فيها من صناعة النسيج على اختلاف أنواعه تقليدا للأفرنج : الفرنسيس والإنجليز والنسا... ويتحدث عن الطربوش الذي يصنع هناك على الشكل التونسي، وعن صناعة الحرير والقطن واستعانته بأهل الشام الخ...

أنه وصف دقيق ومسهب لنهضة مصر على ذلك العهد بما في ذلك معامل السكر الذي يصنع على شكل السكر الأفرنجي...

لقد أطنب المؤلف في الحديث عن نهضة مصر بما فيها إنشاء الخلجان لإيصال ماء النيل إلى الأماكن النائية، وبما في ذلك أيضا إرسال البعثات

العلمية إلى «بر النصارى» يتعلمون الطب والتوقيت والهندسة والحساب وعلوم البوصلة وصناعة المجانات وغير ذلك...

ويتخلص من هذا للعودة إلى تمهيد أرض الحجاز كلها من مصر إلى مكة حيث أمن الناس على أنفسهم ومالهم فكانت القافلة تسافر ولا يتعرض لها أحد... ولما تحدث عن فتك محمد على بالغز فتكته الكبرى قال : هكذا سمعنا من عامة الناس والعلم عند الله !

والمؤلف لا يغفل الحديث عن عدل محمد علي واستقامته ضاربا المثل بالأحداث التي سمعها وكان منها اقتصاصه من أحد الجند لاعتدائه على أحدهم في أسواق خان الخيلي...

وحتى يعطينا المؤلف الدليل على صلته المستمرة بأهل العلماء تطوع بذكر بعض «الذين أدركنا منهم في حدود سنة أربعين ومائتين وألف (1824 = 1825) نحو المائتين كلهم يدرسون العلم في الجامع الأزهر من الشافعية والمالكية والحنفية والحنابلة». ويذكر هنا المؤلف طائفة من علماء كل مذهب، وكان ممن ذكرهم من المالكية الشيخ عبد الجواد الشباسي الذي يدخل الجامع قبل الشروق ولا يخرج منها حتى يصلي العشاء !

لقد كان المؤلف ملازما له في كل ما يدرسه، وكان يواسي هذا المؤلف الذي يقول عن نفسه : إنه كان مقلا بلغ به الفقر مبلغا عظيما، رحم الله الجميع...

لقد عدد طائفة من شيوخه في الأزهر وكان منهم من هو من أصل مغربي... وقد اجتمع المؤلف لما دخل القاهرة سنة ثلاث وثلاثين (1818)

بأحدهم : أبي الحسن على الميلي سالف الذكر فعرض الميلي عليه المسائل التي يخالف الناس فيها قائلا : «إنه ألف تأليفا في الرد على الشيخ أحمد التجاني وقال فيه كيت وكيت» حيث نشعر هنا بأن المؤلف لم يكن على وفاق مع الميلي في رأيه حول الشيخ التيجاني الذي نعلم عن صلته بالعاهل المغربي السلطان مولاي سليمان...

لقد طال الحديث عن هذا الميلي الذي يظهر أنه كان من العلماء «المشاكسين» الذين يجدون المتعة في المبارزات والمناطحات على ما نقرأه في المخطوط من اصطدامه أيضا بأحد العلماء المغاربة من الحجاج الذين مروا بالقاهرة، ويتعلق الأمر بالشيخ سيدي محمد بن بدر الدين الحومي شارح المرشد المعين...

وبعد أن يأتي على عدد من شيوخه بمصر ينتقل لشيوخه بتونس فيذكر شيخ الجماعة أبا إسحاق الشيخ إبراهيم الرياحي حيث كان المؤلف - على ما يحكي - يتردد على مجلسه في جامع صاحب الطابع الذي يقع في رباط تونس وهو مسجد بديع الحسن والاتقان... ويستطرد المؤلف بذكر أن الرياحي هذا له قصيدة في مدح السلطان مولاي سليمان أجازه عليها بمائة ضبلون (DOBLÔN) من الذهب وقدم إلى فاس في حدود العشرين ومائتين (1805) وأخذ العهد عن الشيخ أحمد التجاني وأجازه على أعمال الزاوية بتونس... وكان سفيرا لدار الخلافة بعثه إليها أحمد الباي أحمد، هذا علاوة على سفارته لدى ملك المغرب.

وبعد أن يتحدث عن شيوخه بمكة يعود مرة أخرى للحديث عن محمد علي... وهيامه ببناء الجسور وتعمير البلاد وإنشاء الصنائع...

ويـأتي المـؤلف هنـا بمعلـومـات عن تمرد الإغريـق على البـاب العـالي ورفضهم للبقـاء «تحت الـذمـة» عـام 1245 ـ 46 (1830 ـ 1831) الـذي يصادف انتزاع الجزائر من يـد الأتراك ! احتكاكات تنتهي بقبول السلطـان العثماني للأمر الواقع !

وهنـا انفتـح بـاب الخـلاف بين الأتراك وبين الروس حيث اضطر السلطان العثماني أيضا لتقـديم التنـازلات التي كان منهـا أن يبني (الموسـك) بيعة في بيت المقدس ليأتي الناس من أيالته إليها : فـأنعم السلطـان لـذلـك الأمر الذي أغضب محمد علي الذي رأى في ذلك إهانة للمسلمين حيث رأينـاه يحمل السلاح لاحتلال بيت المقدس وإشهار الحرب ضد الباب العالي !!

وفي هذه الأثناء 1243 (1827 ـ 28) انقرضت دولة أشراف مكـة التي استمرت قرونا طويلة فتم استيلاء محمد علي على أرض الحجاز أقصاها وأدناهـا على ما يتحـدث عنـه المؤلف في مرتين متواليتين... وفي إطـار ربـط المؤلف للأحداث بمصر وملك مصر يذكر أنـه في أيـام محمـد علي حـدثت الفتنـة في طرابلس الغرب أيام يوسف بـاشـا في (المنشيـة) خـارج المـدينـة حيث دعـا لنفسه، وتقاتل مع والده الأمر الذي أدى إلى تدخل الباب العالي للفصل في النزاع في حدود ست و سبع وأربعين ومائتين (1831 = 32).

لقـد أقـام المـؤلف بمصر ست سنـوات وأشهراً كان فيهـا يحضر المجـالس حيث وجدناه يخصص صفحات من كتابه لما جرى بـه العرف في تـدريس العلوم بمصر القاهرة...

وفي أثناء ذلك المقام اغتنم الفرصة لأداء مناسك الحج مرة أخرى عام 1238 = 1823م حيث اجتمع بالشيخ الشهير أحمد ابن إدريس المغربي الأصل من (ميسور) والذي له اتباع كثيرون في اليمن والسودان...

☆ ☆ ☆

وبعد هذه الجولة الطويلة في الكتاب يعود بنا المؤلف أيضا إلى تاريخ السلطان مولاي سليمان الذي مكث في الملك ثمانا وعشرين سنة ظل فيها ملكا محبوبا من أهل فاس إلى أن أسلم الأمر لابن أخيه الأمير مولاي عبد الرحمن أولا كخليفة له على أهل فاس، لكنه لم يلبث أن التحق بالرفيق الأعلى فظهرت وصية السلطان مولاي سليمان بواسطة الحاج الطالب بن محمد بن جلون على أن يكون مولاي عبد الرحمن أميرا للمؤمنين من بعده...

وقد تحدث المؤلف عن المسغبة التي حلت بالبلاد في هذه الأثناء لدرجة كان القمح فيها يجلب من مصر ومن أرض إفريقيا بل ومن أرض (الموسك) كما يقول المؤلف المذكور...

ولم يغفل المؤلف الحديث عن «العداوة التي نشأت بين أهل الجزائر وبين عدو الله الفرنسيس حيث فصل الكلام عنها مبديا عواطف المغرب ومشاعره نحو جيرانه وهم يتعرضون للغزو ! لقد كان حديثه عن هذا العدوان طويلا لم يهمل فيه أسطورة «المروحة» التي يرويها المؤرخون عند حديثهم عن احتلال الجزائر... كما أنه لم يهمل تطارح أهل تلمسان على العاهل المغربي يطلبون حمايته والدخول تحت طاعته الأمر الذي استجاب له السلطان مولاي عبد الرحمن الذي خاب ظنه في سلوك من بعثهم للقيام بالمهمة...

ويعود المؤلف للحديث عن توالي الغزو الفرنسي لتلمسان وقسنطينة وعنابة... وفي معرض حديث المؤلف عن بعض الأحداث التي جرت بفاس يفيدنا أن الجنان الكبير الذي يحمل إسم جنان أبي الجنود[3] (أتى هذا الإسم من أن الجنان المذكور كان يحتوي على برج مزود بنحو عشرة مدافع وبعدد من الجنود). كان مملوكا للسلطان مولاي عبد الرحمن وكان يربط بين فاس الجديد وفاس القديم، وله بابان أحدهما من ناحية فاس الجديد والآخر تنفذ لفاس القديم...

وفي حديث عن أحداث سنة 1253 ـ 54 1837 ـ 39 تحدث عن فتنة أخرى وقعت بطرابلس الغرب بين يوسف وحفيديه... حيث ضرب الحصار على المدينة نحوا من ثلاث سنوات إلى أن وصل من السلطان محمود خان مبعوث يحمل إسم طاهر باشا معينا مكان يوسف الذي كان كما يقول المؤلف آخر أمرائها المستقلين بها...

وهنا ينتقل المؤلف لتسجيل بعض مذكراته الخاصة حيث نجده عام 1254، (1838م) يعين بدار المخزن : (مقر الحكومة) مساعدا لأمين الصائر... ولم يلبث أن عين ضمن الكتاب...

---

3) ينبغي التنبيه هنا على أن الباب الموجود حاليا والذي يحمل خطأ اسم باب الجلود، باللام عوض النون، إنما سمي بهذا الاسم لأنه كان قريبا من باب قديم يحمل اسم باب جنان أبي الجنود... أما الباب الموجود الآن والمزخرف بالزليج فإنما أنشئ عام 1913 بعد الحماية الفرنسية، أنشأه المجلس البلدي بفاس وحمل في الوثائق المعاصرة اسم (باب المجلس) لكن هذا الاسم طغا عليه الاسم القديم الذي هو ـ كما قلنا ـ اسم الباب القديم : أبو الجنود.

وهنا يستعرض بعضا من هؤلاء مثل الكاتب الشاعر محمد غريط... والأديب علي الجناوي والقاضي المعطي الأوراوي، والعربي بن المختار الجامعي، والحسين أغناو... ومحمد بن أحمد بن سليمان ومحمد السطي والشاعر السعيدي... وعبد الرحمن الشرفي... والأديب الشهير أبي العلاء إدريس بن محمد بن إدريس، وأخيرا «رئيس الكتاب الآخذ بحلقة الباب «محمد بن إدريس الذي يتأكد أن للمؤلف صلة قوية به علاوة على أنه من كتابه، حيث يكثر الحديث عنه ويمعن في إبراز أخباره وآثاره «ولقد كان لنا بمنزلة الوالد مشفقا من حالنا معتنيا بشأننا... عاشرناه تسع سنين... فما سمعنا منه شيئا يكدرنا وكان يلاطفنا ويرفعنا في مجلسه... كان ابن إدريس يسكن رباط الفتح عند باب الدار العلية، علاوة على داره بمراكش... كلام طويل عن شخصية الرئيس ابن إدريس الذي أمسى لا يفارق السلطان مولاي عبد الرحمن، لقد كان ابن إدريس يحب السماع وينتعش به، ويشتاق لسماع الطبوع وأوزان الشعر ويحفظ من كلام الناس ما تملأ به الدواوين وله قصائد في المدح لا تنحصر... وله قصائد تقرأ بين يدي السلطان بمناسبة المولد، وبمناسبات أخرى حيث يورد المؤلف نماذج من هذه الأشعار التي تناولت عددا من الموضوعات بما فيها الشاي..! وكم تكون مفيدة لمن يهتم بدراسة الرئيس ابن إدريس[4]...

(4 EL – FASSI (Nacer) Mohamed Ibn Idris, H.T. 1962, vol. III Fasc. 1.pp. 43 – 62.

الناصر الفاسي : محمد بن إدريس، مجلة البحث العلمي، العدد الأول، السنة الأولى شعبان، ذو القعدة 1383 يناير ـ أبريل 1964.

وبين هذا وذاك تعن للمؤلف فوائد وفرائد لا يتردد في إيرادها على نحو ما نراه وهو يتحدث عن الشيخ عمر بن المكي الشرقي الذي كان : يجتمع مع الجن : وقد وجد في كتبه كناش فيه خط الجني شمها روش !!

وبعد أن يفيض في أيام عز الرئيس محمد بن إدريس يعود لأيام نكبته عند ما كثرت الوشايات حوله.

قال المؤلف : إن ابن إدريس أخبره يوما وهو راكب معه ذاهبين لشالة في سنة إحدى وستين (1845)... إن قاضي فاس بعث كتابا للسلطان كان ورد عليه من يوسف بن بدر الدين المدني فقرأه السلطان فوجد في عنوان الكتاب بخط القاضي : «انظر ما يفعله هذا الذي يخدعك ويظهر أنه ينصحك»... ففتحه السلطان فإذا فيه خط يوسف مخاطبا للقاضي المذكور مصمنه «السلام عليك أما بعد فإن ما تحدثت به مع السلطان في حقك إنما حملني عليه الوزير ابن إدريس، هو أمرني بذلك...».

وقد شعر مؤلف المخطوط بضرورة التعريف بتلك الشخصية المشرقية وهنا عرفنا عن لقطة تاريخية تتصل بالعلاقات بين المغرب وبين العثمانيين على هذا العهد.

لقد كان يوسف هذا من أدباء المشرق ورد على السلطان المولى عبد الرحمن سنة 1257 = 1841 فأكرمه وأغدق إليه، ولما أراد الرجوع إلى القسطنطينية عهد إليه السلطان بإبلاغ رسالة تعزية وتهنئة للسلطان عبد المجيد خان في إعقاب وفاة السلطان محمود خان...

وقد قام يوسف بما عهد به إليه وعاد في السنة بعدها بجواب عن التهنئة حيث أنزله السلطان عند ابن إدريس الذي بالغ في إكرام ضيف السلطان...

وقد سافر ثم رجع مرة أخرى بعد سنة فأكرمه السلطان بمثل إكرامه في المرتين السابقتين، فسافر ولما بلغ لجبل طارق كتب للقاضي في شأن الوزير بما ذكر..!!

ويخبرنا المؤلف بهذه المناسبة بورود شخصيتين أخريين على المغرب، ويتعلق الأمر ببواب بيت الله الحرام أبي الربيع سليمان بن محمد الشيبي القرشي المكي... وكذلك أمين الأنصاري المدني... الثلاثة صادفتهم الأيام بفاس... وقد ورد إثر هؤلاء الثلاثة العلامة أبو عبد الله الشيخ محمد صالح البخاري صحبة زوجته، وقد انتفع بعلمه خلق كثير حيث أقام سنة أو تزيد...

وقد استقبله السلطان مولاي عبد الرحمن في جنانه الكبير أبي الجنود قبل أن يعود إلى المشرق عبر طنجة حيث اجتمع به المؤلف أيام إقامته بها في الخطة المخزنية أثناء رحلته للشمال حيث يقدم لنا معلومات ثمينة عن بعض رجالات المنطقة كالفقيه غيلان والشيخ الحراق والقائد أشعاش...

وبعد أن يأتي أبو العلاء إدريس بطائفة من الفوائد التي تتعلق بالخطة... علاوة على مجموعة من عيون الشعر... يعود إلى الفوائد والفرائد فيغرق فيها قبل أن نجده في الورقة 211 يقول :

وهذا أوان التعرض لما شهدناه من سياسة أمير المؤمنين وناصر الملة والدين أبي زيد مولانا عبد الرحمن بن هشام أدام الله نصره وأيده بتأييده المبين...

وهنا يأخذ في ذكر بعض المنشآت العمرانية للعاهل المذكور في مختلف جهات المغرب... ثم يتحدث عن الرسائل التي بعث بها السلطان مولاي عبد الرحمن لجميع عماله في شأن أهل الذمة وأمرهم أن يقبضوا منهم الجزية التي أمر بها الشارع، وهذا الأمر يشير إلى الحدث الذي وقع في عهد هذا الملك مما يتصل بوضع اليهود في المغرب مما أشرنا إليه في كتابنا حول التاريخ الدبلوماسي للمغرب[5]...

وبعد هذا عرض لكثير من المآثر التي دأب على اتباعها في مملكته : في إحياء ليلة المولد وليلة القدر... وصلة العلماء والأشراف بمناسبة الأعياد...

وكان من طبيعة العاهل أنه لا يتطير ولا يتشاءم ولا يتراجع عما قرره مهما كانت الظروف... وكان أثناء سفره يقصر الصلاة ولو أقام في الموضع شهرين ! معتمدا على فتوى العلماء الذين يسافرون معه... هذا إلى المجالس العلمية التي لم يكن يستغنى عنها حتى أيام أسفاره.

وتكون فرصة للمؤلف ليقدم لنا لائحة بأساتذة الحديث على ذلك العهد : السجلماسي المكناسي، والكوهن، وابن كيران[6]...

---

5) د. عبد الهادي التازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب، المجلد الثاني، مطبعة فضالة 1407 = 1986. ص 251.

6) د. محمد الأخضر : الحياة الأدبية في المغرب على عهد العلويين، دار الرشاد ـ البيضاء 1977 ص 345.

ومن الطريف أن نجد في هذه المخطوطة الإشارة إلى نوع من الصادرات المغربية إلى الخارج مما يخفى على كثير ممن يهتمون بالتجارة الخارجية للمغرب، ويتعلق الأمر ببيع (العلق الطبي) الذي ـ كما نعرف ـ تستعمله المشتفيات الأوروبية لتجديد الدم...

وهذه المعلومات يؤيدها الأرشيف الأوروبي الذي يتحدث عن هذه المادة : «ففي أيامه حدث العلق الذي يخرج من المروج حيا ويباع في بر الأفرنج بالمال الثقيل وكان الناس لا يعرفونه قبل ذلك... وبهذه المناسبة ذكر جملة من البضائح المغربية التي توسق للخارج : قشر الشجر الصالح للدباغة ـ الصوف[7].

كما تحدث عن بعض المعادن التي اكتشفت في المغرب على عهد السلطان مولاي عبد الرحمن : النحاس في ساحل طنجة وتطوان، والحديد في ساحل الرباط ـ الكبريت قريبا من فاس...

وفي معرض اهتمام السلطان مولاي عبد الرحمن بتنظيم الجيش على الطريقة العصرية أتى بهذه الفقرات التي تدل على صدق المحاولة :

وفي سنة ثلاث وستين (ومائتين وألف) (1847) زاد في جيشه العسكر ولكن لم يتم له نظامه لأنه من أخلاط الناس، وأراد أن يجعله على قانون الترك فلم يستقم له ذلك لتعذر وجود القانون في المغرب فأمر عامليه اشعاش وازطوط بجعل النظام على قانونه المعروف عند الترك فشرعا فيه...».

P.G: Rogers : A History of Anglo – Moroccans Relations P. 158 (7

ويفيد من خلال عرضه أن الذي عوض ابن إدريس في الرئاسة كان هو العربي بن المختار الجامعي.

وفي معرض حديثه عن منشآت السلطان مولاي عبد الرحمن يؤكد مرة أخرى على جنانه بفاس : حيث كان يجلس على الدكانة التي هي خارج بابه ويبقى الوادي تحته والبسيط المحروث أمامه... وبمراكش كان عنده جنان أكدال، وهو جنان لا نظير له في المغرب طولا وعرضا وفيه صهريجان كالبحر... وفي وسطه مصرية فيها قبتان[8]...

وبعد هذا يخصص فصلا طويلا للحديث عن «قيام الحاج عبد القادر ابن محمد محيي الدين... وعقده المهادنة مع الفرنسيس على مال يدفعه الفرنسيس، وكان يبعث لأميرنا يستنجده بالمال والرجال... وكان العاهل يسميه في الرسائل بالولد البار بينما يسميه الآخر بالوالد بل وخطب به وبعث له بالبيعة، وكان يقول : إنما أنا نائب عن مولانا عبد الرحمن بن هشام... ويأتي المؤلف هنا بالنص الكامل للجواب الذي بعث به ملك المغرب لمحل الولد البار حول فضيلة الجهاد ويذكره بانتصار المغرب على عهد السعديين في غزوة وادي المخازن...

ويكشف المؤلف هنا عن أن الذين ساعدوا فرنسا على دخول تلمسان هم الكرغلان الذين أسروا العداوة لابن محيي الدين... وبعد أن يتحدث عن النقمة التي نزلت بالمغرب بسبب مناصرته لجيرانه، ذاكرا قصف طنجة

---

8) د. التازي : عرصة النيل بأكدال مراكش.
المناهل 28 ربيع الأول 1404 دجنبر 1983 ص 102.

وقصف الصويرة... يكشف عن أنه لما ساءت نية بن محي الدين وبلغ للعاهل المغربي أنه كان يحاول استفساد الرغبة، وجدنا أن السلطان يتحرك لإرجاع الأمور إلى نصابها وهنا بعث ابن محي الدين برسوله البوحميدي معتذرا طالبا للصفح... وتمت الملاقاة في جنان أبي الجنود...

فكان مما دار في الحديث :

مولاي عبد الرحمن : ماذا تريدون ؟

البوحميدي : نريد خاطرك ورضاك والعفو عما سلف من الذنب !

مولاي عبد الرحمن : اسمع أقول لك، إن أصدق الحديث إلى الله أصدقه، وإني لا أقبل منكم إلا خصلتين اما الدخول لداخل الايالة لتنزلوا عندنا في عز وإكرام، واما أن تخرجوا من الايالة وتتوجهوا حيث شئتم ولا أقبل منكم غيرهما.

البوحميدي : أمهلنا حتى نراجع ابن محي الدين فيما طلبته.

مولاي عبد الرحمن : أنت في أمان ومهلة.

لكن الجواب لم يأت بل حصل ما يؤكد فساد النية... وهكذا كان ما فصله المؤلف ـ وهو شاهد عيان ـ في ورقة 230 / 231 / 232 / 233 / 234 / 243.

ويتحدث الكتاب في أعقاب هذا عن سفارة الحاج عبد القادر أشعاش إلى ملك فرنسا سنة إحدى وستين ومائتين وألف (1845) على رأس وفادة من أعيان تطوان حيث صحب معه وحوشا وخيلا وتحفا وطرفا، واحتفل الفرنسيون به وأكرموه وأروه من عجائبهم، حيث نجده يبعث بخطاب للسلطان يتضمن الأخبار بما لقى من المبرة، يذكر المؤلف نصه...

وجوابا على هذه السفارة بعث «الطاغية» سفيره إلى أمير المومنين وكان يومئذ بمراكش فأنزله في عرصة «المأمونية» وهي من أفخر أجنة المخزن في مراكش... وتلاقى معه في قبة الصويرة وناوله كتاب سلطانهم، فقال له مولاي عبد الرحمن «إنكم اليوم جيراننا وسنكون معكم كما كان أسلافنا معكم...»...وكان السفير مصحوبا بعدد من الهدايا فيه ستة مدافع من نحاس جديدة محمولة على كراريط مزوقة، وكل مدفع معه إقامته وأربع أفراس من إناث الخيل الفارهة الجيدة. ويتعرض المؤلف لإرسال ابني السلطان مولاي عبد الرحمن : مولاي سليمان ومولاي الرشيد إلى أداء مناسك الحج بواسطة مركب إنجليزي حيث زودهما بهدايا فاخرة إلى أمير مصر عباس : كانت تشمل على الخيول والسروج المذهبة والبغال الفارهة والتحف والطرائف... كما زود ابنه بمبالغ من المال للصدقة على المحتاجين في الحرمين الشريفين...

ومن المفيد أن نستفيد هنا أن قبر السلطان يوسف بن تاشفين كان متصلا بعرصة المهندس محمد المزوضي التي عرف كيف يوصل عينا إلى عرصته عن طريق باب الرب...

ويتحدث الكتاب في أحداث سنة 1263 = 1847 عن سفر بأي تونس لباريز بواسطة «بابور النار» حيث اجتمع هناك بالطاغية للاحتماء به خوفا من عبد المجيد خان...

وقد خصص المؤلف هنا كذلك حيزا جديدا لتقديم بعض علماء عصره، وخاصة منهم علماء جامع القرويين إلا أن بترا قاسيا ـ كما أشرنا ـ ضرب الورقات 246 / 247 / 248 / 249 / 250، فحرمنا من معرفة عدد من أولئك... إلى أن وصل لاسم المدرس محمد قصارة ومولاي الهادي الأمراني، والحاج الطالب بن عبد الرحمن السراج الأندلسي...

وقد انتقل لذكر علماء غير فاس فذكر من مراكش الفضيل السراغني خطيب جامع بن يوسف وعبد القادر الدباغ... ومحمد عاشور الرباطي الأندلسي... هذا ولا يخلو المؤلف من تكرار معلومات كان قدمها وسها عنها، كما لا يخلو من ذكر بعد الخرافات والأساطير... والتصرف في بعض النقول...

وبمناسبة تعيين الحاج عبد اللطيف فرج عاملا على الرباط يسوق المؤلف ظهير تسمية العامل في هذا المنصب، والعاهل يطلب إلى أهل الرباط أن يسمعوا له ويطيعوا في جميع ما يأمرهم به...

كما يسوق ظهيرا جديدا حول مجاهرة «مسلمي الرباط» بشرب الخمر واجتماعهم عليه في أنديتهم... وكان الكتاب من إنشاء الرئيس ابن إدريس..!

ومن المعلومات الطريفة التي احتضنتها المخطوطة ما يتعلق بفهرس الخزانة العلمية للسلطان مولاي عبد الرحمن التي توجد بمراكش حيث دخل الكتاب وجلسوا لسردها وترتيبها ثلاثة أيام وعدوها فوجدوها 850 مجلد من جميع الفنون... هذه الخزانة علاوة على التي بداخل الدار وقد كان المؤلف ضمن الثلاثة الذين عهد إليهم بترتيبها سنة 1262 = 1846، وقبل هذا سرد الكتب التي في خزانة مكناسة الزيتون فوجدها تزيد على ألف مجلد... وما بفاس يقارب هذا العدد أو يزيد عليه...

وكان مما قرب إلى فكرنا شخصية المؤلف حديثه (ورقة 268) عن رحلته إلى المشرق الرحلة الثالثة بعد أن خالطه شيبه سواد شبابه على ما يقول حيث نراه يودع مدينة فاس يوم الخميس 12 من جمادى الأخيرة

وذلك سنة 1266 26 مارس 1850 حيث أخذ باخرة إنجليزية من طنجة إلى جبل طارق، ثم مالطة، ثم عبر مراكب شراعية إلى الأسكندرية حيث التقى في مصر بالشيخ محمد عليش من فقهاء المالكية.

ـ الصفحة الأخيرة (280) من الكتاب.

ومن مصر خرجوا أواخر شوال متوجهين للسويس وركبوا في ساعية من السواعي فيها من الحجاج نحو الأربعمائة أو أزيد !

لقد صادفت هذا الظروف وجود وباء في مصر حيث كانت الموت تحصد الناس حصيدا... وهكذا كان الأمر في البقاع المقدسة، حيث كان الحجاج يستاقطون، وتأخر كثير من الناس عن الوقوف بعرفة لأجل ذلك ووقفنا يوم الثلاثاء... ولما حلوا بمنى شاع الموت فيهم شيوعا كثيرا...

ومع كل تلك الأهوال وجدنا المؤلف يبعث لصديقه الشيخ سيدي محمد السنوسي برسالة شعرية قبل أن يتوقف فجأة عن مواصلة الكلام...

لقد اختفى أبو العلاء إدريس دون ما أن يتمكن من تقديم نفسه على ما جرت به عادة المؤلفين، قد يكون سبب ذلك هو ما ناله من «شظايا» نكبة ولي نعمته ورئيسه الوزير العمراوي فهو يخشى أن يغضب الذين جلسوا في مكان الوزير السابق..!

وقد يكون ذلك لكون أجله عاجله فلم يبق له من الوقت ما يرتب به كتابه وما يراجعه كذلك حتى يحذف مكرراته ويلحق الأخبار بعضها ببعض حيث نلاحظ أنه قد يتحدث عن الموضوع ويعود إليه مرة أخرى وربما مرة ثالثة ورابعة...

وسيبقى على الذين يحققون الكتاب أن يعرفوا المزيد من أخبار مؤلفه الذي رأيناه كثير الحركة فهو في داخل المغرب بين فاس ومراكش والرباط ومدن الشمال... وهو خارج المغرب مقيم بمصر لفترة طويلة... ومتردد على ديار الحج عددا من المرات كانت آخرها هي التي أدركه فيها الصباح... فسكت عن الكلام المباح !

الرباط **د. عبد الهادي التازي**

ابنُ الطيّبْ الشّرقي مُؤرّخاً

د. عبد العلي الودغيري

ابن الطيب الشرقي هو أبو عبد الله محمد بن الطيب بن محمد بن موسى الشرقي (نسبة إلى قبيلة شراقة من نواحي فاس) الصميلي ثم الفاسي فالمدني (1110 ـ 1170 هـ / 1698 ـ 1756 م). ولد ونشأ وتعلم بمدينة فاس، ونبغ في علوم اللغة والأدب، ثم رحل إلى المشرق سنة 1143 هـ خلال فترة الاضطرابات السياسية والاقتصادية التي عرفها المغرب بعد وفاة السلطان العلوي المولى إسماعيل. وأقام منذ ذلك التاريخ مجاوراً بالحرمين الشريفين ومنقطعاً للتدريس والتأليف حتى أتاه أجله، تاركاً بعده من الإنتاج العلمي المتنوع ما زاد على الستين كتاباً ورسالة ونحوهما. وقد ضاع أكثر هذه الكتب أو فقد. وما وصل إلينا لم يطبع منه شيء سوى كتاب (تحرير الرواية في تقرير الكفاية) وهو شرح على (كفاية المتحفظ في اللغة) لابن الأجدابي الطرابلسي، وقسم يسير جداً من حاشيته على القاموس المحيط.

وقد سبق لي أن عرفت بحياة هذه الشخصية وتراثها العلمي إجمالاً، ودرست آراءها اللغوية المعجمية في بحث جامعي مطول[1]. وأما في هذه المقالة فغرضي أن أنوه بما لبعض كتاباته من أهمية تاريخية لا أشك في أن **المطلع عليها سيفيد كثيراً مما فيها من معلومات قيمة عن حياة القرن الثاني** عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) من النواحي الثقافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية بالمغرب والمشرق معا. فقد كتب ابن الطيب في تراجم الرجال وفي فن الفهرسة وفن الرحلة[1م]، وكلها من الفنون التي يعتمدها المؤرخون في العادة ويجعلونها من مصادرهم ومظان بحثهم، وكلها تجعل منه بحق واحدا من مؤرخي الدولة العلوية ومؤرخي عصره بصفة عامة، إلا أن هذه الكتابات لم تصل إلينا جميعها كما قلت.

فمن مؤلفات ابن الطيب التي ضاعت ولها قيمة تاريخية :

1) كتاب الأفق المشرق بتراجم من لقيناه بالمشرق :

وقد انفرد بذكره الكتاني في فهرس الفهارس[2] وعنه نقل المتأخرون. **ويظهر أن الكتاب كان مبوبا على حروف المعجم كما هي عادة كتب** التراجم والطبقات. وذلك ما يستفاد من عبارة صاحب فهرس الفهارس حين قال وهو بصدد الحديث من مؤلفات ابن الطيب : «وانظر إقرار

1) وهو بحث قدم لنيل دكتوراه الدولة في اللغة العربية وآدابها من جامعة محمد الخامس بعنوان : (ابن الطيب الشرقي : حلقة من تاريخ الفكر اللغوي بالمغرب).

1م) وكتب ابن الطيب أيضا في السيرة النبوية والشمائل فشرح سيرة ابن فارس وسيرة ابن الجزري، ولكن ليس في هذا ما يفيد مؤرخ العصر العلوي فلذلك أغفلناه.

2) فهرس الفهارس : 192/1 ـ 1071/2 ـ 1170.

العين له، والأفق المشرق له في حرف الألف»[3]. أما عنوان الكتاب فهو دال على محتواه : فهو مؤلف في التعريف بعلماء وأدباء وشخصيات البلاد المشرقية التي زارها ممن كانوا معاصرين له. أو بعبارة أخرى إنه مؤلف في التعريف بالحياة الثقافية والفكرية المشرقية خلال القرن الثاني عشر الهجري، من وجهة نظر أديب وعالم مغربي. ولاشك أن ضياعه اليوم يعتبر خسارة لا تعوض، إلا أنني أظن أن كثيرا من الشخصيات التي وقع التعريف بها فيه قد تكرر ذكرها في الرحلة الحجازية الموجودة أو في بعض كتب ابن الطيب الأخرى مثل (إرسال الأسانيد) أو (عيون المواريد)، مما قد يخفف قليلا من فداحة الخسارة بضياعه.

2) الأنيس المطرب فيمن لقيته من أدباء المشرق :

وقد أحال عليه ابن الطيب مرارا في بعض مؤلفاته ولا سيما في (إضاءة الراموس)، من ذلك قوله وهو يتحدث عن الموشحات : «وقد جمع فيه الأندلسيون مقاطيع وقصائد كثيرة (...) وقد جمعت في ذلك من دواوين الأدباء ومصنفات البديع قصائد جمة، ومقاطيع كثيرة، ولا سيا في الأنيس المطرب فيمن لقيته من أدباء المغرب»[4]. ومن ذلك أيضا قوله متحدثا عن أبيات غزلية له : «وهي طويلة أوردتها في الديوان والأنيس المطرب، وغيرهما»[5].

وهذان النصان يقدمان فكرة موجزة عن بعض ما كان يتضمنه الكتاب المفقود، ولا يدعان مجالا للشك في نسبة الكتاب لصاحبه. ومن

---

3) نفسه : 1071/2.

4) إضاءة الراموس : 92/1. نسخة، خ، ح. بالرباط رقم : 544.

5) نفسه : 246/2.

المعلوم أن لمعاصر الشرقي وسميه : محمد بن الطيب العلمي (ت 1134 هـ) كتابا مشهورا بالعنوان نفسه. وهذا ما جعل الأستاذ عبد العزيز ابن عبد الله يعلق على كتاب الشرقي ويحاول تصحيح نسبته بقوله : «وهو لابن الطيب العلمي»[6] أي : وليس لابن الطيب الشرقي، مع أنه لا مانع من أن يكون للرجلين كتابان بعنوان واحد. والدليل ما نقلناه من (إضاءة الراموس).

وقد كان الكتاني صاحب (فهرس الفهارس) سباقا إلى ملاحظة هذه المطابقة بين عنواني الكتابين، ولكنه مع ذلك لم يأت بما يفيد الشك، وإنما صرح بأنه لم يطلع على كتاب الشرقي في حين اطلع على كتاب العلمي. وهذا نص كلامه : «والأنيس المطرب فيمن لقيته من أدباء المغرب. وافق في تسميته كتاب عصريه أبي عبد الله محمد العلمي الفاسي دفين مصر، في أدباء المغرب. وكتاب العلمي مطبوع. وهذا لم نقف عليه. وإنما رأيت نسبته له في الترجمة التي عقدها للمترجم القاضي أبو الفتح ابن الحاج في أحد كنانيشه»[7]. وفي هذا النص حجة أخرى وهي أن ابن الحاج ذكر (الأنيس...) في جملة مؤلفات الشرقي.

3) إقرار العين بإقرار الأثر بعد ذهاب العين :

وهي فهرسته الكبرى التي تضمنت التعريف بسائر شيوخه وأسانيده، في رواية العلوم، وقد أشار إليها وإلى مضمونها مؤلفها في عدد من كتبه الموجودة. ومن هذه الإشارات المهمة قوله في (إرسال الأسانيد) بعد أن أورد

6) الموسوعة المغربية للأعلام : 32/2.

7) فهرس الفهارس : 1070/2.

طائفة من أسانيده في العلوم : «وفي هذا القدر كفاية لمن تضلع بالدراية وأراد أن يسبح في بحار الرواية، ومن أراد التوسعة في ذلك فليراجع فهرستنا (إقرار العين بإقرار الأثر بعد ذهاب العين) فقد ذكرنا فيها غالب من أخذنا عنه من المشايخ. وأثبتنا فيها نحوا من مئتي شيخ ممن لهم في الدراية والرواية قدم راسخ. ووسمناها بغوائد من العلم قلما توجد في غيرها من الفهارس. ووشحناها بغرائد من الأدب يزهو بها المجالس في صدور المجالس»[8].

ويظهر أن الكتاني كان قد وقف عليها وأفاد منها، رغم أنها لا توجد اليوم فيما تبقى من مكتبته بالرباط، بدليل قوله : «وانظر إقرار العين له، والأفق المشرق في حرف الألف...»[9].

هذه أهم مؤلفات ابن الطيب التاريخية التي تعد اليوم في حكم المفقود إذ لم نستطع الوقوف على خبر وجودها رغم البحث الطويل في الموضوع، إلا أنه من الواضح أنها كانت على جانب كبير من الأهمية والفائدة لمؤرخ حياة القرن الثاني عشر الهجري وثقافته وأحواله العلمية والفكرية، لا بالمغرب وحده ولكن بالمشرق أيضا، فقد كانت الفهرسة الكبرى (إقرار العين) وحدها تحتوي على تراجم مئتي رجل من رجالات العلم في ذلك العصر أغلبهم من المغاربة، لأن أغلب شيوخ ابن الطيب منهم، وكان (الأنيس المطرب) يحتوي على ديوان الشعر المغربي لتلك الفترة بما فيه أشعار لابن الطيب نفسه. وربما كان فيه أيضا جانب خاص بالنثر الفني كما فعل العلمي في كتابه، وأما

8) إرسال الأسانيد. مخطوط السعودية. ل : 48.

9) فهرس الفهارس : 1071/2.

(الأفق المشرق) فلا شك أيضا أنه كان يتضمن صورة عن الحياة الفكرية والأدبية بالمشرق مما عاصره وشاهده. وربما احتوى أيضا على بعض المقارنات المفيدة بين الأدب المغربي والأدب المشرقي المتعاصرين، وبصفة عامة، بين الحياة الفكرية في المشرق ونظيرتها في المغرب.

أما ما سلم من الضياع من كتبه ذات القيمة التاريخية بالنسبة للعصر العلوي، فهو عبارة عن كتابين اثنين : أولهما : الفهرسة الصغرى المسماة : (إرسال الأسانيد)، وثانيهما : الرحلة الحجازية.

«إرسال الأسانيد» وأهميته التاريخية :

(إرسال الأسانيد وإيصال المصنفات والأجزاء والمسانيد) هو الكتاب الذي كان ابن الطيب يسميه أيضا بالفهرسة الصغرى، في مقابل الفهرسة الكبرى الضائعة المسماة (إقرار العين)، وتوجد منه ـ حسب علمي وبحثي ـ النسخ الخطية التالية :

1 ـ نسخة محفوظة بمكتبة جامعة برنستون الأمريكية (Princeton University Library) تحت رقم : (83 / 3861). صفحاتها 94 من القطع المتوسط. وخطها شرقي جيد. وهي نسخة في غاية الأهمية ولا سيما أنه أضيف لأولها إجازتان كتبهما ابن الطيب بخط يده لعلي بن محمد أفندي المرادي. الأولى بالحرم المكي سنة 1157 هـ والثانية سنة 1167 هـ بدار المجاز بها في دمشق، ومن أهميتها أيضا أن عليها خط علي المرادي المذكور، وأنها قوبلت بنسخة المؤلف يوم كان موجودا بدمشق في السابع والعشرين من رجب عام 1167 هـ. وهو تاريخ الفراغ من كتابتها.

2 ـ نسخة ثانية بالجامعة المذكورة محفوظة تحت رقم : (83 / 234) وكتبت عام 1212 هـ بخط مشرقي مختلف. صفحاتها : 64.

3 ـ نسخة محفوظة بمكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالمملكة العربية السعودية تحت رقم : 528 في 50 لوحة من القطع المتوسط. وخطها شرقي دقيق. وليس بها ذكر الناسخ ولا تاريخ النسخ.

4 ـ نسخة تحتفظ بها الخزانة العامة بالرباط تحت رقم : 1374 ك في مجموع. خطها شرقي جميل وصفحاتها 128. كتبت بمكة المكرمة على يد «جلة من تلاميذ الشيخ وأحبابه». يوم الأحد 28 ذي الحجة عام 1251 هـ. عن نسخة أخرى كتبت في حياة المؤلف بيد يوسف بن مصطفى المطلوبي المجاور بالمدينة وتاريخها 19 شوال 1162 هـ.

ويمكن أن نقسم محتويات هذا الكتاب الذي ألفه صاحبه ففرغ منه في اليوم الأخير من شهر ذي القعدة عام 1144 هـ بمكة المكرمة، إلى الأقسام الأربعة التالية :

ـ قسم أول : خصص لذكر أسانيد المؤلف في رواية كتب العلوم المختلفة : اللغوية والدينية والأدبية.

ـ قسم ثان : خصص لذكر بعض مسلسلاته الحديثية وعددها تسعة وعشرون مسلسلا كلها واردة أيضا في كتابه المسمى : (عيون المواريد) إلا أنها ذكرت هنا بشكل مقتضب.

ـ قسم ثالث : خصص لذكر أسانيد المؤلف في رواية كتب الصوفية وطرقها المتعددة.

- قسم رابع : جعله بمثابة الخاتمة. وفيه عرف بإيجاز ببعض أشياخه وأساتذته وعددهم إثنا عشر. وأحال في الباقين على فهرسته الكبرى : (إقرار العين).

أما قيمة هذا الكتاب التاريخية فيمكن النظر إليها من جهتين :

فهو من وجه : مصدر من المصادر الأساسية والضرورية للتعريف بشخصية مؤلفه ابن الطيب والتأريخ لحياته وتكوينه الثقافي. وذلك بمعرفة الكتب التي قرأها ونوعها والأسانيد التي اتصل بها، والشيوخ الذين أخذ عنهم، وأين، ومتى كان هذا الأخذ، فهو من هذه الناحية مفيد جدا.

والكتاب من وجه آخر يقدم لنا صورة من صور الحياة الفكرية للمغرب خلال عصر المؤلف. إذ من المفروغ منه أن فهارس العلماء وبرامجهم ومشيخاتهم أصبحت تكتسي اليوم أهمية كبرى. في كتابة تاريخ الحركة العلمية والثقافية للعصور التي ألفت فيها. وهذا ما ينطبق تماما على فهرسة ابن الطيب رغم صغر حجمها، فلا شك أن للائحة الكتب والمؤلفات التي يوردها قيمة لا يستهان بها في معرفة نوع الدراسة التي كانت سائدة في معاهد التعليم المغربي، ونوع العلوم التي كانت تلقن، ومقدار الاهتمام الذي كان يوليه العصر لهذا الفن أو ذاك من فنون المعرفة. فنحن على سبيل المثال فقط نلاحظ من خلال هذه الفهرسة أن مركز الثقل بين العلوم الدينية التي كانت سائدة في عصر المؤلف هو علم التصوف. وقد ذكر ابن الطيب من الطرق الصوفية التي أخذها عن شيوخه عددا كبيرا كالجزولية والشاذلية والعبادية والمهدية والغازية والساحلية وطريقة ابن حرزهم والسنوسية والمشيشية وطريقة أبي محمد صالح الشرقي، والخواطرية،

والبكرية، والسهروردية، والجيلانية، والخلوتية، والصديقية، والرفاعية، والحلاجية، والغزالية، والصديقية، والشطارية، والمحاسبية، والقشيرية، والنقشبندية، وسواها من الطرق.

كما أن للائحة العلماء من شيوخه قيمتها ولا شك، وقد ترجم ابن الطيب لبعضهم وأشار للبعض الآخر من غير ترجمة، وشيوخه الذين ترجم لهم هم :

- والده أبو عبد الله محمد الطيب الشرقي.
- شيخه أبو عبد الله محمد بن أحمد المسناوي.
- شيخه أبو العباس أحمد بن ناصر الدرعي.
- أبو عبد الله محمد بن عبد القادر الفاسي.
- أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الفاسي.
- أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الفاسي.
- أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد الشريف العلمي.
- أبو عبد الله محمد بن محمد ميارة الفاسي.
- أبو عبد الله محمد العربي بن أحمد الأندلسي.
- أبو العباس أحمد بن علي الوجاري الأندلسي.
- أبو الأسرار حسن بن علي العجيمي.
- أبو عبد الله (وأبو طاهر) محمد بن إبراهيم الكردي. والأخيران شرقيان روى عنهما بالإجازة.

أما أسماء العلماء الآخرين الذين تردد ذكرهم في هذا الفهرس من المغاربة وغيرهم، فعدد كبير لا سبيل لإحصائه، كما لا سبيل لإحصاء عدد الكتب المغربية وغيرها إلا بعد طبع الكتاب وتحقيقه.

الرحلة الحجازية وقيمتها التاريخية :

الرحلة الحجازية هي الكتاب الذي سجل فيه ابن الطيب مذكرات ويوميات سفره لأداء فريضة الحج ما بين 4 رجب 1139 هـ و6 ذي القعدة 1140 هـ.

وابن الطيب في مواضع متعددة من مؤلفاته الموجودة يصرح بأنه كتب رحلتين : أولى وثانية. قال في : (عيون المواريد) مثلا : «وكنت ممن عابه الأدب، ونَسَلْتُ إلى مغانيه ومعانيه من كل حدب، وبرعت فيه براعة صيرته لي أطوع من النثر، وساوت عندي فيه بين القل والكثر. وقد جمعت **رحلتاي** منه ما يشنف المسامع ويطرب السامع»[10].

إلا أن رحلتيه هاتين ليستا في الواقع إلا صياغتين مختلفتين لموضوع واحد هو موضوع حجه إلى البقاع المقدسة عام 1139 هـ. وسبب وجود هاتين الصياغتين أنه في البداية سجل مذكراته التي تصف سفره من فاس إلى الحرمين الشريفين وفي نيته أن يكملها بذكر أحوال سفره من الحرمين إلى **فاس. إلا أنه تعرض لحادث سرقة بعد خروجه من المدينة المنورة راجعاً** إلى بلده قرب مكان يسمى (مغارة شعيب) فكان ذلك سببا في ضياع ما كتب. وقد أصابه من أجله غم كبير، لما تضمنته تلك الكتابة الأولى من معلومات لم يستطع تداركها جميعها فيا بعد.

قال يذكر هذه الحادثة وضياع هذه الصياغة الأولى لرحلته الحجازية : «وكنا جمعنا في طريقنا[11] نبذة تحتوي على ما سلكناه من

---

10) عيون المواريد : المسلسل 40 بالشعراء.

11) يقصد : في طريقه من فاس إلى الحرمين.

المراحل، وتعد ما نزلناه من المنازل، وتشتمل على ذكر ما لقيناه أو تكلمنا معه في نازلة من النوازل. وفي ضمن ذلك أبيات كان يقتضيها الحال، وقصائد شرفناها بذكر تلك المحال، وفوائد مهمة يعتني بها ذو الهمة، فاستولت على ذلك يد الضياع، وسرقها سارق مع ما كان لدينا من كتب ومتاع. فلم يسعنا إلا الصبر الجميل لرغبتنا في ما أعد للصابرين على المصيبة من الثواب الجزيل». ثم قال : «لكن حصل لنا أسف شديد على تلك الرحلة التي ليس لها في صنعها قديد، مع اشتمالها على تلك القصائد الفائقة التي أنشدتها في الكعبة المنورة والروضة المشرفة الرائقة...»[12].

وقال متحدثا عن المنزل الذي توقف به ركبه قرب (مغارة شعيب) : «وفي تلك الليلة ظهر فضل الله علينا وبان، وعلمنا أن الله تعالى تقبل منا القربان، إذ فيها سرق لنا الخُرْج بما فيه. وضاعت لنا تلك الرحلة البديعة التي لا يستكمل بليغ وصفها ولا يستوفيه مع غيرها من الكتب القديمة والحادثة...»[13].

وحين وصل إلى مصر، طُلِب منه أن يعيد الكتابة ففعل. فكانت هذه الإعادة هي ما يسميه ابن الطيب (الرحلة الثانية). أو بعبارة أخرى (الصياغة الثانية) التي بدأها بمصر وأكملها بعد انتهاء السفر، أي بعد رجوعه إلى فاس.

قال ابن الطيب : «وحيث ألقينا عصا التسيار، واستقرت بنا من الحجاز في مصر الديار، طلب منا بعض من يجب علينا إسعافه وموافقته ـ

---

12) الرحلة : ل : 3 ـ 4.

13) نفسه : ل : 114.

وكيف تصح مخالفته وقد ثبتت خلته ومرافقته ؟ ـ أن نستجم القريحة الجامدة، ونسترجع الفكرة الخامدة، لعلها أن تتلافى بعض ما تلاشى من تلك الرحلة البديعة، ونقصد من كل مقصد عجيبه وبديعه. فاعتذرت، فأبى أن يقبل الاعتذار. ثم أجبته بعد الاستخارة على ما بي من الأعذار»[14].

هذه إذن هي قصة (الرحلتين) كما رواها ابن الطيب نفسه. ومنها يتلخص :

1 ـ أن الرحلتين معا موضوعهما واحد هو ذكريات سفر الرجل إلى الحج سنة 1139 هـ.

2 ـ أن الذي ضاع هو الرحلة الأولى (الصياغة الأولى) التي لم تكن تتضمن سوى وقائع السفر في الذهاب فقط.

3 ـ أن الرحلة الثانية (الصياغة الثانية) هي التي عوضت الأولى وزادت عليها بما تضمنته من أحوال السفر في الرجوع إلى فاس، وكتبت عام 1140 هـ.

وهذه الرحلة الثانية هي الموجودة الآن، ولا توجد منها سوى نسخة فريدة في العالم ـ حسب ما أعلم ـ تحتفظ بها خزانة جامعة (لايبسك : Leipzeg) بألمانيا الشرقية تحت رقم : 476 من فهرس (فولرز K. Vollers) وتقع في 134 ورقة بخط مشرقي في غاية الجودة. إلا أنها مع ذلك لم تسلم من بتر في بعض المواضع. ويظهر أن المؤلف لم يكن وضع لها عنوانا، وإنما كان يشير إليها في كتبه الأخرى (بالرحلة). ولم يرد في المخطوطة الموجودة

---

14) نفسه : ل : 4.

أيضا أي عنوان. وإنما كتب على لوحتها الأولى ما نصه : «هذه رحلة السيد أبو[15] عبد الله الشهير بالطيب[16] نور الله ضريحه، وفتح علينا بركاته».

فإذا علم هذا. علم معه أنه لا طائل في قول من قال : إن لابن الطيب (ثلاث رحلات)[17] وهو يقصد ثلاثة كتب لا ثلاثة أسفار. فهذا ما لم أقف على صحته مع طول ملازمتي للموضوع. وقد كتب الأستاذ محمد الفاسي سنة 1960[18] يقول إن رحلة ابن الطيب الثانية كانت تصف تنقلاته ببلاد المشرق ما بين القاهرة والشام وأصطنبول وبغداد ومكة والمدينة، وهي التي يعدها ضائعة.

وإذا كنت لا أستبعد من حيث المبدأ أن يكون الشرقي قد كتب عن جولته في البلاد المشرقية المذكورة (رحلة) سجلت مشاهداته ودونت مذكراته، فإني في الواقع لم أجد شخصا غير الأستاذ الفاسي أشار إلى ذلك. وليس في مؤلفات ابن الطيب الموجودة نفسها ما يؤيد هذه الدعوى. ثم إن الأستاذ الفاسي ذاته قد تراجع عما سبق أن صرح به، فذكر في مقال آخر سنة 1976[19] أن الرحلة المخطوطة بلايبسك التي يصف فيها سفره للحجاز هي الرحلة الثانية على نحو ما قررناه.

15) كذا، والمقصود : (أبي).

16) كذا، والمقصود : الشهير بابن الطيب.

17) انظر : دليل مؤرخ المغرب الأقصى : 348/2 - والموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية لعبد العزيز ابن عبد الله : 32/2.

18) انظر : مجلة (دعوة الحق) ع : 10 سنة 1960 في مقال بعنوان : (تاريخ الدراسات اللغوية بالمغرب الأقصى).

19) مجلة المناهل : ع 6 سنة 3 (1976) في مقال بعنوان : (أبو عبد الله محمد بن الطيب الشرقي عمدة الشيخ مرتضي).

ولعل الدليل القاطع على أن (الرحلة الثانية) ليست هي التي تحتوي على تنقلات ابن الطيب بين القاهرة والشام وبغداد وتركيا والحرمين الشريفين، هو النص السابق الذي نقلناه من (عيون المواريد) وورد فيه قوله : «....وقد جمعت رحلتاي منه...». إذ أن الكتاب الذي ورد به هذا النص وهو : (عيون المواريد) كتب سنة 1151 هـ. أما تنقل ابن الطيب بين البلاد المذكورة فقد تم سنة 1167 هـ أي بعد ستة عشر عاما.

وعلى كل حال فإن الأهمية التاريخية والأدبية والعلمية لرحلة ابن الطيب المخطوطة بلايبسك قد لفتت أنظار كثير من الدارسين بين عرب ومستعربين، فاطلعوا عليها وأفادوا منها وكتبوا مقالات وتعليقات بشأنها، أذكر منهم المستشرق الألماني فلوجل (G. Flugel) الذي كتب ملخصا عنها في مجلة Z.D.M.G سنة 1864م، والمستشرقة الإيطالية (فيتشا ڤاليري : L. Veccia Vaglieri) التي كتبت عنها مقالا آخر سنة 1924 بمجلة : (Revista della Tripolitania) بعنوان : (رحلة حاج عبر ليبيا في القرن الثامن عشر)، واهتمت فيه خاصة بتصحيح بعض أخطاء (فلوجل). ومنهم المستشرق الإيطالي المعروف : (كارلونلينو) الذي كتب أيضا مقالا سنة 1925 في المجلة الإيطالية المذكورة معقبا فيه على مقالة (فاليري). ومنهم الأستاذ محمد الفاسي الذي اطلع على مخطوطة (لايبسك) سنة 1934 ونشر ملخصها سنة 1976 بالعدد السادس من مجلة (المناهل) المغربية[20].

---

20) وقد قطعت أشواطا مهمة في تحقيق نص هذه الرحلة بقصد نشرها وتعميم الفائدة بها إن شاء الله.

ولاشك في أن الذي يريد التأريخ لحياة ابن الطيب سيجد في هذه الرحلة من النصوص والإشارات ما لا غنى له عنه أبدا، فهي تسجل نشاطه في حقبة زمنية معينة، وتقدم لنا لائحة ببعض مؤلفاته وأخرى ببعض شيوخه وتلاميذه والشخصيات التي عاصرها واحتك بها. وتعرفنا فضلا عن ذلك بنوع ثقافته وبعض آرائه ونتاجه الشعري، وأسلوبها نفسه يعتبر نموذجا من كتابته النثرية المعتمدة على السجع والتزام المحسنات البديعية.

وهي بجانب ذلك، تعتبر اليوم، كبقية الرحلات التي كتبها المغاربة عبر العصور المختلفة لغرض الحج أو غيره، وسجلوا فيها وقائع سفرهم ومشاهداتهم وانطباعاتهم، من أهم مصادر تاريخ المشرق الثقافي والاجتماعي والسياسي، فضلا عن قيمتها في تاريخ المغرب.

فقد اهتم ابن الطيب فيها اهتماما خاصا بوصف الأحوال الثقافية في كل بلد من البلدان التي زارها أثناء رحلته، فذكر أسماء العلماء وطلاب العلم الذين لقيهم أو سمع بهم في كل قرية أو مدينة أو رباط من الرباطات الدينية. وفيهم عدد من الناس يندر أن تجد لهم ترجمة في غير هذا الكتاب، وذكر إلى جانب أسمائهم بعض مؤلفاتهم ونتفا من نظمهم ونثرهم وما يخوضون فيه من علوم، وما يتصفون به من أخلاق. فقد كتب مثلا عن أحوال (مسراتة) بالديار الليبية يقول : «ورد علينا جماعة من طلبة البلد، وبالغوا في الإكرام - جزاهم الله تعالى جزاء الكرام - وسألوا عن مسائل **علمية تدل على ضعف العلم في تلك الأرض وانقراضه وفشو الجهل في ذلك** العرض واعتراضه»[21].

---

21) الرحلة : ل : 47.

ودخل القاهرة فوجدها مدينة علم ووجد فيها مناخا ثقافيا صحيا سرعان ما اندمج فيه وأطال في وصفه. واحتك بعدد من العلماء المغاربة والمشارقة وترجم لطائفة منهم بما يفيد الرضى والارتياح. ولكنه حين وصل إلى مكة المكرمة لم يجد فيها من الحياة الثقافية ما يشده إليه، ولذلك اقتضب الحديث عنها اقتضابا ولم يتوسع في التعريف بعلماء هذه المدينة، بل رأى في بعض هؤلاء العلماء ما خيب ظنه ومسعاه. فقد كتب عن أحدهم وصفا ساخرا لاذعا فقال :

«ولقيت أيضا بمكة رجلا مسنا أعمى سماه لنا أصحابه بالشيخ محمد الأسكندراني. ورد علينا مرارا واختبرناه، فإذا هو رجل شاب فشبت خصلتاه، وعمي قلبه لما عميت مقلتاه. طال أمله واشتد حرصه، ونقص كماله وكمل نقصه. إذا تكلم ملأ الدنيا دعوى وأطال بلا طائل ولا جدوى، يفخر بالذهاب للملوك للإرفاد، ولا يعرف الهمة لمن أفاد ولا لمن استفاد. يكثر النظم في بحر الرجز دون غيره من البحور، ويستحضر جملة وافرة من السير والحديث على ما بها من القصور. ومع ذلك تجده كثير الجدل والعناد، شديد الغلظ على العباد. يزعم أنه وأنه، وما علم أن أمثاله جديرون أن يئنوا أنةً بعد أنة»[22].

وقريب من هذا ما كتبه في وصف خطيب الجامع الكبير بمدينة تازة المغربية ووصف أحوال العلم فيها فقال : «حتى خرج من بيت الخطابة رجل تدل ذاته على أميته وخطبته على عاميته. فقضينا تلك الفريضة والقلوب من اندثار العلم وانقراض العلماء مريضة»[23].

---

22) الرحلة : ل : 91.

23) نفسه : ل : 29.

وفي الناحية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، كان ابن الطيب لا يدخل بلدا أو يخرج منه إلا واعتنى بوصف عمرانه وفلاحته وما عليه أهله من التجارة والصناعة وأحوال المعيشة والعادات والتقاليد، وسيرة الحكام في تدبير أموره. فقد كتب مثلا في وصف أحوال مدينة فاس وأثر الفتن والاضطرابات عليها بُعَيد وفاة المولى إسماعيل وتنازع أبنائه على السلطة، قطعة تعد من غرر نثره وبديع إنشائه. ومنها نقتطف قوله :

«وماذا أقول في أرض أخرست محاسنها لسانَ لسانِ الدين بن الخطيب. وقد ألف فيما جمع من البراعة والفصاحة والفضل والسماحة (نفح الطيب)، **وما أدراك ما نفح الطيب ! وبأي عبارة أعبر عن بلاد عجز عن** استيفاء بعض كمالاتها القلم والقرطاس، وما رامَ رامٍ أن يُصيب أغراضها، ويُنيل سهامه من قراطيسها وأغراضها[24]، إلا نباسهمُه فأخطأ القرطاس...» إلى أن يقول : «صيرت الفتن أعجازها صدورا، وأقعدت الشرور والمحن أو باشها من مقاعد التصرفات صدورا. واستولى على أمرها أرذالها دون أشرافها وأكابرها، وتحكم أنذالها في كراسيها ومنابرها. فإن الشرور ظلمة، ولا يُظْلَم أحد حتى يستوجب ظُلمَه. وتراكمَ الأهوال موجب لتغير الأحوال، وانقلاب الدول مظنة الفتن من الزمان الأول. على أن ذلك مستندر بالنسبة لما مضى من تمام عافيتها وما هو إن شاء الله آتٍ، ومغتفر في جنب حسناتها العظام. إن الحسنات يذهبن السيئات :

وإذا المليح أتى بذنب واحد   جاءت محاسنه بألف شفيع

24) في الأصل : (أغراضها) بدون واو. ولعل الصواب ما أثبت، والأغراض الأولى بمعنى الأهداف التي ترمى، والثانية جمع غرض بمعنى : البغية. والقراطيس جمع قرطاس بمعنى الأديم الذي ينصب للنضال، كما في القاموس المحيط.

فمن رام أن يغنم صفوها بلا كدر، أسرع النَّقْلةَ عنها قبل أيام الفتن، وبدر وأزمع الارتحال عند انتقال الحال»[25].

وفعلا فإن ابن الطيب لم يلبث بفاس إلا قليلا بعد رجوعه من الحج، حتى أسرع بالرحيل عنها وبادر بالانتقال كما فعلت كثير من الأسر المغربية التي هجرت فاس إلى المشرق أو إلى جهات أخرى من المغرب.

وحين مر بمدينة تازة كتب يقول في وصف أحوالها :

«غلبت عليها أحوال البادية دون الحاضرة، وتيسرت لأهلها أسباب الفلاحة، فهي لديهم بادية حاضرة، وقد رأينا في أطرافها وأواسطها من آثار الاندثار والخراب، وعاينا خلال ديارها من دمن السِّرْجين[26] والتراب، ما يدل على أن أملاكها فارقت مِلاَكَها[27]، وبان بين بانات ديارها للفساد غراب وأي غراب، فلا بدع إن أعرضنا عن أوصاف القاطن بها والساكن، لأن اللبيب يستدل على ذلك بما أومأنا إليه في أوصاف المساكن»[28].

وكتب عن (درنة) يقول :

«وقامت هنالك الأسواق، لا يرى الحجاج مثلها في جميع الفواكه والخضر وأنواع الآلاء وضروب النعم، ولا يجتمع في غيرها ما يجتمع فيها من السمن والإدام والتمر والشعير والدقيق والغنم والنَّعَم»[29].

---

25) الرحلة : ل : 23 ظ.

26) السِّرْجِين ـ بكسر السين وسكون الراء وكسر الجيم ـ الزبل ـ معرب ـ.

27) ملاك الأمر : قوامه، والمعنى : أن المسؤولين عنها (أملاكها) تركوا أمر تدبيرها.

28) الرحلة : ل : 29.

29) نفسه : ل : 51.

وأما مصر التي مكث فيها طويلا. فقد تحدث عنها حديثا مسهبا، وأمتعه ذلك الحديث الذي وصف فيه معاناة السكان من جور الحكام، وأثر فساد الأحوال السياسية على أحوال الناس الاجتماعية والاقتصادية إذ قال :

«...بيد أنها لها مزيد اختصاص بمضاعفة الوظائف الجورية على الرعية، بحيث تملك رقابهم فضلا عن أموالهم، ولا يجدون عن ذلك محيصا بمنعة أو فرار. حتى إن أحدهم لو أراد أن يتخلى ويترك الزراعة والفلاحة لم يتركوه. ولوفر لا تبعوه. حتى استفاض عند العمال الفسقة أن ثلاثة لا تقبل فيهم شفاعة، ويعدون منهم من يريد أن يتخلى عن الفلاحة والزراعة، ﴿**قاتلهم الله أنى يوفكون**﴾، لا هم ينصفونهم ويخففون عنهم من المظالم، ولا هم يتركونهم يذهبون حيث شاؤوا من هذه العوالم. اتخذوا مال الله دولا وعباد الله خولا. وقد ذكر المؤرخون أن مصر لابد أن تشتمل على طائفتين إحداهما في غاية العتو والاستكبار والأخرى في غاية الذل والاحتقار... وإنها في زماننا بل قبله بأزمان لعلى مثل ذلك الوصف. فبشواتها وصناجقتها وولاتها وحكامها بل وسائر جندها وعسكرها فيما ظهر لنا ليس فيهم إلا من أعماه الباطل وحب الدنيا، وأسكره شراب الرياسة والظلم، وختم على سمعه وقلبه فهم لا يرحمون ضعيفا ولا يوقرون كبيرا، ولا يعظمون مشروفا ولا شريفا. فلا يأمن الناس معهم على نفس ولا مال، لأنهم عدل بهم هواهم عن طريقة العدل والحق ومال. وأما رعيتها وفلاحتها فلا تسل عما يلاقون من الظلم والجور من الجند، وما هم فيه من الإهانة والاحتقار. تضرب ظهورهم وتؤخذ أموالهم ولا مشتكى لهم إلا الله، ومن تجاسر منهم واشتكى ضوعف عليه العذاب الأليم. وأخبار مصر وظلم الولاة

بهـا وغش البـاعـة، وحيـل المتسببين ومكر العـاملين أعظم من أن تحصى...»[30].

ولعل هذا النص من النادر أن نجد لـه مثيلا بين كتابـات المؤرخين الرسميين القدامى الـذين كان أكبر همهم في التـأريخ لسير الحـاكمين وإهمـال المحكومين، وإذا كتبوا عن الحاكمين اهتموا بالجوانب المضيئـة وتركوا الجوانب المظلمة إما خوفا وإما مداراة.

ويتحـدث في مكان آخر عن بعض عـادات الشعب المصري في مـأكلـه ومشربه، ويقارن ذلك بعادات أهل المغرب. ويقول :

«وإن كان أهل مصر ـ بل وكـذلـك غيرهم من أهل الحرمين والحجـاز والآفاق المشرقية كلها ـ إنمـا يتكارمون بـالقهوة التي لا يعرفهـا المغـاربـة ولا يعدونها في الأطعمة ولا في الأشربة ولا في الأدويـة ولا في المشتهيـات (...) ويزاد على ما ذكر من منافعها[31] ـ وهو أكبر عندهم ـ أنها تقوم مقام القرى للضيف بحيث لا يستحيي أحد في تقـديمهـا للبـاشـا فمن دونـه، ويقوم ذلـك عندهم مقام ما يتكلفه المرء عندنا من الأطعمة الكثيرة الفـاخرة المنوعـة التي تبلغ قيمتها الدنانير الكثيرة. ودرهم واحد يقوم مقام الدنانير لا يكرهه أحد. على أنه لو قدم لأحد هنالك أي طعام لم تكن معه، فكأنه لم يقدم لـه شيء. وإن قدمت هي وحدها كفت...»[32].

---

30) نفسه : ل : 36.

31) يقصد القهوة.

32) نفسه : ل : 57.

وأهم ما في هذا النص هو تصريح ابن الطيب أن المغاربة في عصره (القرن الثامن عشر الميلادي) لم يكونوا قد تعودوا بعد على استعمال القهوة رغم انتشارها الواسع في المشرق، وقد وجد الفقهاء هنالك منقسمين بين محرم لها ومحل. فتدخل بدلوه في هذا النقاش وكتب رسالة سماها : (الاستمساك بأوثق عروة في الأحكام المتعلقة بالقهوة)، وقد ضاعت منه هذه الرسالة فيما بعد ولذلك لخص محتوياتها في رحلته الحجازية المخطوطة[33] وذهب فيها مذهبا وسطا.

وتحدث في موضع آخر عن عادة المصريين في الاحتفال بخروج ركب الحاج مع كسوة الكعبة، وما يتخلل ذلك الحفل من مباهج الفرح ومراسيم وطقوس، **ولكنه لم يسترح للبدع والمناكر التي ترتكب فيه مما لم يتعود على** مشاهدته في بلده وهو السني المالكي الملتزم، فكتب يقول :

«فياله من يوم عظيم، يجب له الإجلال والتعظيم لولا ما اشتمل عليه من المناكر البادية التي تمنع من له اعتناء بالسنة أن يحضر ناديه. فنسأل مولانا سبحانه أن يتجاوز عن هذه الأمة المحمدية في مثل هذا اليوم من أنواع البدع والمناكر الموجبة للانتقام واللوم»[34].

وقفل ابن الطيب عائدا إلى بلاده. وفي الطريق وصل إليه الخبر بخلع المولى أحمد بن إسماعيل الملقب بالذهبي وتنصيب أخيه عبد الملك محله، فكتب في هذا الشأن يصف أحوال السلطان المخلوع وأسباب عزله :

---

(33) نفسه : ل : 57 ـ 60.

(34) نفسه : ل : 63.

«وحاصل ما تضمنته تلك الرسائل ـ وكان في جلها من أعظم الوسائل ـ هو أن السلطان أبا العباس أحمد الذهبي الذي كان تولى الملك بعد والده قد أخل بطريف الملك وتالده، ولم يصلح للانتظام في ذلك السلك، ولم يحسن نظرا في المملكة ولا في الملك، بل اشتغل بما لا يناسب ذلك من اللعب واللهو، والتفنن في الخلاعات مع النساء والولدان تكميلا للزهو، إلى غير ذلك. وأنه حين لم يقم بذلك ولم يحسن سلوك تلك المسالك، خلعوه وقدموا أخاه أبا مروان عبد المالك. لما توسموا فيه من الصلاحية لما هنالك»[35].

تلك نماذج من كتابات ابن الطيب في رحلته الحجازية، وصف فيها بعض أحوال المغرب والمشرق من النواحي الثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، وأردنا بها أن نثير أنظار المؤرخين المختصين إلى أهمية هذا المصدر الواردة فيه، ومدى إمكانية استغلاله في كتاباتهم وتصوراتهم عن العصر العلوي أو بالأحرى عن فترة قصيرة من فتراته.

الرباط **د. عبد العلي الودغيري**

---

(35) نفسه : ل : 130.

مكانة المصادر الأجنبية إلى جانب الحوليات المغربية في تاريخ الدولة العلوية

محمد زنيبر

كان تاريخ المغرب في العصور الإسلامية الأولى ميداناً لا يخوض فيه إلا المغاربة وحدهم وبعض الأندلسيين الذين أصبحوا يعملون في ركاب الدولة المغربية منذ عهد المرابطين. ولا ننسى بعض النتف التي نجدها في تاريخ ابن حيان القرطبي وفي كتب ابن خلكان وابن الأثير وغيرهما من المشارقة. على أن أهم عطاء تلقيناه عن تلك الفترات البعيدة جاءتنا من أبي عبيد البكري الذي قدم لنا في كتابه «المغرب»، الذي هو قسم من كتابه «المسالك والممالك» ، لوحة جيدة تتراءى لنا فيها البلاد بحواضرها وبواديها وأنشطتها الاقتصادية ومعالمها التاريخية في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي أي منذ ما يقرب ألف سنة . بحيث يمكننا أن نقول إن فترة ما يسمى بالعصر الوسيط كانت، فيما يخص التأليف وجمع المعلومات التاريخية، من نصيب المؤرخين المغاربة أو المسلمين بوجه أعم. ولم يكن فيه للمؤرخين الأجانب، وخاصة بأروبا، أي عطاء.

ويرجع ذلك لأسباب حضارية وإيديولوجية لا داعي للإطالة في تحليلها. فالأروبيون كانوا متخلفين علمياً وفكرياً طوال العصر الوسيط، فكانوا منطوين على أنفسهم لا يرغبون في الاتصال بالغير والتعرف عليهم، ولو كانوا من جيرانهم. ولذلك لا نجدعندهم أي اهتمام بتاريخ شعوب الشرق الأوسط وإفريقيا الشمالية. بل إن اهتمامهم بتاريخهم الذاتي كان ضعيفاً كما وكيفاً. يضاف إلى ذلك نظرتهم المعادية للعالم الإسلامي التي كانت تدفع بهم، إذا هم تحدثوا عنه، إلى التشويه والافتراء، ولعل خوفهم من انتصار الإسلام بديارهم جعلهم يتصدون لمحاربته بالكذب والبهتان حتى ينفروا. مواطنيهم عنه ويقيمون في وجهه سداً من التعصب الديني والإيديولوجي.

لكن هذا الوضع تغير ابتداءاً من القرن السادس عشر مع عصر النهضة الأروبية. فقد بدأت أروبا تشعر شيئاً فشيئاً بأنها دخلت في عهد التفوق، إذ صارت هي سيدة البحار بعد أن طردت منها المسلمين، وصاحبة الاكتشافات الجغرافية الكبرى ومحركة الاقتصاد العالمي بما أخذ يتجمع لديها من ثروات. فتخلصت من عقدها القديمة تجاه التفوق الإسلامي وأصبحت واثقة من نفسها. الشيء الذي غير عقليتها الانطوائية وأكسبها جرأة متزايدة على محاولة الاتصال بالشعوب الأخرى في القارات الخمس. وهي جرأة نشأت من الأطماع في الربح والكسب التي تحولت إلى مشاريع استعمارية. فأخذوا يستكشفون شواطئ القارة جنوب الصحراء ويتصلون بشعوبها ويؤسسون مراكز بها.

وكانت أطماع الدول الأوربية منذ عصر النهضة هي الدافع القوي لظهور أدبيات كثيرة باللغات الأروبية تتعلق بتاريخ عدد من الجهات في

العالم. ويعد المغرب من الأقطار التي أثارت اهتماماً بالغاً في تلك الفترة لأنه كان أقرب الأقطار جغرافياً وبشرياً إلى أروبا. فبوغاز جبل طارق لم يحل منذ القديم دون الانتقال من الشواطئ المغربية إلى الشواطئ الإسبانية وسكان شمال المغرب أشبه ما يكون ببسكان الأندلس أي الأقاليم الجنوبية في ايبيريا. فكان من المتوقع أن تبدأ الدول الأروبية مغامرتها التوسعية من المغرب. وكان من المتوقع أن ترسل عدداً من المستكشفين والجواسيس والمغامرين ليرفعوا لها تقارير ودراسات عن المغرب.

وهكذا انضافت إلى المصادر العربية التقليدية مصادر أروبية ابتداء من أواخر القرن الخامس عشر. كما انضافت بعيد ذلك مصادر عثمانية أو تركية لا تخلو هي، أيضاً، من أهمية نظراً للعلاقات الطويلة الأمد والمتقلبة بين الصداقة والعداء التي نشأت مع ولاية الجزائر العثمانية المتاخمة للمغرب. ولا ننس، في الأخير، المؤلفين المشارقة الذين تحدثوا عن المغرب والمغاربة.

هذا بوجه عام، هو المدخل لدراسة البيبلوغرافية التاريخية للمغرب في العصر الحديث. فهي ببليوغرافية متنوعة وتتفاوت من حيث القيمة والفائدة، لكنها تتكامل فيما بينها وتمكن الباحث، نسبياً من التدقيق في تحرياته وتحقيقاته. لكن بما أن موضوعنا يقتصر على هذه الدولة العلوية، فسنتخلى عن كل ما يخرج عن هاته الدائرة لنركز نظرنا فيها بالذات.

يعتبر كل المؤرخين أن قيام الدولة العلوية هو استمرار لعهد الأشراف الذي بدأ مع السعديين في النصف الأول من القرن السادس عشر. وهذا صحيح إذا نظرنا إلى الأسرة ومقياس النسب والإيديولوجية السياسية الدينية التي أضفت طابع الشرعية على كلتا الدولتين. ولكن هنالك فوارق

مهمة بينها. فالدولة السعدية قامت لتقضي على دولة الوطاسيين المتخاذلة وتواجه العدوان البرتغالي على الشواطئ المغربية بتدبير وتكليف من بعض الزوايا الجزولية المنبثة في الجنوب المغربي. فهي دولة قامت لتنفذ برنامجا محددا اتفقت عليه الزوايا في إطار الدعوة للجهاد وتصحيح الكيان السياسي. وهذا ما أكسبها قوتها وضعفها في آن واحد.

فالقوة اكتسبتها من ذلك التفويض الذي صدر عن الزوايا التي كان لها نفوذ قوى ومتغلغل في دوائر وشرائح مختلفة من المجتمع. فهي تنطلق في عملها واثقة من أن التأييد سيأتيها بسهولة ومن كل جهة. وقد حظيت الدولة السعدية، فعلا، بتأييد إجماعي عند قيامها في جنوب المغرب، ولم تحتج إلى بذل مجهود كبير في هذا الصدد، لأنها في حركاتها الأولى كانت تتجاوب مع إرادة الزوايا ومع الرغبة الكامنة في نفس المغاربة الناقمين على الدولة الوطاسية لعجزها.

لكن، مع مرور الزمان، بدأ السعديون يتضايقون من الالتزام مع الزوايا ويستثقلون دالتها ويعملون على التخلص من وصايتها ولو كانت أخلاقية ومعنوية. وهنا ظهرت نقطة الضعف في الدولة التي اضطر بعض ملوكها إلى البحث عن السند الأجنبي لأنهم لم يعرفوا كيف يحافظون على السند الوطني الداخلي. وبعد موت المنصور الذهبي عادت المشكلة مطروحة كما كانت في أواخر الوطاسيين تقريبا : انفجار السلطة المركزية، تعدد الزعامات والكيانات السياسية داخل الوطن الواحد، الخوف والفوضى، إضاعة الأسرة الحاكمة لما كانت تستمتع به من رصيد التقدير والثقة.

وفي تلك الظروف الخطيرة والمأساوية، برزت الدولة العلوية للوجود. ولم تصادف نفس الظروف المساعدة التي وجدها السعديون أمامهم

في البداية. بل كان الأمر على العكس من ذلك. فالزوايا الكبرى التي رأيناها في بداية القرن السادس عشر تتهافت على محمد القائم السعدي وتلح عليه ليضطلع بمهمة أمير الجهاد، أي أمير المؤمنين في واقع الأمر، نراها بعد ذلك بقرن ونيف، تواجه باحتراز كبير وعداء واضح التحركات المحلية التي كان يقوم بها الأشراف العلويون في تافيلالت وتعمل على إضعافهم وقص جناحهم، ولست احتاج إلى التذكير هنا بما وقع للمولى الشريف، أبي المولى الرشيد والمولى إسماعيل مع أبي دميعة السملالي، أمير سوس في وقته ولا مع الدلائيين، أصحاب الزاوية المشهورة بالأطلس المتوسط، ولا مع غيرهما من التشكيلات السياسية المحلية التي كانت موجودة آنذاك بالمغرب.

فمعظم الزوايا ظهرت، إذن، بموقف عدائي للطموح الذي برز عند بعض الأشراف العلويين من أجل إنقاذ المغرب من الوضعية الخطيرة التي كان المغرب يتردى فيها والتي جعلته عرضة للأطماع الأجنبية. كيف نفسر التناقض الذي ظهر في موقف الزوايا في مدى قرن واحد ؟

إنه تناقض ناشئ عن تطور الزوايا، كانت في البداية تتأفف من كل نشاط سياسي وتلتزم بمبدأ التصوف الأساسي : الانصراف عن الدنيا كلية والاتجاه إلى الله والاكتفاء بنصيحة المسلمين ومساعدتهم في وقت الفتنة والمحنة، لكن التجربة التي عاشتها تلك الزوايا مع السعديين، سواء عند صعود دولتهم أو تدهورها، جعلتهم يغيرون عقليتهم وبالتالي، سلوكهم ويطمحون إلى تولي الحكم بأنفسهم. إن النصف الأول من القرن السابع عشر يقدم لنا عشرات الدلائل على هذا التغيير، سواء في أحداثه أو في المراسلات التي جرت بين رؤساء الزوايا فيما بينهم أو مع آخر الملوك السعديين. ولعل

ثورة أبي محلى وادعاءه للمهدوية خير دليل على ما طرأ على موقف الزوايا والمنتسبين للتصوف من انحراف.

وإذا كانت حالة المغرب تبرر تصدي الزوايا للجهاد واستنفار الناس فإنها لم تكن تبرر اللعب على الحبلين. ومهما يكن، فإن إنقاذ المغرب آنذاك لم يكن من الممكن أن يأتي عن طريق الزوايا. فانغمارها في السياسة جعلها تتصارع فيما بينها على الزعامة، بحيث أصبحت عامل تفرقة بدل أن تكون عامل توحيد وفقدت، في نفس الوقت، الاعتبار الذي كان لها، سواء لدى الخاصة أو العامة، وهذا ما جعل محاولاتها وحساباتها تؤول، في النهاية، إلى الفشل والخسران، والفراغ السياسي الذي كان سائدا بالمغرب آنذاك ولم يستطيعوا أن يملأوه هو الذي جاء العلويون بأسلوبهم الخاص، الذي لم يكن يخلو من منهاجية وعقلانية بالنسبة للعصر، فعرفوا كيف يعالجونه ويضعون فيه أعمدة قوية ومتينة لحكم جديد يكون متحررا من التبعية للزوايا، خلافا لما حدث عند ميلاد الدولة السعدية.

فالمعارضة التي صادفها العلويون مع الزوايا أصبحت مصدر قوة لهم، وجعلت دولتهم ترتكز منذ اللحظة الأولى على العمل والعطاء الشخصي. ومن ثم اتسمت شخصية الإخوة الثلاثة محمد والرشيد وإسماعيل بسمات البطولة والتصدي لأعوص المشاكل بالنسبة لمغرب ذلك الوقت بالعمل الشخصي والسهر الدائب.

فالمولى محمد أكبر الإخوة كان أول من برز للميدان، وعرف بقوة طموحه ونشاطه المتواصل. ولسنا نعرض لسيرته، وإنما نكتفي بالإشارة إلى كونه طرح قضية استقلال المغرب الكبير وحدود المغرب الأقصى بأقوى

صورة وأوضحها حينما توغل بجيشه في المنقطة الوهرانية وأثار فزع الأتراك وديوانهم بالجزائر وكانت بينه وبينهم مراسلات، ويرجع الفضل للضعيف الرباطي، الذي ظل تاريخه مقبورا ومجهولا إلى أن قيض له الله من اعتنى بنشره مؤخرا، في الاحتفاظ بجواب المولى محمد على الأتراك، فهؤلاء يخاطبونه في مراسلة طويلة نقتطف منها هاته الجملة :

«...ولا تمدن باع المخاطرة لأوطاننا فتخشى مخالب سطوة سلطاننا».

ثارت ثائرة المولى محمد لدعوى أصحاب الديوان التركي بالجزائر بأن البلاد أصبحت بلادهم حتى أنهم يستعملون في حقها عبارة أوطاننا، فحرر لهم جوابا طويلا لا نستطيع، مع الأسف، إيراده بكامله، ولكن نقتطف منه بعض الجمل ذات الدلالة. ففيما يتعلق بموضوع الشجاعة، يقول لهم :

«وقولكم إن الحجر لا يدق بالطوب، والخاطف لا يطأ بسط الخطوب، تيقنا أن السهم والرمح لا يقومان بقوة الكبريت والملح. ونحن أعرف منكم بأصناف البارود والمدافع، وما أودع الباري فيها من أسرار المضار والمنافع، والغارات لا تقاومها الضعاف الرماة، ولا لها راحة إلا في مقام المقامات، ولا أدخل لكم الوسواس والجسارة لا بنو سنوس ولا مضغرة ولا ترارة. وإنما تعديكم هو الذي شجع الطباع إلى أن عادت الضباع سباع».

فهو يذكر كيف أن بعض قبائل الحدود كانت ترفض السيطرة التركية دفاعا عن حقها وكرامتها. ثم يجيب على ما ورد في الرسالة التركية من الاعتماد على التنبؤات بالغيب والأجفار، قائلا :

«فالحازم المتكل على الغني الغفار لا يغتر بإشارة كاهن ولا جفّار. وقلع أوتادكم مع الروم بعون الله من الغرب على يد إيالتنا دون طعن ولا ضرب... ولكن غرسني الله كما أشرتم لهذه الإيالة قاعدة وأساسا أول، فعلى الله سبحانه الاعتماد والمعول...».

في هذا الكلام تظهر المنهاجية والعقلانية اللتين أشرنا إليهما من قبل واللتين تتجليان في الاعتماد على تحليل الواقع ورسم الخطة المناسبة والاعتماد على العمل، ولننظر إليه كيف يفضح حقيقة التسلط التركي على منطقة المغرب الكبير :

«وإن ما استفدتموه من الغرب، إنما غلبة وغصبا، إذ ورثتم دوله حيلا وخدعا ومكرا، رفعا وخفضا ونصبا. ونحن بما خلفوه أولى. براهن صدقت لنا الفعل والاعتقاد والقول، إذهم في الحقائق كبراء بربر المغرب وعمال غالبهم مخازنية الغرب. فدولة الغرب تونس الخضراء هنتاتة، وبنو زيان تلمسان إخوة سدراته ولواته. فلم تزالوا تنسخوا الأخطار قريبا، ولا وعص لكم في الحلقوم إلا بنو مرين، وأيضا من جهة مولانا إدريس الذي أسلموا على يده وهم يونانيون ومجوس...».

هذا نص يبرز لنا أحد الأدوار المهمة التي اضطلع بها المغرب الأقصى في تاريخ المغرب الكبير. فقد ظل هو المعقل الأخير الذي يدافع عن استقلال المغارب كلما ظهر في أفقها خطر من الأخطار. حدث هذا في عهد المرابطين لما أعادوا الوحدة للمغرب الذي طالما عانى من التشتت والتمزق أيام الصراع بين الفاطميين وأمويين الأندلس، وحدث، مدة أخرى حينما أصبحت أفريقية هدفا لغارات النورمنديين وذهب الموحدون لإبعاد الخطر

عنها، وحدث في أيام محمد الشيخ السعدي الذي لم يكن راضيا عن الاحتلال التركي للجزائر وتونس وطرابلس.

وكذلك ظهر المولى الرشيد في مسرح التاريخ كرجل يعتمد على نفسه ومواهبه وشجاعته، وكانت أمامه مشاكل عظام. كان عليه أن يمسك زمام المغرب بأسره في الوقت الذي كان لا يسيطر إلا على الجزء الشرقي من البلاد. وفي عهده القصير استطاع أن يحقق عملا كبيرا تمثل في القضاء على خصوم كانوا في الحقيقة أقوى منه، وأن يوحد المغرب من جديد بعدما مر عليه من انقسامات وصراعات داخلية. وفي هذا الشأن يقول الضعيف في تقييم شخصية المولى الرشيد :

«وكانت أيامه رحمه الله مباركة على كثير من المسلمين. واتفق له فيها في قليل من السنين ما لم يتفق لغيره في كثيرها، فظهر، أولا، ببلاد أنقاد عام خمس وسبعين وألف. ثم استولى على تازا وما والاها ثم على بلاد الريف وما والاها، ثم استولى على فاس الجديد والقديم فدخل دار الملك بمدينتها البيضاء. وكان استيلاؤه عليها ودخوله إليها في ليلة يوم الإثنين الثالث من ذي الحجة متم عام ست وسبعين وألف. واستوطنها ثم استولى على الزاوية البكرية وأخذها في عام تسع وسبعين وألف، ثم استولى على تارودانت وسائر بلاد السوس. فملك المغرب بأسره قطرا بعد قطر إلى وادي نول، وكان على يده هذا الفتح العظيم في هذه المدة اليسيرة لما جبل عليه من حسن السيرة، إذ كان من السراة الغطارف ومن الأعجوبات في الإقدام بين المراهف، أحيا الله به رسوم الدين بعد دروسها، وأنعم به على المساكين بعد شدة بؤسها، خاض أمواج الأهوال حتى أهمدها وقام في إطفاء نيران الفتن والشرور حتى

أحمدها. فيا لها من نهضه لله ما أحمدها، تدارك الله بـه الغرب بما فيـه من قـوى وضعيف، وأعتر بـه من فيـه من مشروف وشريف. ولازال بسيرتـه المباركة كريما فـاضلا زكي الأخلاق كاملا يتنـازل عن مقـامـه الرفيع فيجبر خاطر المنخفض الوضيع، وقـد صـادف ذلـك كل مرام، وأحيـا بـه اللـه نعم المغرب بعد الانهدام لطلوع شمسه، على حين تغير من الدهر وعبوسـه. فجـاء المغرب على فترة من ملكه وأنقذه الله به من هلكه».

في هذا النص يقدم لنا الضعيف صورة أخرى عن البطولة التي تتجلى في الإقدام على مواجهة وضعية خطيرة تعم بلدا كبيرا مثل المغرب، فلم يخف البطل، ولم يتردد ولم ينكص على عقبيه، بل تقدم إلى الأمام برباطة جـأش وأخذ يحل المشـاكل التي ظلت مستعصيـة على غيره طوال نصف قرن. ثم إن النص ينبهنا إلى النتائج الطيبة التي حصلت عن التغييرات الواقعة بالنسبـة لتحسين أحوال النـاس وإنقـاذ المغرب من الفسـاد والشر والفـوضى التي كان يتخبط فيها.

ويمكن أن نأتي بأمثلة أخرى تتعلق بعهد المولى إسماعيل وسيـدي محمـد بن عبـد اللـه تبرز لنـا أكثر فـأكثر تلـك الظـاهرة التي تميزت بهـا الـدولـة العلوية عن الدولة السعدية في تصورهـا لمفهوم الـدولـة، فقـد حـدث تطور مهم في هذا الباب. فـإذا كانت كلتـا الـدولتين ترتكزان على مبـدإ الشرفيـة، فإن الثانية استطـاعت أن تلخص الـدولـة من كل الارتبـاطـات الطفيليـة، فتتجه بها شيئا إلى التصورات الحديثـة القـاضيـة بتمييز السلطـات مع تركيز مخصصات السيادة ووضع الدولـة في موقع الحكم بين سـائر الفئـات في المجتمع، أي الابتعاد عن طريق العصبية والتحيز الإقليمي أو القبلي كما كان يحدث من قبل.

طبعا إن السير في هاته الطريق ما كان ليتم بدون اصطدام، وهذا ما يفسر سياسة الحكم القوي الذي دشنه المولى الرشيد وسار فيه المولى إسماعيل. وتلك طبيعة كل تجديد وكل إصلاح. وإدراكنا هذه الحقائق لا يمكن أن يتم إلا بإعادة قراءة المصادر التاريخية وربط رواياتها بالواقع والمناخ السياسي العامّ الذي كان مسيطرا على المغرب. وقد اخترت، عنوة، أن آخذ مثالا من أحد المصادر المغربية الذي كان صعب المنال إلى عهد قريب ونعني به تاريخ الضعيف. إنه مصدر جدير بالتقدير لأن صاحبه يتكلم بشيء من الحرية وينقل معلومات ووثائق عن مصادر أخرى ربما كانت ضائعة.

إلا أن المصادر العربية التي بين أيدينا عن الدولة العلوية، وخاصة بالنسبة لطور نشأتها ربما كانت تستدعي جملة من الملاحظات.

وأول تلك الملاحظات هي أن المصادر المغربية المعاصرة لنشأة الدولة العلوية قليلة، كما أشار إلى ذلك «ليفي بروفنصال» في كتابه «مؤرخو الشرفاء» والأستاذ محمد المنوني في كتابه «المصادر العربية لتاريخ المغرب». ونحن لو حاولنا القيام بإحصاء لها نجدها تقتصر، عمليا على ما خلفه لنا الوفراني في كتابيه «نزهة الحادي» و«روضة التعريف» إلى جانب «تقييد في تاريخ الدولة العلوية» للقاضي بردلة يصعب العثور عليه وَاستعماله لأنه مخبوء عند ورثته.

والمصادر التي نتحدث عنها الآن هي الحوليات أو ما يسميه الأستاذ المنوني «تاريخ الدول»، ويجب أن ننتظر أكثر من قرن على قيام الدولة العلوية لنصادف تآليف جديدة وموسعة في تاريخها مثل :

- الترجمان المعرب للزياني.

- تاريخ الضعيف.
- نشر المثاني للقادري.

والملاحظة الثانية هي أن هاته المصادر لا تحاول أن تحيط بالموضوع إحاطة كافية ومدققة، وإنما تقدم مجموعة من الأخبار والارتسامات عن عهد كل سلطان وما جد فيه من أحداث بحيث يبقى فيها مجال للثغرات والنسيان، بغض النظر عن أهميتها وأولويتها كمنطلق لكتابة تاريخ المغرب.

لكن هنالك نوع آخر من المصادر من شأنه أن تتم معلوماتنا، ونعني به المصادر الأجنبية، وتأتي في طليعتها المجموعة الكبيرة لربائد التاريخ المغربي والتي أشرف على جمعها الكولونيل «دوكاستري» في مجلدات ضخام ربما تجاوز تعدادها الثلاثين. وتغطى عهد السعديين وبداية الدولة العلوية إلى وفاة المولى إسماعيل. والذي يؤسف له، اليوم. هو أن هذا العمل توقف منذ سنوات ولم ترصد له الميزانية الضرورية، مع أنه كان يتوفر على مكاتب في باريس ومكتبة مهمة تضم أمهات الكتب والوثائق التاريخية وكان يساهم فيه عدد من الباحثين المتفرغين، وبتوقفه تحجب عنا عدد من المعلومات المتعلقة بالقرن الثامن عشر والتاسع عشر وبداية القرن العشرين.

ولعل بعض المؤرخين المغاربة الذين تعودوا على الاكتفاء بالمصادر العربية لا يقدرون هاته المصادر الأجنبية حق قدرها. والذي يجب أن نلح عليه في شأنها هو أنها تتميز بعدة مزايا. فكثير منها عبارة عن وثائق رسمية احتفظ بها في مستودعات الوثائق بعدد من الدول الأجنبية، فنجد، مثلا، في بداية الجزء الأول من السلسلة الفيلالية (العلويين)عدة مراسلات بين «لويس الرابع عشر» وسفيره بإنجلترا في شأن مشروع الإنجليز للاستيلاء على

طنجة، كما نجد بعد ذلك مراسلة أخرى تشير إلىطمع الإنجليز في الاستيلاء على المزمة بالشاطئ الريفي.

وبعد ذلك، نصادف يوميات لقائد بحري فرنسي إسمه «فرانسوا دونوشين» مر بمراكبه على ساحل المغرب المتوسطي من طنجة إلى الجزر الجعفرية ومليلة. وفي وثيقة أخرى يقدم نفس القائد تقريرا عن الجزر الجعفرية، وهنالك رسالة أخرى موجهة إلى الوزير الفرنسي «كولبير» وزير لويس الرابع عشر، في وصف الجزر الجعفرية وسهل طريفة، وفي ثنايا تلك المراسلات نلمح بداية الأطماع الاستعمارية واقتراحات عملية وتقنية بشأن احتلال البلاد. ثم نجد يوميات أخرى لقائد بحري فرنسي «دي كين» تتحدث عن تطوان وغيلان.

وهنالك وثائق أخرى تعني العلاقات التجارية كقرار مجلس الدولة بباريس المؤرخ 20 مايو 1664 بشأن تجار مرسيليا العاملين في المغرب، ونجد بعد ذلك مقتطفا من صحيفة فرنسية «لاكازيت دوفرانس» La gazette de France، عن معركة جرت بين غيلان والإنجليز، ثم قرار آخر لمجلس الدولة بفرنسا يمنح امتياز التجارة مع المزمة الإخوة «فريجوس» من مرسيليا فإذا قفزنا صفحات عديدة، نصادف رحلة «رولان فريجوس» وهو نص طويل يشتمل على سبعين صفحة، وفيه يتحدث المؤلف الذي كلفه الملك لويس الرابع عشر بإقامة العلاقات التجارية مع «مجموع مملكة فاس على امتدادها وما هو تابع لها من الممتلكات»، عن إقامته بالمغرب واتصالاته بالسلطان مولاي رشيد وعدد من رؤساء الريف في تمسامان وبطوية وغيرها، والرحلة مفيدة للغاية في التعريف بمولاي رشيد، والحديث عن

مفـاوضـاتـه ومسـاعيـه من أجل اقتنـاء السلاح والعتـاد لتحقيق مشـاريعـه السياسية الكبرى.

وهنالك في هذا المجلد بعض النصوص العربية مثل المعاهدة بين فرنسا والمغرب (بين لويس الرابع عشر والمولى إسماعيل) بتـاريخ 29 ينـاير 1982، والـذي أمضى عليـه من الجـانب الفرنسي «كولبير دو سنيـولي» و«كـولبير دو كرواسي»، ومن الجـانب المغربي الحـاج محمـد تميم، وهي وثيقـة تحـدد شروط إقرار السلم بين الدولتين، وقد أوردت صحيفـة «المركوركَـالان» Le Mercure Gulant، نبذه عن رحلة الحاج محمد تميم السفير المغربي في عشرين صفحة.

تلك أمثلة جد محدودة اقتطفناهـا من المجلـد الأول الـذي يشتمل على أزيد من سبعمائة صفحـة ويغطي فترة واحـد وعشرين سنـة من 1661 إلى 1682 وهذا المجلد يقتصر على بعض المصادر الغميسـة المستودعـة بـالخزانـات الرسمية بفرنسا. فما بالـك بـإسبـانيـا والبرتغـال وإنجلترا والأراضي المنخفضـة وإيطاليا ! وما بالك بربائد الدولة العثمانيـة التي كانت لهـا علاقـات كثيرة ومراسلات عديدة مع الدولة المغربية منذ عهد السعديين !

وكما يتضح من الأمثلة القليلة التي أوردناها، أنهـا مصـادر حيـة لأنهـا صدرت في ظرف معين لمعالجة قضية معينة وتحمل تاريخـا دقيقـا، فهي إمـا مراسلة دارت بين طرفين في شـأن قضيـة ذات أهميـة، وإمـا تقرير رفع من مسؤول عن موضوع محدد، وإما نص معاهدة، وإما مقال صدر في صحيفـة، وإما رحلة تجارية أو سفارية الخ...

قد يقال إن هؤلاء الأجانب الأروبيين كانوا متعصبين ويحملون روحا صليبيـة تتسم بكراهيـة الإسلام والمسلمين ولكن المصـادر كلهـا، كيفما كانت،

تحمل سلبيات وإيجابيات، وإنما على المؤرخ أن يستعمل حاسته النقدية في تناولها واستعماله، وهذا يصح بالنسبة للمصادر المغربية، أيضا فنحن عندما نقرأ الفشتالي أو ابن القاضي وهو يتحدث عن المنصور السعدي نشعر في الحين بأن النص الذي نقرأ لا يتحرى الموضوعية وتغلب عليه نزعة المبالغة في الإطراء وتضخيم المحاسن وغض الطرف عن العيوب.

ومهما يكن، فليس من الممكن أن نتجاهل تلك الثروة الضخمة من الكتابات المختلفة التي تعلق بالمغرب والمستودعة في الخزانات الأجنبية، إنها بالتجربة تملأ عددا من الثغرات التي غفل عنها المؤرخون المغاربة، وأذكر هنا، على سبيل المثال، أن أي مؤرخ مغربي لم يتعرض لاحتلال مليلة وما رافقه من ظروف، في حين نجد المعلومات التي نرغب فيها عن هاته القضية لدى المؤرخين الأجانب. ولنورد في هذا الصدد، على سبيل المثال، النص الذي نشره مؤخرا «برنار لوبياس» الأستاذ بكلية الآداب بجامعة محمد الخامس والذي كتبه أحد الرهبان الإسبان بعنوان : «الخبر عن حياة السيد الجليل مولاي عبد الملك، ملك مملكة فاس ومكناس وسوس، وعن أعماله وما صادفه من نصر في استرجاع ملكه».

إنه نص كتب نثرا وشعرا ولا يستدعي أية ملاحظات، بل لربما كان يقدم لنا أتم صورة عن السلطان المولى عبد الملك السعدي. وهذا، ولا ينبغي أن ننسى أنه كان من الصعب، إن لم نقل من المستحيل، على المؤلف المسيحي أن يتحدث بتقدير وإنصاف عن الإسلام والمسلمين وبلادهم. لأن الناشرين كانوا يرفضون نشر تآليفهم إن لم يكن فيها تشويه وتحامل على البلاد الإسلامية، كما بينت ذلك مكّالي مرسي في تقديمها للكتاب الذي نقلته

عن الإنجليزيـة بعنوان «روايـة طومـاس بيلو» وهـو أمير إنجليزي قضى أكثر عمره بـالمغرب في بلاط المـولى إسماعيـل، حيث أسر وهـو صغير السن، وقـدم معلومـات كثيرة عن العـاهل المغربي الكبير وجيشـه، إلا أنـه لم يتحرج عن القذف والتشويه بإيحاء من ناشره.

وبالجملة، فإن تلـك المصـادر الأجنبيـة تملأ ثغرات كبيرة ولا تخلو من أهمية وفـائـدة، شريطـة أن يتعـامل معهـا البـاحث بمـا ينبغي من التحري والتمحيص العلمي.

سلا	محمد زنيبر

لويس شينيه

ممثل فرنسا بالمغرب فيما بين سنة 1767 وسنة 1782

قنصلا ومؤرخا.

د. ابراهيم بوطالب

تحتل سلسلة «المصادر الغميسة لتاريخ المغرب» التي اعتنى بإصدارها أول الأمر هانري دي كاستر (H. De CASTRIES) مكانا مرموقا في الخزانة العامة لتاريخنا، وهي تضم في مجلداتها الضخمة عددا وافرا من الوثائق الأوربية التي تحدث عن أحوال بلادنا عامة، وعن علاقاتها بدول أوربا الغربية على وجه التخصيص، في الحقبة التي تتراوح ما بين تاريخ قيام الدولة السعدية وتاريخ استتباب الأمور بصفة نهائية للدولة العلوية على يد السلطان المولى إسماعيل، ذلك أن آخر ما نشر من هذه السلسلة القيمة هو المجلد السادس من المجموعة الثانية المخصصة بنشأة الشرفاء العلويين، صدر سنة 1960 بإشراف فيليب دي كوسي بريسلك (PH. De COSSÉ - BRISSAC) وبمشاركة نخبة من المثقفين والمؤرخين المغاربة[1]، ولا يتجاوز

1) هم الأساتذة عبد القادر العمراني ومحمد عزيز الحبابي وأحمد السالمي، والفقيدان المرحومان محمد الشرقاوي والتهامي الازموري.

ما نشر بطيه من الوثـائق سنـة 1718، لأن الحكومـة الفرنسيـة أقـدمت في تلك السنة على إغلاق قنصليتها بالربـاط، وتوقف بـذلـك آخر مـا نشر من المصادر الغميسة «عند ذلك التاريخ، ولم يعد أحد يعتني بمتابعـة هـذا العمل القيم، وهو ما يؤسف له غايـة الأسف، لأن اهتمام الأوربيين ببلادنـا وتتبعهم لمصـائرهـا وكتـابتهم عنهـا لم يزد إلا تفـاقمـا وإطرادا بـاتسـاع دائرة نفوذهم وتفـوق سـلاحهم وتغلغـل تجـارهم عبر المعمـور بعـد سنـة 1718، ويـوجـد بمختلف المكتبات ودور الوثائق الأوربية عدد لا يحصى من الوثائق المتعلقـة بتاريخنا، مـازالت تنتظر من يعتني بتخريجهـا وجعل فوائـدهـا في متنـاول المؤرخ.

بيد أن جملة من تلك الوثائق كان قـد تم استعمالهـا من حين وضعهـا، وكانت تتألف إما من تقـارير القنـاصل والتجـار المقيمين ببلادنـا، وإمـا من ذكر السفارات الإستثنائيـة ورحلات أصحـاب السيـاحـة، أو من مغـامرات بعض من كان يقع سجينا بالمغرب من ركاب السفن الأوربية، إما من جراء حرثها على شواطئنا، وإما بسبب أعمـال الجهـاد البحري التي كانت تقوم بهـا الأسـاطيـل المغربيـة، وكل من كان لـه من هـؤلاء الأوربيين قـدرة على التحرير، فـإنـه كان لا يلبث أن يجـد دارا لنشر مؤلفـه، لمـا أصبـح لجمهـور القراء بأوربـا من الشغف بـالإطلاع على أحوال الشرق عـامـة، وعلى أحوال المغرب بصفة خاصة، وهكـذا صـدر لجون وينـدوس (J. WINDUS) رحلتـه إلى مكناس عبر تطوان في رفقة السفـارة الإنجليزيـة إلى المولى إسماعيل سنـة 1721، كما صدر كتاب بريثويت (BRAITHWAITE) الذي كان قد جاء في رفقة سفارة إنجليزية أخرى للتعزيـة في وفـاة المولى إسماعيل وتقـديم التهـاني لخلفه المولى أحمد الذهبي سنة 1727، وصدرت ترجمة تلك الرحلة مباشرة إلى

الفرنسية سنة 1731، وصدر بإنجلترا أيضا كتاب توماس بلو (Thomas PELLOW) وكان صاحبه قد مكث بالمغرب سنين عديدة في خدمة المولى إسماعيل.

ويجد المؤرخ في مثل هاته الكتب ما يقوم مقام «المصادر الغميسة» إلى حد ما، بل ويستطيع في بعض الحالات وبفضل أبحاث أجريت مؤخرا، أن يعتاض عنها بما لا مزيد عليه مما يضمن العوض بمنتهى الوفاء، ولعل لويس شينيه الذي كان قنصل فرنسا بالمغرب فيما بين سنة 1767 وسنة 1782، أحسن دليل على ذلك بما ألف بعد تقاعده عن الخدمة القنصلية ونشر سنة 1788 من الكتابات في تاريخ المغرب، وبما أصبحنا نتوفر عليه اليوم من مراسلاته القنصلية في طبعة أنيقة اعتنى بإصدارها السيد بيير كريون (P. GRILLON) وتتضمن جملة وافرة من الوثائق التي لا سبيل إلى غض الطرف عنها لاستقصاء أحوال المغرب في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله.

شخصية لويس شينيه وسيرته

يحتل لويس شينيه مرتبة متميزة بين عامة المؤلفين الفرنسيين الذين كتبوا عن المغرب العلوي، ولا يعزى ذلك لما كان لأحد أولاده، أندري شينيه (André CHÉNIER) من بعد الصيت في مجال الإبداع الشعري، حيث يعتبر نسيج وحده في تلك الحقبة من تاريخ الأدب الفرنسي، يوم كان الناس مولعين بالكتابات الفلسفية والاجتماعية أكثر من ولوعهم بالابداع الشعري، إلى أن قام الشاعر الشاب أندري شينيه واستأثر بالانتباه وتنسم

الجمهور من خلال أبياته نسيم الطلائع الرومانسية، فذاع صيته وازداد شهرة بعد إعدامه بأمر من مجلس الكونفانسيون الثوري سنة 1794 وهو مازال في مستهل العمر والابتكار، لكن لويس شينيه كان جديرا بأن يحظى بعناية المؤرخين بغض النظر عن شهرة ولده الشاعر المفلق، وذلك لما اكتسب في عصره من الخبرة بشؤون الديار الإسلامية شرقيها وغربيها، وبما نشر عنها، وهو مازال على قيد الحياة، من المؤلفات السميكة، بأسلوب واضح جيد، لم يزد مع مر السنين وتفاقم الاهتمامات الأوربية بالضفة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط، إلا قيمة وبعد صيت.

ولقد ولد لويس شينيه يوم ثالث يونيو من سنة 1722 بقرية مونفور (MONTFORT) بإقليم اللآنكدوك (LANGUEDOC) الفرنسي المطل على البحر الأبيض المتوسط، وكان والده رب معمل لصهر الحديث، إلا أنه لم يصادف حظا من مجهوداته، وعاجلته المنية وابنه لويس مازال في طور الطفولة، فقام خال الولد اليتيم بكفالته، وكان ذلك الخال تاجرا في الجوخ بمدينة مونبليه (MONTPELLIER) عاصمة الإقليم، فسهر على أن يحصل الطفل لويس على التعليم الأساسي ببعض مدارس رجال الاكليروس المكلفين بذلك بمدينة ليمو (LIMOUX)، ولما تخرج منها وقد أصبح شابا يقظا، دخل مهنة التجارة في الجوخ، والتحق ببعض كبريات الدور المتخصصة بتلك التجارة مع بلدان الشرق الأوسط، وسرعان ما بعثت به تلك الدار مساعدا لدى وكالتها بأصطنبول وهو يناهز العشرين من العمر، ولم يلبث بالعاصمة العثمانية أن تجلت نباهته وأمانته وتفانيه في العمل، فأسندت إليه إدارة الوكالة المذكورة، وعم الاطمئنان إليه من قبل بني جنسه،، فانتخب نائبا عن «الأمة الفرانساوية» سنة 1748، ليكون المتحدث

بلسان باقي التجار الفرنسيين المقيمين بالديار العثمانية لدى سفير فرنسا باصطنبول، وكان السفير آنذاك هو الكونت ديزالور (Comte Des Alleurs) الذي أدرك بدوره خصال لويس شينيه الحميدة واستحسنها ونوه بها لدى المسؤولين عن التجارة الفرنسية بالبحر الأبيض المتوسط آنذاك، وهم أعضاء الغرفة التجارية بمرسيليا، مما أنال لويس شينيه بعد حين، منصب الرئاسة التجارية لمحطات المشرق، فصار يتشوف إلى ما بعد، ذلك من احتمال ولوج السلك القنصلي الرسمي، لكن مخدومه وصديقه السفير ديزالور وافاه الأجل المحتوم سنة 1755، ولم يحظ لويس شينيه لدى خلفه الكونت دي فيرجين (De Vergennes) بل على العكس يبدو أنه حصل له منه شديد النفور لأسباب لا تتضح بجلاء أمام أنظار المؤرخ، وإن كان لها ما كان من التأثير المحتمل فيما بعد على مستقبل لويس شينيه في السلك القنصلي، لأن فرجين أصبح فيما بعد وزير الشؤون الخارجية.

وقد تزوج شينيه باصطنبول سنة 1754، من إيلزابيت لوماكا (Elisabeth LOMACA) الرومية الأصل، وأنجب منها هنالك ثمانية أولاد، عاش خمسة منهم، وذاع صيت إثنان في مجال الابداع الأدبي والتأليف وهما الشاعر أندريه (MNDRÉ) السابق الذكر الذي ازداد سنة 1762 ومات معدما سنة 1794، والكاتب ماري جوزيف (MARIE – JOSEPH) الذي ازداد سنة 1764 وما سنة 1811، ولما كثرت العيال على لويس شينيه وانسدت آفاق الترقية بأصطنبول، قرر أن يعود إلى فرنسا بأسرته، وكان ذلك سنة 1765، حيث استقرت الأسرة برهة من الزمان بمرسيليا، وانتقل شينيه إلى باريس يقضي بالعاصمة الفرنسية مدة سنتين تغيب عنا أخباره أثناءها، إلا أنه سعى ولا شك سعيا حثيثا ليحصل على بعض المناصب

القنصلية ببعض المرافئ التجارية المتوسطية التي كان يرى أنه على جانب كبير من الإلمام بشؤونها.وكان من حسن حظه سنة 1767) أن ارتأت الحكومة الفرنسية تجديد العلاقات القنصلية المنتظمة مع المملكة المغربية بعد قطيعة دامت منذ العقد الأخير من عهد السلطان المولى إسماعيل بسبب تلاعب بعض الوسطاء ولم يصبر عليها الجانبان[2]. ولا ندري لماذا وقع الاختيار على لويس شينيه ولا كيف تم ذلك، وكل ما نعلم أنه أبحر من ميناء بريست (Brest) يوم 7 أبريل من سنة 1767 ضمن حاشية الكونت دي برونيون (Comte De Breugnon) السفير فوق العادة، الذي رسى مركبه يوم 26 من نفس الشهر بميناء أسفي ثم انتقل في موكب رسمي إلى مراكش، واستقبل من لدن سيدي محمدبن عبد الله، وأبرمت بين المملكتين في تلك المناسبة اتفاقية «السلم والصداقة» التي أعادت العلاقات بينهما إلى المجرى الدبلوماسي المنتظم، وقام لويس شينيه بدور نشيط في المباحثات ووكل به أمر إرساء الصلات القنصلية بين الدولتين بعد طول القطيعة.

لويس شينيه قنصلا

أقام لويس شينيه قنصلا بالمغرب زهاء خمس عشرة سنة فيما بين أواخر شهر أبريل من سنة 1767 ومنتصف شهر شتنبر من سنة 1782، وانقطع بسبب العطلة، امتد من يوم خامس يوليوز من سنة 1773 إلى يوم 22 أبريل من سنة 1775، بحيث تنقسم فترة قيامه بالمسؤولية القنصلية إلى

---

2) لقد تعرضنا لتفاصيل هذه النازلة في بحثنا عن العلاقات التجارية بين فرنسا والمغرب في القرن الثامن عشر.

شطرين، مارس أثناء الشطر الأول منهما مهامه برتبة القنصل العام لفرنسا بالمغرب، ومارس الشطر الثاني برتبة القائم بالأعمال، وذلك ليبقى مؤهلا لمقابلة السلطان، الذي كان في تلك الآونة قد صمم العزم على الكف عن استقبال قناصل الدول بنفسه، وأقام شينيه مدةبأسفي، ثم انتقل منها إلى الصويرة لمدة قصيرة قبل أن يستقر نهائيا بالرباط، وهي المدينة التي أقام بها معظم سنوات إقامته بالمغرب، إلى أن أجبر بالانصراف إلى طنجة لقضاء آخر سنة من مهامه القنصلية، بأمر قطعي للسلطان سيدي محمد بن عبد الله الذي كان قد اشمأز نهائيا من اعتماده ممثلا لفرنسا بالمغرب، وطالب حكومته بتعويضه بمن يكون أقل تصلبا منه وأكثر دراية بشؤون المعاملات بين الملوك.

ولقد جاء قرار تجديد العلاقات بين الدولتين في إطار تاريخي عام، هين ولا شك عليها، ولا مناص من ذكر خطوطه العريضة قبل أن نستقصي النوازل الجزئية والحوافز الذاتية، فإن ذلك القرار يقع بين تاريخ نهاية «حرب السبع سنوات» التي دارت أساساً بين فرنسا وانجلترا فيما بين 1756 و 1763، وكانت صراعا عنيفا بين القطبين الأوربيين بشأن المستعمرات، وخرجت إنجلترا منها منتصرة سيدة البحار، بينما فقدت فرنسا كل نفوذ بالهند وبكاندا وأضحت عاجزة عن مضاهاة الأساطيل البريطانية وباتت لذلك في أمس الحاجة إلى محو انتكاس رايتها وإلى تقوية علاقاتها التجارية والملاحية بمناطق أخرى تعوض بها عما ضاع منها بآسيا وأمريكا الشمالية، وقام الأسطول الفرنسي في هذا الصدد سنة 1765، بقصف سلا، ولما لم يُجْدِ فتيلا من ذلك، قصد ميناء العرائش فضرب المدينة ضربا عنيفا وألجأ السكان إلى الفرار، مما أطمع بعض الفرق من بحارته بالتغلغل بداخل

التراب المغربي طلوعا مع مجرى نهر لوكس، لكن المحاولة باءت، كما هو معلوم، بالفشل الذريع، بما كان من اعتراض المقاومين المغاربة لسبيل الفرقة الفرنسية التي وقعت فريسة بنادق الرماة من الضفتين، واستحالت إغاثتها على بقية الأسطول المهاجم الذي رد الله كيده في نحره من حيث لم يعلم، واكتسب المغرب بذلك أوراقاً سياسية من خلال ما وقع بأيدي المقاتلين المغاربة من الأسرى الفرنسيين، مكنته سنة 1767 من أن يتفاوض مع الحكومة الفرسية على قدم تام من المساواة، وتقرر طي صفحة القطيعة والعدوان وفتح عهد جديد من الاتصال المنتظم والمبادلات التجارية، واستفاد شينيه من ذلك الجو ومن تلك الإرادة المتبادلة ليعمل على تصفية القضايا المعلقة، مثل قضية افتداء الأسرى وقضية تأمين الطرق البحرية على المراكب الفرنسية لدى مرورها بعرض الشواطئ المغربية، بإقامة علاقات الود والصداقة بينه وبين رؤساء الأساطيل الجهادية المغربية، كما اعتنى شينيه بتنشيط حركة التجارة الفرنسية بمجموع المغرب، وإدخال بعض الترتيبات عليها لجعل حد لما كان يعتريها من أحوال الضعف والارتجال في الفترة السابقة، ولقد توفق شينيه إلى حد كبير في أداء تلك المهام، في الفترة الأولى من قنصليته على الأقل، وقد ساعده ولا شك على ذلك ما حصل بينه وبين المولى إدريس بن المنتصر، صهر السلطان وأحد مساعديه الأقربين، من حسن التفاهم، كما أن توظيفه لمير سنبل اليهودي ترجمانا بالقنصلية مهد له كثيرا من السبل، لأن بعض إخوان سنبل هذا وكان اسمه السموول كان يشتغل بالترجمة لدى السلطان[3] لكن معاونة كلا

3) أسرة يهودية مغربية من آسفي كان بعض أفرادها يحسنون الفرنسية لأسباب لا تتضح مما بيدنا من المصادر.

هاتين الشخصيتين لشينيه باتت من الأمور المستحيلة خلال الشطر الثاني من القنصلية وذلك لأن المولى إدريس توفي سنة 1772 مبطونا، وأسندت مهام الترجمة ابتداء من سنة 1775 لفرنسي قح هو بيير جيلي (P. Gilly) إما لأن أسرة سنبل لم يعد لها نفوذ بالدوائر المخزنية، وإما لفقدان كل ثقة بوساطتها من لدن شينيه ومساعديه بالقنصلية[4].

والحالة هذه أن الظروف التاريخية العامة كانت قد أخذت تتغير منذ أواسط السبعينات، وكانت مثابرة الحكومة الفرنسية منذ انهزامات حرب السبع سنوات لتجديد صرح أسطولها قد أتت أكلها، مما مكنها من أن تقف إلى جانب المستعمرات الانجليزية بأمريكا الشمالية، التي تحول ما كان قائما بينها وبين انجلترا من الأخذ والرد بشأن الرسوم الجمركية إلى ثورة عارمة ابتداء من سنة 1776، وبديهي أن ملك فرنسا لويس السادس عشر لم يتدخل في النزاع بهدف موازرة طائفة الثوار الأمريكيين بقدر ما رمى هو ووزراؤه إلى انتهاز الفرصة في الخصم الانجليزي للانتقام منه ولإضعاف هيمنته على البحار واسترداد شيء من الاعتبار للبحرية الفرنسية، ولما توالت الهزائم على الجيوش الانجليزية في البر والبحر، عادت فرنسا تنظر إلى علاقاتها مع المغرب بمنظار آخر، وجرى القيل والقال بين الجانبين منذ سنة 1777، بواسطة شينيه عن الجانب الفرنسي، وبواسطة السفير الطاهر فنيش، عن الجانب المغربي، وقام النزاع حول قضيتين اثنتين متفاوتتين في الخطورة، أولاهما سياسية شرعية دارت حول قضية افتداء أسرى المسلمين

4) انظر المراسلة القنصلية للويس شينيه، تحقيق كريون، هنا وهناك من مادة جيلي (Gilly)

الذين كانوا محبوسين بزنازن جزيرة مالطا والتمس سيدي محمد من الحكومة الفرنسية أن تتدخل لدى حكام تلك الجزيرة ليقبلوا فدية أولائك الأسرى، وكان السلطان قد بادر إلى إطلاق سراح جميع من كان بحوزته من أسرى النصارى بدون استثناء، لكن الحكومة الفرنسية تملصت من دعوة سيدي محمد واكتفت بالرد بأنها لا تحتجز أي أسير مغربي بالتراب الفرنسي، وكانت القضية الثانية شكلية تشريفية تبلورت حول نوعية الألقاب التي ينبغي استعمالها في خطب المراسلات بين الملكين، حيث ود سيدي محمد أن يخاطب الملك الفرنسي بمجرد الألقاب البشرية تواضعاً لذى الجلال والسلطان الحقيقي الواحد القهار، وأبى الجانب الفرنسي أن لا تستعمل إلا ألقاب الفخر الكبرى مثل الملك والسلطان والامبراطور.[5]

وأدرك سيدي محمد، وهو ما يقف عليه المؤرخ اليوم من خلال مراسلات شينيه، أن هذا القنصل كان لا يزيد الطين إلا بلة، فاشتد حنقه عليه، بل وتحول ذلك إلى نفور مطلق سنة 1781 بعد محاولة السلطان لرتق الخرق بغير وساطة شينيه، وإيفاده للرئيس الحاج علي بريس سفيراً عنه لدى البلاط الفرنسي، لكن الملك لويس السادس عشر لم يستقبله بفرساي (Versailles) وعاد المبعوث المغربي بدون طائل، فحمل السلطان مسؤولية النازلة لشينيه وطالب الحكومة الفرنسية بتعويضه.

وعاد لويس بالفعل إلى وطنه، بعد أن قضى آخر سنةمن وظيفه بطنجة بعيداً عن أنظار سيدي محمد، واستقر بباريس مع أسرته، ونعلم أنه

---

5) **أورد بيير دي سينفال (Pierre De Cenival) تفاصيل هذه المناقشة في مقال له نشر سنة 1928 في «ميموريال هانري باسي».**

سعى هنالك سعياً حثيثاً لتحسين أسباب عيشه وإثبات منزلته الاجتماعية ولكن بدون جدوى، مما جعله ينكب على التدوين والتأليف، حيث وضع مؤلفين ضخمين، أولهما بعنوان «أبحاث في تاريخ الموريين» صدر سنة 1787، والثاني في «تاريخ الدولة العثمانية وأسباب انحطاطها» صدر في السنة الموالية.

لويس شينيه مؤرخا

إنه لمن حسن حظ المؤرخ أن لويس شينيه شغوفاً بالمطالعة، ميالاً إلى البحث والتنقيب، لقد كتب إلى خاله سنة 1746، يوم كان ما زال وكيلاً مبتدئاً ببعض دور التجارة الفرنسية باصطنبول، قائلا : «إن الأمور تجري ها هنا بحيث أجدني بعد ملء كل الأوقات، لا أزال متفرغاً في بعضها، فاجعل جزءا منها للمطالعة وإني لمنهمك فيها حالاً على الإطلاق، مما يدعوني إلى التفكير ويحملني على شيء من الكتابة، هذا مع العلم أن مرتبتي لا تتفق وما أتوق إليه باستمرار من التحلي بشيء من فنون الآداب، وذلك لأنني لا أجد من الكتب إلا ما يعار لي منها، وقليلاً ما يذهب السخاء بالناس إلى حد إعارتها»(5) مكرر.

اتفقت الطبيعة إذاً في شخص لويس شينيه والوظيفة التي مارسها لتجعل منه شخصاً لا يعنى بما يرى وحسب، بل ويأبى إلا أن يثبت ذلك كتابة، لإمعان النظر فيه أول الأمر وللاخبار به بعد حين، فلقد تمرن وهو وكيل تجاري على التوثيق والتسجيل مع الدقة والوضوح، وكان كقنصل عام لفرنسا وقائم بالأعمال عنها ملزماً بوضع التقارير والأخبار بالنوازل ومد

5 مكرر) رسالة منقولة من كتاب بول ديموف عن حياة الشاعر أندره شينيه.

الوزراء الفرنسيين بوسائل اتخاذ القرارات المناسبة في إبانها. ولما كتب لشينيه أن تطول إقامته بالمغرب وهو في سن الملكة والإدراك، فإن مجموع ما كتبه عن أحوال بلادنا في ذلك العصر يشكل لا محالة، رصيدا وثائقيا لا سبيل إلى غض الطرف عنه، على ما فيه مما يستوجب التحفظ والحذر من الأحكام الجزافية الذاتية.

وأول ما صدر مطبوعاً من أعماله، وهو ما زال على قيد الحياة، سنة 1787، كتابه الذي يحمل العنوان التالي : «أبحاث تاريخية عن الموريين وعن تاريخ امبراطورية مراكش». وهو كتاب ضخم في ثلاثة مجلدات، ضمنه لويس شينيه كل ما بلغ علمه عن تاريخ المغرب منذ الأصول إلى تاريخ تأليف الكتاب، وذلك في أربعة أبواب، خص الباب الأول بذكر «أحوال موريطانيا خلال العصور الأولى من التاريخ» والباب الثاني «بالفتوحات العربية بإفريقيا»، والثالث «بغزو العرب لإسبانيا» والرابع والأخير «بالتاريخ الخاص بامبراطورية المغرب «وهو الباب الذي يعنينا ها هنا، لا لأن شينيه ضمنه معلوماته عن العصر العلوي الأول منذ قيام الدولة إلى تاريخ تحرير الكتاب وحسب، ولكن أيضاً لأنه رسم فيه صورة واضحة عن بعض مقومات المجتمع المغربي على شكل ما كانت تعمل في ذلك العصر، أو على الأقل بحسب ما أدرك منها بالعيان، ولقد قسم هذا الباب إلى ستة فصول، ذكر في الفصل الأول منها مدى امتداد الامبراطورية وأقاليمها ومدنها ومرافئها وموانئها والمناخ والمنتجات وتطور تجارتها والسكان، وذكر في الفصل الثاني شؤون العقيدة والتراتيب الحكومية والقوانين والعلوم واللغة والطبائع والأعراف، وجعل الفصل الثالث للحديث عن القوات العسكرية والبحرية التي كان المغرب يتوفر عليها آنذاك وعن مداخيل السلطان

ومختلف الجبايات، ثم انتقل المؤلف يستعرض سلسلة الأسر المالكة التي تعاقب أمراؤها على عرش البلاد منذ القرن الثامن ميلادي إلى قيام الشرفاء العلويين، وخص الفصل الخامس بذكر نهوض العلويين منذ أواسط القرن السابع عشر إلى سلطان العصر سيدي محمد بن عبد الله، وفي الفصل السادس والأخير أشار شينيه إلى ما كان يربط بين المغرب وبين مختلف الدول الأوربية من العلاقات السياسية والتجارية.

فهذا هو الكتاب الذي غدا من حين صدوره مرجعاً أساسياً لكل راغب بأوربا في الاطلاع على ماضي المغرب وبنياته الاجتماعية، شأنه في ذلك شأن كتاب الحسن بن محمد الوزان وكتاب مارمول ورحلتي الضابطين الانجليزين ويندوس وبريثويت في القرن الثامن عشر، ولم تزد العناية به إلا تفاقما بعد احتلال فرنسا للجزائر وبداية تشوفها إلى ما وراء ذلك من أقطار الشمال الإفريقي. ولما فرضت الحماية الفرنسية على المغرب وترتب عليها ما ترتب من اهتمام المسؤولين عنها بسوابق الوجود الفرنسي ببلادنا، فإن العناية بلويس شينيه انتعشت وتحركت الأقلام للبحث فيما كتب أو في ظروف إقامته قنصلاً بالمغرب، فكتب بيير دي سينفال (P. De Cenïval) مقالين، تعرض في أولهما إلى دار سكنى شينيه التي كان الجميع يعتقد أنها كانت توجد بالرباط بمخرج شارع القناصل الحالي المودي إلى القصبة، وأثبت دي سينفال هذه الحقيقة بمجرد إطلالة سريعة على بعض رسائل القنصل الأصلية[6]، وتعرض نفس الباحث الى قضية النزاع حول ألقاب التخاطب بين الملكين ليبرئ شينيه من كل مسؤولية في الواقعة وليرمي

---

6) بيير دي سينفال : «دار لويس شينيه قنصل فرنسا بسلا» هيسبريس 1928.

بالتهمة كلها على الجانب المغربي، وما كان عسى بوق من أبواق الحماية أن يزعم سنة 1928 ؟[7]

وأقدم شارل بينز (Charles Penz) سنة 1943 على نشر محاضر القنصلية الفرنسية بالرباط في عهد لويس شينيه، وكانت تلك المبادرة هي الأولى من نوعها لكشف الستار عن السجلات الوظائفية لهذا القنصل، لكن سرعان ما تعقبتها أعمال بيير كريون (P. Grillon) الذي كتب أطروحة لنيل الدكتورة سنة 1951 في موضوع القرصنة المغربية في القرن الثامن عشر [8] مما ألزمه بالغوص في المراسلة القنصلية للويس شينيه، سواء ما كان موجهاً منها إلى الوزير أو كان موجهاً إلى الغرفة التجارية بمرسيليا.

كما تعرض جاك كايي (J. Caillé) إلى قنصلية شينيه من خلال اهتمامه بالبعثات الديبلوماسية الفرنسية في المغرب قبل الحماية أوفي الفصول المناسبة من كتابه الضخم عن تاريخ الرباط قبل الحماية[9]، وكان صاحب هذه السطور قد أعد سنة 1962 بحثاً بجامعة السوربون، في موضوع العلاقات التجارية بين المغرب وفرنسا أثناء القرن الثامن عشر، مما جعلني أقف

---

7) بيير دي سينفال : «رسالة من لويس السادس عشر إلى سيدي محمد بن عبد الله» ضمن ميموريال هانري باسي، 1928.

8) بيير كريون : «سيدي محمد بن عبد الله ونهاية القرصنة المغربية» 1951.

9) لجاك كايي (Jacques Caillé) عدة أبحاث تتصل بهذه الحقبة، مثل تاريخ الرباط والبعثة الديبلوماسية الفرنسية بالمغرب قبل الحماية والمعاهدات الدولية للسلطان سيدي محمد بن عبد الله. إضافة إلى مقالين، أحدهما عن نهاية مهمة لويس شينيه بالمغرب صدر بمجلة التاريخ الديبلوماسي لسنة 1956، والثاني عن مصارف فرنسا بالمغرب إبان قنصلية لويس شينيه، صدر بمجلة هيسبريس سنة 1956.

بنفسي على جميع ما يوجد مودعاً من مراسلات القنصل شينيه بدار الوثائق الوطنية الفرنسية بباريس[10] وهاته المجموعة الهائلة من الرسائل والتقارير المتابعة هي التي أصبح المؤرخ يتوفر عليها منذ سنة 1970، في طبعة أنيقة مدققة اعتنى بوضعها بيير كريون، تحت عنوان «مراسلة القنصل لويس شينيه (1767 ـ 172)»[11] وكان نفس الباحث قد تعرض في مقال نشر بمجلة هيسبريس سنة 1963، إلى علاقات شينيه بالغرفة التجارية بمرسيليا مع ذكر مقاطع مطولة مما دار بين الجانبين من المراسلات، بحيث لم يعد يخفى اليوم على المؤرخ مما كتب لويس شينيه إلا النزر القليل.

وإذا أضفنا إلى كل هذه المطبوعات، أطروحة بول ديموف (Paul Dimoff) التي صدرت سنة 1937، في ذكر حياة الشاعر أندره شينيه وأعماله الشعرية، وقد خص الباحث أولى صفحات الأطروحة لتقصي أصول أسرة شينية، من جهة الذكور ومن جهة النساء، وألحق بها في الصفحات الأخيرة من الكتاب شهادات الازدياد والوفاة للعديد ممن ذكر من أفراد تلك الأسرة، فإنه يتبين والحالة هذه أن وسائل التعرف على لويس شينيه وعلى كتاباته توجد في متناول المؤرخ وافرة مقربة.

مكان كتابات لويس شينيه من تاريخ العصر العلوي الأول الشهادة على النفس وعلى السياسة الفرنسية بالمغرب

تشكل كتابات شينيه عن المغرب نموذجاً مكتملاً من الأسلوب الجديد الذي صارت الأقلام الأوربية تكتب به عن العالم الإسلامي المجاور لها، منذ

10) ما زال لم يكتب النشر لهذا البحث.

11) صدر هذا الكتاب في مجلدين سنة 1970 عن دار SEVPEN

أن ثبت لديها عند مطلع القرن الثامن عشر، تدهور أحوال تلك الديار بالقياس مع ما أصبحت عليه بعض الأقطار الأوربية من التقدم، أن كتابات شينيه تصور بلفظ جزل واضح استغراب قنصل فرنسي متوسط الثقافة، عاش ردحا من الدهر بالمشرق وبالمغرب، مما آلت إليه الأمور من الركود بأقطار كانت بالأمس القريب هي التي تبتكر وهي التي تعلم، وما كان ذلك الاستغراب إلا صيغة من صيغ الابتهاج بما غدا بيد الأوربيين من أسباب التفوق ووسائل الإشعاع العلمي والتجاري الممهد لموعد الهجمة الاستعمارية، فلا يفوتنا أن تعيين شينيه بالمغرب جاء غداة قصف الأسطول الفرنسي لمدينتي سلا والعرائش، كما لا يفوتنا أن مؤلفيه عن تاريخ الدولتين، المغربية والعثمانية، كانا قد صدرا قبل الحملة الفرنسية ضدا على مصر بعشر سنوات لا زائد ولا أكثر، وكان شينيه يشخص بمنتهى الوفاء مصالح وطنه السياسية والتجارية، إذ كان تعيين القناصل الفرنسيين بديار الإسلام المتوسطية أمراً مقتسماً نوعاًما، بين كاتب الدولة الفرنسي في الشؤون البحرية وأعضاء الغرفة التجارية بمرسيليا الذين كان جزء من مرتب القناصل بيدهم، ومراسلات شينيه تثبت بجلاء تلك الازدواجية الإدارية، حيث كان القنصل لا يخاطب أعضاء الغرفة المذكورة إلا على ما كان يخاطب به الوزير من صيغة الاحترام والضراعة، وان وظيفة شينيه كانت سياسية من جهة ما كانت تلزمه به من الدفاع عن وجهة نظر الحكومة الفرنسية وإخبارها بكل ما كان يجري بالمغرب، وكانت تجارية من حيث مسؤولية القنصل عن إثبات أدوات النفوذ التجاري الفرنسي بالمغرب مع استمرار مراقبتها.

فبخصـوص المهـام السيـاسيـة، نقرأ في مـذكرةلسنـة 1775، مضمن التعليمات الوزارية للقنصل لدى عودته إلى مقر عمله بـالربـاط : «يجب أن تكون سيرة السيد شينيه في منتهى الاستقامـة وعليـه أن يجتنب الخوض في شؤون البلاد الداخلية، دون أن يتغـافل مع ذلـك، عن تقصي كل مـا يجري بها وأن يضع بذلك تقريراً وافياً»، وجاء في رسالة وزاريـة أخرى، بتـاريخ 5 غشت 1776، موجهة لشينيه ما يلي : ينبغي أن تهتموا في نهاية كل سنة بوضع تقرير موجز مدقق تذكرون ضمنه بجميع القضايا التي تكون معالجتها قد تمت أثناء تلك السنة، أو التي تكون تصفيتها قـد تمت، أو التي تكون مـا زالت معلقـة بتـاريخ التقرير، مـع ذكر الآراء التي رافقت منـاقشتهـا، ومـا يكون قـد اعترض حلهـا من الصعـوبـات (...) وتضيفـون إلى ذلـك ضبطـا بشؤون التجارة والملاحة سواء من جهة فرنسا أو من جهـة الأجـانب، وكـذا رأيكم من أجل إنهائها وملخصاً عما يكون قد جرى من الأمور المفيدة إما في السياسة وإما في الملاحـة، وتلحقون بـذلـك أيضـاً نظرة عن أوضـاع الـدور الفرنسيـة التي تكـون قـد استقرت هنـاك، مـع ذكر رعـايـا الملـك القـائمين بالمغرب ومن يوجد تحت حماية فرنسا.

«وفي طليعة المذكرة التي سوف تبعثون بها إليّ في السنة المقبلة، ينبغي أن تضعوا وصفـاً لقطر مقـاطعتكم ولمواقع الموانئ والمراسي، وأن تبينوا هـل هي قابلة لإيواء المراكب الحربية أو أنهـا لا تتسع إلا للمراكب الحربيـة، ولا يفـوتنكم أن تلحقـوا بـذلـك وصفـاً لأشكال الأحكام المـدنيـة والعسكريـة والتجارية المعتمدة هناك، ولكم أن تكتفوا في السنوات المواليـة بـالإشـارة إلى

ما يكون قد أدخل عليها من التغيير، مع ذكر تاريخ وقوعها وما أحاط بها من الملابسات»[12].

ومن حسن حظ المؤرخ أنه أصبح يتوفر حالاً على مجموع مذكرات شينيه التي بعث بها إلى وزيره، منذ بداية سنة 1777 مخبراً إياه بأحوال المغرب وبعلاقاته الخارجية من سنة 1776، إلى بداية سنة 1782 مخبراً إياه عن سنة 1781، وهي ست مذكرات ضافية، لا تلخص مواضيع المراسلات العادية والنوازل الظرفية، بل إنها تشكل المادة الملموسة التي نسج شينيه كتابه في تاريخ المغرب على منوالها يوم انكب على تأليفه بعد اعتزال الوظيف.

التجارة الفرنسية بالمغرب

يبدو من خلال أقوال شينيه وأحكامه الموضوعية والذاتية، أن التجارة الفرنسية بالمغرب أثناء النصف الثاني من القرن الثامن عشر، كانت تمر من مرحلة انتقالية، شأنها في ذلك شأن من كان يحتاج إلى إعادة النظر في الحسابات والتطلعات، بعد سلسلة من الهزائم الاستعمارية والملاحية على يد الخصم الانجليزي، وبعد طول الانقطاع عن الأسواق المغربية، إذ لا تخلو تعليلات شينيه لا من التردد ولا من التناقض، فتذهب تارة إلى الجزم بأن لا فائدة للتجارة الفرنسية من السوق المغربية لضعف الإنتاج المغربي وقلة

---

12) وردت هذه الرسالة في كتاب شارل بينز عن سجلات القنصلية العامة لفرنسا بالمغرب بالرباط، ويمكن الرجوع إلى تفاصيل التعليمات الوزارية الفرنسية ضمن المراسلة العامة، الجزء الأول صفحة 326 ـ 332، تحقيق كريون.

الرواج بالبلاد بسبب زهد السكان وتقشف عيشتهم فيدعي أن لا فائـدة من تجديد الروابط القنصليـة مع سلطـان المغرب سوى من ضرورة اتقـاء أعمـال «القرصنة»[13] التي كانت تهدد الملاحـة الفرنسيـة مع إفريقيـا وأمريكا وآسيـا وكانت تثقل تكاليف النقل بما كانت ترفع من أسعار التأمين[14]، لكننـا نراه تارة أخرى، إما بالتفصيل في المراسلات، وإمـا بـالإجمـال في الفصل الخـاص بالعلاقات المغربية الفرنسية من كتـاب التـاريخ، لا يلح على فوائـد السوق المغربيـة وحسب، بـل ويـزعم أن فرنسـا هي البلـد الأوربي الـوحيـد الـذي يستـوعب منتجـات المغرب قـاطبـة ويستطيـع أن يلبي حـاجيـاتـه من المصنوعات دون باقي بلدان أوربا الأخرى وبخاصة هولانـدا وانجلترا، اللتـان كانتـا تنـافسـان التجـارة الفرنسيـة أشـد المنـافسـة، حتى أن مـا كانت تنقل البضائع المغربية إلى مرسيليا لتبيعها هناك، علماً منها بقلة الإقبال عليهـا في موانئ أوطانها، وما فتئ شينيه يندد بهذه الظاهرة ويطالب بجعل حد لهـا عن طريـق إخضـاعهـا لضريبـة العُشْرَين (أو عشرين في المـائـة) التي كانت تفرض على جميع ما يأتي من المرافئ الشرقية المتوسطيـة منقولاً على مراكب غير المراكب الفرنسية، لقد كتب شينيه في مؤلفـه قـائلاً : «لعل فرنسـا هي القـوة الـوحيـدة التي تستطيـع بـدافـع من تبـادل المصـالـح، أن تقيم مـع

13) القرصنة في هذا السياق لا تعني إلا الجهاد البحري.

14) ورد في التقرير العـام لسنـة 1776 و (صفحـة 487 إلى 521 من الجـزء الأول من المراسلة تحقيق كريون ما يلي : «من الواضح البين أن حالـة السلم بين فرنسـا وملـك المغرب تفيـد هـذا العـاهل... لكن الفوائـد التي تجنيهـا فرنسـا من هـذا الوضع أفيـد بكثير... وذلك لأن أسعار التأمين على المراكب قد انخفضت، كما خفت كلفـة تجهيزهـا بالسلاح...»

الامبراطورية المغربية علاقات تجارية تفيد كلا البلدين، وذلك لأنها تتوفر على كل ما من شأنه أن يلبي حاجيات تلك الامبراطورية، التي تجد منتجاتها بمرسيليا سوقاً أكثر ضماناً لرواجها من جهات أخرى (...) وبوسع فرنسا أن تحتكر في ظرف وجيز تجارة السواحل المغربية، لو أنها اعتمدت على ما لها من المميزات وأدخلت هذه التجارة تحت طائلة القوانين التي تضمن لها بغير منافس تجارة الشرق الأوسط والقطر البربري مع أجمل العواقب».

ثم استرسل شينيه يذكر أهم ما كانت فرنسا تصدره إلى المغرب، وكان مجمله من قماش الكتان والحرير والجوخ إلى جانب الكاغظ وبعض المواد الاستوائية مثل السكر والبن، وإما في الواردات، فإنها كانت تستورد من المغرب بعض المواد الخام مثل الصوف والزيوت والجلد والشموع والعلك والعاج المنقول إلى الصويرة من السودان فقال : «وحيث أن مجموع ما نستورد إلى فرنسا يتجاوز بكثير ما نصدر [إلى المغرب]، فإننا نعادل كفَّتَي الميزان بالبسيطة الإسبانية أو بنقل بعض البضائع الأجنبية إلى تلك السواحل، وبالرغم مما يبدو من العجزالتجاري في المبادلات مع المغرب على حسابنا، فإنه لا ينبغي أن ننظر إلى هذه التجارة على أنها سلبية، لأن ما نجلب ليس لا من المصنوعات ولا من الكماليات، بل إنها مواد خام صالحة لتزويد معاملنا والنهوض بصناعة أمتنا بما يتيح أمامها من فرص مجددة للتصدير والتجارة والمبادلات»[15].

---

15) أبحاث في تاريخ الموريين «الجزء الثالث (1787) ص 529 ـ 532

ويمكن أيضاً أن نستدل على تناقضات شينيه في هذا الصدد، بما كان يكتب به عن المبادرات التجارية التي كانت تأتي من جهات غير الجهات الفرنسية أو يقوم بها تجار فرنسيون بغير إذنه ولا مراقبته، فالشاهد على امتعاضه من أعمال المنافسين يتبين من الكيفية التي أخبر بها عن مبادرات نبيل من جنوى الإيطالية، اسمه الماركيس دي فيالي (Marquis De Viale)، وكان عضواً في مجلس شيوخ تلك المدينة، واتصل سنة 1769 بتاجر يهودي مغربي اسمه ابن عمور، الذي أقنعه بأمر من السلطان سيدي محمد بفوائد التعامل مع المغرب، ومساعدته على وجه التخصيص على إقامة نواة لصناعة الأسلحة بمراكش، فيبدو من مراسلة القنصل الفرنسي كيف أنه تعمد الاستخفاف بالمبادرة أول الأمر بقوله في رسالة بتاريخ 15 فبراير سنة 1771، بعد ذكر تفاصيل المشروع الجنوي وحتى لا ينزعج الوزير، «وما كل هذه المحاولات إلا ضرباً من المغامرة في بلد كهذا !» لكنه عاد في رسالة بتاريخ 8 أبريل من نفس السنة ليعبر عن قلقه مع محاولة يائسة للتخفيف من فوائد المنافسين الجنويين حيث قال : «يبدو مؤكداً، يا مولاي أن النبيل الجنوي يسعى للاستحواذ على حق تصدير الشموع والزيوت والحبوب بمفرده، ولست أدري ما إذا كان سوف يحصل على هذا الامتياز، لكن مهما كان من ذلك فإن هذه المنافسة مسيئة لا محالة، إلى باقي التجار، مع العلم أن السيد الماركيس لن يجني منها أدنى فائدة تذكر». ثم في رسالة بتاريخ 15 مايو من سنة 1772 لم يخف شينيه ارتياحه لما كان يعترض سبيل الجنويين من الصعوبات فقال : «ومن شأن هذه الظروف أن تفيد التجار الفرنسيين، لأن منافسة الشركة الجنوية تسيء إلى أعمالهم...» لكنه عاد ليخبر بتاريخ 8 دجنبر من نفس السنة بأن الماركيس «بعث من جنوة

بمجموعة أخرى من العمال لخدمة الامبراطور، ولقد منح الأمير بهذه المناسبة للوكلاء الجنويين بعض الامتيازات لوسق الحبوب». وأضاف شينيه قائلاً بأن «وضعية التجار يا مولاي، في هذا البلد لا يمكن أن تكون إلا شديدة الارتباك، لأن استبعادهم الدائم لمصالحهم يجعلهم بالضرورة رهن إشارة الأمير الذي يعرف حاجياتهم ويعرف كيف يستفيد منها»[16].

وأما حرص شينيه على مراقبة التجار الفرنسيين المقيمين بالمغرب وتنديده بكل من كان يتصل من بينهم بالدوائر المغربية بدون علمه ولا وساطته، فإننا نستقرئها من علاقاته المتأزمة بتاجرين فرنسيين اسمهما دودبير (Daudibert) وديبري (Desprez)، وكانا شريكين واستقرا للتجارة بسلا سنة 1773، وكان دودبير تاجراً نشطاً خفيف الروح، مما جعله يحصل أثناء غياب شينيه في العطلة سنة 1774 على نيابة القنصلية بتكليف من نائب القنصل الرسمي بوطوني (Pothonier)فتوطدت صلاته بالمسؤولين المغاربة الذين وجدوا في شخصه ما لم يكن شينيه يتمتع به من اللباقة وحسن الاستعداد، ومُنح دارا جميلة بالرباط بأمر رسمي، ولما عاد القنصل إلى الرباط لم يطق صبراً على ما وجد عليه دار دودبير من الاتصال المباشر بالسلطات المغربية، ولم يفتأ من يومئذ يندد بالرجلين ويشتكي لوزيره من عدم مبالاتها بأوامره ونواهيه، مدعيا أنهما كانا يشوهان بالجنس الفرنسي، وحصل أن ارتحل دودبير عن الرباط سنة 1777 ليقيم بقادس في ظروف يرد ذكرها في مراسلة شينيه، إلا أن هذا الأخير انتهزها فرصة لينتقم من الشريك ديبري الذي لم يتورع عن إساءة الأدب معه على مرأى ومسمع من

16) رسائل سنة 1772 ضمن المراسلة العامة تحقيق كريون.

مجلس للتجار الفرنسيين انعقد بتاريخ 29 أبريل من سنة 1778، وكانت الغاية من تلك الجلسة قراءة أمر وزيري يمنع على التجار أن يتدخلوا لا من بعيد ولا من قريب فيما يجري بين القنصلية والأوساط المخزنية من المباحثات والمفاوضات، وذلك تفادياً لأعمال دودبير السابقة، ولما قام ديبري يفضح ما كان من وراء ذلك القرار من الدوافع الذاتية ولم يتحفظ ولا شك في أقواله، استطاع شينيه أن يحصل على قرار ثان يأذن له بتوقيف الشخص والسهر على إيفاده إلى مرسيليا في أول مركب فرنسي يبحر من الرباط في اتجاهها، وهو ما وقع بالفعل، إلا أن دودبير كان ما زال مُتصلاً بالأوساط المغربية، ونستشف من أقوال شينيه أنه ربما لعب دوراً فعالاً خلال سنوات القحط التي توالت على البلاد آنذاك، بما ورد من شحنات المواد الغذائية الاسبانية إلى المغرب وقت كانت العلاقة الرسمية بين البلدين ما زالت منقطعة، وفوجئ القنصل شينيه في شهر نونبر من سنة 1779 بعودة دودبير إلى الرباط، وبعد شهور معدودة من عودته، نطلع من خلال رسالة بتاريخ 31 غشت من السنة الموالية على قرار سيدي محمد بمنح مجموع المعاملات التجارية بالعدوتين إلى شركة مختلطة يعمل ضمنها أحد تجار السلطان اليهودي الحزان سالم والفرنسي دودبير، فثارت ثائرة شينيه وتدخل في الحين لدى السلطات مبيناً ما كان في ذلك من الخسارة على باقي التجار الفرنسيين، وكاتب الوزير بالنازلة والتمس منه بإلحاح أن يجرد دودبير من الجنسية الفرنسية، ثم حمل المعني بالأمر باعتناق الجنسية الإسبانية، ويبدو أنه لعب في تلك الأثناء بعض الأدوار في تجديد أواصر الصداقة وحسن الجوار بين الملك كارلوس الثالث والسلطان سيدي محمد[17].

---

(17) رسائل سنوات 1779 و 1780 و 1781

سياسة سيدي محمد بن عبد الله التجارية

كان من الطبيعي أن يتولد عن تناقضات شينيه الفوائد التي كانت فرنسا تجنيها من التجارة بالمغرب، تناقضات أشدا منها إثارة للانتباه في الحكم على سياسة السلطان سيدي محمد التجارية والجمركية، ولما كانت النوازل الطارئة تجعله كثيراً ما يتغافل عن مصالح وطنه في المدى البعيد، فإن انفعالاته السطحية حيال بعض القرارات السلطانية، كانت تجعله قليلاً ما يهتدي إلى صوابها، وهكذا يتحول حرص سيدي محمد المستمر على مراقبة التجارة المغربية مع الأوربيين وسهره على حصر تلك المعاملات في أيادي معدودة بل وفي موانئ معينة، في نظر شينيه وفي كتاباته، إلى مجرد ميول قوية في شخص السلطان إلى الحرص والطمع، ونسي شينيه أوتناسى وربما لم يدرك على الإطلاق بالرغم من إقامة مطولة بأراضي الإسلام، معاني تلك السياسة وأبعادها العميقة في الشريعة، التي كانت تلزم أمام العصر بضرورة معاملة الأوربيين لأجل اقتناء الأسلحة منهم، وقد أصبحوا أرباب أجودها صنعاً، دون أن تفتح أمامهم أبواب الدار والنوافذ، ولا بالأحرى أن تختلط الرعية بهم وأن تتأثر بعوائدهم.

على أن المؤرخ الموضوعي لا يلبث أن يقف في طي مراسلة شينيه وفي بعض مقاطع كتابه بالأحرى، المؤلف بعد العودة إلى فرنسا واالابتعاد عن حمية الوظيف والمواجهة اليومية. على ما يشهد للسلطان سيدي محمد بحصافة الرأي وببعد النظر، فيما يتصل بمصالح الأمة المغربية خاصة والأمة الإسلامية علىوجه التخصيص، فيتأكد مرة أخرى قول من قال أن الحقيقة فيما يشهد به الخصوم، بل ولم يتمالك القنصل الفرنسي في كثير من المناسبات

أن يخفي إعجابه بأمير كانت هيبته مسيطرة على نفوس رعيته، يعيش عيشة الزهد والتقشف ولا يتميز لا في المأكل ولا في الملبس عن باقي شعبه، وتلك سيرة كانت تختلف تماماً عن سيرة ملوك أوربا المستنيرة نفسها، الذين كانوا لا يبدون لأنظار رعيتهم إلا على شكل طواويس يلمع ريشها ويسطع. أما سيدي محمد فإنه «الأمير الحكيم»، على حد قول شينيه[18] الذي يعقد ثلاث مرات في الأسبوع جلسات عمومية لإجراء الأحكام والاستماع إلى قضايا الرعية بدون تمييز بينهم، فيتقي بفضل هذا العرف الذي لا يمكن إلا أن نعبر عن إعجابنا به، تلاعبات رجال السلطة وفسادهم، حيث يتأتى للملك أن يقف بنفسه على الحقائق التي قد يصلح بالحاشية أن تخفيها عنه، كما أنه يتعرف على ما يقع بولاياته ويقرب نوعاً ما جهاتها النائية من شخصه ويمسك بأزمة إدارتها بنفسه».[19] ويشهد شينيه لسيدي محمد «بأنه كان أكثر حلماً وأقل محاججة وأكثر تفتحاً من أسلافه... ولقد مرت ثلاثون سنة على جلوسه على العرش كانت كلها حسنة العاقبة على البلاد».[20] وأثبت القنصل عناية السلطان برعيته وشفقته عليها يوم تواكبت على البلاد السنوات العجاف فأمر بأن تفتح بيوت الأموال لتقتنى من الخارج أوساق الحبوب والقطاني، وأن توزع مدخرات المخازن الرسمية على المنكوبين والمحتاجين، ونقرأ في رسالة بتاريخ 9 مارس سنة 1780 ما يلي : «إن المواد الغذائية ما زالت نادرة مفرطة الغلاء، ولقد تاثر الامبراطور لسوء أحوال شعبه وأمر بتوزيع صدقات معتبرة بمجموع الامبراطورية رفقاً بالمعوزين الذين مات

18) كتاب التاريخ ج 3 ص 466
19) كتاب التاريخ ج 3 ص 473
20) كتاب التاريخ ج 3 ص 504 ـ 505

منهم الكثير من جراء الحرمان والجوع، ولقد ورد على طنجة والعرائش وسلا عدة مراكب من سواحل إسبانيا والبرتغال مشحونة بالفواكه المجففة والزيت والزبدة ولم يخل ذلك من حسن التاثير على أحوال التموين».

وهذه الشهادة من شينيه تدحض بنفس قلمه ما بالغ في التعرض إليه من حرص سيدي محمد على جمع الأموال، وأقواله في هذا الصدد لا تحمل إلا على سبيل تحمسه الطبيعي لمصالح بني جنسه واستخفافه بمصالح دولة المغرب وشعبه، فلم يهتد دائماً إلى ما كان في مبادرات السلطان من العمق وبعد النظر، مع أنه يمدنا دائماً بوسائل الاهتداء إليها وتصحيح ما كان يصدر من الأحكام المتسرعة عليها. وهكذا عندما يدعي هنا وهناك من كتاباته بأن سيدي محمد كان لا يتصل بملوك أوربا إلا رغبة منه في هداياهم، فإنه سرعان ما يعترف في مواطن أخرى بعناية السلطان بأمر افتداء الأسرى وبسخائه التام في ذلك الشأن، قال شينيه : «وأنه أمر بافتداء عدد من أسرى المسلمين من مالطا سنة 1782 وجلهم لم يكن من رعاياه، كما أمر بتبليغ أربعة ملايين من اللبرات إلى اصطنبول سنة 1784».

ونستقي أيضاً من أقوال شينيه مجهود سيدي محمد الحثيث لإقامة صناعة مغربية للسلاح، وكثيراً ما ساق ذلك على جانب كبير من التهكم أو الامتعاض، لكنه يمدنا في ذات الوقت بوسائل الحكم (التاريخي الرزين على محاولات ذلك السلطان الشهم الهمام، الذي ما كانت مبادرته النيرة إلا لتصطدم بمثبطات وحواجز داخل البلاد وخارجها، فمن الداخل يفيدنا شينيه بتفاصيل قضية بيع الحبوب من الأجانب ابتداء من سنة 1766 بعد استفتاء العلماء وتجويزهم لذلك لاقتناء أدوات الدفاع والجهاد، لكن عامة

الناس لم يستسيغوا تلك البادرة المنافية للاعراف وازداد نفورهم منها في سنوات القحط والجفاف،[21] أما العوائق الخارجية فإن شينيه لم يخف شيئاً منها، سواء منها ما كان يقام عمداً من قبل الجهات الرسمية، أو ما كان ينجم عن تلاعب بعض الأفراد المنعزلين بحسن نية السلطان، فمن النوع الأول إشارته هو بالذات على حكومته وعلى أعضاء الغرفة التجارية بمرسيليا ليبقى النقل البحري دائماً موكولاً بالمراكب الفرنسية، ومنه أيضاً سعي بعض الأساطل الأوربية في استفزاز المراكب المغربية لئلا تتجاوز أطوار العدوان الملي للارتقاء إلى أطوار الملاحة المنتظمة، ولئلا تكف عن الجهاد البحري إلا لتكف عن الوجود، وذلك ما انتهى إليه الأمر في نهاية العهد، عندما بعث سيدي محمد بما كان قد تبقى من كبريات سفنه إلى سلطان الدولة العثمانية عله يستعين بها في حرب الروس.[22]

وغني عن البيان أن مثل هذه المعلومات لا ينفرد بها شينيه دون المؤرخين المغاربة الذين نقلوا هم كذلك بعضها وشاهدوا منها ما شاهدوا بالعيان من أمثال الزياني والضعيف الرباطي، إلا أن شهادة شينيه، وشهادة أمثاله من الأوربيين الذين كتبوا عن أحوال بلادنا ابتداء من ذلك العصر الذي أصبحت بضاعاتهم فيه تنتشر في أسواقنا، تمدنا يقيناً من بعض أدوات الإدراك التاريخي التي لم يكن أبناء البلاد على شدة نباهتهم ليتفطنوا إلى أبعادها، فلا مناص من الاعتماد عليها ولا داعي إلى غض الطرف عنها، بما تبين مع مر الأيام من غثها وسمينها.

---

21) المراسلة فيما بين 1776 و 1782 تحقيق كريون.

22) كتاب التاريخ، الفصل الخاص بقوات المغرب العسكرية براً وبحراً.

مميزات شهادة شينيه

تتميز كتابات شينيه إذاً بما تتميز به جميع المراسلات القنصلية التي أصدر الكونت هانري دي كاستر ما وضع منها في القرنين السادس والسابع عشر واعتمد الأستاذ مييج جزءاً وافراً منها في أطروحته عن المغرب وأوربا في القرن التاسع عشر، إنها مميزات الحرص المسترسل على تقصي أخبار المغرب ونقلها بمنتهى الدقة في الوصف والتعبير إلى المسؤولين الأوربيين، ولذلك يجد المؤرخ فيها من الوثائق ما لا يجد مثله إلا في القليل النادر لدى المؤرخين المغاربة، وثائق تحفظ للتاريخ ما يطبعه وجوباً من الأسلوب القصصي الحي الملموس الذي يكون أقرب إلى فن الرسم منه إلى فنون الارتسام، فتتمثل بذلك المشاهد والأشخاص وتجري الأحداث أمامنا وكأنها قريبة منا لم يمض عليها الزمان.

فما شاهده شينيه عن كثب ووصفه بعناية وتدقيق، موانئ المغرب الأطلسي في ذلك العصر وسهوله من طنجة إلى الصويرة، والعواصم الداخلية مراكش ومكناس وفاس، فيدرك المؤرخ من تلك الأوصاف ما قام به سيدي محمد من المجهودات للنهوض بالموانئ المغربية، يوم أضحت البلاد في عرض مياهها البحرية، ونقف بفضل شهادة شينيه على عناية السلطان ببعض تلك المدن، مثل الصويرة التي فازت بالحظوة الكبرى لديه، والبريجة أو مزغان الجديدة التي انتزعها من البرتغال، والدار البيضاء وفضالة، اللتان يعود فضل إبرازهما للنشاط التجاري إلى ذلك العهد، والرباط وطنجة التي تحولت بعد حين من مغادرة شينيه لها إلى مقر رسمي للبعثات الدبلوماسية الأوربية بالمغرب، وتدلنا أوصاف القنصل على ما نال العاصمة الإسماعيلية

من التــدهــور من جراء ثــورات العبيــد وغضب السلطـــان عليهم وأمره بتشريدهم وحل عصبيتهم، كما تدلنا على حظوة مراكش لـديـه وعلى مـا بنى بهاوشيد، وكذا على بنائه للنواة الأولى من القصور السلطانية بالربـاط، ومـا ترتب على ذلك من الأخذ والرد مع أهل المدينة، وزار شينيه مدينـة فـاس وتجول فيهـا في صيف سنـة 1775 بمنتهى الحريـة والاطمئنـان، في ضيـافـة خليفة السلطان بها وأكبر أنجاله الأمير المولى علي، وذهب الحال بشينيـه وهو يصفها في كتابه إلى الاستهزاء « بأولائـك الـذين لا يسـافرون إلا في إطـار مكتباتهم « فيوهمون بالعيان وهم لا يصفون فاس إلا بسرقة أقوال الوزان أو مارمول»[23] !

ولم يفت القنصل الفرنسي أن يثبت هشاشة البنيات الحضرية بالمغرب آنداك، لقد قال : «إن مدن هذه الامبراطورية ليست لا كبيرة ولا متعـددة ولا غـزيرة السكان». كما لم يتمالـك عن إبـداء شـديـد التحسر على ضعف استغـلال السهـول المغربيـة بلهجـة يستشف المؤرخ منهـا بعض التطلعـات الاستعمارية وإن كانت ما زالت غـامضـة، قـال : «يرى المرء بهـذه الأقطـار وهو يتأسف، أراضي زكية خصبة مهجورة، بينما يجد العديـد من النـاس في أوربـا أنفسهم ملـزمين بمكابـدة عـوائـق الطبيعـة لكسب العيش».[25] أمـا «امبراطورية المغرب، على حد قوله، فإنها قـادرة على الاكتفـاء بمـا تنتج، لا من حيث وفرة الإنتاج وتنوعـه ولا من حيث قلـة حـاجيـاتهـا المتحتمـة عن طقسهـا وعن تربيـة المغـاربـة».[26] ويـؤكـد ذلـك قـائـلا : «بـأن ثروة

---

23) نفس المرجع ص 65
24) نفس المرجع ص 17
25) نفس المرجع ص 70
26) نفس المرجع ص 84

امبراطوريـة المغرب الحقيقيـة تكمن في الإنتـاج الوافر لضرورات العيش مـع تجاهل الزائد والكمالي»[27] ويقول عن دوار من دواوير الباديـة مر بـه ذات يـوم : «إنـه المشهـد الخـالص لسكان الأرض خـلال العصـور الأولى من التاريخ».[28] ولا يرسل شينيه مثل هذه الأحكام لا استخفافاً بتلك الأنماط الاجتماعية ولا بـالأحرى من بـاب حب الرحلـة في الزمـان بمجرد التنقل في المكان، على شكل ما سوف يصبح موضـة في العصر الرومـانسي الموالي، وكان رائداً بالنسبة إلى المغرب وهو الرسام الكبير أوجين دي لاكروا (Eugene De Lacroix) الـذي زار بـلادنـا سنـة 1832 ضمن السفـارة الفرنسيـة التي كانت جاءت تفاوض المولى عبد الرحمان في شؤون الجزائر، أما شينيـه فـإنـه كثيراً مـا لا يخفي إعجـابـه بمظـاهر تواضـع المغـاربـة وقنـاعتهم واستغنـاء كبيرهم وصغيرهم عن الترف والكماليات والتفاخر بالغنى والألقاب، وتلك أمراض مـا كان القنصل شينيـه إلا ليعـاني منهـا وهو الموظف المتواضع المستقيم، النـاشئ على اليتم في ظروف قاسية ببعض أقاليم فرنسـا المتوسطيـة، التي كانت أنمـاط العيش بها لا تختلف كثيراً عما كانت عليه في عموم القطر المغربي، بل وربمـا كانت أشقى لتزايد السكان وتفـاقم الفوارق الطبقيـة التي لا شـك أن شينيـه عانى منها أشد المعاناة ولم يهاجر إلى المشرق إلا ليجد به مـا لم يكن ليجـده من الثروة والجاه في وطنه آنذاك، الذي كان يسير بخطى حثيثـة نحو الثورة والذي كان نبلاؤه من أشد نبلاء أوربا عجرفة وكبرياء، فـا كان شينيـه إلا ليستحسن بسـاطـة القصـور السلطـانيـة مـع جـلالهـا بمراكش ومـا كان إلا ليستحسن زهد سيدي محمد بن عبد الله الذي كان ككل ملوك المغرب عرشه

27) نفس المرجع ص 91

28) نفس المرجع ص 103

على صهوة جواده، يجوب البلاد باستمرار ويتفقد أحوالها بنفسه، على عكس ملوك فرنسا لذلك العصر مثل لويس الخامس عشر الذي قضى عهده في الأفراح والملذات، وخلفه لويس السادس عشر الذي اشتغل بالأعمال السخيفة حتى انقلب به العرش.

كما لم يخف شينيه إعجابه ببعض من عرف من الشخصيات المغربية المعاصرة، أما من جهة ما كانت تلهج به الألسن من الثناء عليها مثل الشريفة المصونة التي يسميها في كتاباته «الملكة الكبيرة»[29] حرم السلطان وبنت عمه المولى سليمان بن اسماعيل التي أنجب منها ولديه الأميرين المولى علي والمولى المامون، وكانت تلك السيدة الفاضلة هي التي تقوم، في نظر شينيه، مقام السلطان بعاصمة الجنوب كلما تغيب سيدي محمد بجهات أخرى من المملكة.

وكان المولى علي وهو الأمير البكر محبوباً في الرعية بما مارست من سيرته العادلة العفيفة طيلة مدة قيامه بمسؤولية الخلافة عن والده بإقليم فاس، ويشهد له القنصل الفرنسي بأجمل خصال الأمير الشهم الذي لم يتورع عن حماية محكوميه من بعض الكلف المخزنية، فاشرابت الأعناق إلى شخصه وتطلعت الناس إلى أن يكون ولي العهد، لولا أن الله اختاره لجواره وهو في عنفوان الرجولة سنة 1783، بعد مغادرة شينيه للمغرب ببضعة أشهر.

وتعرف القنصل أيضاً على عدد من باقي الأمراء لدى مرورهم بالرباط في رحلاتهم بين شمال وجنوب البلاد، ذكر منهم المولى المامون الخليفة

29) هي الشريفة لالة فاطمة بنت المولى سليمان بن اسماعيل، وليس سليمان بن الرشيد كما ورد سهواً لدى شينيه.

بمراكش، والمولى عبد السلام والمولى هشام، والمولى يزيد والمولى عبد الرحمان وما كان لهذين الأميرين الأخيرين من الأدوار غير المرضية لوالدهما السلطان في ثورة العبيد لسنة 1778. وكتب لشينيه، أثناء زيارته لمكناس سنة 1775 أن يحظى بزيارة السلطان السابق سيدي محمد بن عربية فوصفه قائلاً : «إنه أمير دمث الأخلاق، عادل نافر من الطغيان... توفي منذ عشر سنوات بالتقريب، وكان يعيش كمطلق الناس بضواحي مكناس حيث كان لي شرف التعرف عليه».(30)

والتقى شينيه بالعديد من خدام المخزن، كباراً وصغاراً ، ممن كان الوسيط بينه وبين الحضرة السلطانية، مثل المولى إدريس بن المنتصر الذي يبدو أنه ساعد القنصل على تذليل الكثير من الصعوبات إلى أن توفي مبطوناً سنة 1772، والوزير الذي حظي الحظوة الكبرى لدى سيدي محمد في السنوات الأخيرة من عهده، وهو كاتبه الذي كان يدعوه بأفندي قادوس، والذي قتله المولى يزيد شر قتلة بعد انتقال العهد إليه، وأبي القاسم الزياني والفقيه محمد القادري والعمال وكبار القواد، ممن لا داعي ها هنا إلى سرد أسمائهم، فهي مثبتة في فهرس الأعلام من كتاب المراسلة، ونقف بشأنها على من احتفظ التاريخ بذكره مثل أعضاء أسرة آل الفنيش والسفيرين الأديبين محمد بن عثمان وأحمد الغزال والرئيسين السفيرين العربي المستيري والحاج علي بريس، وعلى أسماء أخرى لم يحتفظ التاريخ بأكثر من شكلها فتمكر تحت أنظار القارئ، بقلم شينيه، مرور الشريط السنمائي الصامت، من ذلك مثلاً أسماء رؤساء المراكب الفرنسية، كالرئيس محمد الشريف أو الرئيس شايب

30) كتاب التاريخ هامش صفحة 446 من الجزء الثالث.

عينه أو الرئيس صالح أو الرئيس قاسم أو الرئيس الاصطنبولي أو الرئيس القواكجي، وكذا المسخرين وصغار القواد الذين كانوا يفدون على القنصلية محملين بالرسائل من قبل المخزن، ولا يجد القنصل مناصاً من أداء واجبات السخرة إليهم على الطريقة المغربية آنذاك، فيسجل تلك الهبات في سجل حسابات القنصلية بكثير من الامتعاض ويكتب أسماء المستفيدين من ذلك كالقائد قدور المسكيني والقائد علي الحسيني[31]، هذا بغض النظر عن الأسماء التي نقلها شينيه كما قدر له أن ينقلها فحرفها وصوابها يحتمل أكثر من وجه واحد. ومع ذلك فإنها تضفي على كتابات شينيه شيئاً من تلك الحيوية الروائية التي لولاها لما كان التاريخ هو قصة الإنسان بكل أبعادها.

وأوضح ما تتجلى هذه الميزة من شهادة شينيه عندما يتعرض لبعض ما عاينه من الأحداث أو كان له دور فيه بالأحرى، ولنكتف ها هنا، بذكر بعض النماذج، ومنها المشهد الرهيب الذي راقبه عن كثب لدى عودته من فرنسا سنة 1775، ورحلته إلى مكناس بقصد أداء واجب السلام على السلطان الذي كان ما زال تحت تأثير فشل جيوشه أمام مليلية، فكتب لشينيه أن يحضر بمشور تلك العاصمة على إعدام بعض قواد قبيلة قلعية الذي ثبت لدى سيدي محمد أنه كان يراسل الإسبان سراً، وذكر القنصل أن السلطان ترجل بعد تنفيذ الحكم في المتهم وسجد أمام الملأ شكراً لله.

وبخصوص قضية مليلية، أشار شينيه إلى أن سيدي محمد لم يقدم على مهاجمة المدينة، بالرغم مما كان يربط بينه وبين الملك الإسباني كارلس

---

31) سجلات القنصلية، تحقيق شارل بينز.

الثالث من أواصر الصداقة، إلا لأن ديوان حكام الجزائر آنذاك كان قد تعهد بمهاجمة ميناء وهران في نفس الوقت، حيث كان ذلك الميناء ما زال هو الآخر بيد الإسبان، فلما حاصر سيدي محمد مدينة مليلية ولم يحرك حكام الجزائر ساكناً من جهة وهران، استطاع الإسبان من أن يصمدوا أمام المجاهدين المغاربة، ولقد أورد شينيه ترجمة الظهير الذي أصدره سيدي محمد بالمناسبة يشرح فيه هذا الجانب من النازلة، جاء فيه، ترجمة عن الترجمة : «لقد تأكد لدينا الآن أننا كنا على غير بينة من نوايا حكام الايالة الجزائرية، ان ديوانهم والأتراك كانوا كلما رست أساطيلنا بالجزائر، لا يعتبرون رؤساءها وضباطها والطاقم إلا من جنس الإسبان، استهزاء بمعاهدة السلم التي كانت تربطنا بإسبانيا، وكانوا يصرون على القول بأن صاحب الجلالة السلطان لو عزم على محاربة الإسبان، لا نضموا إليه ولاستطاع جنوده من جهة، والأتراك من جهة أخرى أن يططردوا الإسبان مما يملكون من أراضي هذه الشواطئ بدءاً بوهران، ولم يكتف الديوان عن إعلان ذلك مراراً وتكراراً، بل أنه وجه كتاباً بذلك إلى حضرتنا فتقبلناه واعتمدناه، وتجدد اقتراحهم بالأمر إبان حلولنا بتازة، حيث التزم الجزائريون بمهاجمة وهران حالما نهاجم نحن مليلية، ولكن ما أن شرعنا نحاصر هذه المدينة حتى تراجعت ايالة الجزائر عما كانت قد تعهدت به لدينا، وذهب الأمر بحكامها إلى حد إنزال أشد العقوبات بكل من كان قد رام مهاجمة وهران من رعاياها أو رغب في الالتحاق بنا للجهاد معنا في مليلية...[32] ومن المعلوم أن العلاقات بين الايالة الجزائرية والمملكة الإسبانية كانت تمر في

32) المراسلة تحقيق كريون الجزء الأول ص 337 ـ 338

السبعينات من ذلك القرن بأزمة خانقة، لدرجة أن إسبانيا كانت تعد علانية أسطولاً لمهاجمة الجزائر، فلا شك أن حكام الايالة أرادوا إفساد العلاقات المغربية الإسبانية وتطلعوا إلى تحويل الضربة الإسبانية المرتقبة عن أراضيهم، إلا أن الملك كارلس الثالث لم ينخدع بالمناورة، إذ بالرغم من مهاجمة المغاربة لمليلية في أواخر سنة 1774، فإن الأسطول الإسباني لم يقصف إلا الجزائر في شهر يونيو من سنة 1775، وعادت العلاقات المغربية الإسبانية، بعد سنوات معدودات من تلك الواقعة، إلى ما كانت عليه من الصداقة وحسن الجوار.

ومن أهم ما يثبت شهادة العيان لدى شينيه، تتبعه لأحوال المغاربة ولتقلبات الأسعار يوم توالت على البلاد سنوات القحط والجفاف التي صادفت بالتقريب الشوط الثاني من إقامته، فيما بين سنة 1776 وسنة 1782، ولقد وصف القنصل الفرنسي بمنتهى الواقعية ما نال الناس من التعاسة والحرمان، ووصف على وجه التخصيص كارثة الجراد، يوم نزلت بأحواز الرباط وأتت على اليابس والأخضر ورأى أن المصيبة الكبرى من الجراد تأتي من فراخه التي لا تطير فلا تبعدها الرياح فتزحف على الأرض وبزحفها تزدرد كل شيء، كما رأى كيف كان المغاربة يقاومونها بجعل سياج من القصب مكب على خندق عمقه ثلاثة أقدام وعرضه مثل ذلك، فتقع فراخ الجراد بقاعه وتعجز عن تسلق القصب فيتساقط بعضها على البعض ويتآكل ويكون من ذلك، على حد قول شينيه، نتانة لا تطاق[33].

33) كتاب التاريخ ج 3

ولا تقل أمانة شينيه في النقل حتى يوم أجبرته الظروف على الشهادة على نفسه، وهو يذكر أسباب سخط سيدي محمد عليه واستدعائه لمحضره وتأنيبه إياه وتحميله مسؤولية تأزم العلاقات المغربية الفرنسية في بداية الثمانينات ورده على الرسالة الرسمية التي كان قد جاء محملاً بها وأمره بأن يقلد إياها ملفوفة في منديل وسخ، وجرى ذلك أمام الملأ بمشور مراكش في شهر شتنبر من سنة 1781، وسبب تلك الأزمة كان ناجماً في جوهره عن إصرار الحكومة الفرنسية على تلافي رغبات السلطان في اقتناء بعض أدوات الملاحة وتجهيز السفن، وادعائها بلسان قنصلها، بأن فرنسا كانت لا تصنعها، وذهب الأمر بالمسؤولين الفرنسيين إلى حد الامتناع عن استقبال السفير الحاج علي بريس الذي بعثه سيدي محمد إلى فرنسا سنة 1781 لإصلاح ذات البين واجتناب تأويلات شينيه التي كانت دائماً إلى التصلب والتعنت، فغضب السلطان عليه غضبة هاشمية وأمره، بعد الاستقبال المشار إليه، بالابتعاد نهائيا عن أنظاره والإقامة بطنجة، إلى أن تقدم الحكومة الفرنسية على تعويضه بمن يكون أكثر مرونة وأعرف بأمور خدمة الملوك من القناصل. والحالة هذه أن الأوضاع الدولية كانت قد تغيرت لصالح فرنسا آنذاك، بسبب تدخلها في حرب أمريكا الشمالية واسترجاع أسطولها لاعتباره حيال الأسطول الإنجليزي، وتصفية النزاع سنة 1783 بمقتضى معاهدة باريس التي أبرمت تحت إشراف الحكومة الفرنسية.

نقائص شهادة شينيه

من حسن حظ المؤرخ أن أحوال شينيه الاجتماعية والوظائفية يكاد لا يخفي شيء منها، مما يساعد على تسليط وسائل النقد على كتاباته القنصلية

ويمكن من التمييز بين الموضوعي منها وما كان منبعثاً من اعتبارات ذاتية، أدرك المؤلف بعضها واعترف به، وفاته الكثير منها، ولكن المؤرخ لا يجد كبير عناء في استشفافه.

النقائص الموضوعية

لقد ألح شينيه في عدة مواطن مما كتب أنه كان لا يذكر عن المغرب إلا ما رأى من مشاهده بالعيان، ولقد أبى إلا أن يثير انتباه القارئ منذ الصفحات الأولى من كتاب التاريخ أنه لم يزر من بلادنا إلا سواحلها الأطلسية وكبريات العواصم وأن ما ذكر عرضاً عن أقاليمها الداخلية منقول مباشرة من كتاب الوزان. فيعترف قائلاً : «ولست أدري هل يمكن الرجوع إليه في هذا الشأن !»[34]

ولا تخلو مع ذلك أوصاف شينيه من الإبهام الذي عادة ما يسيطر على كتابات المسافر العابر الذي يتشوف إلى سلامة الوصول وإلى ما وراءها من الأغراض، أكثر مما يتشوف إلى إمعان النظر فيما يرى، ويحفزه واجب الاستعلام أكثر مما يحذزه رغبة الاستئناس بالبلاد وميل إلى التعاطف مع أهلها، وكيف يستأنس المرء مع بيئة غريبة عنه، دون أن يجتهد لتعلم لغة سكانها بأكثر مما فعل شينيه، الذي قضى زهاء أربعين سنة بين المسلمين ولم يتعلم من لغاتهم أعلى مما يتعلمه السائح العابر الذي يريد إيهام قارئه بما ليس لديه من المعلومات، فلقد تكلف القنصل أمر إدراج قائمة من ثلاث وثلاثين كلمة عربية، مع مقابلها باللهجتين الأمازيغية والريفية، لا تتجاوز

34) كتاب التاريخ ج 3 ص 12

الألفاظ العادية في صيغتها الدارجة، مثل الأرض فيكتبها (HARD) والبحر فيكتبه (BAAR) وشرب فيجعلها (CHEREB) وأكل فينقلهـا إلى (COUL) والوالد فهو (BOU) والولد فيقف عند (ISSIR) إلى باقي الأمثلة، مما لا ينم عن كبير خبرة بأسرار اللغة العربية ولا عن تعمق في الاطلاع، بالرغم من كثرة ما تصفح من الكتب وغزارة ما أراق من الحبر. وهكذا، إن كان شينيه قد نقل إلى علمنا مجموعته من وقائع الحياة المغربية في عصره، فإنه قد تغافل عن جوانب أخرى أو شوه بها، لسوء استيعابه لمعانيه الحضارية الأصيلة، وأوضح دليل على ذلك موقفه من تقاليد التهادي المغربية التي أثقلت كاهله وجعلته يدشن مقولة سوف تصبح من المسلمات في القرن التاسع عشر، مفادها أن المغاربة لا يحركهم إلا الطمع في الهدايا، وكأن الهدية لم تكن سوى هبة زائدة، وكأنها لم تكن من وصايا الرسول عليه الصلاة والسلام، وكأنها لم تكن في حقيقة العرف الإسلامي أجرة يؤديها المرسول إليه، فلا تؤديها الدولة لمسخريها لأن الدولة المغربية آنذاك كانت لا تثقل كاهل الرعية بنفس ما كان يثقل كاهل الفرنسيين من الأعباء الجبائية، ولكن شينيه ما كان إلا ليذكر الأمثال ويتغافل عن خلقه، فلا يكف عن التنديد بتقلبات سياسة سيدي محمد في مجال الجمارك ويتناسى أن فرنسا كانت ما زالت تعاني في نفس الحقبة من ويلات الجمارك الداخلية أو من ظاهرة بيع الوظائف وألقاب التشريف.

ومن الواضح البين أن شينيه كان كلما حاد عن وصف الواقع الملموس ورام الحكم عليه بالاستقراء، اعتماداً على ما بلغ علمه من المادة التاريخية المغربية، إلا وزاغ به القلم وانحرف عن الصواب، وسبب ذلك أن معلوماته عن تاريخنا كانت هزيلة وقدرته على استيعاب مقومات حضارتنا كانت

متواضعة، فبخصوص العهد العلوي الأول الممتد من تاريخ قيام المولى الشريف وأولاده إلى أواخر عهد سيدي محمد بن عبد الله، نرى شينيه يقف عند أقل المراجع إفادة في ذلك الموضوع، ولا يكلف نفسه مشقة الاطلاع على كتابات أهل البلد مع ادعائه الاستعراب وإقامته في الديار المغربية ردحاً من الزمان، وأن معلوماته لم تتجاوز أقوال موويت (Mouette) عن عهد المولى الرشيد والفترة الأولى من عهد المولى إسماعيل،كما لم تتجاوز ما نقله الأب بوسنو (Busnot) عن بعض وقائع هذا السلطان العظيم، الذي يبدو بقلم شينيه وكأنه لم يشتغل طيلة عهده الممتد، إلا بمصارعة إخوانه في أول أمره وبمصارعة أولاده في الختام. أما الأعمال الممهدة للمولى الشريف ولكبير أولاده المولى محمد، فإن شينيه تغافل عن ذكرها بصفة شبه مطلقة.

وكان بوسعه أن يبسط القول عن عهد المولى عبد الله، ولو من باب ملء فراغ المراسلة التي كانت قد انقطعت، كما ذكرنا، في ذلك العهد، إلا أن شينيه لم يكن مؤرخاً إلا بالرغم من نفسه، ولذلك نراه يكتفي بتسجيل بعض النتف من ذلك العهد الرهيب، مما تلقفه ولا شك من ذكريات بعض التجار وربما من بعض المواطنين المغاربة الذين عاشوا بعض تلك الأيام، فتختلط الأحداث لديه ولا يأتي بأي جواب يفيد عن كيفية وقوعها ولا عن تسلسلها في الزمان ولا عما ترتب عليها من المضاعفات بحكم ما من أحكام المنطق، وذلك لا لتقاعس المؤلف عن مجهود الفحص والتنقيب وحسب، ولكن أيضاً لتشبعه بآراء فلاسفة التنوير في المجتمعات العربية الإسلامية آنذاك، إلا ما كان عليه ذلك السلطان من العسف بجنود البخاري والحذر من المشعوذين.[35]

---

35) كتاب التاريخ ج 3 ص 425 وما بعدها.

نظرة عصر التنوير إلى المجتمعات غير الأوربية

إذا ما استثنينا روسيا القيصرية التي صارت تتوسع على حساب الأراضي الفارسية والعثمانية منذ القرن الثامن عشر ـ لكن هل كانت روسيا بلدا أوربيا ؟ ـ فإن باقي الدول الأوربية وبخاصة منها انجلترا وفرنسا، كانت ما زالت لم تفكر جديا باحتلال بعض ديار الإسلام المطلة على البحر الأبيض المتوسط، إبان صدور كتاب شينيه، على أن مؤلفات القنصل الفرنسي لم تكن سوى نقطة شبه مغفلة من سيل متدفق من المنشورات التي باتت تصدر بوتيرة متزايدة وبمختلف لغات أوربا، للتعريف بالعالم العربي وللصدع بما آلت إليه أحواله من الركود والانحطاط، وتجرأ جل حملة الأقلام على الكتابة في هذا الموضوع، المقتدر منهم وغير المقتدر، ومن كان قد انتقل إلى عين المكان أو لم ينتقل مثل مونتسكيو (Montesquieu) و فولتير (Voltaire) والأب دي رينال (De Raynal) ومن كان دون رتبتهم، وتعود الجمهور الأوربي بقيادتهم، أن ينظر إلى العالم الإسلامي نظرة المتكبر المطمئن إلى ما أصبح بيده من أسباب التفوق على خصم طالما ارتعشت فرائصه من هيبته، وتجاوزت روح الاستعلاء الأوربي ديار الإسلام إلى ما وراءها من باقي الحضارات العتيقة التي لم تكن لتصمد في وجه الأساطيل والمدافع الأوربية، وانتشر بأوربا ما يمكن أن نطلق عليه عبارة «الاستغراب الفلسفي»، بمعنى استغراب النخبة الأوربية من تمسك الحضارات الأخرى بتقاليدها وأدوات عيشها الأولى، وقد أصبح كل شيء لديهم يتغير أو ينذر بقرب موعد التغيير، سواء ذلك في الماديات أو في الروحيات، ولعل أسباب التحول في الروحيات كانت أسرع من انتقاد مفاسد الكنيسة، مما جعلهم ينتقلون من فضح عيوب الكهنوت إلى الجراة على فطرة العقيدة، ومن طور

الإجهاز على سلطة الرهبان في صفوفهم إلى طور الاستخفاف بسلطان الروح في الحضارات الغريبة عنهم، وإلى ذم الشعوب التي كانت متمسكة بعقيدتها مثل الشعوب الإسلامية على العموم والشعب المغربي على وجه التخصيص، الذي تعجب شينيه في عدة فصول من كتابه من قوة إيمانه وصدق إخلاصه للشريعة الإسلامية، وما كان إلا ليتعجب، وهو نموذج وسط المثقف الأوربي في ذلك العصر، المقتنع بأقوال فولتير من أن وسائل «فك ألغاز هذه الدنيا» توجد في الطقس ونظام الحكم وفي الدين، المقصود بنصائح الأستاذ الكبير، غير العامل بها على غراره، حين قال : «علينا أن نتحفظ من عادة الحكم على كل شيء من منظور أعرافنا».[36] ثم لما ذهب يكتب عن المغرب تغافل إطلاقاً عن أدنى محاولة لذكر أحوال البلاد وتاريخها من وجهة نظر أصحابها، فتأسى به القنصل لويس شينيه وما كان إلا لينعل !

أحوال شينيه النفسية

من البديهي أن شيني أقام بالمغرب غريباً وأنه كتب عنه بنفسية الغريب، إلا أن تلك النفسية كانت متأصلة فيه، مرتبطة بظروف عيشه الذاتية وبتقلبات المجتمع الفرنسي في عصره، فلقد نشأ غريباً من جراء ضرورة الكد المبكر بحثاً عن الرزق، وهاجر إلى الشرق فأصبح غريباً من جهة الجغرافية، واتسعت خبرته وثقافته ولكن آفاق الارتقاء الإداري ظلت مغلقة في وجهه، وكان يعتبر نفسه من أهل النبل والشرف، ولكن الأشراف الذين كان بيدهم الحل والعقد لم يعتبروا لا من قريب ولا من بعيد بانتمائه

36) فولتير، كتاب طبائع الأمم وعقلياتها.

إلىطبقتهم، وذلك بالرغم من تجرؤه على الكتابة إلى وزيره في شهر أبريل من سنة 1774 قائلاً : «وإني لأسمح لنفسي بأن أثير انتباه سعادتكم إلى أنني، لا أراني إلا جديراً بما هو أعلى من القنصلية مرتبة، لو سمحت بذلك الظروف وساعدني ما أحظى به من رعاية سعادتكم وما تشهدون لي به من المؤهلات».[37]

لكن محاولاته لتكون القنصلية بالرباط مجرد مرتقى يتسلق بواسطته إلى أعلى الدرجات باءت كلها بالفشل، واكتفى شينيه بالعودة إلى المغرب بلقب جديد هو لقب المكلف بالأعمال، ولكن بنفسية سيطر عليها اليأس والاشمئزاز، فانعكس ذلك على علاقاته بالأوساط المغربية وتأثرت مراسلته بما حمل للبلاد وأهلها وحكامها من مسؤولية عن سوء حظه، وذهب الأمر به إلى أن اقترح على رؤسائه أن يوحوا للإسبان بالانقضاض على طنجة التي كانت عاجزة آنذاك عن مقاومة أي أسطول لينتقموا من حركة المغاربة ضداً على مليلية.[38]

إلا أن هذه الأحوال النفسية المتكدرة كانت ناجمة لدى شينيه من اقتناع دفين بأن مواهبه كانت لا تجازى بالمناسب من الجاه والمال، ولقد تولدت فيه منذ نشأته الأولى، وترسخت بالأحرى يوم عاد إلى وطنه واستقر بباريس وانغلقت جميع الأبواب في وجهه، سواء عندما تطلع إلى أن تسند إليه وظائف أخرى أو إلى مجرد توظيف أولاده، وتأزمت أوضاع الأسرة بالمرة بعد اندلاع الثورة الفرنسية وأقدم المسؤولون الجدد على بتر

---

37) وردت هذه الرسالة في كتاب بول ديموف عن حياة الشاعر اندريه شينيه

38) رسالة بتاريخ 20 دجنبر 1775، ج الأول من تحقيق كريون.

نصف ما كان القنصل يتقاضاه من راتب التقاعد، وصارت الفوضى تنازع الطغيان على الحكم ولم يكن لويس شينيه المتعقل الرزين ليطيقه، وذهب ولده الشاعر اندريه ضحية ذلك حيث أعدم في شهر يوليوز من سنة 1794، ولم يعمر والده بعده إلا بضعة شهور فإنه توفي في شهر ماي من سنة 1795 الموالية، وقد أدرك أن ما ظل ينـدد به في كتاباته من تساهل مغاربة عصره في إراقة الدماء كان كلا شيء بالنسبة لما أراقه بنو جنسه منها منذ 1789 !

تحتمل كتابات لويس شينيه إذاً ثلاثة مستويات من القراءة، الأول هو مستوى ما أثبته القنصل مما شاهد بالعيان من أحداث عهد سيدي محمد بن عبد الله طيلة خمس عشرة سنة، والثاني يتميز بما نقل المؤلف عن العصر العلوي الأول، بشغف له في المطالعة وميل فيه إلى التدوين، جعلاه ينكب على دراسة تاريخ المغرب منذ الأصول، ويترتب المستوى الثالث على ما كان القنصل الفرنسي يصدره من الأحكام الجزافية، إما بدافع الغيرة على مصالح وطنه، وإما بدافع مزاعم عصر التنوير في فلسفة التاريخ، بل وأحياناً بدفع انفعالات لا صلة لها بالموضوعية.

ومن الواضح الجلي أن المعتني بتاريخ المغرب لا يستفيد من هذه الكتابات إلا من جهة المستوى الأول، لما كان لويس شينيه مسؤولاً عنه من تتبع الأحداث وأخبار رؤسائه بها بكل أمانة، ومن البين أيضاً أن لا حاجة للمؤرخ بما تكلف القنصل نقله من تاريخ المغرب قبل عهد سيدي محمد بن عبد الله، لأنه لم يكن مؤرخاً إلا بالاتفاق، ولم يعتن بتاريخنا إلا من شدة

تفرغه وغربته بالرباط. أما الأحكام والارتسامات، فإنها لا تفيد إلا للتعرف على شخصية لويس شينيه بالذات، أو لاستقصاء مفعول الآراء الفلسفية المستنيرة في أمثاله من عموم الأوربيين آنذاك، ولا يجني المؤرخ ثماراً منها إلا حيثما يتجرد الكاتب عن الاعتبارات الآنية ليتعمق في بعض جوانب البنيات التحتية المغربية.

وهكذا، لا يجوز اعتماد هذه الكتابات كتاريخ جاهز إلا لمن يهتم بالتاريخ للتاريخ ويتتبع تطور المعلومات الأوربية عن ماضينا، أما المسؤول عن تاريخ المغرب، فلن يستعملها إلا كوثيقة يبقى عليه أن يرقى بها إلى مستوى التاريخ الموضوعي بعد مقارنتها بما يتوفر عليه من المصادر المغربية، أو يدركه من جهة الفطرة الوطنية مثلما فعل الشريف المولى عبد الرحمان بن زيدان الذي استشهد بشينيه حين قال عن سيدي محمد بأنه كان قد «أدرك بمهارته أن يحكم دول أوربا بما كان تحت يده من الأسارى الذين جلبهم رجال سفن قرصانه من البحار فكانوا يسالمونه ويسعون في مرضاته لأجل ذلك».[39] فلا غنى على العموم عن هذه الكتابات ولا عن مثيلها من مؤلفات الدانماركي هوست (Host) والانجليزي ليمبريير (Lempriere) والبولوني بوطوتسكي (Potocki)[40]، التي تنضاف إلى كتابات المؤرخين المغاربة مثل

39) الاتحاف الجزء الثالث ص 263

40) كان هوست قنصل بلاده الدانمارك لدى سيدي محمد بن عبد الله فيما بين سنة 1763 وسنة 1769 ولقد كتب عن المغرب كتاباً لا يخلو من فوائد تحت عنوان «أخبار فاس ومكناس» صدر سنة 1779 باللغة الأصلية ثم نقل إلى الألمانية سنة 1781.
وكان ليمبريير طبيباً انجليزياً جاء من جبل طارق في نهاية سنة 1789 بدعوة من سيدي محمد ليعالج الأمير المولى عبد السلام الخليفة بتارودانت، والذي كان مصاباً

القادري والضعيف والزياني فتوضح من عهد سيدي محمد بن عبد الله أكثر مما يتضح من فترات أخرى من تاريخنا، لا تتوفر فيها نفس الكثافة من المصادر، بل ولا غنى للمؤرخ المغربي عما صار الأوربيون يكتبونه منذ ذلك العصر عن بلادنا، بناء على ما أدركه فولتير في الحين، حيث قال : «إن شعوب أوربا قد أصبحت تتصرف بمصير الشواطئ التي ترسي مراكبها بها».(41) ولما أصبحت سفنهم ملازمة لمراسينا وراجت بضاعتهم في صفوفنا، انطلقت ألسنتهم وأقلامهم بالحديث في شؤوننا، واتصل ذلك بتاريخنا، فبات من الضروري أن لا يتغافل المؤرخ لا عما كانوا يعملون ولا عما كانوا يدعون.

الرباط   د. ابراهيم بوطالب

= بعينيه، وبعد أن أدى هذا الطبيب مهمته بسوس، استقدمه السلطان إلى مراكش فأقام بها عدة أسابيع، وكتب بكل ما رأى وسمع كتاباً لا يخلو من فوائد هو كذلك.
وأما بوطوتسكي فإنه بولوني متفرنج، تنقل بأوربا وعبر الديار العثمانية وبالمغرب ودوّن مرئياته وملاحظاته في كتاب صدر مؤخراً في تحقيق مجدد أنيق بعناية.
وهو كتاب موضوع بقلم متفتح رزين يفيد الكثير عن أواخر العهد المحمدي وقيام دولة المولى يزيد الذي استقبل المؤلف بطنجة.

41) فولتير من مقال طبائع الأمم وعقلياتها.

مع المؤرخ المشرفي في كتابه:

الحُلَل البَهيّة في مُلوك الدّولةِ العَلويّة

عبد القادر زمامة

عندما نريد في الدراسة الموضوعية لتاريخ المغرب تصنيف ما كتبه المؤرخون المغاربة عن تاريخ وطنهم المجيد في الحقب والعصور المتتابعة من عهد الامتداد الإسلامي إلى العصر الحاضر... نجد أنفسنا أمام أنماط وأصناف شتى وطرق وأساليب متعددة للتعبير والتسجيل والتدوين ترفعها رافعة... وتخفضها خافضة..!

فمن سمات التعميم إلى التخصيص، ومن تاريخ الدول والملوك إلى تاريخ المدن والبقاع ومن الأسر والبيوتات العلمية إلى تراجم أعلام المعرفة وشيوخ التصوف والتربية..!

ومن أساليب النثر المرسل والمصنَّع إلى صنوف النظم الدائر تارة في فلك القصائد وتارة في فلك الأراجيز..!

وقد امتدت هذه الظاهرة التعبيرية في كتابة تاريخ المغرب عبر العصور. وتعودنا على مجابهتها عندما نحاول جمع المصادر والمراجع ببحث أو دراسة في موضوع معين..!

وفيما يرجع لتاريخ الدولة العلوية الشريفة أمامي الآن قصيدة طريفة بائية من البحر الطويل نظمها عالم أديب كاتب شاعر متفنن اشتهر بين أدباء عصره بقوة عارضته وسرعة خاطره ورشاقة أسلوبه..!

وهو أبو محمد الغالي بن المكي ابن سليمان الذي كان من أبرز كتّاب دولة السلطان المرحوم مولاي الحسن الأول ورافق حركاته المتعددة في أرجاء المغرب... وتنقل بين حواضر المغرب الجنوبية والشمالية وله صلات وثيقة بأعلام الأدب والعلم والسياسة كما أن له آثاراً شعرية ونثرية وتآليف متعددة ما يزال بعضها في خزائن خاصة... وقد ودع هذه الحياة في مدينة مراكش سنة 1317 = 1899 م.

وبحكم أن الأديب ابن سليمان كان من حاشية المخزن، فقد سجل ـ شعراً ونثراً ـ عدة أحداث، ووقائع، وأخبار، ونكت، تتعلق بمشاهداته في الأقاليم المغربية. ومحاوراته مع رجال الدولة، من قواد، ووزراء، وعلماء، وكتاب وأودع ذلك بعض مؤلفاته ورسائله وكناشاته. كما أن معاصريه ـ ولاسيما في مراكش وفاس ـ نقلوا عنه الشيء الكثير من قصص الجد، والهزل، ونكت اللغة، والنحو، والأدب...

وقصيدة ابن سليمان في تاريخ الدولة العلوية داخلة في هذا النطاق. حيث إنها مستوحاة، شكلا، ومضمونا، من معلوماته التاريخية الواسعة مع ما كان يعيش فيه من ظروف النهضة المغربية الأولى، التي أرسى قواعدها،

مولاي الحسن الأول بما أحدثه من مشاريع، وأنظمة، وإصلاحات، وما خاض من غمرات... ربطت حاضر المغرب المُشرق بماضيه المجيد..!

وابن سليمان كان إلى جانب علمه، وأدبه، واطلاعه خبيراً في الفنّ الموسيقي. وله فيه جولات نظماً ونثراً. فلذلك نجد قصيدته، هذه التاريخية، ذات طابع موسيقي فني دقيق. نشعر ونحن نقرأ أبياتها، التي جاوزت المائة بيت، أننا أمام ذَوْق مُرْهَف. صاحبه ريّان من اللغة، وأساليب العرض البياني..!

وكذلك يخامرنا نفس الشعور إذا نحن قرأنا نظمه، الذي استوعب فيه ما جاء في كتاب **المعرب المبين** لابن زاكور..!

ونظمه الذي ذكر فيه أساتذته الذين أخذ منهم مختلف العلوم الشرعية والأدبية... وهم أقطاب المعرفة في ذلك العصر..!

وينبغي أن نكون على علم، ونحن نجيل النظر في هذه القصيدة، التاريخية، أن صاحبها أراد أن يجاري أساليب التصنيع الشعري التي كانت سائدة في عصره، شرقا، وغربا، حيث إنه **رمز** لتاريخ الملوك والأمراء والأحداث ببعض التراكيب، والجمل، الدالة حروفها على الأرقام الحسابية، مع حسن التمليح، وبديع التَّوْرية... مما كان يسمّى إذ ذاك بالمحسنات البديعية..!

والقصيدة بعد هذا وذاك تتناول نشأة الدولة العلوية، ومراحل تكوينها، والظروف التي ألهمت رجالها، خوض المعارك ومصارعة الأحداث، في سجلماسة وخارجها حتى تم لهم النصر... كما تتناول تسلسل الأحداث وتعاقب الملوك على عرش المغرب إلى عهد مولاي الحسن الأول..!

وابن سليمان أضفى على السرد التاريخي، حللا، فنية، وإشارات أدبية، وتلميحات بيانية، تذكرنا بعمل لسان الدين ابن الخطيب في **رقم الحلل في نظم الدول** ..!

وقصيدة ابن سليمان حظيت في عصر صاحبها بتقدير، واهتمام، واشتهرت عند المتتبعين لحركة العلم، والعلماء، والأدب والأدباء... لهذا نجد عالماً كبيراً، وشاعراً ضليعاً يسرع إلى شرحها شرحاً يتناول فيه تاريخ المغرب الأقصى عموماً وتاريخ الدولة العلوية خصوصاً..!

وشارح القصيدة هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي، الذي كان إلى جانب علمه كاتباً، شاعراً، مؤلفاً، له عدة آثار علمية وأدبية منها ما طبع داخل المغرب، وما طبع خارجه، وما لايزال مخطوطاً في خزائن عامة، وخاصة..!

وقد عاصر أحداثاً ووقائع شتى... ولقلمه ولسانه، وعارضته، إشعاعات متنوعة، انعكست على آثاره الشعرية، والنثرية، لا مجال لتتبعها الآن، وهو صاحب القصيدة الحائية المسماة : **إيقاظ أهلِ الغَفلة والمنام** التي نشرتها مجلة **المناهل** في عددها رقم 21 بتصحيح وتقديم صاحب هذا القلم..!

والمشرفي سمى شرحه : **الحُلل البهية في ملوك الدولة العلوية** وقد وجد فيه مكان القول ذا سعة فجمع فيه من المعلومات التاريخية، والأدبية واللغوية، والمعارف العامة، ما كان يعد فريداً في عصره، وغريباً في بابه، على عادة علماء العصر، الذين تتزاحم المعلومات المتعددة على ألسنتهم، وأقلامهم في كل المناسبات.

وذلك إلى جانب الموضوع الأساسي، وهو تاريخ الدولة العلوية، فالمشرفي مؤرخ مطلع على ما كُتب في الموضوع منذ نشأة الدولة إلى عصره،

فقد استوعب الأحداث وفصَّل الوقائع، وتتبع الانعكاسات التي انعكست على المغرب منذ احتلال الجزائر على عهد السلطان مولاي عبد الرحمان... وما جرى بعد ذلك..!

وبحكم ارتباطه بأسرته في مُعَسْكَر، كان على اطلاع واسع، بالمكايد الاستعمارية التي كانت تدبرها السلطات هناك. كما أنه كان على علم بأحداث **إسلي** وحرب تطوان، وقضية **توات** والحدود، وما إلى ذلك...

ومن أجل ذلك كان كتاب **الحلل البهية** من المصادر التاريخية التي ينبغي الاطلاع عليها للتعمق في دراسة أحوال المغرب، والأحداث المتلاحقة، التي فصلها المشرفي تفصيلا... وقد عايش بعضها..!

وقد جاء شرح المشرفي لقصيدة ابن سليمان حافلا بالنصوص النثرية، والشعرية والوثائق السياسية، وبعض نصوص المعاهدات، والشروط، مما يدل على أنه كان نتيجة بحث المشرفي، واهتمامه، واطلاعه الواسع، على القضايا التي كانت محل اهتمام في عصره..!

كما أن المشرفي كان مهتما بالجانبين العلمي والعمراني من تاريخ الدولة العلوية فنجده يتحدث عن حياة العلم والعلماء، والأدب والأدباء، وما أنشأه الملوك من قصور، ومساجد وحصون، وجسور، وما إلى ذلك...

والمتتبع لفصول المشرفي في الحلل البهية يجد أنماطاً من ثقافة رجال ذلك العصر، وما كان يشغل أفكارهم، وأقلامهم من مباحث، وقضايا، وكلها ترسم المجالات التي كانت محل تفكير واهتمام...

وكل من قصيدة ابن سليمان، وشرح المشرفي كان من المفروض أن ينتهي بها المطاف عند نهاية حياة مولاي الحسن سنة 1311 هـ = 1893 م إلا أن هذا إنما ينطبق على قصيدة ابن سليمان لا على شرح المشرفي..!

وذلك لأن المشرفي امتدت به الحياة بعد ذلك سنوات طويلة ولم يودّع هذه الدنيا إلا سنة 1334 هـ = 1915 م الشيء الذي مكن من أن يكتب الأحداث التي مر بها المغرب بعد ذلك..!

وهكذا نجد المشرفي يؤرخ الحقبة التي أعقبت موت السلطان مولاي الحسن الأول، ويعلق على الأحداث، ويحلل المواقف، ويعطي رأيه في تصرفات شخصيات متعددة..!

وكانت قضايا معينة استأثرت باهتماماته فجرد لها قلمه، وتتبع مراحلها، منتقداً ناصحاً، تارة ومستسلماً تارة أخرى..!

والنسخ الخطية التي اطلعنا على بعضها من كتاب الحلل البهية، يظهر أنها غير تامة... أو أن المؤلف لم يكملها، فهي تنتهي انتهاء غير طبيعي... حسب ما وقفنا عليه..!

ورغم ذلك فهي غزيرة الفائدة، ترسم لتاريخ المغرب صورة جذابة، وتؤرخ لأحداثه بما يليق بها من أهمية، ولا سيما والمؤلف كان ذكي الفؤاد حاضر البذيهة، واسع التجربة، واكب بحضوره وتفكيره الأحداث الأخيرة منها ..!

ولا نودع هذا الكتاب وصاحبه دون أن نشير إلى أن المؤرخ «ليفي بروفنصال»، أشار إليه إشارة غير مفيدة، في اخر كتابه **مؤرخو الشرفاء** ورغم أنه ذكر اسم **الحلل البهية**، إلا أنه لم يذكر مؤلفه باسمه الخاص..!

كما أنه أشار إلى أن قسما منه ترجم إلى اللغة الفرنسية، وظهرت الترجمة في **الوثائق المغربية**، 8، باريز 1906 م يعني أنه تم ذلك والمؤلف المشرفي ما يزال بقيد الحياة..!!!

فاس   عبد القادر زمامة

المصادر :

اعتمدنا في تحرير هذا المقال على المصادر الآتية :

- النسخة الخطية لكتاب الحلل البهية.
- رياض الجنة، عبد الحفيظ الفاسي، 1931 م ط. فاس.
- فواصل الجمان، محمد غريط، 1347 هـ ط. فاس.
- مؤرخو الشرفاء، ليفي بروفنصال، الرباط 1977.
- الإعلام، عباس بن ابراهيم 1983 م الرباط.
- مجلة المناهل، العدد 21، الرباط.

من مؤرخي الأشراف

اليفراني صاحب "النزهة"

محمد مزين

إن الحديث عن صاحب النزهة محمد الصغير اليفراني يقتضي الإلمام بعدد من المعطيات الأولية التي بدونها يستحيل فهم إنتاجه التاريخي وغير التاريخي... لقد تعرض لترجمته عدد كبير من الباحثين والنقاد من مستشرقين ومغاربة، وحاولوا تتبع مراحل حياته، وفصلوا القول في إنتاجه... فمنهم ل. بروفنسال صاحب «مؤرخو الشرفاء»[1] ومنهم ذ. عبد الله كنون في «النبوغ»[2] وبروكلمان في «الملحق»[3] ومنهم ع. ابن إبراهيم في

1) مؤرخو الشرفاء، محاولة في الأدب التاريخي والتراجم بالمغرب من القرن 16 إلى القرن 20 - بباريز، ألروز 1922.

2) النبوغ المغربي في الأدب العربي - الطبعة الثانية بيروت 1961.

3) الملحق - ليدن بريل - الجزء الأول (1937) والثاني (1938) والثالث (1942).

«الإعـلام»[4] وع. الكتـاني في فهرست الفهـارس[5]، وكـذلـك ابن سـودة في «الدليل»[6]. أما ذ. محمد الفـاسي[7] من جهـة وم. ابن تـاويت[8] وم. عفيفي من جهة ثانية[9] فقـد أوردوا اسمـه في إطـار حـديثهم عن «الأدب المغربي»، وكذلك الأستاذ الأخضر في كتابـه «الحيـاة الأدبيـة في المغرب»...[10] وأخيرا خصص ذ. محمد العمري لترجمته حيزا وافرا في إطار دراستـه «مقـدمـة تحقيق المسلـك السهل»[11]... ومـع هـذا كلـه فـإن ترجمـة اليفراني وإنتـاجـه لازال يكتنفهما بعض الغمـوض والشـك، وذلـك لأسبـاب مختلفـة يسرد ذكرهـا وتحليلها مع استعراض ترجمة اليفراني، فمن هو اليفراني وما هي أهم مؤلفـاتـه التي اهتم فيها بالتاريخ للدولة العلوية.

10 ـ من هو اليفراني ؟

يعتبر اليفراني من الشخصيـات الفكريـة المغربيـة الفريـدة التي كثر الخلاف حول تفاصيل ترجمتها : أولا الاسم، ثانيـا سنـة الولادة، ثـالثـا سنـة الوفاة رابعا ظروف هجرة أسرتـه إلى مراكش وانتقـالـه إلى فـاس... صحيح أن تدقيق هذه المعطيات ربما لن يفيـد في شيء، لكن الصحيح كـذلـك هو أن الظاهرة مفيدة في حد ذاتها، وتعني أولا أن المترجمين المعـاصرين لليفراني

---

4) الاعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الاعلام، فاس المطبعة الجديدة (5 أجزاء).

5) فهرس الفهارس والاثبـات ومعجم المعـاجم والمشيخـات والمسلسلات، فـاس المطبعـة الجـديـدة (1927 ـ 1928).

6) دليل مؤرخ المغرب الأقصى ـ دار الكتاب، الدار البيضاء 1960 (جزءان).

7) الأدب المغربي، المغرب ـ دائرة المعارف الاستعمارية ـ باريس 1948.

8 و9) الأدب المغربي ـ دار الكتاب اللبناني ـ بيروت الطبعة الأولى ماي 1960.

10) الأخضر ـ الحياة الأدبية في المغرب ـ.

11) مقدمة تحقيق المسلك السهل ـ رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا ـ.

لم يهتموا بترجمته (لماذا ؟)، ثانيا أن اليفراني نفسه لم يكن يسعى إلى تخليد اسمه وهو يكتب عن هذا الموضوع أو ذاك، بل كان يواكب الظروف، ويكتب وينتج حسب ما يحس في نفسه من رغبة في إبداء رأي أو موقف... وكيف ما كان الحال يمكن بناء ترجمته ـ انطلاقا من مقارنة ما ذكر عنه في المصادر والدراسات ـ فيما يلي :

أولا : يرتضي الافراني لنفسه الاسم الذي ذكره في النزهة وهو عبيد الله سبحانه محمد الصغير بن الحاج محمد بن عبد الله الوفراني النجار المراكشي الوجار»[12]، فنعلم من خلال نفس الكتاب أن أصله «من قبيلة إفران إحدى قبائل السوس»[13]، وسعيا وراء تفادي أي التباس حول قبيلته هذه، وتلقيبه بالوفراني أو اليفراني أو الإفراني أورد الأستاذ محمد المنوني اسمه متضمنا انتماء قبيلته «محمد الصغير بن الحاج محمد بن عبد الله السوسي (عوض الافراني) ثم المراكشي»[14] أما عن مسقط رأسه، فلم تذكر المصادر المعاصرة أية إشارة يمكن الاعتماد عليها بصفة قطعية، كل ما يمكن استجلاءه منها هو ما ذكره ل. بروفنسال من أن اليفراني ولد بمراكش. وقد استخلص ل. بروفنسال ذلك من ما هو معروف على أن صاحب النزهة عاش مع أسرته بمدينة مراكش ودرس بها.

ثانيا : أما عن تاريخ ولادته فقد ذكر صاحب «مؤرخو الشرفاء» أنه ولد سنة 1090 هـ (1669م = 1670م)، وقد ناقش ذ. العمري ذلك، وختم

12) النزهة ص 310.

13) «مقدمة تحقيق المسلك السهل» 1. العمري ص 54.

14) محاضرة بعنوان «المصادر العربية عبر التاريخ ـ مجلة الآداب بالرباط ـ عدد 9 السنة 1982 ـ ص 228.

بأن تاريخ ولادة اليفراني لا يمكن أن يضبط ضبطا تاما، كل ما يمكن أن يقال هو أنه ولد «في السنوات الأخيرة من القرن الحادي عشر[15]» وكذلك بالنسبة لتاريخ وفاته فإن الباحثين لا يتفقون عن تاريخ واحد، فمحمد بن الطيب القادري (1124 هـ ـ 1187 هـ) في ترجمته للافراني يقول «مات صاحب الترجمة حدود عام خمسين ومائة وألف»[16] بينما يكتفي ذ. عبد الوهاب بن منصور في تقديمه «لروضة التعريف»[17] بتحديد وفاته بعد عام 1150 هـ، ويعاضده في ذلك ما ذكره ذ. هاشم العلوي[18] من أن صاحب الترجمة توفي آخر عام 1152 هـ أو 1153 هـ / 1740م، بينما يخالفهما ذ. العمري قائلا بأن اليفراني توفي سنة 1156 هـ و1157 هـ، مسرا على القول بأن صاحب النزهة كان ما زال حيا في 11 محرم 1155 هـ اعتمادا على رسالة موقعة بخط الافراني بنفس التاريخ، وقد نلمس من كلام ذ. المنوني تأييدا لذلك «استمر بقيد الحياة إلى عام 1155 هـ / 1742م»[19]. كيفما كان الحال يظهر أن ما يمكن استخلاصه من كل هذا هو أن اليفراني توفي في عهد عمت في الاضطرابات ارجاء المغرب، بعد فترة حكم المولى إسماعيل (1642 ـ 1787) التي كانت بمثابة فترة ازدهار... كما يمكن من الناحية المنهجية استخلاص ظاهرة يواجهها كل من بحث في تراجم المفكرين العرب والمغاربة الا وهي عدم وجود إشارات تساعد على التوصل إلى تاريخ ولادة

---

15) العمري. «مقدمة...» ص 54.

16) القادري ـ التقاط الدرر ـ تحقيق هاشم العلوي ص 439 ـ 440 رقم الترجمة 569.

17) روضة التعريف ـ تحقيق وتقديم عبد الوهاب ابن منصور ـ المطبعة الملكية (1962) ص 5.

18) التقاط الدرر ـ العلوي ـ ص 440 هامش 8.

19) مجلة كلية الآداب الرباط. عدد 9. (1982) ص 282.

أو وفاة هذا العالم أو ذاك، وتلك ظاهرة يجب أن تعالج دائما بالمقارنة الجادة لما جاء في المصادر المعاصرة وتأويله تأويلا يسمح بضبط الأمور.

وما قلنا عن ولادة ووفاة اليفراني نقوله عن ظروف هجرة أسرته إلى مراكش، مسقط رأسه، كما ذكر ل. بروفنسال، وكذلك عن حياته الأولى بها، حيث لا نعرف أين درس ولا عند من، وحتى عن انتقاله إلى فاس قصد الدراسة والتحصيل... فنحن نجهل كل ذلك... كل ما يمكن ذكره في هذا المجال هو أنه انتقل إلى مدينة فاس بعد قضاءه مرحلة (؟) مهمة من التحصيل في مراكش، وبعد أن استعد بما فيه الكفاية لمتابعة الدراسة بالقرويين ومدارس فاس، على أن صاحب الإعلام ذكر في درر الحجال «...أن الإمام فقيه العصر أبا علي المعداني شيخه، وحلاه بهذه الحلي، وبأن الفقيه الصالح سيدي العربي بن أبي القاسم الأمراني شيخه وبأن الإمام أبا عبد الله المسناوي شيخه».

استقر اليفراني بفاس إلى حدود عام 1130 هـ / 1718م، وكان عمره يناهز الخمسين سنة وكان قد درس على مجموعة من الأساتذة «منهم من كانت لهم مكانة ونفوذ»[20]، ومنهم من لم يذكر ذكرا واضحا... ومن بين أولئك الذين اشتهروا بالعلم آنذاك، وارتبط بهم صاحب النزهة، محمد بن أحمد المسناوي الذي نقم عليه الملك مصاحبته لمحمد العالم ومخالطته للشيخ بردلة[21]، وأبو العباس الحلبي، وأبو مروان التجمعتي، ومحمد بن عبد الرحمن الفاسي، وحسن بن رحال المعدني «الذي كان ساخطا على الوضع معارضا

---

20) العمري «مقدمة...» ص 60.

21) نفس المرجع ص 5 ـ هامش 1.

لسياسة الدولة»[22] ويكفي الرجوع إلى كتب هؤلاء للوصول إلى الجو الفكري العام الذي كان اليفراني يعيشه بفاس أيام السلطان المولى إسماعيل. وقد يستفاذ مما تركه لنا صاحب النزهة من كتابات أنه كان على علاقات ودية مع أهل العلم من أساتذة وطلبة بفاس. تأتي إذن سنة 1130 هـ / 1758م، وهي سنة مغادرة اليفراني لمدينة فاس راجعا إلى مراكش لينطلق اليفراني في مرحلة جديدة من حياته. وكان صاحب النزهة يطمح أن ينال فيها الشرف العظيم والكرم الكثير، لكن الرياح تجري بما لا تشتهيه السفن، ذلك أن أهل مراكش وخاصة طلبتها واجهوه مواجهة قوية، حيث اتهموه بالزندقة والجهل..! وكان قد تصدر لإقراء التفسير وصحيح البخاري، وقد لمح إلى ذلك في خاتمة كتابه النزهة حيث قال : «ولما المت بنا المصيبة الفادحة ورمتنا بأسهمها التي هي في عرض الدين فادحة... نبذت تلك التقاييد بزوايا الهجران حتى نسجت عليها عناكيب النسيان...»[23] أثرت عليه هذه الأزمة، وقاس من العذاب كثيرا حتى أنه غض النظر عن التأليف لمدة طويلة، وقد فسر اليفراني هذه الظاهرة بميول الناس إلى جمع المال بدل العلم.

هذا زمان دراهم لا غيرها   دع الدفاتر للزمان الفاتر

والحقيقة أن الأزمة التي واجهها اليفراني هي أزمة عميقة عرفها الوسط الفكري في المغرب آنذاك. وتتجلى تلك الأزمة في المواجهة القائمة بين الفقهاء المتزمتين الذين كانوا لا يريدون ولا يرضون التحرر في الفكر... بل

---

22) المرجع نفسه ص 4 ـ وقد ذكر أن المعدني من أساتذة اليفراني في «درر الحجال» حسب ما ذكره عباس بن ابراهيم في الاعلام.

23) النزهة ص 310.

كانوا يواجهون كل محاولة للخروج عن تقليدهم مواجهة قوية... وبين المفكرين من أمثال اليفراني، الذي أراد أن ينهج في تعليمه وكتابته منهجا «علميا» مخالفا لمنهجهم. وكان صاحب النزهة متأثرا كل التأثر بالطرق الصوفية ذات المنحى الدنيوي، والتي كانت لا تخاف «في الله لومة لائم». بل أن اليفراني كان يعتبر الأدب والتاريخ ضروريان لإكمال التكوين الفكري والعلمي للعالم. وما كتاب «المسلك السهل» و«النزهة» إلا تطبيق لذلك، وتأكيد على اختلاف فكر الأفراني عن فكر فقهاء مراكش الذين نقموا عليه، وعارضوه بشدة لما أبدى استعداده لإقراء «التفسير» بجامع علي بن يوسف بمراكش.

وعلى امتداد العشر سنوات الموالية، والتي مثلث السنين الأخيرة من حكم المولى إسماعيل احتدت هذه الأزمة وتشعبت، فأثر ذلك في فكر اليفراني وفي مواقفه عامة من الفقهاء ومن السلطة، ذلك أن صاحب النزهة خلال هذه المرحلة، ابتعد من الفقهاء وسعى إلى التقرب إلى رجال السلطة، فتأليفه لكتاب «روضة التعريف» سنة 1133 هـ دليل على ذلك خصوصا أن اليفراني مدح فيه كل المدح السلطان المولى إسماعيل، وأظهر فيه أنه ألفه خصيصا لهذا الغرض. ونحن نعرف أن الكتاب ألف بإيعاز من أحد حكام مراكش ووزير السلطان وهو أحمد بن غازي الذي وصفه صاحب النزهة في حمدلة «الروضة» بـ «معز العلماء والصالحين». ويؤكد اليفراني ذلك عندما يتحدث عن الأسباب التي دفعته لتأليف «روضة التعريف»، ومن بين هذه الأسباب رد الجميل للدولة الإسماعيلية التي يقول عنها «وكيف وهي التي ربتني من لدن كنت صبيا مرضعا وبوأتني من لطيف الإحسان موضعا

وسهلت علي الرحلة في طلب العلم واقتباسه ورغبتني في تقمص لباسه فأنا المعترف بجزيل نعمها المغرم بحب طلعتها»[24].

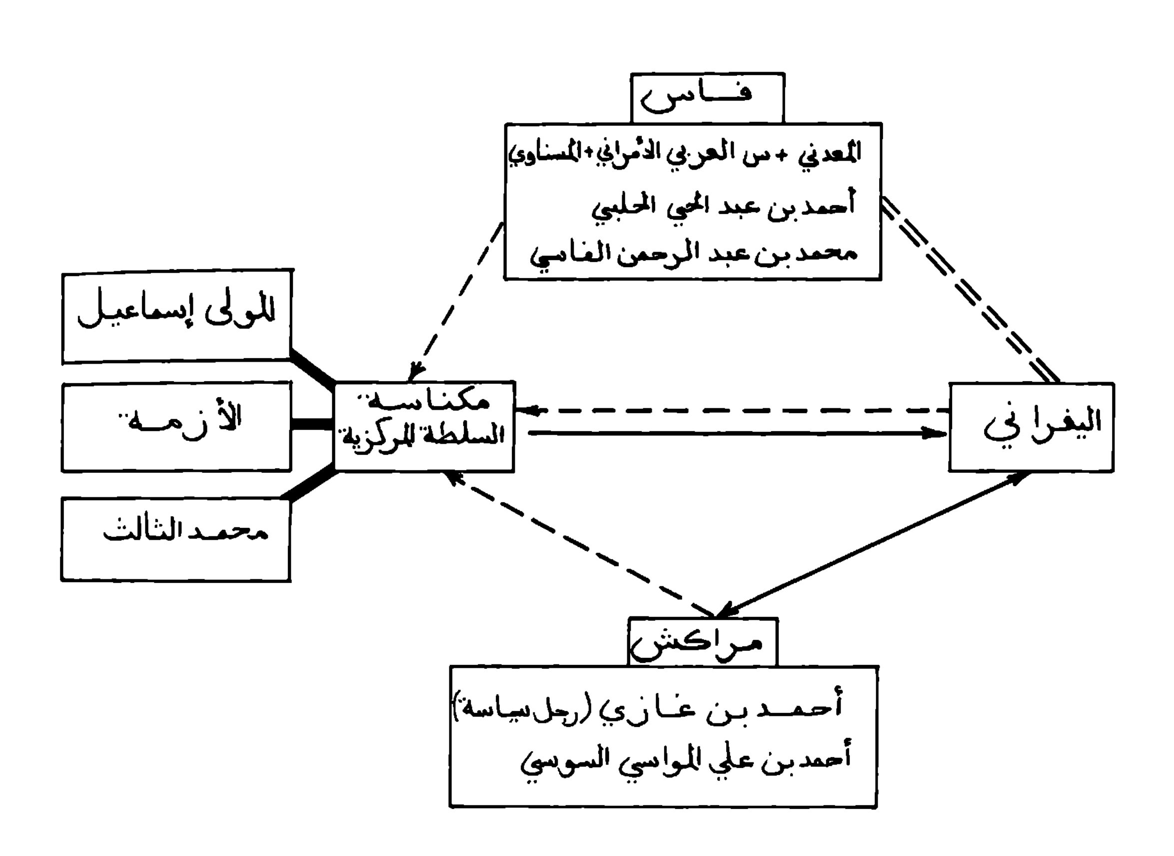
والمتتبع لموقف اليفراني هذا يلاحظ فيه بعض التدبدب، صحيح أن هذه القولة تعني أن صاحبها تبوأ في العلم مكانة مهمة في عهد المولى إسماعيل وخاصة بعد عام 1080 هـ، وأنه تعلم القراءة ووصل إلى مرتبة عالية فيها... ولكن كذلك صحيح أنه كان يسعى بهذا الكلام التقرب من السلطة، هل نجح في ذلك أم لا ؟ هذا شيء لا نملك الجواب عليه، إلا إذا انطلقنا من ما قاله في مقدمة كتابه «روضة التعريف» حيث قال : «وعسى أن يقع من النفوس أحسن موقع»[25]، وهذا يعني أنه كان خائفا على مصير كتابه مما جعله يتردد في نشره وإظهاره... ونحن نعرف أن هذا النشر تأخر ثلاث عشرة سنة بعد تأليفه سنة 1146 هـ. خصوصا أن المولى إسماعيل الذي مدحه اليفراني كان قد توفي عام 1139 هـ / 1727م، أي سبع سنوات قبل تاريخ النشر !

ماذا يمكن استخلاصه من كل هذا ؟ أولا أن صاحب النزهة كان قد مر بأزمتين خطيرتين في حياته، امتدت جذور الأولى أكثر من تسع سنين (من 1130 إلى 1139 هـ) واجه فيها الفقهاء والمتزمتين الذين كانوا يؤكدون على ثقافة متحجرة... وامتدت الأزمة الثانية امتداد حياة اليفراني في فترة ما بعد المولى إسماعيل... إلى تولي محمد الثالث الحكم عام 1157 هـ وكانت أزمة عامة شملت كل أوجه النشاط السياسي والاقتصادي والفكري. وقد عايشها اليفراني وتأثر في كتاباته بها.

24) روضة التعريف ـ ص 7.

25) نفس المصدر والصفحة.

اليفراني والإطار المعرفي والسياسي الذي عاش فيه



المفتاح :

- - - التبادل السياسي
——— السلطة واليفراني
⟵⟶ التبادل الفكري
= = = علاقات دراسية

ثانيا : أن صاحب النزهة تأثر بما عايشه تأثرا بالغا ظهر جليا في كل إنتاجه ومؤلفاته.

2 - إنتاج الافراني :

ما ذكرناه عن الظروف الفكرية التي عايشها اليفراني سوف يظهر واضحا في إنتاج العصر كله، حيث غلب على الكتابة عامة الشروح والحواشي على الكتب الدينية... وقد حاول صاحب النزهة إرضاء هذه الروح بنشره لكتاب «فتح المغيث في حكم اللحن بالحديث»، والحقيقة أن اليفراني لم يتمكن من الابتعاد على ما يدعوا إليه من تحرر، ذلك أن حتى هذا الكتاب المخصص للحديث كتاب يختلف في معالجته للموضوع اختلافا بينا بالمقارنة مع الكتب التي تشبهه والتي أنتجها فقهاء العصر. وعلى صغر حجم هذا الكتاب فإن المؤلف اعتمد فيه على أكثر من عشرين مصدرا...

ولكن إنتاج اليفراني في الدين والتوحيد كان نسبيا قليلا، إذا ما قورن بما كتبه في الأدب والتاريخ، حيث قاربت الأعمال العلمية التي كتبها صاحب النزهة ما يزد على أربعة عشر تأليفا - حسب ما هو متداول عند الباحثين - جلها في الأدب والتاريخ.

لقد كان اليفراني يحرص على بقاءه ضمن نخبة علماء العصر، مما اضطر معه ملازمة الشؤون الدينية، فهو كان يشارك في المناقشات الدينية، كما كان يقرؤ صحيح البخاري في جامع ابن يوسف بمراكش، بل كان خطيبا بها في آخر الأمر.

لكن المتتبع لكتابات اليفراني يلاحظ أنه كان أميل إلى الآداب والتاريخ، حيث استطاع أن يسجل اسمه ضمن المؤرخين المغاربة الذين ساهموا في هذا الحقل من المعرفة، فعنه قال صاحب النبوغ : «والحق أن كتبه سدت ثلمة في التاريخ المغربي، لولاه لبقينا منها في حيرة شديدة»[26] وقبل أن نجيء إلى الحديث عن مساهمة اليفراني في التاريخ المغربي، نلقي نظرة سريعة على ما أنجزه في حقل الأدب.

يعتبر كتاب «المسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل» من أهم تآليف صاحب النزهة في الأدب، وقد فرغ اليفراني من تأليفه سنة 1128 هـ بالمدرسة الرشيدية بفاس، والكتاب من أول ما ألف «ويعتبر عملا جريئا وربما فريدا في تصوير الامتزاج الثقافي بين المغرب والأندلس»[27] وأوسع وأجرأ محاولة عرفها العصر في تطبيق البلاغة على دراسة النصوص الأدبية»[28].

وهذا الكتاب غني، بحيث يضم معلومات متنوعة، ويشهد لصاحبه على طول باعه في الآداب والفكر... ولا أدل على ذلك توفر النسخ منه في الخزانات المغربية العامة والخاصة، وقد طبع بفاس على الحجر عام 1329 هـ.

ويمكن إرجاع تآليف اليفراني المرتبطة بمهنته ـ التعليم ـ إلى رغبته في ضبط طريقته وفرضها على أعدائه. ومن هذه التآليف الأرجوزة البلاغية

26) النبوغ المغربي. 1 / 298.
27) مقدمة تحقيق المسلك السهل ـ العمري ص 27.
28) نفس المرجع ص 41.

التي سماها «ياقوتة البيان» في ثلاثة وستين بيتا، ثم شرحها، وكان قد أنهى العمل منها ومن شرحها عام 1131 هـ. وكذلك «الإفادات والإشادات». كل ما هو متداول حوله «هو أنه تأليف لا كفاء له في الحسن» كما ذكر سليمان الحوات في كتابه البذور الضاوية. وقد أخذت هذه الجملة من طرف كل من كتب عن هذا التأليف المفقود[29].

لكن اليفراني لم يخلد اسمه في ميدان التأليف بهذا الإنتاج الأدبي والديني بل بإنتاجه في حقل التاريخ. وقد كتب اليفراني في هذا الميدان كتبا كثيرة :

- «الظل الوريف»، وقد انتهى من كتابته عام 1133 هـ / 1721م.

- «درر الحجار، بالتعريف بسبعة رجال، الصلحاء المشهورين بمراكش».
(ألفه فيما بين 1128 و1137 هـ).

- «المغرب، في أخبار المغرب» وهو تاريخ عام للمغرب.
- «نزهة الحادي»، وهو تاريخ للدولة السعدية إلى آخرها، وللدولة العلوية إلى وفاة المولى إسماعيل.

- «صفوة من انتشر»، وهو معجم التراجم الصلحاء من القرن الحادي عشر ويعتبر كذلك من الكتب المرتبطة بالتاريخ. وقد أتمه عام 1137 هـ / 1725.

---

29) مقدمة تحقيق ـ العمري ص 88.

ولنلقي نظرة سريعة على هذه الكتب، لنتبين مستواها ومستوى صاحبها وطريقة كتابته عن الدولة العلوية الشريفة.

ولنبدأ بآخر هذه اللائحة، أي بكتاب الصفوة، وعنوانه الكامل «صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر». من المتفق عليه عند غالبية المؤرخين أن اليفراني انتهى من إنجاز هذا الكتاب سنة 1137 هـ / 1724م، وقد جاء التأليف في «جزء وسط» غني بالإشارات والنوادر. واعتمد في إنجازه صاحبه على ما يزيد عن 42 مصدرا «وبعض التقاييد الخطية وأخبار أخذها عن الثقاة»[30]، مما جعل منه كتابا مطلوبا عند الباحثين في التراجم والمناقب والتاريخ، وبتتبع التراجم الواردة في كتاب «الصفوة» يلاحظ أن اليفراني أكد بالخصوص على تراجم علماء وفقهاء القرنين الحادي والثاني عشر للهجرة. قال ل. بروفنسال عن كتاب الصفوة «وهكذا يتأكد لدينا أن الأفراني المترجم ظل محتفظا بالخصال التي أمتاز بها كمؤرخ وأن كتاب «الصفوة» جدير بالثقة»[31].

لقد اشتهر اليفراني في كتاباته الأخرى بالدقة والحرص على التأكد من المعلومات جيدا قبل تقديمها، وكذلك كان في كتابه «الصفوة»، سواء عند حديثه عن رجالات الحضر أو رجالات البادية...

ولازال الكتاب لم يطبع طبعة حديثة تغني الباحثين عن الرجوع إلى الطبعة الحجرية الفاسية[32].

---

30) مقدمة تحقيق ص 83.

31) مؤرخو الشرفاء ص 219.

32) وهي بدون تاريخ.

أما عن كتابه الثاني : «روضة التعريف بمفاخر مولاي إسماعيل بن الشريف» أو «الظل الوريف في مفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف»، فيجب تأكيد ما قلناه أعلاه، أن الفراغ من إنجازه كان عام 1133 هـ، وأن تاريخ إخراجه للناس كان سنة 1146 هـ، أي بعد 13 سنة من إتمامه، وبالرجوع إلى ما ذكره اليفراني في مقدمة كتابه يظهر أن تأليفه جاء نتيجة للإلحاح المتكرر من حاكم مراكش (ت 1134)، لأنه ـ كما يقول اليفراني كان يعزه وقت الشدة... ولذلك كان الكتاب عبارة عن مدح للسلطان المولى إسماعيل وتعريف به أكثر من التاريخ للدولة العلوية. والمتتبع لمنعرجات الكتاب يتأكد من ذلك، حيث يغلب الطابع المدحي عليه... وربما كان هذا هو السبب في التأخير الذي عرفه إصداره للناس.

ثم أن الكتاب لم يصل إلى أيدي رجال الفكر بسهولة الشيء الذي حدى بعالم مثل محمد بن الطيب القادري (1124 هـ ـ 1187 هـ) إلى القول : «سمعت أن له تأليفا سماه الظل الوريف»[33] ونحن نعرف أن القادري كان ينتمي إلى الجيل ما بعد اليفراني...

وقد فقد هذا الكتاب مدة طويلة، قال ل. بروفنسال «هذا التأريخ المفقود للأسف، اتمه بعد خمس سنوات من شرحه لابن سهل عام 1133 هـ (2 نونبر 20 ـ 1721، أكتوبر 1721) وسماه باسمين هما : «الظل الوريف، في مفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف، وروضة التعريف...»[34]. لكن اليفراني مع ذلك استطاع أن يوصل إلينا ما ذكره في هذا الكتاب بطريقة

---

33) التقاط الدرر ص 439.

34) مؤرخو الشرفاء ص 114.

أقل ما يمكن أن يقال عنها أنها ذكية، حيث أورد ما قاله في الدولة العلوية ضمن كتابه «نزهة الحادي»، ما عدا بعض الأشعار التي لم يدخلها فيه.

وقد اكتشف كتاب روضة التعريف، وتم نشره من طرف الأستاذ عبد الوهاب ابن منصور اعتمادا على مخطوطتين :

- مخطوطة الخزانة الحسنية بالرباط في 17 ورقة.
- مخطوطة المكتبة الأحمدية بفاس في 40 ورقة.
- وبعض أوراق من أول الكتاب[35].

ونشر عام 1962 بالرباط.

ولليفراني كتب أخرى لم تسعفه الظروف لإكمالها :

أولها : «درر الحجال في مناقب سبعة رجال»[36] أو كما يسمى كذلك «زبدة الأطاب في مناقب الأقطاب»، ويتكون هذا الكتاب من «مقدمة فيها ثلاثة وثلاثون فصلا، والمقصد فيه أسماط سبعة، ثم منها السمط الأول في ترجمة سيدي يوسف بن علي، ووصل للسمط الثاني في ترجمة القاضي عياض، ولم يتمه رحمه الله «هكذا جاء في الإعلام»[37].

ثانيها : «المغرب في أخبار المغرب»، ولازال هذا الكتاب يعتبر في حساب المفقود... وعنوانه يدل على موضوعه التاريخي، ونعرفه فقط عبر ما تناقله عنه المؤرخون الأخباريون.

35) روضة العريف ـ تحقيق عبد الوهاب ابن منصور ـ ص 4.
36) شرفاء ص 115.
37) ج 5. ص 57.

ثالثها : «طلعة المشتري»، الذي عرف نفس المصير.

رابعها : «الوشي العبقري في ضبط لفظ المقري» الذي يعتبر آخر ما ألف اليفراني (1156 هـ)، أي قبل «خطبة واسطة العقدين» التي تعتبر تلخيصا لكناشتي الملك المولى إسماعيل. ويمكن اعتبار اختيار السلطان للافراني لإنجاز هذا العمل دون غيره إشارة تحمل أكثر من دلالة.

خامسها : وأهمها بالنسبة للمؤرخين المهتمين بدولة الأشراف كتاب «نزهة الحادي في أخبار ملوك القرن الحادي»[38].

يختلف المؤرخون في موضوع تاريخ إنجاز الأفراني لهذا الكتاب، يرجح البعض أن صاحبه انتهى من إنجازه عام 1139 هـ، بينما يؤكد البعض الآخر أن اليفراني كان قد اتمه عام 1137 هـ. الثابت أن الفترة التي استغرقها صاحب الكتاب في إنجازه كانت طويلة وعلى مراحل متقطعة، ويؤكد اليفراني ذلك في خاتمة كتابه، حيث يشير إلى أنه أنجز الكتاب في مرحلتين على الأقل أي بعدما تغلب على الظروف الصبعة (؟) التي مر بها : «وقد كنت جمعت محصله في بطائق، فإذا رمت تهذيبه عاق منه عائق، ولما المت بنا تلك المصيبة الفادحة... نبذت تلك التقاييد بزوايا الهجران حتى نسجت عليها عناكب النسيان 111»[39] وهذه الفقرة المؤخوذة من كتاب

---

38) طبع الكتاب على الحجر في المرة الأولى بفاس بدون تاريخ - وتوجد منه نسخ مخطوطة مختلفة ومتنوعة في كل من الخزانة الحسنية والعامة. أما النشرة المتداولة اليوم فقد تمت على يد المستشرق الفرنسي هو داس عام 1888، كما قام بترجمتها إلى الفرنسية، وأخيراً أعيد تصويرها من طرف السيد المكناسي بالرباط، مع مقدمة للدكتور ممدوح حقى. وهي النسخة المعتمدة في هذا البحث.

39) النزهة ص 310.

النزهة تؤكد ما ذكرناه من أن مرحلة إنجاز الكتاب كانت طويلة ومتقطعة، ولكننا نعرف من جهة أخرى أن الجزء الخاص بالدولة العلوية كان قد أنجزه - كما سبق الذكر - على شكل كتيب (روضة التعريف) منذ سنة 1133 هـ. وبعد إتمامه لكتاب النزهة ألحق به الجانب الخاص ببداية الدولة العلوية وعهد المولى إسماعيل من كتاب روضة التعريف.

ويظهر أن رجوع اليفراني إلى مذكراته لإتمامها كان نتيجة تشجيعات أصدقاءه، خصوصا صديقه الحميم شيخ الزاوية الشرقاوية الشيخ محمد الصالح بن محمد المعطي (ت 1139هـ) الذي ألح عليه أكثر من مرة لإكمال الكتاب. يذكر اليفراني بهذا الصدد «ثم تكرر الطلب إلي وأكد في جمع ذلك التأليف علي... محمد الصالح... فهو الذي أعاد لفكري قوة النشاط ونشر علي بساط الانبساط فانقشع عني سحاب الكسل»[40] ماذا عسى أن يكون قد فعله له محمد الصالح ليساعده، هل ساعده ماديا ليحل عنه تلك المشكلة التي ألمح إليها بقوله :

هذا زمان دراهم لا غيرها   دع الدفاتر للزمان الفاتر

أم أنه ساعده في فك معضلة تلك «المصيبة الفادحة» التي ذكرها اليفراني دون أن يفسر المقصود من ذلك ؟

ثم هل هذا يعني أنه لولا تلك المساعدة وذلك الإلحاح لما أتم اليفراني كتاب النزهة ؟ غالب الظن أن صاحب النزهة كان قد نوى على إنجاز هذا الكتاب منذ مدة. ففي المقدمة التي خصصها لكتابه هذا إشارة مفيدة ربما تكشف الضوء عن الأسباب التي كانت وراء تأليفه للنزهة. فمن خلال بعض

40) نزهة الحادي ص 310.

ما جاء في هـذه المقـدمـة نستشف أن علاقـة اليفراني بعلم التـاريخ وتحمسه لمعرفة أخبار الماضي كانت قديمة، ترجع إلى ما قبل تـأليفـه للنزهـة بكثير... إلى العهـد الـذي كان فيـه طـالبـا يتلقى دروسـه بمراكش وفـاس، يقول في المضـوع : «وإني لم أزل منـذ علقت تميمـة التميز في عقـدي وجعلت سـوار الطلب في زندي متشوقا إلى أخبار الـدولـة السعـديـة، وسـائلا هل استشف أحد نفحات أخبارها الوردية، فلما لم أر إلا مجيبـا بلا تيقنت أن رسم العلم غيره البـلاء...»[41] هكـذا يتجلى إذن أن اهتمام اليفراني بـالتـاريـخ عـامـة، وبتاريخ السعـديين خـاصـة، اهتمام قـديم، تبلور مبكرا مما جعلـه يصر على التعرف على تاريخ الشرفاء، رغبة منـه في تصحيح مـا كان يروج عنهم من أخبـار خـاطئـة... فـأفصح في متن كتـابـه عن بعض أراءه مثلا حول شرف أصحـابهـا، ومـا قيل في ذلـك إلى أن يفسر سبب تسميتهم بـالسعـديين بـدل الأشراف. يبقى أن تفسير تحديد موضوعه عن تلـك الـدولـة وفي من سبقـه من العلويين، صعب المنال، لأننا لو رجعنا من جديد إلى مقـدمـة الكتـاب نلاحظ أن صاحبه قد برر عدم تطرقـه لتـاريخ المرينيين والوطـاسيين قبل السعديين والعلويين... كما يلي : «وقد كنت بدا لي أن ألم بدولة بني وطـاس وأواخر بني مرين بمـا يكـون ذيـلا لروض القرطـاس وروضـة النسرين، فرأيت الدولة السعدية عناية أهل زماننا بها أكثر والاقتصار عليها لا يكون بها تاريخ الملك ابتر»[42].

ونحن إذ نطرح السـؤال بهـذه الصيغـة، فـإنمـا نقصـد من وراء إبـداءه تأسفنا، ضياع فرصة ثمينة كهذه لإنجاز تـاريخ لهـذه المرحلـة، التي لا نعرف

41) المصدر نفسه ص 2.

42) نفسـه ص 2.

عنها اليوم إلا أكثر بقليل مما تقدمه لنا الكتابات البرتغالية والإسبانية... وبعض المصادر المغربية الفقهية التي يصعب استغلالها بدون توفر كتب حوليات تغطي نفس الفترة... خصوصا أن اليفراني، لو حاول تلك المحاولة، لمكننا من الكتابات التي ألفت في تلك المرحلة الانتقالية بين المرينيين والسعديين، أو على الأقل من عناوينها. وربما كانت قلة المصادر نفسها هي التي حالت دون إنجاز اليفراني لهذا العمل، وإن كان، فإن هذا سيبقى دليلا آخر عن قلة إنتاج تلك المرحلة. فيصبح ما كنا نعتبره شكا يقينا ! ثم أن الأسف يتأكد أكثر إذا ما فكرنا بأن اليفراني كان سيساعدنا حتى ولو استعمل الرواية الشفوية...

طبعا لم يعتمد اليفراني في إنجاز كتاب النزهة فقط على هذا المصدر الشفوي، بل تعداه إلى مصادر أخرى مختلفة ومتنوعة نرجع إلى ذكرها بعد قليل. وقبل هذا لابد من اثارة الانتباه إلى تساؤل طرحه المستشرق الفرنسي حول الدواعي التي دعت صاحب النزهة إلى تأليف كتابه. يقول في هذا الشأن :

«ألم يكن الحافز الحقيقي له على تدوين تاريخ الدولة السعدية هو ميله العاطفي إلى أولئك الأشراف الذين كانوا بسوس، موطنه، وتربعوا على العرش بمسقط رأسه مراكش ؟»[43]. وإذا كان ل. بروفنسال يبرر تساؤله هذا بالطبيعة التي عالج بها اليفراني مرحلة المنصور وتحسره على تخريب البديع عام 1119 هـ، فإن شارل أندري جوليان يذهب إلى أن اليفراني «مجد الدولة المنهارة نكالة في السلطان مولاي إسماعيل»[44] دون مبرر ولا

43) مؤرخو الشرفاء ص 94.

44) شارل أ. جوليان : تاريخ إفريقيا الشمالية ـ تعريب المزالي... الجزء الثاني ص 264.

ثبت للمصادر التي استوحى منها استنتاجه، غير مبال بجزء مهم من الكتاب والذي يعالج فيه الدولة العلوية ويحظى المولى إسماعيل بمبحث خاص به، مدحه فيه وأكد على علو شأنه. فعلى الرغم من أن الجزء المخصص للدولة العلوية سابق في تاريخ تأليفه ـ كما سبقت الإشارة ـ عما كتب في الدولة السعدية، إلا أن هذا لا يعني في شيء صحة ما ذهب إليه أ. جوليان. فالواقع التاريخي يدحض رأيه هذا، خصوصا وأن الكتاب المعني : النزهة، ظهر ـ حسب ما استطعنا الوصول إليه من معلومات ـ مكتملا كما نعرفه اليوم. يمكن في حالة واحدة أن نذهب بعيدا مع هذا الرأي لو حدد كلامه عن نية الأفراني الأولى أو في مرحلة ما من مراحل تأليف الكتاب، خصوصا وأن اليفراني نفسه لم يتكلم في مستهل الكتاب، ولا أشار، بأنه سيؤرخ للدولة العلوية، فقط اكتفى بتعيين الدولة السعدية كموضوع سيعالجه مما يوحي أن نية التأليف لم تشمل عند بداية المشروع التاريخ للدولة العلوية لكن، وقد اكتمل الكتاب لم يبق أي مبرر ليدخل اليفراني في كتابه تاريخ الدولة العلوية... ما عدا إذا أراد من تلقاء نفسه، فتصبح كتابته عن بداية الدولة العلوية والمولى إسماعيل حجة عن أنه كان يسعى للتقرب إلى السلطة، أو على الأقل أنه يعتبر الفترة الأولى لهذه الدولة فترة عظيمة تستحق أن يؤرخ لها !

وهذا يدخلنا في باب آخر من هذا النقاش ألا وهو منهج اليفراني التاريخي.

إن معالجة موضوع المنهج التاريخي الذي اعتمده اليفراني في إنتاجه تطرح مجموعة من المصاعب، أولا لغياب أية دراسة أولية تعالج هذا الموضوع

ثانيا لأن صاحب النزهة يجعل الأمر بعيد المنال لكونه لم يعر هذه القضية أي اهتمام... مما جعل الخوض في مثل هذا العمل صعب. فلهذا اكتفيت بإبراز ملاحظات اخترتها لتكون عبارة عن منطلقات للبحث يمكن تعميق التنقيب فيها حسب الرغبة والاهتمام.

من المسائل التي تثير الانتباه في كتاب النزهة ـ في هذا الباب ـ اهتمام اليفراني بتعريف المنهج العام الذي يتبعه فهو يشير إلى ذلك مرتين اثنتين :

يقول في المرة الأولى : «أما بعد فإن علم التاريخ من أشرف العلوم... ومازال الجهابذة الأخيار يقطعون نفايس أوقاتهم في جمع الأخبار ويعتنون بمسائلها ويرونها من أسس ما يدخر ويقدمونها ولا يقولون الأصل في الأخبار أن تؤخر»[45].

ثم يضيف في المرة الثانية آخذا عن «طبقات تاج الدين السبكي» أن المؤرخين على شفا حرف هار لأنهم يستطيلون على أعراض الناس وربما وصفوا من الناس تعصبا أو جهلا أو اعتمادا على نقل من لا يوثق به، قال فعلى المؤرخ أن يتقي الله تعالى[46].

ويمكن تلخيص ما قصده اليفراني في هذين القولين في :

أولا : الاهتمام بجمع الأخبار اهتماما أكيدا.

ثانيا : الاعتماد على المصادر (الأسس) : شفوية أو مكتوبة...

ثالثا : عدم كتمان أصل الأخبار...

---

45) نزهة الحادى ص 2.

46) نفس المصدر ص 49.

رابعا : البحث عن الحقيقة بنقد المصادر.
خامسا : تجنب العصبية والجهل.
سادسا : «اتقاء الله».

هكذا إذن تتضح الخطوات التي تبعها اليفراني في عمله، كما يتضح المنهج الذي اعتمده، فأما بالنسبة للخطة التي اتبعها فهي تكتمل على مرحلتين :

المرحلة الأولى : وهي مرحلة «جمع الأخبار والاعتناء بها» التي تكتسي بالنسبة لليفراني أهمية قصوى، ذلك أنه أكد عليها مرات عديدة، بل أشار إلى طريقة تخزين تلك المعلومات وترتيبها، «وقد كنت جمعت محصلة في بطائق»[47]. وتلك طريقة لازال الباحثون اليوم يعتمدونها ويؤكدون عليها...

واليفراني ـ في جمعه لمواد المعرفة ـ لا يختار ولا ينتقي الأخبار بل يحاول الحصول عليها على اختلاف أنواعها وتشعباتها، وتناقضاتها لكي يتمكن من مقارنتها... وهذه ميزة المؤلفين القدامى الاخباريين، وكم من معلومات وصلتنا نتيجة لهذه الطريقة في التحري، كنا سنجهلها لولا اجتهاد هؤلاء المؤرخين في جمع كل ما من شأنه أن يساعد على تفهم الوقائع التي يتحدثون عنها. طبعا لهذه الطريقة عيوب... لكن فائدتها كبيرة.

أما المرحلة الثانية : التي تكتمل بها خطة اليفراني، فهي «عدم الشقة في كل خبر وتقويمه»، أي نقد كل خبر تلقاه المؤرخ وإخضاعه إلى عملية تسمح له بأن يعرف ظروف وحيثيات مصادر الأخبار والأفعال دون

---

47) النزهة ص 9.

أن ينساق نحو الكشف عن عورات الناس لإرضاء رغبة أنانية... «وقد ضربنا صفحا عن مطاعن هنا رأينا الاعراض عنها أولى ان من شرط المؤرخ الا يتبع العورات ولا يهتك الأعراض»[48]. ويضيف اليفراني ملاحظة أخرى : «وهذا ما وقعت عليه فيه سبب اتصالهم بالمسلك وقد تركت أخبارا ولعت بها العامة في ذلك ورأينا إخلاء كتابنا منها أولى...»[49]. واضح من هذا القول أن اليفراني ـ رغم ما قلناه من أنه يجمع المادة كلها ويقدمها للقارئ ليختار هذا الأخير بين آراء مختلفة ـ أنه يخضع المعلومات التي يجمعها إلى نوع من «الغربلة» و«الانتقاء» قبل أن يشيد بناءه التاريخي... وإن كانت هذه الطريقة تمكننا من الوقوف على معطيات تم اختيارها من بين مجموعة أوسع، الشيء الذي يجعلنا نقف على مستوى اليفراني في النقد والإختيار، فإن ذلك ربما أدى في بعض الأحيان إلى عدم استفاذتنا مما يسميه اليفراني بما «ولعت به العامة». بمعنى أننا سنكون قد حصلنا على المادة، وبقي علينا اليوم تقويمها واستغلالها استغلالا ربما غاب عن اليفراني وعن مؤرخي عصره... لو مكننا صاحب النزهة منها. إلا أنه لابد من الإشارة إلى أن في الكتاب معلومات مختلفة و«مهمة» لم يعرضها اليفراني لأداته النقدية هذه، إذ يحظى عنده «الولي» على سبيل المثال بنوع من الاهتمام يلفت النظر. وهذا الاهتمام يستقيه اليفراني من تكوينه الديني والمحلي، حيث أن في عصره كانت للولي أو الشيخ مكانة لا يوازيها سوى الملك أو الشرف. وكانت كتب تراجم المشاييخ والأولياء كثيرة ومتعددة، كلها تعطي نفس الأهمية لهذه الفئة الاجتماعية. فاليفراني ـ ويشبه في ذلك

48) نفس المصدر والصفحة.

49) نفس المصدر ص 12.

أهـل عصره ـ يستـدل بكرامـات الأوليـاء التي كانت تعتمـد عنـده لتفسير معطيات سياسية واقتصادية، بل أن اليفراني يؤكـد على أن توقعـات هؤلاء في الميادين الدنيوية توقعات غالبا ما تتحول إلى حقيقة... «وكان كـذلـك» عبارة استعملت من طرف صاحب النزهة مرات متعددة.

أما عندمـا يقول اليفراني «تجنب الجهل والعصبيـة، واتقـاء اللـه»، فهو يقصد حياد المؤرخ في كتاباته حيـادا يجعلـه ينظر إلى المعطيـات بعقلـه لا بقلبه أو بميولاته...

هذا عما ذكره المؤرخ اليفراني بوضوح في نص كتـاب النزهـة، أمـا مـا يمكن أن يستخلص من خلال طريقته في الكتابـة فـإنـه لاشـك أن كتـاب النزهـة يعبر كل التعبير عن منهجيـة تستقي أصولهـا من منهجيـة المـؤرخين العرب القدامى، وتسعى جاهدة للسمو بها إلى مستوى أعلى.

إن أول عمل قـام بـه المؤلف هو، ولا شـك ـ الإلمـام بـالموضوع، وجمع المعلومات وترتيبهـا ترتيبـا زمنيـا يسمح لـه تنـاولهـا بـالشكل الـذي أراده، وحسب منهجية تقليدية أخذها عمى سبقـه من المؤرخين فيتحـدث عن كل ما وقع في مدينة (فـاس ـ مراكش...) وفي زمن محـدود (الشهر أو السنـة)... بل هو يعتبر بعض الأماكن ملزمة وكذلك بعض التقطيعات المرحلية، مثل مرحلـة حكم ملـك، أو دولـة... وكسـابقيـه من المـؤرخين القـدامى أيضـا ـ وخصوصا أولئك الذين استقى منهم مـادتـه ـ يؤرخ اليفراني لطبقـة معينـة من المجتمع، وهي طبقة الخاصـة أو الوجهـاء، ولا يكاد يتعـداهـا، إذ مـا زال التاريخ عنده تاريخ «أبطـال» وشخصيـات، يعتبر أكبرهـا هو السلطـان أو الملك، يخبر عنه، ويحظى المتقربون إليه بنوع من الاهتمام حسب مكانتهم في

القصر أو خارجه، تتقوى كلما كانت صلة المخبر عنه بالسلطان قوية، وتتقلص متى كانت أهميته أدنى... فيسلط أضواء بحثه واهتمامه على «البطل» أو «الأبطال» وعلى المعارك حول السلطة... وعلى كل من يدور حول هذه القيادة أو تلك من وزير وكاتب وأديب وعالم، وما باقي أقسام الشعب إلا إطارا بشريا يستعمله المؤرخ لإظهار مكانة «البطل» ومساعديه.

طبعا هذا لا يعني أن اليفراني كان يبعد العامة عن اهتماماته متعمدا... فهو يتبع الأحداث التي تحرك دواليب الدولة، وتؤثر ان إيجابا أو سلبا على تلك العامة. «وقد ألمعنا لك بما يكون دالا على ما وراء»[50] مثلا فهو يعطينا في موضوع «الخبر عن سيرة المنصور وعيون من أنباء سياسته»[51] معلومات يمكن للباحث اليوم أن يقف فيها على معطيات تساعده للوقوف على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لعامة الشعب خلال تلك الفترة. فبتتبع ما جاء في هذا الموضوع من كتاب النزهة، يدرك الباحث المقياس الذي اعتمده صاحب الكتاب في «غربلته» للأخبار. فقد أورد 28 فصلا عن المنصور الذهبي وسياسته بينما لم يخصص لباقي ملوك الدولة السعدية حتى نصف ذلك ! وكذلك لمن عرفهم من ملوك الدولة العلوية. يمكن أن نفسر ذلك، أولا بتوفر الأخبار حول المنصور انطلاقا من «مناهل الصفا» للفشتالي، ثانيا بما أشار إليه اليفراني نفسه من أنه لم يؤلف كتابه ليؤرخ لمساوئ دولة أو سلطان «وتتبع ما وقع في ذلك يناقض

---

50) النزهة ص 158.

51) نفس المصدر ص 157 ـ 158 ـ 159.

غرضنا في هذا الكتاب من الاغضاء عن العورات والستر عن الفضائح...»[52].

ثم لابد هنا من الإشارة إلى الاهتمام الخاص الذي يوليه اليفراني لفئة الفقهاء والأولياء ورجال العلم والأدباء والمؤرخين. ففي آخر كل فصل أو باب من كتابه يذكر أشهر هؤلاء كما يورد بعض إنتاجهم من شعر ونثر وغيرهما... وهذا ما يجعل كتاب اليفراني يذكر ضمن الكتب التاريخية والأدبية.

وهذا يجرنا إلى إعطاء فكرة ولو وجيزة عن موضوعات الكتاب. كما يدل على ذلك عنوانه «نزهة الحادي في أخبار ملوك القرن الحادي» الكتاب سجل لأخبار الملوك الذين حكموا المغرب خلال القرن الحادي عشر للهجرة (الموافق للنصف الأخير للقرن السادس عشر والسابع عشر للميلاد). ويوافق هذه الفترة عهد المنصور وعهود أبناءه وأحفاده ثم عهد الزاوية الدلائية والعياشي، ثم أخيرا العهد العلوي الأول إلى المولى إسماعيل. وبالفعل لم يستعرض اليفراني في كتابه أخبار تلك المرحلة وحدها بل كل ما يفسر أحداث القرن الحادي عشر للهجرة، أي ما وقع قبله من ظهور الأشراف السعديين، ينسبهم وتمكنهم من الحكم إلى عهد المنصور، وقد فصل اليفراني القول عن هذا العهد كما سبق، فمن 81 مبحث الموجودة في الكتاب خصص 25 منها للنسب السعدي وأسباب استيلاءهم على السلطة، وذكر أخبار الملوك الأوائل... إلى مرحلة حكم عبد الملك. وخصص ـ كما سبق الذكر ـ 28 فصلا (من ص 78 إلى ص 190) لعهد المنصور، وخصه بعناية كبيرة لم

---

52) نفس المصدر ص 158.

يفز بها، أو بما يقربها، سوى المولى إسماعيل ممدوح اليفراني في «روضة التعريف». فقد ألم بجوانب عديدة من حياتها، وسياستها الداخلية والخارجية، ومآثرهما وتصرفها مع العلماء... بينما لم يخصص سوى 17 فصلا (من صفحة 190 إلى ص 258) للفترة الموالِيْة لوفاة المنصور (1082 هـ / 1603م) تحدث فيه عن نزاع أبناء المنصور، وعن ثورة أبي محلي والحاحي، ثم حركة الدلائيين والعياشي بسلا... ثم خصص القسم الثالث للدولة العلوية : نسب الأشراف العلويين، وقيامهم بتافيلالت، ثم الملوك الثلاث الأوائل.

ولا شك أن قيمة هذا الكتاب، بالنسبة للمؤرخين بالخصوص، كبيرة النزهة قيمة جعلت كل باحث وكل مؤرخ يهتم بهذه الفترة (القرن 11 هـ) مضطرا إلى الرجوع إليه.

وتتجلى هذه القيمة في مظهرين اثنين للكتاب، أولها من المصادر التي استقصى منها اليفراني معلوماته، ثانيهما من مواقف اليفراني ومنهجه وخصوصا عند حديثه عن عهد المولى إسماعيل، وهو شاهد عيان !

وقد كتب الكثير عن النزهة وعن صاحبها من طرف الباحثين والمؤرخين من مستشرقين وعرب ومغاربة. وكل هؤلاء قدموا أحكاما وتعليقات يهدف جلها إلى إنصاف وتقدير محتوى كتاب اليفراني. فصاحب النزهة في رأي بعضهم من الذين «خلفوا لنا من المدارس الفكرية والتراث العلمي ما نحن في مسيس الحاجة إلى الكشف عن نفائسه... لنعرف منه مدى ما لنا من مكانة وأصالة...»[53] وكذلك وهو «صاحب المؤلفاء العديدة

---

53) عن تقديم محمد الأحمدي أبو الفور لدرر الحجال ص 5.

والنفيسة في الآداب والعلم والتاريخ»[54] منها... نزهة الحادي...»[55] وأن «نزهة الحادي كافية لتحل مؤلفها اليفراني محلا مرموقا بين رجال الأدب المغاربة»[56] ويعتبره جورج كولان من أجلة مؤرخي المغرب[57]. والتنويه باليفراني كثير في كتب النقد التاريخي وكذلك الحال في كتب الاداب.

ويأتي كل هذا مما لكتاب النزهة من قيمة تاريخية. فالكتاب يقدم مادة جديرة بأن تأخذ بعين الاعتبار، بل وتوظف ضمن التاريخ التركيبي المعتمد اليوم من طرف الباحثين، ثم أن قيمة الكتاب الاستقصائية للنصوص كانت أهم في غياب المصادر التي أخذ عنها صاحب «النزهة»، وحتى إذا تقلصت تلك القيمة باكتشاف المصادر التي كانت غائبة عنا، فإن قيمة الكتاب التحليلية بقيت ثابتة. وللاقتناع من ذلك نقدم - بإيجاز - مثالا عن تعامل صاحب النزهة مع المصادر، انطلاقا من تعرضنا لطبيعة العلاقة بين «النزهة» و«مناهل الصفا» للفشتالي مثلا. فاليفراني يقتطف من «المناهل» انضج قطوفها، نصوصا طويلة، مرات عديدة. ويكفي لإعطاء صورة عن طبيعة العلاقات بين النزهة والمناهل جمع النصوص التي اعتمدها اليفراني. أو على الأصح نقلها عن الفشتالي. فتلك النصوص كافية لتعطينا فكرة مفيدة عن كتاب «مناهل الصفا» الذي لم تكن معروفة منه سوى مقتطفات قليلة إلى حدود 1972[58] ثم 1974[59]. **ويمكن الجزم بأن اليفراني كان ممن شوق**

---

54) عن تقديم عبد الوهاب ابن منصور لروضة التعريف ص 5.

55) النبوغ المغربي ج 1 / ص 298.

56) مؤرخو الشرفاء ص 217.

57) عن تقديم جورج كولان «لتاريخ الدولة السعدية التاكمدنية» الرباط 1934.

58) الأستاذ عبد الله كنون - تحقيق مناهل الصفا.

59) الدكتور كريم (تحقيق) طبعة 1974.

المؤرخين والباحثين إلى «مناهل الصفا» وشجعهم على البحث عن نصه الكامل... هذا من جهة. ومن جهة أخرى فإن طريقة اليفراني في معالجة تلك المعطيات التي أخذها عن «مناهل الصفا» أو عن غيرها من المصادر، معالجة خاصة، تسمح لنا اليوم من تلمس منهج صاحب النزهة، بل والوقوف على نظرته لمجموعة من المعطيات التي كانت لا تزال الذاكرة الشعبية والرسمية تتحدث عنها من وجهة نظر خاصة بالعصر. هذا صحيح بالخصوص عن الأحداث التي ترتبط بالفترة الموالية لوفاة المنصور، والفترة التي عايشها صاحب روضة التعريف، ألا وهي فترة العلويين الأوائل، إلى حدود وفاة المولى إسماعيل.

ثم أن المصادر التي اعتمدها اليفراني لكتابة النزهة مصادر عديدة أولا ومتنوعة ثانيا، فمنها التاريخية ومنها الأدبية ومنها الدينية، مكتوبة ومسموعة. ويفرق صاحب النزهة بين نوعين من المصادر التي اعتمدها، المصادر الثانوية أي التي ذكرها عرضا، أي في سياق الكلام، والمصادر الأساسية التي أخذ منها مقتطفات تطول أو تقصر حسب موضوع الفصل أو الباب.

وهذه لائحة بالمصادر الثانوية : (انظر اللائحة حجته رقم أ ـ 1 و2 و3).

والمتتبع لتلك المصادر يلاحظ أن من بينها كتب الفقه والعبادات، ومن بينها كتب التراجم والمناقب وكتب التاريخ والرحلات... منها ما هو معروف اليوم، ومطبوع ومتداول ومنها ما هو نادر إن لم نقل مفقود.

أما اللائحة الثانية (ب ـ 1 و2) فهي تخص المصادر الأساسية التي اعتمدها اليفراني لكتابة نزهة الحادي، وقد حاولنا إحصاء عدد المرات التي ذكر فيها صاحب الكتاب هذا المصدر أو ذاك، لإعطاء فكرة كمية عن مدى استعمال اليفراني لهذا النوع من المصادر دون الآخر، ولكي نفهم منظور صاحب الكتاب.

وكم يكون مفيدا لو تم تحليل علاقة «النزهة» بتلك المصادر !

فاس **محمد مزين**

ـ لائحة أ ـ

المصادر المذكورة عرضا :

1 ـ الأحكام السلطانية للماوردي.
2 ـ إيضاح المناسك للونشريسي.
3 ـ إكمال المعلم على شرح مسلم للقاضي عياض.
4 ـ الألفية لابن مالك.
5 ـ الإعلام فيمن بويع قبل الاحتلام.
6 ـ جمع الجوامع لابن السبكي.
7 ـ الجامع الكبير للسيوطي جلال الدين.
8 ـ ديوان المتنبي.
9 ـ الوضاح للأبي محلي.
10 ـ الوفيات للفشتالي.
11 ـ حاشية المكودي للشيخ أبي محمد المسناوي.
12 ـ حاشية على التفسير للمنصور (جمعها أبو الحسن علي بن منصور الشياظمي).
13 ـ حاشية السنوسي على الكبير.
14 ـ حاشية الشفا للشاموني.
15 ـ حواشي على التفسير لمحمد الشيخ.
16 ـ الحواشي على المرادي للأبي العباس أحمد القدومي.
17 ـ حياة الحيوان للدميري.
18 ـ حسن المحاضرات للسيوطي جلال الدين.

19 ـ الطرر الشهير على المختصر للأبي عبد الله محمد الجنان.
20 ـ كافية ابن الحاجب في النحو.
21 ـ كتاب إقليدس في الهندسة.
22 ـ كتاب الأدعية للمنصور.
23 ـ كتاب الأنباء في شرح الأسماء للاقليشي.
24 ـ كتاب الفصوص لابن العربي الحاتمي.
25 ـ كتاب القضاء من نوازل الإمام البرزلي.
26 ـ كتاب في السياسة للمنصور.
27 ـ المجالس المكناسية أبو عبد الله محمد بن عبد الله.
28 ـ مدد الجيش لابن الخطيب التلمساني.
29 ـ موشحة ابن سهل.
30 ـ ملخص المقاصد لابن زكري.
31 ـ الممدود والمقصور من سنا أبي العباس المنصور أبو عبد الله محمد بن عيسى.
32 ـ المنجنيق لأبي محلي.
33 ـ المعيار للونشريسي.
34 ـ المسالك لابن فضل الله العماري.
35 ـ المسامرات محي الدين بن عربي.
36 ـ مقدمة في ترتيب ديوان المتنبي على حروف المعجم للفشتالي.
37 ـ مشيخة لأبي جمعة سعيد بن مسعود الماغوسي.
38 ـ مختصر الذيل لابن السمعاني.
39 ـ مختصر خليل.

40 ـ نخبة ابن الحجر.
41 ـ صحيح البخاري.
42 ـ صحيح مسلم.
43 ـ الصخور في الرد على أهل الفجور لأبي محلي.
44 ـ عقائد للسيوطي.
45 ـ فهرسة أبو عبد الله محمد بن يعقوب الأيسي.
46 ـ روضة النسرين.
47 ـ روض القرطاس لابن أبي زرع الفاسي.
48 ـ الرسالة (من المقررات التي كانت تقرأ على الطلبة في الحلقات العلمية) لابن أبي زيد القيرواني.
49 ـ الرشفة الهنية في رسالة التهنية.
50 ـ شمسية ابن الحاجب في المنطق.
51 ـ شرح ألفية ابن مالك للمنجور.
52 ـ شرح البسيط لأبي عبد الله محمد المرابط بن محمد بن أبي بكر.
53 ـ شرح على الجمل للإمام سيدي الحسن الزيات.
54 ـ شرح الورقات.
55 ـ شرح السنوسي الصغير والكبير على ملخص المقاصد لابن زكري.
56 ـ شرح لأبيات شعرية (من نظم المنصور).
57 ـ شرح لأمية العجم.
58 ـ شرح لأمية العرب.
59 ـ شرح ملخص المقاصد للمنجور.
60 ـ شرح مقصورة المكودي للفشتالي.

61 ـ الشرح على التسهيل لأبي عبد الله محمد المرابط بن محمد بن أبي بكر.

62 ـ شرح على المختصر للمواق.

63 ـ الشرح على السلم لسيدي سعيد قدورة الجزائري.

64 ـ شرح على درر السمط في أخبار ابن الآبار.

65 ـ توضيح خليل.

66 ـ تحفة الطلب للشريف المكي السمر قندي.

67 ـ تحفة القادم ابن الآبار.

68 ـ تلخيص المفتاح.

69 ـ التعريف لأبي عبد الله محمد المرابط بن محمد بن أبي بكر.

70 ـ تقييد للإمام المسيلي (عن شيخه بن عرفة في التفسير).

71 ـ تقييد للسلاوي (عن شيخه ابن عرفة في التفسير).

72 ـ الخزرجية.

لائحة (ب ـ 1 و2)

إسم الكتـــاب	عدد المرات التي رجع إليه الأفراني	الصفحـــات
مناهل الصفا	32	79 ـ 81 ـ 83 ـ 85 ـ 90 ـ 93 ـ 95 ـ 102 ـ 110 ـ 105 ـ 117 ـ 120 ـ 125 ـ 130 ـ 132 ـ 135 136 ـ 143 ـ 144 ـ 145 ـ 147 159 ـ 160.
المنتقى المقصور	31	3 ـ 4 ـ 16 ـ 18 ـ 23 ـ 26 ـ 31 36 ـ 41 ـ 48 ـ 50 ـ 57 ـ 63 ـ 73 ـ 74 ـ 76 ـ 77 ـ 78 ـ 79 ـ 80 ـ 125 ـ 126 ـ 129 ـ 143 ـ 160 ـ 170 ـ 191.
زهرة الشماريخ	17	10 ـ 21 ـ 23 ـ 45 ـ 75 ـ 120 191 ـ 195 ـ 236 ـ 243 ـ 244 245 ـ 263 ـ 266.
نفح الطيب	17	7 ـ 104 ـ 106 ـ 107 ـ 108 ـ 109 ـ 112 ـ 126 ـ 138 ـ 143 157 ـ 165.
دوحة الناشر	11	11 ـ 12 ـ 24 ـ 25 ـ 28 ـ 31 ـ 32 ـ 37 ـ 41 ـ 50.
الفوائد الجمة	10	25 ـ 80 ـ 126 ـ 129 ـ 132 ـ 158 ـ 169 ـ 177 ـ 211

إسم الكتــاب	عدد المرات التي رجع إليه الأفراني	الصفحـــات
شرح درة السلوك	8	9 ـ 27 ـ 29 ـ 56 ـ 62 ـ 169.
فهرس المنجور	8	26 ـ 27 ـ 33 ـ 34 ـ 37 ـ 60 ـ 130.
المحاضرات	8	101 ـ 204 ـ 207 ـ 284 ـ 291
الاعلام بمن مضى وغبر	7	53 ـ 54 ـ 165 ـ 168 ـ 277
ذرة الحجال	6	23 ـ 76 ـ 169 ـ 49 ـ 164 ـ 169.
الأنوار السنية	5	289 ـ 291 ـ 297
مرآة المحاسن	5	12 ـ 181 ـ 275
ممتع الأسماع	5	21 ـ 28 ـ 43 ـ 44 ـ 48
النفحة المسكية	4	61 ـ 120 ـ 146 ـ 240.
ابتهاج القلوب	3	80 ـ 101
الأصليت	3	189 ـ 200 ـ 207

إسم الكتـــاب	عدد المرات التي رجع إليه الأفراني	الصفحـــــات
بذل المناصحة	3	97 ـ 210 ـ 277.
ماء الموائد	3	12 ـ 271 ـ 289
جذوة الاقتباس	2	161 ـ 172
كفاية المحتاج	2	25 ـ 168
الدورة للازرقاني	2	5 ـ 288
شرح دلائل الخيرات	2	200
بقية الكتب الأخرى	1	-

م٠م

كتب التراجم
كمصدر لإغناء المعرفة بتاريخنا

أحمد بوكاري

تقديم :

تتوخى هذه المساهمة: توضيح القيمة التراثية والعلمية لكتب التراجم، باعتبارها رافدا مصدريا ـ وليس الوحيد ـ له أهميته في سبيل تحقيق معرفة أوضح وأشمل بتراثنا وتاريخنا الوطني... سيما إذا كان هذا النوع من الكتابة والثقافة: يسد فراغا هائلا، ويملأ جانبا من النقص الذي يشعر به المختص إزاء كتب «الحوليات».

سأعطي كنموذج لهذا النوع من المصادر، كتاب أو مخطوط «الروض اليانع» لمؤلفه الحسن بن محمد المداجي المعداني المتوفي بعد عام 1180 ـ 1760. **وهو كتاب يترجم لشخصية صوفية بارزة خلال العهد الإسماعيلي، وأعني به الشيخ الفقيه والأديب محمد الصالح، شيخ الزاوية الشرقاوية** بتادلا. بيد أن أهمية الكتاب تتجاوز إطار شخصية محمد الصالح لتوسع

دائرة معلوماتنا عن العصر الإسماعيلي؛ خاصة ماله علاقة بتاريخ منطقة تادلا الكبرى، وماله علاقة بموقف السلطان العلوي مولاي إسماعيل [1083 ـ 1139 / 1672 ـ 1727] من الزوايا في عصره، سيما وأن «كتاب الروض» لا يفيدنا الجانب السياسي فقط؛ بل يعطينا معلومات هامة عن أوضاع المغرب الثقافية والاجتماعية وكذا الاقتصادية سواء في إطارها الجهوي أو إطارها الوطني.

أهمية كتب التراجم :

لقد اهتدى المستشرقون منذ البداية، إلى الإمكانيات المعرفية والعلمية التي تقدمها كتب التراجم.

يقول جيب Gibb :

«التاريخ ينطبق باعتباره مصطلحا من مصطلحات الثقافة العلمية، على تدوين ضروب الحوادث الحولية، كما ينطبق على تراجم الرجال وسيرهم...».

إن كتب التراجم؛ بالرغم من صبغتها شبه المتخصصة في التعريف بطبقة من الأعلام؛ في مجال من المجالات الدينية والعلمية... إلا أنها تتضمن عدة معلومات تكون مادة خام للمؤرخ والباحث : يتم توظيفها وتسخيرها للإحاطة بأحداث وتطورات فترة من الفترات، سواء تعلق الأمر بالجانب الثقافي أو الاقتصادي أو الاجتماعي... ذلك أن الشخص المعنى بالترجمة يشكل أحيانا نموذجا ونمطا لدراسة وفهم جانب من جوانب الحياة والمجتمع خلال عصر من العصور.

إن تعامل الباحث مثلا مع كتب المناقب وتراجم رجالات الصلاح: توفر له مجالا خصبا لتفاعل ثقافة وسلوك فئة عريضة ومتميزة في المجتمع: ومدى تأثير هذه الفئة المباشر أو غير المباشر على قاعدة واسعة منه سيما إذا كان هذا التأثير يشمل عامة الناس وخاصتهم. وهي مجالات جديرة بالارتياد ما دامت تساهم بشكل أو آخر في تحرير الحدث التاريخي من الإطار الذي وضعه فيه أصحاب الحوليات، وتزداد أهمية هذه المصادر ـ من نوع كتب التراجم وغيرها ـ عندما نجدها تهتم بمناطق ونواحي وأشخاص تشكل عناصر ثانوية في زحمة اهتمامات «المؤرخ الرسمي» الذي يهتم أول ما يهتم بالأحداث الكبرى التي لها ارتباط بالسياق التاريخي العام: الذي ينصب أول ما ينصب على تاريخ الأسر والدول المالكة وما يندرج تحت هذا المعنى.

لقد أكدل. بروڤنصال من خلال تعامله مع الثقافة العربية ومصادرها على أهمية هذا النوع من الكتابة: لكونه «يمتاز بكثير من عناصر التحقيق ويشتمل على ثرات واسع...» وأعطي كمثال على ذلك «وفيات الأعيان» لابن خلكان. و«الديباج المذهب» لابن فرحون. بحيث أنه بدونها «لبقيت زمرة وافرة من أمجاد الإسلام مجهولة ومغمورة»[1].

وما يقال عن كتب التراجم: يصدق على عدد كبير من فنون التأليف التاريخي، مثل كتب الفهارس والرحلات، والجغرافية، والنوازل، والفتاوي،

---

1) ليڤي بروڤنصال : مؤرخو الشرفاء، تعريب عبد القادر الخلادي. الرباط 1397 / 1977 ص : 53.

والحوالات الحبسية (الوقفية) وما إلى ذلك... بحيث أننا بالفعل مقبلين على نهضة تراثية متجددة، لا من حيث تنوع المصادر، ولكن أيضا من حيث غنى المناهج والنظريات العلمية المرتبطة بمجال البحث والدراسة في ميدان العلوم الإنسانية.

إن ظهور كتب التراجم له علاقة وطيدة بتدوين علم الحديث، بدليل أن كتب الطبقات الأولى ألفت في سيرة النبي ﷺ وصحبه والتابعين خلال القرن 3 هـ... واتسع هذا الفن باتساع الأمبراطورية الإسلامية، وتعدد مناحي الحضارة الإسلامية كفنون وعلوم واتجاهات فكرية وعقائدية... فؤلفت كتب الطبقات في الفقه والحديث والطب والأدب وغيرها... ومن أقدم الكتب في مجال التصوف نذكر كتاب «حلية الأولياء» لأن النعيم الأصفهاني المتوفى 430 هـ / 1038 م. أما بالنسبة للمغرب فسوف نفرد لذلك فقرة خاصة.

تراجم الصوفية بالمغرب : أو كتب الكرامات والمناقب

حسب ل. بروفنصال. فإن من أقدم الكتابات في مجال التصوف المغربي : كتاب «التشوف إلى رجال التصوف» لأبي يعقوب يوسف بن يحيا التادلي المتوفى 628 هـ[2]. والذي ترجم فيه للعديد من الصلحاء والمتصوفة جلهم مغاربة عاشوا خلال القرنين 5، 6 هـ. وهذا يدفعنا إلى الملاحظات التالية :

2) المرجع السابق: ص : 152.

ـ إن كتاب التشوف من الكتابات المبكرة في تاريخ التصوف الإقليمي... وهذا ولاشك جاء بتأثير كتابات مشابهة اهتمت بنفس الموضوع في مناطق وأقاليم إسلامية أخرى سواء بالمشرق أو الأندلس.

ـ إن ظهور مؤلف من هذا النوع خلال القرن 7 هـ / 13م: يفيد الأهمية الدينية والثقافية والاجتماعية لرجال الصلاح والتصوف داخل المجتمع المغربي وهذا ما سوف يتبلور في العصور اللاحقة سواء تعلق الأمر بالمؤلفات أو الأعلام.

ـ وردت إشارات في كتاب التشوف تفيد نقله عن كتابات سابقة له، مثل مؤلف في صلحاء ركراكة، كما ذكر صاحب الفتوحات المكية مؤلف آخر للمغاربة في هذا المجال[3]. هو كتاب :

«المستفاد في ذكر الصالحين والعباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد» لأبي عبد الله محمد التميمي المتوفى أواخر القرن 6 هـ.

ـ أما المؤلفات التي جاءت بعد التشوف، فنذكر منها :

☆ المنهاج الواضح في تحقيق كرامات الشيخ أبي محمد الصالح : من تأليف أحمد بن إبراهيم الماجري (منتصف ق 7 هـ).

☆ المقصد الشريف والمنزع اللطيف في ذكر صلحاء الريف : من تأليف : عبد الحق بن إسماعيل البادسي (منتصف ق 8 هـ) ذكر فيه أصنافا

3) التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي : تحقيق أحمد توفيق 1404 ـ 1984، ص : 15.

من صلحاء الريف منهم : الصلحاء المنقطعون للعبادة. والصلحاء المجاهدون **في سبيل الله ضد المسيحيين، والصلحاء المنقطعون لنشر العلم بهذه المنطقة** وسواها.

ومنذ هذا التاريخ (أي منتصف ق 8 هـ) / 14م، بدأت حركة التأليف في مجال التصوف تتسع وتتنوع موضوعاتها حسب الأشخاص والمناطق، وهذا التوسع في التأليف سيستمر حتى العصر السعدي، وإلى هذا العصر الأخير يرجع تأليف كتاب «دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر» لمحمد بن عسكر الحسني الشفشاوني، المتوفى عام 986 / 1578.

ومجمل هذه التآليف تشرح لنا :

- مكانة الصلاح والتصوف خلال هذه الحقبة الحرجة من تاريخ المغرب، وكيف تعامل هؤلاء المتصوفة مع الواقع اليومي ومع تحديات العصر.

- تبرز هذه المؤلفات خصوصيات التصوف المغربي الذي تلون بالواقع الاجتماعي وتفاعل معه.

- المكانة الخطيرة التي أصبحت تحتلها الثقافة والممارسات الصوفية في المجتمع، مما كان تحديا للفقيه ورجل السياسة في آن واحد.

تراجم الصوفية في العصر العلوي :

تنوعت الكتابات في تراجم الصوفية خلال العصر العلوي، بيد أنها منهجيا ونظريا تعتبر امتدادا لنسق ثقافي وفكري سابق... إلا أن هذا لم

يمنع من الاهتمام بموضوعات من صميم التحولات الاجتماعية والسياسية لمغرب القرنين 17م 18م مثل ذلك كتب الأنساب.

وتندرج تراجم الصلحاء في محورين أساسيين :

أ ـ التأكيد على تراجم طبقات شيوخ الطريقة الجزولية الشاذلية :

مثل كتاب «ممتع الاسماع في ذكر الجزولي والتباع ومالهما من الاتباع».

لمحمد المهدي الفاسي المتوفى 1109 / 1698.

ب ـ الترجمة لكبار البيوتات الصوفية خلال العصر العلوي.

مثل ذلك بالنسبة للزاوية الناصرية :

☆ الروض الزاهر في التعريف بالشيخ ابن حسين واتباعه السادات الأكابر».

محمد المكي الناصري (أواخر ق 12 ـ 18).

أما بالنسبة للزاوية الشرقاوية فتذكر :

☆ الروض اليانع الفائح في مناقب أبي عبد الله محمد المدعو بالصالح».

تأليف الحسن المعداني الهداجي.

أما بالنسبة لزاوية وزان، فنذكر :

☆ تحفة الإخوان في بعض مناقب شرفاء وزان».

للطاهري أحمد دعي حمدون بن محمد بن حمدون الحسني. المتوفى 1191 / 1777 وهذا فقط على سبيل المثال. إذ الغرض النهائي هو التعريف

بنموذج من النماذج السابقة، لتوضيح ما اكدنا عليه في مقدمة هذه المساهمة، على أن نختم ذلك بمجموعة من الملاحظات والخلاصات الأولية، وهي القناعات التي تأكدت لنا فعليا، من خلال تعاملنا مع جملة من هذه المصادر، لإنجاز أطروحة جامعية حول : الزاوية الشرقاوية : دورها الديني والثقافي والاجتماعي والسياسي[4].

الروض الفاتح[5] : كتابة تاريخ المغرب الجهوي في العهد الإسماعيلي

ألف الحسن بن محمد الهداجي المعداني (المتوفى بعد 1180 / 1760) كتابه، للتعريف بشيخه وشيخ الزاوية الشرقاوية محمد الصالح[6] (المتوفى 1139 / 1727)، إلا أن دراسة مستوفية لهذا المصدر الهام، جعلتني استخرج منه جملة من المعلومات بعضها له علاقة بأوضاع الزاوية الشرقاوية في محيطها وإطارها الجغرافي. ثم هناك إشارات تتجاوز هذا الإطار لتربط الزاوية ومجتمعها ومناطق اشعاعها بمجموعة من الأحداث ذات الصبغة الوطنية، سيما وأن شيخ الزاوية محمد الصالح كان من خاصة السلطان العلوي مولاي إسماعيل... كما أن الشيخ محمد الصالح بالإضافة إلى مكانته الصوفية على المستوى الوطني، كان له حضور أدبي وفقهي شهد له به المعاصرون، ومعضمهم من رجالات الفكر والدين في ذلك العصر[7].

4) أحمد بوكاري : مصادر تاريخ زاوية أبي الجعد (الزاوية الشرقاوية). مجلة المناهل، عدد 33 ربيع II 1406 / دجنبر 1985 ص : 306 ـ 319.
ـ نشر القسم الأول من هذه الأطروحة تحت عنوان : الزاوية الشرقاوية : إشعاعها الديني والعلمي 1406 / 1985.

5) أحمد بوكاري : الزاوية الشرقاوية؛ ص : 20 ـ 21 وكذلك ص : 248 ـ 251.

6) المرجع السابق؛ ص : 103 ـ 107 وفي أماكن أخرى.

7) محمد الصغير الافراني : نزهة الحادي... (هوداس) ص : 310، 311.

ويمكن توضيح قيمة إسهامات كتاب «الروض الفائح» من خلال المحاور التالية :

1 - الجانب الديني والصوفي :

إن استمرار الزاوية المغربية في القيام بأدوارها ومختلف أنشطتها مرده بالدرجة الأولى إلى إسهاماتها في تدعيم رسالة التوحيد التي جاء بها القرآن؛ وتأكيدها على ضرورة التزام الكتاب والسنة، وهو نفس النهج الذي تبنته المدرسة الصوفية الجزولية، وسار على منواله شيوخ الزوايا، الذين بالرغم من اختلاف انتماءاتهم وتسمياتهم، إلا أنهم يتنافسون في إحياء شريعة الكتاب والسنة، ويتسابقون لإطفاء نار البدعة والفتنة، ومن هنا كان اجماعهم، وكان مصدر قوتهم وتجدرهم داخل المجتمع المغربي[8].

يؤكد صاحب الروض على المنبع الصوفي الأصيل للزاوية الشرقاوية، إذ أنها في عهد شيخها محمد الصالح كانت منارا يشع منه الطهر الروحي وفي رحابها تقام مجالس العلم، فقد جاء في نصيحة محمد الصالح : «وعليك بالعلم، فالعلم زينة الفقر (بمعنى التصوف) وعماده وفراشه وغطاؤه ووساده، وفقر بلا علم فضيحة ومكر وخديعة...».

وهذا الدور الديني والصوفي وجد من السلطان العلوي مولاي اسماعيل كل تأييد وتشجيع سواء تعلق الأمر بالزاوية الشرقاوية أو غيرها من الزوايا السنية... وهذا التشجيع هو الذي جعل من الزاوية الناصرية زاوية

---

8) أحمد بوكاري : دور الزاوية المغربية في تدعيم المذهب السني. دعوة الحق عدد 257. السنة 1986. (عدد خاص).

وطنية يشمل نفوذها معظم التراب الوطني خلال هذا العصر؛ وانضوت تحت لوائها معظم الزوايا الجزولية الشادلية وفي مقدمتها الزاوية الشرقاوية.

2 - الجانب العلمي والتعليمي :

شكلت الزاوية المغربية مدرسة علمية: نافست في بعض الأوقات الجوامع الكبرى في كل من فاس ومراكش: ونذكر بالمناسبة دور الزاوية الدلائية العلمي ابان الأزمة العامة التي عاشها المغرب بعد وفاة السلطان أحمد المنصور الذهبي[9] وهو الدور الذي اضطلعت به الزاوية الشرقاوية في منطقة تادلا وما حولها خلال العصر العلوي خصوصاً إبان القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجري[10] (17، 18م).

ويبرز لنا كتاب «الروض» هذا الدور من عدة أوجه :

ثقافة أشياخ الزاوية : الذين تتلمذوا على كبار العلماء والفقهاء في كل من مراكش وفاس أمثال : محمد بن سعيد المرغتي السوسي والشيخ عبد القادر الفاسي وابنه محمد والشيخ الحسن بن مسعود اليوسي والشيخ أحمد بن محمد بن ناصر شيخ الزاوية الناصرية بتامكورت.

- مستوى الدراسة بالزاوية :

يبرز مستوى الدراسة بالزاوية من خلال أسماء العلماء والشيوخ الذين ندبوا أنفسهم للإسهام في إحياء وتدعيم مجالس العلم بالزاوية سواء تعلق

---

9) محمد حجي : الزاوية الدلائية : دورها الديني والعلمي والسياسي. الرباط 1384 / 1964.

10) فصلنا الحديث حول هذا الموضوع في الباب الثالث : النشاط العلمي بالزاوية. (الزاوية الشرقاوية).

الأمر بأشياخ الزاوية وأبنائها أو نخبة من الأطر التي عمل شيخ الزاوية محمد الصالح جهده على استقدامها وإغرائها بالجلوس والعمل بزاوية أبي الجعد أمثال : أحمد بن فتوح التازي وأحمد بن عبد القادر التاستاوتي والمؤرخ الفقيه محمد الصغير الأفراني والطبيب عبد القادر بن شقرون المكناسي... بل كان شيخ الزاوية يعقد ندوات علمية يستدعي لها كبار علماء زمانه أمثال **الشيخ العلامة الحسن بن رحال المعداني عالم وفقيه الحضرة الإسماعيلية والذي** كان يلقب بـ «صاعقة العلوم والتدريس».

- المواد المدرسة بالزاوية :

حرص شيخ الزاوية محمد الصالح على تدريس مختلف العلوم الشرعية العقلية منها والنقلية؛ إذ أن توجه الزاوية الصوفي لم يصرفها عن بناء الشخصية المسلمة القوية في إيمانها وتكوينها : فكانت كراسي مخصصة لتدريس القرآن الكريم وشرحه وقراءاته (علم القراءات) حيث برع في هذا العلم الشيخ الأستاذ أحمد المكناسي الشرقاوي وحفيده محمد المفضل «الذي أخذ فنون القراءات وعلومها وتجويدها وتفهيمها على الشيخ أبي زيد عبد الرحمان بن القاضي».

بالإضافة إلىعلم الحديث والفقه والتصوف والبلاغة والأدب؛ فقد وصف الأفراني شيخ الزاوية محمد الصالح بقوله :

«عين الأعيان، وصدر أرباب البلاغة والبيان، الفقيه الذي تهتدي الفقهاء بعلمه وعمله، والأديب الذي تهتدي البلغاء ببراعة قلمه...»[11] .

---

11) الأفراني : نزهة؛ 310، 311.

وقد أوضحت جوانب أخرى من هذا النشاط العلمي الهام في كتاب الزاوية الشرقاوية سواء تعلق الأمر بالاحتفالات العلمية والدينية بالزاوية «حفل الختم» أو ما توفره الزاوية من ظروف العيش والمقام للأساتذة والطلبة وكذا التعريف بنخبة من الأعلام الذين تخرجوا من حلقات العلم بالزاوية.

3 - الجانب الاجتماعي :

إن من أبرز أدوار الزاوية المغربية، هو اسهاماتها في المجال الاجتماعي... بل انها أصبحت جزءاً لا يتجزأ من البناء الاجتماعي خاصة في البادية المغربية: بسبب حضورها وتجاوبها مع هذا الوسط في إطار علاقات بسيطة أو معقدة... فقامت الزاوية بدور بارز في إحلال السلم بين القبائل، كما نظمت الحياة الاجتماعية والأنشطة الاقتصادية؛ مما جعل مقر عدد من الزوايا يتحول إلى أسواق تتوفر فيها ظروف الحوار والتبادل والبيع والشراء.. وتمدنا كتب تراجم الزوايا بمعلومات جد ثمينة عن أنواع التدخلات والإسهامات الاجتماعية التي قام بها شيوخ الزوايا سواء تعلق **الأمر بظروف الحرب وضعف السلطة المخزنية أو خلال فترات الجفاف** والقحوط والأوبئة.. بالإضافة إلى دورها الاستشفائي؛ إذ يتحدث لنا كتاب «الروض» عن خبرة الشيخ محمد الصالح في ميدان التطبيب والعلاج..[12] بل إن من جملة المواد المدرسة بالزاوية مادة الطب على يد الشيخ عبد القادر بن شقرون المكناسي[13] .

12) الزاوية الشرقاوية : جـ 1، ص : 218.

13) المرجع السابق؛ ص : 205 ـ 209.

4 - الجانب السياسي :[14]

برز دور رجال الزوايا والتصوف خلال الأزمة الخطيرة التي عرفها المغرب خلال القرن 14 هـ (8م) أواخر الدولة المرينية.. بل كان لهؤلاء الأشياخ دور بارز في تنظيم الجهاد ضد النصارى الذين نزلوا بالتراب الوطني منذ 1415 م؛ كما كان لهم الفضل في بلورة قيادة سياسية جديدة بالجنوب السوسي والمتمثلة في الأسرة السعدية.. ومع ذلك تؤكد المصادر على أن السلطان محمد الشيخ السعدي المؤسس الفعلي لحكم هذه الأسرة : «كان يتوهم من مشايخ الفقراء ويخاف منهم؛ لدخولهم الملك من بابهم»[15].

ورغم هذا التخوف؛ ورغم ما كانت عليه الدولة المغربية من قوة سواء في العهد السعدي أو العلوي؛ فإنها حافظت على مؤسسة الزاوية ورعتها وشجعتها بمختلف مظاهر التوقير والاحترام وبأنواع العطايا.. هل ذلك من باب الإقرار لها بالدور البارز والفعال الذي كانت تقوم به نيابة عن السلطة المركزية وتدعيمها لها في آن واحد ؟ أم لأسباب أخرى.. ومع ذلك وجدت زوايا ناصبت الحكم المركزي العداء؛ ووجدت في المناطق والقبائل المتنطعة تربة خصبة لإذكاء نار الفتنة؛ بل ولإشاعة البدع والانحراف[16]..

---

14) سيصدر القسم الثاني من البحث حول الزاوية الشرقاوية تحت عنوان :
الزاوية الشرقاوية : دورها الاجتماعي والسياسي.

15) الأفراني : نزهة: 12.

16) سيكون من المفيد التعرف على مظاهر الانحراف الديني والصوفي الذي اشتهرت بها بعض الشخصيات الصوفية أو الزوايا والطرق الدينية مثال ذلك الطائفة اليوسفية أو العكاكزة.
- عبد الله نجمي : العكاكزة : مجلة كلية الآداب. الرباط ع : 5، 6 : ص : 29 وما بعدها.

وتعتبر علاقات شيخ الزاوية الشرقاوية بالسلطان مولاي إسماعيل من العلاقات النموذجية فيما يخص روابط السلطة المخزنية بهاته المؤسسات الروحية والعلمية والاجتماعية... إذ كان يؤخذ رأي الشيخ فيما يخص مختلف الإجراءات الإدارية والعسكرية التي تهم منطقة تادلا وخارجها؛ كما كان يتدخل لدى السلطان مولاي إسماعيل لدفع أذى حاكم من الحكام؛ كما كانت كتب الشيخ إلى عامل الإقليم تصله تباعا في جملة من القضايا؛ حتى ضاق بها ذرعا القائد المحجوب خليفة تادلا وخاطب حامل الكتاب بقوله :

«دار الحكومة إن كانت لسيدنا الصالح يأتي إليها، وإن كانت لي فليتركها إلينا...»[17].

بل نفوذ شيخ الزاوية وصل إلى بلاد تامسنا؛ وكان له موقف معارض لتعيين القائد غانم عليها... وهذا ما أدى بالفعل إلى عزله عنها[18]...

توفي شيخ الزاوية محمد الصالح في نفس السنة التي توفي فيها السلطان العلوي مولاي إسماعيل... ومن تم دخول علاقات الزاوية بالمخزن في تجربة جديدة... خاصة وأن أزمة العرش والأزمة العسكرية ستستمر وقتا ليس بيسير؛ وكانت منطقة تادلا إحدى النقط الساخنة في هذه الأحداث... وهو موضوع سنعود إليه في مناسبة أخرى.

بعض الملاحظات والاستنتاجات :

لقد حاولت من خلال هذه المساهمة إبراز حقائق وطرح إشكالات...

17) المعداني : الروض الفائح؛ ص : 156.

18) المصدر السابق؛ ص : 161.

1 - إن كتب التراجم التي تهتم بموضوع رجالات التصوف والزوايا، تمثل ثروة تاريخية وثراتية فائقة الأهمية، وهذا يدفعنا إلى البحث والتنقيب في مصادر أخرى من نوع النوازل والفتاوي وغيرها... لتدعيم مشروع كتابة تاريخنا الوطني من مختلف جوانبه : الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية...

2 - لقد حاولت الكتابات الأجنبية أن تجعل من تاريخ المغرب صورة مختصرة لصراع المدينة السلطانية مع باقي مناطق البلاد في شكل علاقات استغلال وقهر دائمين... بيد أن إعادة كتابة تاريخ البلاد من منطلقات جديدة ستقلب ولا شك هذه المقولات... ولا شك أن علاقات الزوايا بالعواصم على المستوى الديني والعلمي تعطينا توضيحا جديدا لهذه العلاقات التي كانت تقوم على التعاون والتفاهم والتنسيق واحترام المؤسسات الجهوية والإقرار بدورها وفاعليتها[19]... ولا شك أن استغلال وثائق أخرى ومصادر أخرى سيساهم في إبراز حقيقة علاقات الحاكمين بالمحكومين بشكل موضوعي وعلمي بعيد عن النظرة الجاهزة والمسبقة.

3 - يتحدث بعض الباحثين والمؤرخين عن ظاهرة تمسك المغاربة إلى درجة التعصب بكل موروثاتهم الحضارية؛ وميلهم إلى توحيد النظرة والمعتقدات... وهذا يرجع فيه الفضل بدرجة كبيرة إلى دور الزوايا الدينية التي نراها في كل مرحلة من مراحل تاريخها تسعى إلى توحيد مشربها

---

19) حاولنا توضيح ذلك في مداخلة تحت عنوان «التواصل الثقافي بين الحاضرة الإسماعيلية والزاوية الشرقاوية» ندوة الحاضرة الإسماعيلية الكبرى. كلية الآداب. مكناس. من 16 إلى 19 أكتوبر 1986.

الصوفي كما هو الشأن في انتسابها إلى الطريقة الجزولية الشاذلية أو الانتصار إلى الطريقة الناصرية؛ ما دام شعارها الاعتصام بالكتاب والسنة والبعد عن كل مظاهر التطرف والغلو التي تتنافى مع فطرة المغاربة... ولا شك أن ما أصاب بعض الطرق الدينية من انحراف نتيجة مؤثرات مشرقية؛ كانت له نتائج محدودة وأضرت بأصحابها قبل أي إنسان آخر؛ وجعل أهل الفكر والشرع يقفون منها موقف المعارض؛ بل ظهرت أفكار الاستنكار والدعوة إلى الإصلاح والرجوع إلى الأصل حتى من داخل هاته الطرق... ومما يؤسف له أن يحتفظ في ذاكرة الخلف بالصورة المشوهة للتصوف وأن يتجاوز عن صوره المشرقة وأدواره الإيجابية؛ وقد إهتبلها المفكر الاستعماري فرصة للإمعان في التشويه والهدم لكل ما يرمز إلى القوة في مجتمعنا وحضارتنا... كيف لا... والقوة الوحيدة المنضمة التي واجهت المستعمر فكريا وحضاريا وعسكريا كانت قوة الزوايا سواء أثناء الغزو الإيبري في القرن 9 هـ / 15 وعند الهجوم الإمبريالي خلال القرن 13 هـ /19 م، عمل المستعمر جهده على إفراغها من مصدر قوتها المادي والمعنوي بما في ذلك استقطاب بعض شيوخها وتسخيرهم لخدمة أهدافه.

مراكش **ذ. أحمد بوكاري**

أبو القاسم الزياني
مؤرخ الدولة العلوية
وكتابه: رسالة السلوك فيما يجب على الملوك

محمد بن عبد العزيز الدباغ

يعد أبو القاسم الزياني من أشهر مؤرخي الدولة العلوية الشريفة، وتعتبر كتبه من أهم المصادر التي يرجع إليها في تحديد معالم هاته الدولة، خصوصا بالنسبة إلى الأحداث التي شاهدها بنفسه، وعاينها عن طريق الخبرة والممارسة، فهو يعد من أشهر الرجال الذين تحملوا بعض المسؤوليات في تسيير البلاد، وكلفوا ببعض المهام الضرورية التي لا يكلف بها إلا من كان ذا خبرة بأحوال السياسة، وكان ذا معرفة بتدبير الأمور.

وليس بدعا من القول إذ قلنا أن السلطان سيدي محمد بن عبد الله رأى فيه حزما في عمله، وعزما في همته، وقوة في شخصيته، فقربه إليه وجعله أحد سفرائه إلى أصطنبول على عهد السلطان عبد الحميد الأول[1]

1) هو عبد الحميد الأول تولى الحكم بعد أخيه مصطفى الثالث سنة 1188 هجرية وتوفي سنة 1204 هـ.

فكان في سفارته هذه أحد العناصر الأساسية في تقريب المفاهيم السياسية والعسكرية بين الدولتين العثمانية والمغربية.

ان السلطان سيدي محمد بن عبد الله[2] كان حريصا على إقامة العلاقات السلمية بين مختلف الدول، إسلامية كانت أو غيرها، واستطاع أن يبرم مع بعضها معاهدات مختلفة، كان المغرب في جميعها في موقف القوة والهيبة والاحترام، ولم يستثن من هذه المعاهدات إلا دولة الروس، نظرا للحرب التي كانت بينها وبين العثمانيين، وهو لا يريد أن يقيم أية علاقة مع الروسيين ما داموا أعداء للدولة الإسلامية الكبرى، لذلك رأى من الضروري التقرب إلى العثمانيين، والعمل على إعانتهم، ورفع الأذى عنهم. الشيء الذي دفعه إلى أن يبعث لهم كثيرا من الهدايا، وأن ييسر لهم كثيرا من الوسائل العملية التي في إمكانها مساعدتهم على المقاومة والجهاد، ولكنه في الوقت ذاته كان يظهر لهم مدى اضطراب الأحوال على حدود المغرب مع الجزائر، نظرا لعدم احترام ولاتها لحرمة الجوار، ولعدم رضوخهم الرضوخ الكامل للسلطة المركزية. وهذا أمر لا يمكن للمغرب أن يبقى معه مكتوف الأيدي، خصوصا في الحقبة التي كان يرى فيها ضرورة فتح العلاقات السلمية مع أوربا المجاورة، التي هي بدورها لم تكن لتستسلم للاستقرار المطلوب إلا إذا أمنت حدودها، وسلمت جيوشها، سواء مع المغاربة أو الجزائريين، فكان تدخل المولى محمد بن عبد الله في فك أسرى المسلمين من

---

2) بويع عام 1171 هجرية وتوفي عام 1204 هـ.

أوربا يوازيه عمل آخر، هو محاولة فك أسرى الأوربيين من الجزائر[3]. ولا يتسنى ذلك إلا بإشعار السلطة المركزية في أصطنبول، لتصدر أوامرها لولاتهم بالجزائر بالاستجابة لرغبة سيدي محمد بن عبد الله، ولتقدير موقفه الإيجابي الذي سيعين العثمانيين أنفسهم، وذلك بحصر مواجهتهم العسكرية في جهة واحدة، لأن الحرب إذا تعددت واجهاتها أصبحت خطرا كبيرا يتعذر التغلب عليه، وكان من الطبيعي بعث سفارات إلى أصطنبول لإظهار وجهة نظر الجانب المغربي، ولما لم تأت بعض هذه السفارات بالنتائج المرجوة. آثر المولى محمد أن يختار لهذه المهمة كاتبه أبا القاسم الزياني لما يعهد فيه من الكفاءة في هذا الشأن، فأرسله سنة 1200 هجرية إلى السلطان عبد الحميد، وأقام بأصطنبول مائة يوم كان لا يفتر عن التحدث عنها في مختلف كتبه، وكان يعتز بالتقدير الذي ناله من السلطان العثماني وحاشيته، خصوصا حينما نال رضاه برسالة وجهها معه إلى سيدي محمد يقول فيها :[4] «إنه وصلنا من مقامك الأسمى عشرون سفيرا، وأحسنهم عقلا ونبلا وسياسة وأدبا فلان. (يعني أبا القاسم الزياني) أنه أدى لنا رسالتك وهديتك بأدب، وانفصل عنا بأدب، فمثله من يكون سفيرا بين الملوك، فإن اقتضى نظرك توجيه سفير من أطرافك، فليكن هو، فإن ظاهره وباطنه سواء».

3) اقرأ في هذا الموضوع رحلة الوزير محمد بن عثمان المكناسي المسماة الاكسير في فكاك الأسير ورحلته المسماة بالبدر السافر لهداية المسافر إلى فكاك الأساري من يد العدو الكافر ورحلة أفلغزال المسماة نتيجة الجهاد في المهادنة والجهاد.

4) انظر هاته الرسالة في الصفحة الخامسة والثانين من القسم الذي نشره هوداس من كتاب الترجمان المغرب المطبوع بمدينة باريس بالمطبعة الجمهورية عام 1886 ميلادية.

والظاهر أن هذا الحكم الذي حكم به السلطان عبد الحميد على الزياني لم يكن مغالي فيه، فإن الإخلاص كان واضحا من جانبه في حق ولي نعمته السلطان سيدي محمد بن عبد الله. فهو لم يستطع أن يزور عنه أو أن ينحاز لغيره أو أن يتقرب لأعدائه. الشيء الذي جر عليه ويلات ومصائب، ونكبات ونوائب، من أشهرها ما لقيه من محن اثر موت المولى محمد بن عبد الله حين تولية ولده المولى اليزيد، فقد تعرض للضرب والسجن، ولم ينج من القتل إلا بقدر مكتوب. وظل على تلك الحال من العذاب إلى أن تولى الحكم المولى سليمان فأطلق سراحه، وقربه إليه، لكن الزياني سئم من حياة المسؤولية ففر منها وسار إلى الجزائر واعتكف بقرية العباد بضريح سيدي أبي مدين الغوث، ثم توجه إلى الشرق من جديد، وذهب إلى أصطنبول مرة أخرى فلقي احتراما وتقديرا من أصحابه القدماء، وأحس حينئذ بأنه محبوب لديهم حقا لأنهم واسوه وقدموا إليه كل ما يحتاجه من مساعدة مادية ومعنوية رغم أنه لم يكن مبعوثا رسميا ولا زائرا موفدا.

ولقد أشاد بموقفهم هذا في كتابه الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا[5]. وهو كتاب مفيد شرع فيه المؤلف إلى الربط بين الجانب التاريخي والجانب السياسي، وتعرض فيه لذكر بعض الاهتمامات الثقافية والفكرية، وإلى بعض المساجلات العقائدية، سواء في إطار المذاهب الإسلامية والعقائد الصوفية، أو في إطار العلاقات العامة بين الأديان

---

5) نشرته وزارة الأنباء بالمغرب عام 1967 بتحقيق الأستاذ عبد الكريم الفلالي وقد قدمنا بحثا حوله لمجلة دعوة الحق العدد الثالث من السنة الثالثة عشرة يبراير ومارس 1970.

المختلفة. ولقد أشار في هذا الكتاب إلى كثير من مؤلفاته التاريخية والثقافية، وذكر من ضمنها كتاب رسالة السلوك فيما يجب على الملوك[6].

لم يكن هذا الكتاب في الواقع من كتبه الكبرى، ولا من الكتب التي قامت عليها شهرته، ولكنه كتاب صغير لا يتجاوز اثنتين وعشرين صفحة من حجم 29 × 21 إلا أنه يمثل ظاهرة من ظواهر التأليف التاريخي الممزوج بالحكمة والسياسة وقوانين الأخلاق وقواعد السلوك. وينقسم بطبيعة وصفه إلى قسمين :

القسم الأول يشتمل على مقدمة في فضل الخلافة، وعلى عشرين بابا تتضمن صفات سلوكية لا يستغني الملوك عنها في تدبير أمورهم وتسيير ممالكهم.

وأما القسم الثاني وهو الخاتمة فقد خصها للحديث عن سفارته بالأصطنبول، وعن استبقاله من لدن السلطان عبد الحميد، وعن علاقته الوطيدة مع الصدر الأعظم يوسف باشا وخليفته العلامة المؤرخ خير الدين. وهي أخبار لم ينفرد بها هذا الكتاب فقد ضمنها بعض كتبه الأخرى. والواقع أن علاقته مع الوزير الأعظم يسرت له كثيرا من وسائل الاطلاع على مختلف المرافق الحيوية في البلاد، فقد سمح له بزيارة بيت المال ودار ضرب آلة الحرب، ودار ضرب السكة، ودار إنشاء السفن، ومرسى المراكب الجهادية، ودار البارود، ودار الكاغيد، ودار الزجاج، ودار القز، ودار التعليم،

---

6) الترجمانة الكبرى صفحة 413.

ودار الطرز، ودار النيشان المعدة لتعليم الجنود رماية المدافع والمهاريز، ودار الكتب المفيدة التي بها الخزانة السلطانية[7].

وفي هذه الخزانة اطلع على عدد من الكتب المفيدة التي كان لها شأن في تاريخ الدولة العثمانية، ومن بينها كتاب الروح الذي ألفه المؤرخ كمال الدين باشا في دولة آل عثمان، وقدمه إلى السلطان عبد الحميد قبل موته.

إن هذا الكتاب نال إعجاب الزياني سواء من الوجهة التاريخية والعمرانية أو من الوجهة الأخلاقية والسياسية، فدفعه الإعجاب به إلى تلخيص محتواه، وإلى البحث عن مؤلفه ليجيز له ما في هذا التلخيص من أخبار، وليتيقن منه أنه لم يخل بالمقصود.

وبالفعل فقد استمع إليه المؤلف الأصلي واعترف له بدقة عمله، وأباح له أن ينقل عنه ما في الكتاب، فهو مطمئن إليه متيقن من قدرته، عالم أنه أهل للقيام به وبغيره من الأعمال العلمية المفيدة، ولعل هذا التلخيص قد ضمنه كتابه «الترجمان المعرب» ولم يجعله في كتاب منفرد كسائر كتبه، ولكن الزياني لم يكتف بهذا التلخيص التاريخي، بل استوحى من الكتاب شيئا آخر لا يتعلق بالأحداث التاريخية، ولكنه يتعلق بصفات أساسية في سلوك بعض الملوك، ولاحظ أن هذه الصفات منها ما يستحسن ومنها ما لا يستحسن، واستمد من روح الأحداث وتكيفات الأحوال ما دفعه إلى إخضاعها للأسلوب العربي، وإلى استمداد عناصرها من القرآن والحديث

7) يوجد ذكر لذلك بالترجمانة الكبرى صفحة 99 وبمقدمة مخطوطة الدرة الفائقة في كشف مذاهب أهل البدع والخوارج والمعتزلة والرافضة والجهمية والقدرية والزنادقة الموجود بخزانة القرويين ضمن المجموع رقم 708.

والشعر والحكم والأمثال. ووضع ذلك في كتيب صغير هو هذه الرسالة التي نتحدث عنها، والتي توجد منها نسخة في خزانة القرويين ضمن مجموع يحمل القرم 708. يقول في خطبتها ما يأتي[8] وبعد فإني لما توجهت من حضرة مولانا أمير المومنين، المؤيد بالنصر والتمكين، سفيرا إلى حضرة السلطان الأعظم والخليفة الأفخم سلطان البرين والبحرين، وخديم الحرمين الشريفين، السلطان عبد الحميد بن أحمد العثماني بمدينة الأصطنبول، وكان لي خلة ومصافاة مع الوزير الأعظم يوسف باشا، ومع خليفته العلامة المؤرخ خير الدين أفاندي. واتحفاني بمطالعة «تاريخ الروح» الذي ألفه العلامة كال الدين باشا للسلطان عبد الحميد في دولة آل عثمان من مبدئها إلى دولة السلطان المذكور. جمع فيه تواريخ من تقدمه، واستوفى غزواتهم وفتوحاتهم وجميع وقائعهم مع الكفار ومع ملوك الأمم إلى عام الألف ومائتين، فجاء ذلك التأليف أشرف جميع تواريخ دولتهم، فجمعت منه ما استحسنته من فصول السياسة، وما لابد منه مما يكون حلية لأهل الرياسة، من الأوصاف الحميدة، والخلال الرفيعة السديدة، التي تكون واجبة في حق الملوك، ويتشرف بها الحر والمملوك، وجعلتها رسالة مختصرة يتذكر بها الغافل، ويتنبه بها العالم والجاهل، وسميتها رسالة «السلوك، فيما يجب على الملوك»، تشتمل على مقدمة وعشرين بابا وخاتمة : المقدمة في فضل الخلافة وشرفها وما أعد الله من الثواب للسلطان العادل في الدنيا وعلو الدرجة في الآخرة، وما ورد في ذلك في كتاب الله وحديث رسوله وصحابته ومن تبعهم من السلف الصالح والحكماء والأدباء. والأبواب العشرون كل واحد

8) انظر هذه الخطبة مصورة ضمن هذا البحث.

منها يوصف من أوصاف الكمال، التي يتحلى بها الملوك والأمراء والرؤساء وأهل الكمال، وما ورد في مدحه وذم ضده الذي هو نظيره، والخاتمة في مدح السلطان الجليل الذي شرفه الله وطوقه بهذه الأوصاف الممدوحة كلها، وطهره من دنس الأوصاف المذمومة التي هي أضدادها، وعلو همته، وما صرف من الأموال في الجهاد على يد السلطان عبد الحميد وملاقاتنا رحمه الله».

فالرسالة إذن كانت مظهرا من مظاهر الإعجاب بأخلاق السلطان سيدي محمد بن عبد الله، لأنه رأى في هذا الملك صورة مثالية تجمع كل الفضائل الذاتية. وكل مقومات الحكم، فهو الملك العالم العاقل الحكيم المتواضع الشجاع القنوع إلى غير ذلك من الصفات التي تكمل بها شخصية الملك المجاهد العادل المخلص.

وفيما ياتي تلخيص لهذه الرسالة نقرب به مفهومها ونستشف منه جانبا من شخصية مؤلفها لأن اختياره جزء من كيانه، ومرآة لنفسه، فكم من مختارات كانت أقرب إلى الحكم على الذين اختاروها مما أنتجوه أو أبدعوه.

فما استدل به في المقدمة من الآيات القرآنية قول اللة تعالى : ﴿**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم**﴾[9] وقوله أيضا : ﴿**يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله**﴾[10].

---

9) النساء الآية التاسعة والخمسون.

10) سورة ص الآية السادسة والعشرون.

ومما استدل به من الأحاديث النبوية قول رسول الله ﷺ : «عدل ساعة خير من عبادة سنة» وقوله عليه السلام سبعة يظلهم الله بظله منهم الإمام العادل. والمراد بذلك الحديث الذي رواه أبو هريرة، الوارد في صحيح البخاري، وهو قوله ﷺ : «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل طلبته ذات منصب وجمال فقال إني أخالف الله، ورجل تصدق أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه».

وقد نظم هذا الحديث الشيخ عبد الرحمن المقدسي فقال :

وقال النبي المصطفى إن سبعة	يظلهم الله الكريم بظله
محب عفيف ناشئ متصدق	وباك مصل والإمام العادل

ثم ختم هذه المقدمة بقول الشاعر :

لولا الخلافة لم تؤمن لنا سبل	وكان أضعفنا نهبا لا قوانا
كم يرفع الله بالسلطان معضلة	في ديننا رحمة منه ودنيانا

وبعد هذه المقدمة، شرع في ذكر الأبواب الممثلة للصفات التي يجب أن يتحلى بها الملوك، مع ذكر أضدادها، وهي صفات ينبغي أن يتحلى بها الإنسان على اختلاف وضعه الاجتماعي، وأن يتخلى عن أضدادها ليكون أهلا لتحمل المسؤولية البشرية.

وقد أجملها في عشرين بابا هي العقل والعلم والعدل والسخاء والشجاعة والصبر والعفو والشكر والتواضع والصدق والحكم والحياء والوفاء والتأني والمشورة والرفق وحسن الخلق والقناعة والرزق والغنى.

وفيما يلي سنختـــار بعض مـــا ذكره، وسنسير في ذلـــك وفـق الترتيب الذي سار عليه في أبوابه فنقول :

الباب الأول في العقل والحمق

قـال المؤلف : «العقل شرط في الامـامـة، ولا تنعقـد مع عـدمـه، وهو رأس الخصال كلها، فمن رزقه أعطيها كلها».

ومما استدل به على فضل العقل قول اللـه تعـالى : ﴿**ومـا يـذكر إلا أولو الألباب**﴾[11] وقول الرسول ﷺ : «لما خلق الله العقل قال لـه أقبل فاقبل، ثم قال أدبر فادبر، فقال وعزتي وجلالي لا أعطينك إلا لمن أحبه من خلقي».

ومما استدل به من أقوال الحكماء قولهم : «إذا صحبت إنسانا فانظر إلى عقله لا لدينه، فـإن دينـه لـه وعقلـه لـه ولـك» وقولهم : «كل شيء إذا كثر رخص، إلا العقل فإنه إذا كثر غلا».

الباب الثاني في شرف العلم وفضله وذم الجهل وأهله

استدل هنا بقول الله تعالى : ﴿**يا أيهـا الـذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحـوا في المجلس فـافسحـوا يفسـح اللـه لكم، وإذا قيـل انشزوا فانشزوا يرفـع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجـات،**

11) سورة البقرة الآية 269.

والله بما تعملون خبير﴾[12]. وبقوله تعالى : ﴿**قل هل يستوي الذين يعملون والذين لا يعملون، إنما يتذكر أولو الألباب**﴾[13].

كما استدل بقول الرسول ﷺ : «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل» وبقوله : «قيدوا العلم بالكتابة» وبقوله : «أنتم على بينة من ربكم ما لم تظهر فيكم سكرتان : سكرة الجهل وسكرة حب الدنيا».

وقال الشاعر :

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله وأجسامهم قبل القبور قبور
وكل امرئ لم يحي بالعلم ميت وليس له حتى النشور نشور

الباب الثالث في فضل العدل وذم الجور

قال الله تعالى : ﴿**إن الله يامر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، يعظكم لعلكم تذكرون**﴾[14].

وقال عليه السلام : «ما أحد عند الله أفضل من إمام ان قال، صدق، وان حكم عدل».

وقال الحكماء : «من اتخذ العدل سنة، كان له أحصن جنة».

---

12) المجادلة الآية الحادية عشرة.

13) الزمر الآية التاسعة.

14) سورة النحل الآية 90.

وقال علي بن أبي طالب :

لا تظلمن إذا كنت مقتـــــــدرا فــالظلم آخره يــاتيــك بــالنــدم
تنــام عينـــك والمظلــوم منتبـــه يــدعــو عليــك وعين اللــه لم تنم

الباب الرابع في السخاء والبخل

قال اللـه تعـالى في مـدح أهل السخـاء : ﴿**ويوثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة**﴾[15] وقال عليه السلام : «السخي قريب من الله، قريب من الناس، قريب من الجنة، بعيد من النار، والبخيل بعيد من الله، بعيد من الناس، بعيد من الجنة، قريب من النار».

وقال أحد الشعراء في مدح من جاد بما له وهو متهلل :

تراه إذا مـــا جئتـــه متهلـــلا كأنـك تعطيـه الـذي أنت سـائلـه
ولــو لم يكن في كفــه غير نفســه لجــاد بهــا فليتــق اللــه ســائلــه

الباب الخامس في الشجاعة والجبن

قال تعالى : ﴿**ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة**﴾[16] وقال تعـالى : ﴿**والـذين جـاهـدوا فيـنـا لنهـدينهم سبلنا**﴾[17] وقال عليـه السلام : «الحرب خـدعـة» وقـال عمرو بن العـاص

15) الحشر الاية التاسعة.
16) سورة النساء الاية 100 وقد أبدلت كلمة يهاجر في الأصل بكلمة يقاتل خطأ.
17) العنكبوت الاية 69.

لمعاوية : «إني أرى منك في بعض الأوقات إقداما فاحكم بشجاعتك، وأرى في بعضها إحجاما فاحكم بجبنك» قال معاوية :

شجاع إذا ما أمكنتني فرصة إذا لم تمكن لي فرصة فجبان

ولما أقبل هرمز لمحاربة بهرام، قال له حاجبه أما تستعد ؟ : قال : «عدتي ثبات قلبي، وإصابة رأيي، ونصل سيفي، ونصرة ربي».

وقال ابن الرومي :

لم أر شيئا حاضرا نفعه للمرء كالدرهم والسيف
يقضي له الدرهم حاجاته والسيف يحميه من الحيف

الباب السادس في الصبر والجزع

قال المؤلف : «الصبر من أشرف الخصال، وأعظم الخلال، وهو في الملوك أعظم» وقد مدح الله أهله فقال تعالى في كتابه العزيز : ﴿**إنما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب**﴾[18].

وفي المثل من طلب الرياسة، صبر على مضض السياسة.

وقال الشاعر :

لا تيأسن وإن طالت مطالبه إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا
اخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته ومد من القرع للأبواب أن يلجا

---

18) الزمر الآية العاشرة.

وقال آخر :

إني رأيت الصبر خير معـــــــول ... في النــــائبـــات لمن أراد معــولا

ورأيت أسبـاب القنـاعـة أكـدت ... بعرى الفتى فجعلتهـــا لي معقـلا

فـــإذا نبـــابي منزل جـــاوزتـــه ... وجعلت منـــــــه غيره لي منزلا

وإذا غــــلا شيء علي تركتـــــه ... فيكون أرخص مـا يكـون إذا غـلا

الباب السابع في العفو والانتقام

لقد مدح الله العفو بقوله : ﴿**خذ العفو وامر بـالعرف، واعرض عن الجاهلين**﴾[19] وقال عليـه السلام : «إن اللـه عفو يحب العفو» وقـالت الحكمـــاء : «لأن تخطئ في العفـــو في ألف قضيـــــة، خير من أن تخطئ في الانتقام في قضية واحدة» وقال معـاويـة : «إني لأرفع نفسي أن يكون ذنب أعظم من عفوي، وجهل أكبر من حلمي، وعورة لا يواريها ستري».

الباب الثامن في الشكر وكفران النعم

قـال تعـالى : ﴿**لئن شكرتم لأزيـدنكم**﴾[20] وقـــال ﷺ : «من لم يشكر القليل، لم يشكر الكثير، ومن لم يشكر الناس، لم يشكر الله».

الباب التاسع في التواضع والكبر

قـال تعـالى : ﴿**سـأصرف عن آيتي الـذين يتكبرون في الأرض**

---

19) الأعراف الآية 199.

20) سورة إبراهيم الآية السابعة.

بغير الحق﴾[21] وقال عليه السلام : «من تواضع لله رفعه. وقال ﷺ لعمه العباس «أنهاك عن الشرك بالله، والكبر، فإن الله يحتجب منهم».

الباب العاشر في الصدق والكذب

قال عليه السلام لأبي بكر رضي الله عنه : «عليك بصدق الحديث، وحفظ الأمانة، والوفاء بالعهد، فإنها وصية الأنبياء» وقال عليه السلام : «الكذب مجانب للإيمان».

وما أحسن قول الشاعر :

لي حيلـــــــــة فيمن يثم   وليس في الكـــــذاب حيلـــــه
من كان يخلـــق مـــــا يقـــو   ل فحيلتي فيــــــه قليلــــــه

قال المؤلف : ومن اشتهر بالكذب علم ذله ومهانته، وعدم حيائه وأمانته، ان عاقد لم يؤمن بعقده، وان وعد لم يسكن إلى وعده، وأن تظلم تسرع إليه التهمة، وان سامح بعدت عنه الرحمة» ويقال : «الكذاب لا يهاب، ولو كان معه ألف سيف».

وقال محمد الوراق :

اظهروا للنـــــــــاس نسكا   وعلى الـــــديــنــــار داروا
ولـــــه صلـــوا وصـــامــوا   ولـــــه حجـــــوا وزاروا
لـــو يكن فـــوق الثريـــا   ولهم ريش لطـــــــــاروا

---

21) الأعراف 146.

الباب الحادي عشر في الحلم والمجازاة

قال المؤلف : «هذا الوصف الذي هو الحلم من أشرف الخلال وأعظم الخصال» وقد مدح الله المتصفين به فقال تعالى : ﴿**إن إبراهيم لحليم أواه منيب**﴾[22] وقال تعالى : ﴿**فاصفح الصفح الجميل**﴾[23].

وذكر المؤلف في هذا الباب أن رجلا سأل النبي ﷺ أن يعلمه كلمات يعيش بها، فقال له : «لا تغضب».

وقال الشاعر :

سألزم نفسي الصفح عن كل مذنب وان عظمت منـــــــه علي الجرائم

الباب الثاني عشر في الحياء والوقاحة

قال عليه السلام : «الحياء شعبة من الإيمان» وقال : «إذا لم تستحي فافعل ما تشاء».

وقال الشاعر :

إذا أنت لم تخش الإلـــــه ولم تخف عقوبة مخلوق فما شئت فاصنع

الباب الثالث عشر في الوفاء والغدر

قال تعالى : ﴿**واوفوا بعهد الله إذا عاهدتم**﴾[24] وقال عليه السلام : «ما نقض العهد قوم إلا سلط الله عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما

22) هود 75.

23) الحجر 85.

24) النحل 91.

أنزل الله إلا فشافيهم الفقر، وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشافيهم الموت، ولا ضيعوا المكيال والميزان إلا منعوا النبات، وأخذوا بالسنين، ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم المطر».

الباب الرابع عشر في التأني والعجلة

قال رسول الله ﷺ : «التأني من الرحمن، والعجلة من الشيطان».

وقال الشاعر :

قد يدرك المتاني بعض حاجته   وقد يكون مع المستعجل الزلل

وقيل : «إياك والعجلة، فهي أم الندامة، وصاحبها يقول قبل أن يعلم، ويجيب قبل أن يفهم».

الباب الخامس عشر في المشورة والاستبداد

قد أمر الله تبارك وتعالى نبيه بالمشورة فقال في كتابه العزيز : ﴿**وشاورهم في الأمر**﴾[25] وقال عليه السلام : «الدين النصيحة».

قال المؤلف : «وأما الاستبداد بالرأي فمن أقبح الصفات، وفيه مخالفة لأمر الله ولحديث نبيه فقد كان النبي في غزاة وأمر بالنزول، فقال له سعد يا رسول الله، إن كان هذا بأمرك فسمعا وطاعة، وإن يكن على غير ذلك فليس بمنزل، فقال رسول الله ﷺ ارتحلوا».

---

(25) آل عمران 159.

الباب السادس عشر في الرفق والشدة

قال عليه السلام : «اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فارفق به، ومن شق عليهم فاشقق عليه» وقال أيضا : «إذا أحب الله أهل بيت وأراد بهم خيرا ادخل عليهم باب الرفق».

وقال الشاعر :

والرفق يظفر بالآمال صاحبه ويعقب المرء في الحاجات إنجاحا

الباب السابع عشر في حسن الخلق والحدة

ذكر المؤلف أن حسن الخلق من أشرف الأوصاف وأكمل الخلال، وقد وصف الله به نبيه فقال تعالى : ﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**﴾[26] وقال عليه السلام : «إذا أحب الله عبدا حسن خلقه وخلقه».

الباب الثامن عشر في القناعة والحرص

القناعة وصف من أوصاف أهل الخير. قال عليه السلام : «القناعة مال لا ينفد» وقال : «القناعة رأس الغنى».

وقيل : «اثنان لا يتفقان، القناعة والحسد، واثنان لا يفترقان الحرص والوقاحة» وقال عليه السلام : «إياكم والطمع، فإنه الفقر الحاضر» وقالت الحكماء : «العبد حر إذا قنع، والحر عبد إذا طمع».

---

(26) القلم الآية الرابعة.

الباب التاسع عشر في الرزق والحرمان

حاول المؤلف في هذا الباب أن يقرر ربط الرزق بالتقوى. وذكر أن أمر الرزق خارج عن تدبير الإنسان لأنه بيد الله الذي يعطي من يشاء ويحرم من يشاء.

وفي هذه النقطة نقل الأبيات التالية وهي لمحمد بن سابق يقول فيها :

فكم قوي قوي في تقلبه — مهذب الرأي عنه الرزق ينحرف
وكم ضعيف ضعيف في تقلبه — كأنه من خليج البحر يغترف
هذا دليل على أن الإله له — في الخلق سر خفي ليس ينكشف

وقال ابن الراوندي في هذا الباب

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه — وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا
هذا الذي ترك الأوهام حائرة — وصير العالم النحرير زنديقا

وقال علي رضي الله عنه : «كم من أديب كامل عقله، مقل عديم، ومن جهول، مكثر ماله، ذلك تقدير العزيز العليم».

الباب العشرون في الغنى والفقر

وهو في هذا الباب كان يهدف إلى تحبيب الغنى للإنسان على أساس أن يعمل به خيرا، وأن يصرفه في وجوه المعروف.

ومن طبيعة المؤلف الذي وضع نفسه في موضع التوجيه الا يهمل هذا الباب، لأن الزهد الحقيقي ليس هو الزهد في المال، ولكنه الزهد في المحرمات، فمن ملك مالا بطريق شرعي وصرفه في الخير كان من أعوان الحق، ولهذا قال وهو يتحدث عن المال : «إنه الزاد لدار القرار» ونقل في هذا الباب حديث رسول الله ﷺ الذي يقول فيه : «لا خير فيمن لا يحب المال ليصل به رحمه، ويؤدى به أمانته، ويستغني به عن خلق الله».

قال الشاعر :

لقد طفت في شرق البلاد وغربها	وجربت أهل الدهر بالعسر واليسر
فلم أر بعد الدّين خيرا من الغنى	ولم أر بعد الكفر شرا من الفقر

وقد قال رسول الله ﷺ : «إني أعوذ بك من الفقر والكفر».

وعلى كل حال، فإن الهدف من المؤلف فيما ذكر من الصفات السابقة وضع تخطيط عملي لصفات تعد أساسية في تحمل المسؤولية، وفي القيام بها على أحسن وجه، إلا أنه أثناء ربطها بسياسة الحكم لم يتحدث عنها كلها، وإنما انتقى منها عشر صفات فقط. وقال في تقديمها ما ياتي : «فعلى ما سطرناه في هذه الأوصاف ينبغي للسلطان أن يتحلى بها، فهي أوصاف النبوة وخلفائها، ويجب عليه الاقتداء بهم في الأقوال والأفعال وصفات الكمال. وأساسها كلها الدين».

وبعد الانتهاء من ذكر هذه الأوصاف، انتقل إلى الخاتمة التي خصها لرحلته السفارية إلى السلطان عبد الحميد، وهو في هذه الرحلة كان مثالا

للدبلوماسي الموفق، والسياسي المحنك، والسفير المشرف لبلاده علما وخلقا، وكرامة، حسب ما أشرنا إليه في أول هذا البحث. فلقد توجه إلى لقاء السلطان عبد الحميد في فترة حرجة من حياة الخلافة الإسلامية التي كانت تعاني من ضغط الروسيين ما أنهك قواها، وأضعف سلطانها، وضيق حدودها، وجعلها تلتمس الإعانة من مناصري الإسلام ومؤيديه. ومن جملتهم الدولة العلوية التي كان يترأسها آنذاك السلطان سيدي محمد بن عبد الله المجاهد المخلص المتفاني في رفع رأية الإسلام، وفي تأييد المسلمين في كل مكان.

ولقد اعتنى المؤلف بهذه الجزئية في كتابه هذا فأظهرها جلية واضحة، وتحدث عنها من جوانب مختلفة ليبرز نوع العلاقة الموجودة بين الدولة العثمانية من جهة وبين الدولة العلوية من جهة أخرى.

ولقد كان سيدي محمد بن عبد الله يعمل جهد مستطاعه على تحسين الروابط بينه وبين العثمانيين، وعلى تمتين أواصر المحبة والتعاون بينهم، وكان يرسل بعض السفراء من حين لآخر ليشرحوا للدولة العثمانية الوجهة المغربية في مفهوم الروابط التي ينبغي أن تكون بين الدولتين سواء في العلاقات الثنائية أو في المواجهة الخارجية ضد أعداء الإسلام.

وإذا لم تنجح بعض السفارات في أداء مهمتها فإن الأمر كان بالعكس مع سفارة الزياني الذي وفق في شرح الموقف المغربي وفي استمالة أعيان الدولة العثمانية، واستطاع أن يتشرف باستقبال السلطان عبد الحميد قبل الوقت المحدد عادة للزيارات الملكية، ذلك أن سلطان العثمانيين كان لا يستقبل زواره إلا في أيام الأعياد أو في يوم الديوان الذي يقام مرة في كل

ثلاثة أشهر، فإذا وفد وافد على الدولة ووجد هذه الأيام المخصصة للزيارة قد مرت فإنه يظل مقيما في أصطنبول إلى أن يأتي الموعد المحدد، ولكن الزياني لم يعامل هذه المعاملة احتراما لسلطان المغرب، وتقديرا لمواقفه الجهادية، وحرصا على استعجال الحوار الذي كان يأمل السلطان العثماني أن يصل بواسطته إلى مساعدات خاصة من المغرب يستعين بها على محاربة الروس، ولقد مهد لهذا اللقاء باتصال أولي مع الوزير الأعظم الذي استفسر الزياني عن مدى استعداد ملك المغرب لتقديم سلف خاص للدولة العثمانية، وعن مدى رغبته في الجهاد. فأجابه الزياني بأن الملك المغربي لا يرضيه أن يقدم المال على وجه السلف وإنما الذي يرضيه هو أن يهبه من أجل الدفاع عن المسلمين دون أن ينتظر إرجاعه ثم قال : «إن مولانا له رغبة في الجهاد، ولولا مشقة البحر وبعد المغرب لسعي للجهاد بنفسه»[27].

وبعد هذا اللقاء التمهيدي الذي كان بين الوزير العثماني والسفير المغربي، ثم اللقاء بين السلطان عبد الحميد وبين هذا السفير وكان يترجم بينهما ترجمان تركي.

ولقد وصف الزياني بكل إعجاب وافتخار هذه اللحظات التي تشرف فيها بلقاء السلطان عبد الحميد، ذلك السلطان الذي أبدى إعجابه بالمغرب، وبالملك سيدي محمد بن عبد الله الذي قال في حقه : «إني أحبه، لأنه ابن رسول الله ﷺ، وأطلب منه الدعاء، ومن رعيته أن ينصرنا الله على هذا العدو الكافر، الذي شغلنا عن ديننا، وأراد إطفاء نور الله».

27) مخطوطة القرويين 17.

وهنـا أجـابـه الزيـاني بقولـه : «إن المسلمين كلهم في نصرتـك وداعون لك، وإنـك بحول اللـه مؤيـد عليـه، منصور بعون اللـه وقوتـه، ظـافر بـه وبأهل ملته، فطب نفسا وقر عينا».

وبعد عشرة أيام من هـذا اللقـاء، استشير الزيـاني في مصـاحبـة سفير تركي إلى المغرب ليطلب من الملك رسميا مـا رغبوا فيـه من الإعـانـة فقبلـه وزكاه، إلا أنه بعـد مغـادرة أصطنبول تبـدلت أخلاق هـذا السفير وفسـدت نيتـه وصـار يعـارض الـزيـاني في كثير من الآراء. ورغب وهـو ذاهب إلى المغرب أن يتوجه إلى مرسيليا ثم إلى إسبانيـا فـاتفق مع قـائـد السفينـة على ذلك. لكن الزياني رفض هذا التوجه امتثـالا للأوامر المولويـة التي حظرت عليه الدخول إلى أوربا أثناء سفرته هاته.

ولما لم يجد الاستجابة من قائد السفينـة، اضطر إلى استخـدام العنف، وإلى تهديده بالقتل إذا لم يرضخ لحكمـه، الشيء الـذي دفع هـذا القـائـد إلى استعمال الحيلة في الدخول إلى جزيرة ميورقـة بـدعوى الاحتيـاج إلى المـاء، وأرسل سرا وراء القنصل الفرنسي ليناصره ويحميه، لكن الزيـاني كان يتكلم وفق عقدة مشروطة بينه وبين القائد المذكور من ضمن بنودها عدم الدخول إلى الشـواطئ الفرنسيـــة، فــانصف القنصـل الفرنسي السفير المغربي إلا أنــه التمس منه أن يكتري له القـائـد سفينـة أخرى تحملـه إلى المغرب مع السفير التركي، فقبل ذلك. وتوجه مع السـفير التركي في السفينة الجديدة إلى مـدينـة طنجة، ومن طنجة توجه إلى مدينة مراكش وقـدم للسلطـان مـا حملـه من المكاتبـات، ومـا جـاء من الهـدايـا، وأخبره بـالحوار الـذي جرى بينـه وبين السلطان عبد الحميد في شأن الإعـانـة. فـأقره عليهـا، وحـددهـا بمليونين من القروش، أي ما يعادل ستمائة ألف ريال وخمـسين ألف ريال ذهبية مغربية.

وفي الحين، وجهت الإعانة بواسطة ملك الإسبانيين الذي قدمها لملك فرنسا فأرسلها إلى أصطنبول، وبعدستين يوما جاء الجواب باستلامها والتوصل بها.

وبعد تحدثه عن هذه الإعانة، ختم كتابه بالملاحظة التالية حيث قال :

«ولقد أحصيت ما وجه رحمه الله للأصطنبول من الذخائر والأموال، ما تسمح وما لا تسمح نفس ملك بإعطائه. فأول هدية وجهها للأصطنبول في أيام السلطان مصطفى بن أحمد[28] عام 1173 مع الحاج الخياط عديل، والفقيه السيد الطاهر السلاوي[29] خيلا بسروج ذهبية منبتة باليواقيت والأحجار الغريبة وأسلحة مثلها من عمل المغرب، وخيلا من عتاق خيله، ثم وجه هدية ثانية مع الطاهرين[30] حليا عظيما منبتا بالجواهر واليواقيت من عمل المغرب، وخيلا من عتاق خيله عام 1180، ثم وجه هدية ثالثة للسلطان مصطفى لما احترقت العمارة الإسلامية يعزيه فيمن مات من المجاهدين، ويسليه عن تلك الرزية مع الحاج عبد الكريم راغون التطواني، ولما مات السلطان مصطفى وبويع أخوه السلطان عبد الحميد، وجه له

28) هو مصطفى الثالث بن أحمد الثالث كان ملكا مصلحا حاول أن يهتم بضبط الجبايات واتباع سياسة التوفير انظر ملحق تاريخ ابن خلدون لشكيب أرسلان ص 269.

29) ذكر اكنسوس عوض اسم الطاهر السلاوي اسم الفقيه الطاهر بناني وخالف التاريخ المذكور انظر الجيش العرمرم الجزء الأول صفحة 143 وانظر الاستقصا للناصري الجزء الثامن من تجزئة دار الكتاب ص 17.

30) المراد بها الفقيه الطاهر السلوي والفقيه الطاهر بناني انظر الاستقصا الجزء الثامن صفحة 25.

هدية خيلا وسلاحا منبتا، عزاه في أخيه وهناه بالملك عام 1188 ولما طلب منه السلطان عبد الحميد ملح البارود، والبارود، والنحاس، في حربه مع الموسكو، وجه له اثني عشر ألف قنطار من البارود الرومي في مركب، ووجه له أربعة آلاف قنطار من النحاس في مركب ووجه له ستمائة ألف ريال دورو مع القائد مبارك بن حماد الشرفي التطواني، ووجه له مرة أخرى مائتين وأربعة وسبعين ألف ريال، ثم الأسرى، ووجه له في هدية أخرى أربعة مراكب من قراصينه بإقامتها ومدافعها، ثم وجه له مرة أخرى هدية مائة وخمسون ألف ريال دورو، ثم وجه لهم لما طلبوا سلف المال ستمائة ألف وخمسين ألف سبائك من الذهب».

وهكذا سجل الزياني في هذه الخاتمة مظاهر هذا البذل المتكرر الدال على أن المغرب أسهم على قدر مستطاعه في محاولة تثبيت الوجود الإسلامي في عهد الدولة العثمانية وتلك مزية لا يمكن أن ينساها التاريخ أبدا للسلطان سيدي محمد تغمده الله برحمته.

وبهذه الخاتمة انتهى الكتاب الذي مزج فيه مؤلفه كما رأينا بين الجانب السياسي والجانب الأخلاقي. وهو إذا كان قد استمد عناصره من الكتاب الذي اختصره في أصطنبول، فإنه من الناحية العملية قد استلهم روحه من شخصية السلطان سيدي محمد بن عبد الله، وبذلك صار هذا الكتاب رغم صغره نموذجا من نماذج المؤلفات السياسية والتاريخية التي تفيد المهتمين بالتاريخ، كما تفيد غيرهم.

ولعل الاطلاع عليه سيجعلنا من بين الذين يقدرون همة مؤلفه، ويعترفون بفضل عمله، لكن هذا التقدير لم ينله الزياني من بعض النقاد،

خاصة بعد موته نظرا لا ندفاعه في بعض كتبه اندفاعا لا ينسجم مع العقل، ونظرا لغلوه في بعض الأحكام، ونظرا لهلهلة أسلوبه في بعض مؤلفاته، ونظرا لتطوله على الشعر رغم ضعف ملكته، وانعدام مؤهلاته، وفقد كل أسباب التوفيق فيه.

ومن الذين وصفوا الزياني بالمبالغة والكذب أحيانا، والمواجهة العنيفة في بعض المواقف، المؤرخ الشهير، والفقيه محمد بن أحمد أكنسوس، الذي كان معاصرا له، ويتجلى ذلك بكل وضوح في كتابه الجيش العرمرم. كما نجد نفس الموقف في العصر الحديث من مؤرخ المملكة الأستاذ عبد الوهاب ابن منصور. فهو قد حلل جانبا من أخلاق الزياني في الترجمة التي وضعها عنه في كتابه أعلام المغرب العربي فقال عنه :[31] «إنه ساذج، تغلب عليه غلظة البداوة وجفاؤها، رغم أنه من مواليد فاس حاضرة المغرب وأم مدنه وقراه، حقود، سيء الظن بالخلق، كذوب حينا، ومبالغ حينا آخر في أخباره، ولا يتحرى الصدق والحقيقة فيما يرويه».

ولكن رغم هذه الهنات التي نسبها مؤرخ المملكة الأستاذ عبد الوهاب ابن منصور ورغم ما أضاف إلى ذلك من كون الزياني كان مهلهل الأسلوب والتفكير، فقد قال عن كتبه حين الإشارة إليها : «إنها مرجع هام من مراجع الجغرافية والتاريخ، ولا سيما تاريخ الأسرة العلوية، لذا لا غنى لكل باحث في تاريخ المغرب في عصوره الأخيرة عن الرجوع إليها للانتفاع بما فيها من معلومات، والاستئناس بما تتضمنه من فوائد».

31) أعلام المغرب العربي الثاني ص 160.

وقد تجاوز عدد كبير من النقاد عن هذه الهنات وتحدثوا عنه حديث إعجاب وتقدير، وسالموه مسالمة الأحبة، وصافوه مصافاة المخلصين، وجعلوه نموذجا مثاليا للمؤرخين الذين أثروا الخزانة المغربية بكثير من المؤلفات المفيدة النافعة.

وعلى كل حال فإن رجلا عاش ما يربو عن مائة سنة (1147 ـ 1249) درس فيها العلم ولم يقصر في الطلب، وعارك الزمان، ومارس السياسة، بمشاكلها وأهوالها، وخالط أقواما مختلفي الأذواق والأجناس، وجالس الملوك والأمراء، والأدباء والعلماء، وطالع الكتب في شتى الخزانات، وانتقى منها ما يفيد، وألف في موضوعات متنوعة، وفي مجالات مختلفة، لا يمكن أن تنال مؤلفاته كلها إعجاب قارئيها ولا يمكن أن تكون كلها خالية من بعض الهفوات ولكنها في الوقت ذاته لا يمكن أن تكون كلها تافهة أو عاتبة. لهذا سنجد فيها من الحكمة الشيء الكثير وسنجد فيها من العبرة ما يدفعنا إلى التأثر ببعض معايناته والاستفادة من بعض خبراته.

ويكفيه اعتزازا أنه واصل الكتابة والتأليف إلى آخر رمق من حياته فهو لم يهمل تسجيل خواطره ولا تدوين ملاحظاته حتى في عهد السلطان المولى عبد الرحمن وتلك صورة من صور العظمة الدالة على قوة صموده وشدة عزيمته وصدق إيمانه بقيمة القلم في الوجود.

فاس **محمد بن عبد العزيز الدباغ**

من واقع التاريخ الأدبي في ظل الدولة العلوية

عبد الجواد السقاط

لعلنا ونحن نتناول موضوع التاريخ الأدبي في ظل الدولة العلوية الشريفة، مضطرون إلى أن ننطلق من ملاحظتين اثنتين تكادان تنسحبان على معظم العصور التي تعاقبت على المغرب، بدءا من عصر الأدارسة إلى العصر السعدي، مرورا بما بينهما من العصور. وهاتان الملاحظتان هما :

1) أننا نفتقد اهتماما متميزا بتاريخ الأدب في المغرب، وأقصد بذلك أن هذا التاريخ لم تكن تفرد له التصانيف والمؤلفات كما كانت تفرد لغيره من ألوان المعرفة الأخرى من تصوف وفقه وأصول ولغة وغيرها، وإن كنا نعثر على بعض الدواوين الشعرية أو التراجم المطولة التي تعتبر نواة للتاريخ الأدبي والفكري، والتي ورد ذكر بعضها في جملة من المصادر دون أن تصل إلينا كديوان محمد بن حبوس، وديوان أبي العباس الجراوي،

وغيرهما من دواوين العصر الموحدي[1]، وديوان مالك بن المرحل المسمى بالجوالات[2] من العصر المريني، وديوان أبي حامد العربي بن يوسف الفاسي[3]، وديوان أبي محمد عبد الله بن علي بن طاهر الشريف العلوي[4] من العصر السعدي، بينما وصل بعضها الآخر ككتاب «التعريف بالقاضي عياض» لابن المترجم له أبي عبد الله محمد[5]، هذا علاوة على بعض المجموعات أو المختارات الشعرية التي وصل بعضها منسوبا إلى جامعه، ككتاب «المطرب في أشعار أهل المغرب» لأبي الخطاب بن دحية[6] «وصفوة الأدب ونخبة كلام العرب» لأبي العباس الجراوي[7]، بينما وصل بعضها الآخر مجهول الجامع «كديوان شعر في مدح محمد بن أبي بكر الدلائي» يضم أشعارا لبعض شعراء الفترة السعدية كأبي العباس الدغوغي، ومحمد المرابط الدلائي، ومحمد بن أحمد المكلاتي[8].

---

1) انظر لائحة بدواوين هذا العصر والمصادر التي ذكرتها في كتاب «الأمير الشاعر أبو الربيع سليمان الموحدي» للدكتور عباس الجراري ص 98 ـ 99 طبعة دار الثقافة بالدار البيضاء عام 1394 هـ ـ 1974م.

2) ذكريات مشاهير رجال المغرب للأستاذ عبد الله جنون، عدد 8، طبعة دار الكتاب اللبناني، ببيروت، ص 11.

3) دليل مؤرخ المغرب الأقصى ج 2 ص 387، طبعة دار الكتاب، الدار البيضاء، عام 1960.

4) صفوة من انتشر ص 4 طبعة حجرية، ودليل مؤرخ المغرب الأقصى ج 2 ص 387.

5) طبع بتحقيق الدكتور محمد بنشريفة للمرة الثانية عام 1402 هـ ـ 1982م. بمطبعة فضالة بالمحمدية.

6) طبع بتحقيق كل من الأستاذ إبراهيم الأبياري والدكتور حامد عبد المجيد والدكتور أحمد أحمد بدوي ومراجعة الدكتور طه حسين بالمطبعة الأميرية بالقاهرة عام 1374 هـ ـ 1955م.

7) توجد نسخة مصورة لمختصر له بقلم المؤلف بالخزانة العامة بالرباط.

8) مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم ك 3312.

2) أننا ونحن نبحث عن هذا التاريخ الأدبي، ملزمون بـالبحث عنـه في مظان كتب التاريخ والطبقـات والتراجم وغيرهـا مما تزخر بـه المكتبـة المغربيـة من مصنفـات وشروح. فـإذا أردنـا البحث عمـا كتب عن الأدب المغربي في عصر المرابطين، أو عن هذا الأدب في عهد الموحدين لم نجد بـديلا عن كتب التاريخ ككتاب «المعجب في تلخيص أخبار المغرب» لعبد الواحد المراكشي[9]، وكتـاب «البيـان المغرب في أخبـار الأنـدلس والمغرب» لابن عذاري المراكشي[10]، ومـا دار في فلكهما من مصنفـات وتقـاييـد، وكـذلـك الأمر إذا بحثنـا عن حـظ تـاريخ الأدب المغربي من اهتمام المجتمـع المريني أو المجتمع السعدي، فإننا لا نجد بدا من الوقوف على هـذا التـاريخ، واستخلاص شذرات من واقعه ونصوصـه، من خلال كتب التـاريخ والتراجم والطبقـات ككتاب «الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتـاريخ مدينـة فـاس» لعلي بن أبي زرع الفـاسي[11]، و«الـذخيرة السنيـة في تـاريخ الدولة المرينية» له أيضا[12]، و«مناهل الصفا في أخبار الملوك الشرفـا» لعبـد العزيز الفشتـالي[13]، و«المنتقى المقصور على مآثر المنصور» لأحمد بن القـاضي

9) طبع بعناية محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي بمطبعة الاستقامة بالقاهرة سنة 1368 هـ ـ 1949م.

10) طبع بتحقيق ومراجعة ج.س كولان وإ ـ ليفي بروفنسـال بـدار الثقـافـة ببيروت في أربعـة أجزاء.

11) طبع بدار المنصور للطباعة والوراقة بالرباط عام 1973م.

12) طبع بدار المنصور للطباعة والوراقة بالرباط عام 1972م.

13) طبع بتحقيق الأستاذ عبـد اللـه جنون بـالمطبعـة المهـديـة سنـة 1384 هـ ـ 1964م، وطبع كـذلـك بتحقيـق الـدكتـور عبـد الكريم كريم، من مطبـوعـات وزارة الأوقـاف والشـؤون الإسلامية والثقافة.

المكناسي[14]، باستثناء بعض التصانيف القليلة التي وضعها أصحابها في موضوع تاريخ الأدب المغربي، أو جعلوا هذا الأدب جزءا من موضوعاتها وهم في الغالب من أدباء الأندلس أو غيرها من البلاد الإسلامية، ممن وفدوا على المغرب واحتكوا بأدبائه وشعرائه، ومن هذه التصانيف نذكر كتاب «نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان» لأبي الوليد إسماعيل بن الأحمر[15]، حيث خصص جانبا منه لشعر ملوك بني مرين، و«الإحاطة في أخبار غرناطة» للسان الدين بن الخطيب[16] حيث ترجم لبعض شعراء المغرب أمثال مالك بن المرحل وعبد العزيز الملزوزي، وكتاب «روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس» لأحمد المقري التلمساني[17] حيث يترجم لشعراء عهد أحمد المنصور الذهبي مع استعراض نماذج من نصوصهم أمثال عبد العزيز الفشتالي وعلي ابن منصور الشيظمي والحسن بن أحمد المسفيوي ومحمد بن علي الهوزالي وغيرهم، هذا إلى جانب تصنيف مغربي في هذا المجال، هو «مدد الجيش» **الذي جمع فيه مؤلفه عبد العزيز الفشتالي عددا هائلاً من الموشحات** السعدية[18].

---

14) طبع بتحقيق محمد رزوق بمطبعة المعارف الجديدة بالرباط سنة 1986م في جزأين.

15) طبع تحت عنوان : أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن، بتحقيق الدكتور محمد رضوان الداية بمطابع دار الملاح ببيروت سنة 1396 هـ ـ 1976م.

16) طبع للمرة الثانية بتحقيق محمد عبد الله عنان في ثلاثة أجزاء بمطابع الشركة المصرية للطباعة والنشر بالقاهرة سنة 1393 هـ ـ 1973م.

17) طبع بتقديم الأستاذ عبد الوهاب بن منصور بالمطبعة الملكية بالرباط عام 1383 هـ ـ 1964م.

18) الكتاب ضائع إلا أوراق قليلة تتضمن تسع موشحات أندلسية وموشحتين مغربيتين (انظر الحركة الفكرية للدكتور محمد حجي ج 1 ص 152).

فإذا ما وصلنا إلى العصر العلوي، وحاولنا تتبع مسيرة التاريخ الأدبي فيه، أدركنا أن هذه المسيرة قد تميزت بظاهرتين بارزتين تعتبر أولاهما امتدادا لما سبق، بينما تعتبر الثانية منهما خاصية ينفرد بها هذا العصر، ولا سيا في العهد الحسني الزاهر، الذي تعد هذه الظاهرة واحدة مما انتظمه سلك مفاخره الجلى، ومآثره العظمى.

فأما الظاهرة الأولى، والتي هي امتداد لما طبع العصور السابقة، فهي إدراج التاريخ الأدبي ضمن مصنفات علمية وتاريخية متعددة، وهي المصنفات التي يمكن أن ننظر إليها من خلال التبويب الآتي :

1) كتب التاريخ العام، وهو الصنف من الكتب التي تضمنت تاريخ الدول والملوك من أمثال «نزهة الحادي من أخبار ملوك القرن الحادي» لمحمد الصغير اليفرني[19] المتوفى عام 1140 هـ، و«روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف» له أيضا[20] و«الترجمان المعرب عن تاريخ دول المشرق والمغرب»[21] و«الروضة السليمانية في ملوك الدولة العلوية الإسماعيلية»[22]، وكلاهما لأبي القاسم الزياني المتوفى عام 1249 هـ، و«المنزع اللطيف في التلميح لمفاخر مولاي إسماعيل بن الشريف» لعبد الرحمن بن زيدان العلوي المتوفى عام 1365 هـ[23]، إلى غير ذلك من أمثال هذه المصنفات التي طعمها

---

19) طبع بعناية السيد هوداس سنة 1888م.

20) طبع بالمطبعة الملكية بالرباط عام 1382 هـ ـ 1962م.

21) مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم د 658.

22) مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم د 1275.

23) مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم ج 595.

مؤلفوها بنصوص شعرية ونثرية متعددة، ومقتطفات من تراجم بعض أدباء هذا العصر وشعرائه.

2) كتب التراجم والطبقات، وهو صنف آخر لا يخلو من أهمية بالنسبة لدارس الأدب المغربي والمتتبع لتاريخه ومراحله، حيث إنه صنف يطلعنا على نصوص إبداعية مختلفة أو مقتطفات من تراجم أدباء هذا العصر كالتي نقف عليها من خلال «نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان» لمحمد بن قاسم بن زاكور المتوفى عام 1120 هـ[24]، و«الأنيس المطرب فيمن لقيه مؤلفه من أدباء المغرب» لمحمد بن الطيب العلمي المتوفى عام 1135 هـ[25]، و«صفوة من انتشر من صلحاء القرن الحادي عشر» لمحمد الصغير اليفرني المتوفى عام 1140 هـ[26]، و«نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني» لمحمد بن الطيب القادري المتوفى سنة 1187 هـ[27]، و«الإحيا والانتعاش في تراجم سادات زاوية آيت عياش» لعبد الله بن عمر العياشي من رجال القرن الثاني عشر الهجري[28]، و«البدور الضاوية في التعريف بالسادات أهل الزاوية الدلائية» لسليمان الحوات المتوفى عام 1233 هـ[29]،

---

24) طبع بالمطبعة الملكية بالرباط سنة 1387 هـ 1967م.

25) طبع على الحجر بفاس عام 1315 هـ.

26) طبع على الحجر بفاس بدون تاريخ.

27) طبع بتحقيق الدكتور محمد حجي والأستاذ أحمد التوفيق في أربعة أجزاء ما بين سنة 1397 هـ ـ 1977م وسنة 1407 هـ ـ 1986م.

28) مخطوط مصور بالخزانة العامة بالرباط رقم د 1433.

29) مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم د 261.

و«أعلام المغرب العربي» للأستاذ عبد الوهاب بن منصور مؤرخ المملكة المغربية وعضو أكاديميتها[30].

3) كتب الرحلات، حيث كان مؤلفوها يضمنونها نصوصا مختلفة من الإبداع المغربي كما نلمس ذلك في رحلة أبي سالم العياشي المتوفى عام 1090 هـ المسماة بـ «ماء الموائد»[31]، أو في رحلة أحمد بن محمد الكردودي المتوفى سنة 1318 هـ المسماة بـ «التحفة السنية للحضرة الحسنية بالمملكة الإصبنيولية»[32].

4) ولعلنا في هذا الإطار نضيف صنفا آخر، هو في الوقت نفسه امتداد للظاهرة ذاتها لأنه ليس خاصا بتاريخ الأدب المغربي بالمعنى الصرف، وإنما هذا الأدب جزء من مكوناته العامة، كما أنه وجه جديد من وجوه الكتابة والتصنيف، وهو الذي يمكن أن نصطلح عليه بتاريخ المدن والأقاليم المغربية، هذا الصنف الذي تطور في ظل الدولة العلوية، واستطاع أن يغطي معظم هذه المدن والأقاليم سواء من الوجهة التاريخية أو الفكرية أو الأدبية، وسواء كذلك في إطار التاريخ العام أو تراجم الأعلام أو ما أشبه، ومن هذه الكتب نشير إلى :

---

30) نشرت الأجزاء الأربعة الأولى منه بين سنة 1399 هـ - 1979م وسنة 1406 هـ - 1986 بالمطبعة الملكية بالرباط.

31) طبعت للمرة الثانية مصورة بالأوفسيط بدار المغرب بالرباط في جزأين بعناية الدكتور محمد حجي سنة 1397 هـ - 1977م.

32) طبعت بتقديم الأستاذ عبد الوهاب بن منصور بالمطبعة الملكية بالرباط عام 1383 هـ - 1963م.

○ «سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس» لمحمد بن جعفر الكتاني المتوفى عام 1345 هـ[33].

○ «إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس» لعبد الرحمن ابن زيدان العلوي المتوفى عام 1365 هـ[34].

○ «الاغتباط بتراجم أعلام الرباط» لمحمد بو جندار الرباطي المتوفى عام 1345 هـ[35].

○ «الإتحاف الوجيز بأخبار العدوتين المهدى لمولانا عبد العزيز» لمحمد بن علي الدكالي المتوفى عام 1364 هـ[36].

○ «الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام» لعباس بن إبراهيم المتوفى عام 1378 هـ[37].

○ «تاريخ تطوان» لمحمد داود المتوفى عام 1986م[38].

---

33) طبع على الحجر بفاس عام 1316 هـ.

34) طبع بالمطبعة الوطنية بالرباط أعوام 1348 ـ 1352 هـ ـ 1930 ـ 1933م في خمسة أجزاء.

35) مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم د 1287.

36) طبع بتحقيق مصطفى بوشعراء بمطبعة المعارف الجديدة بالرباط عام 1406 هـ ـ 1986م.

37) طبع بتحقيق الأستاذ عبد الوهاب بن منصور في عشرة أجزاء بالمطبعة الملكية بالرباط بين سنة 1974م وسنة 1983م.

38) صدر عن مطبعة كريماديس بتطوان في ستة أجزاء بين سنة 1379 هـ ـ 1959م وسنة 1390 هـ ـ 1970م.

○ «المعسول» لمحمد المختار السوسي المتوفى عام 1383 هـ[39]، وكذلك «سوس العالمة»[40] و«إيليغ قديما وحديثا»[41] له أيضا.

○ «الشموس المنيرة في أخبار مدينة الصويرة» لأحمد بن الحاج الرجراجي الرباطي المتوفى عام 1374 هـ[42].

5) الدواوين أو المجموعات الشعرية التي تميزت في هذا العصر بالخصوبة وتعدد الأغراض، والتي يمكن أن ننظر إليها من خلال مرحلتين اثنتين :

أ ـ المرحلة الأولى، وتمتد منذ بداية العصر العلوي إلى مستهل فترة الحماية الفرنسية على المغرب، حيث إن من هذه الدواوين ما كان من جمع الشاعر نفسه كديوان « الروض الأريض في بديع التوشيح ومنتقى القريض» لمحمد بن قاسم بن زاكور[43]، ومنها ما كان من جمع أحد أبناء الشاعر أو تلامذته، كما هو الشأن بالنسبة لديوان الحسن بن مسعود اليوسي[44] الذي جمعه ابنه من بعده. كما أن من هذه الدواوين ما كان يشمل سائر الأغراض التي نظم فيها الشاعر، ومنها ما كان يفرد لغرض

---

39) طبع بمطبعة النجاح بالدار البيضاء في عشرين جزءا بين سنة 1380 هـ 1960م وسنة 1383 هـ ـ 1963م.

40) طبع بمطبعة فضالة بالمحمدية عام 1380 هـ ـ 1960م.

41) طبع بتعليق محمد بن عبد الله الروداني بالمطبعة الملكية بالرباط عام 1386 هـ ـ 1966م.

42) طبع بالمطبعة الوطنية بالرباط عام 1354 هـ ـ 1935م.

43) مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم ك 357.

44) مخطوط بالخزانة العامة بالرباط في نسخ منها واحدة رقم ج 32.

واحد هو في الغالب الأعم موضوع المدح، سواء تعلق الأمر بالمديح النبوي كديواني محمد المرابط الدلائي وابنه محمد[45]، أو تعلق بمدح الملوك العلويين كديوان الأمداح السليمانية لأبي الربيع سليمان الحوات[46]، ولاشك أن دواوين ومجموعات هذه الفترة كانت أكثر مما تمكن الإحاطة به في هذا البحث المقتضب[47].

ب ـ المرحلة الثانية، وتنتظم فترة الحماية، ثم مرحلة الاستقلال في عهد المغفور له جلالة محمد الخامس قدس الله روحه، وعهد وارث سره جلالة الملك الحسن الثاني أيده الله ونصره، وهي المرحلة التي شهدت صدور مجموعة من الدواوين الشعرية، وكذلك بعض المجموعات أو المختارات التي تنطلق من وحي المقاومة حينا، ومن وحي الإشادة بالأمجاد المغربية حينا آخر، إلى جانب التعبير عن الذات بأنماط شعرية مختلفة.

ولعلي أكتفي في إطار المجموعات الشعرية في هذه المرحلة بالإشارة إلى ديوان «اليمن الوافر الوفي في مدح الجناب اليوسفي»» لعبد الرحمن بن زيدان العلوي[48] الذي ضم فيه المؤلف، إلى جانب شعره في مدح السلطان مولاي يوسف بن السلطان مولاي الحسن الأول، أشعار غيره من المبدعين في الموضوع ذاته أمثال محمد البكاري، ومحمد بوجندار، وغيرهما، وكذلك كتاب

---

45) يوجد الديوانان مخطوطين في مجموع واحد بالخزانة العامة بالرباط رقم د 3644.

46) يوجد مرقونا بتحقيق عبد الحق الحيمر بخزانة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس.

47) انظر حول دواوين ومجموعات المراحل الأولى من العصر العلوي كتاب الشعر الدلائي لعبد الجواد السقاط، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط 1986 ص 75 ـ 79.

48) طبع في جزأين بالمطبعة المخزنية بفاس عام 1342 هـ ـ 1923م.

«محمد الخامس فكرة وعقيدة» الذي ضم ضمن محتوياته المختلفة، القصائد التي جادت بها قرائح الشعراء في رثاء الملك الراحل محمد الخامس طيب الله ثراه[49]، وديوان الحسنيات[50] وديوان دعوة الحق[51] اللذين يضمان مجموعة من الأشعار التي قيلت في مدح جلالة الحسن الثاني دام عزه وعلاه.

أما في إطار الدواوين الشعرية فيمكن الإشارة إلى ديوان «أحلام الفجر» لعبد القادر حسن[52]، وديوان «باقة شعر» لعبد المالك البلغيتي[53] وديوان «نجوم في يدي» لمحمد الحبيب الفرقاني[54]، وديوان «أنغام وأصداء» لمحمد الحلوي[55] وديوان «لوحات شعرية» لعبد الله جنون[56]، و«ديوان الحرية» لعبد الكريم بن ثابت[57] وديوان «ذكريات من ربيع الحياة» لمحمد الجزولي[58]، وديوان «الطريق إلى الإنسان» لعبد الكريم الطبال[59]،

---

49) أصدرته وزارة الأنباء والسياحة بمناسبة الذكرى الأربعينية لوفاة الملك الراحل، عن مطبعة الرسالة بالرباط عام 1380 هـ - 1961م.

50) أصدرته وزارة الدولة المكلفة بالإعلام عام 1395 هـ - 1975م بمطبعة الأنباء بالرباط.

51) أصدرته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية عام 1406 هـ 1986م، انظر قراءة فيه لعبد الجواد السقاط بمجلة دعوة الحق عدد 257، شوال، ذو القعدة 1406 هـ يونيو، يوليوز 1986م.

52) صدر عام 1936 عن مطبعة التقدم الإسلامية بمراكش.

53) صدر عن المطبعة العصرية بفاس عام 1947م.

54) صدر عن مطبعة دار النشر المغربية بالدار البيضاء عام 1965م.

55) صدر عن مطابع دار الكتاب سنة 1965م.

56) صدر عن دار كريماديس للطباعة بتطوان عام 1966م.

57) أصدره الأستاذ عبد الكريم غلاب ضمن منشورات سلسلة كتاب العلم بالرباط سنة 1968م.

58) صدر عام 1971م عن مطبعة الأمنية بالرباط.

59) صدر عن مطبعة كريماديس بتطوان عام 1971م.

وديوان «قالت لي الحرية» لأبي بكر المريني[60]، وديوان «السوانح» لإدريس الجاي[61]، والمختار من شعر علال الفاسي[62]، وديوان «الموت في قرية رمادية» لعبد العلي الودغيري[63]، وديوان «وشم في الكف» لعبد الرفيع الجوهري[64]، وديواني «مسامير ومزامير» و«ريحان وألحان» لعلي الصقلي[65] وغيرها من الدواوين التي استمر صدورها إلى اليوم، والتي تكون دعامة أساسية من دعائم التاريخ الأدبي متمثلة في جمع النصوص، وحفظها، ونشرها لتكون طوع أيدي الباحثين والمؤرخين.

وأما الظاهرة الثانية، والتي تعد خصيصة من خصائص العصر العلوي في هذا المجال، فهي الاهتمام بالأدب المغربي وتاريخه اهتماما مقصودا لذاته، وليس جزءا من مكونات تصنيف أو تقييد.

ولعل هذه الظاهرة التي رأت النور مع إطلالة العشرينات قد بلغت أوجها وشأوها البعيد في ظل العهد الحسني الزاهر، نظرا لما توفر لها من ظروف وعوامل كانت وراء هذا الأوج وذلك الشأو.

ولا أحد ينازع في أن من بين أبرز هذه العوامل والظروف الوضع الاستعماري الذي عرفه المغرب، والذي كانت مقاومته ومواجهته من لدن

---

60) صدر عن مطبعة المغرب بالرباط سنة 1971م.

61) صدر عن المطبعة الملكية بالرباط، بتقديم الأستاذ عبد الله جنون عام 1971م.

62) أصدرته اللجنة الثقافية لحزب الاستقلال بمطبعة الدار البيضاء بالبيضاء عام 1976م.

63) صدر عام 1980 عن مطبعة الرسالة بالرباط.

64) صدر عام 1981 عن دار ابن رشد ببيروت.

65) صدرا عام 1982 عن مطبعة النجاح الجديدة بالدار البيضاء.

المغاربة تتخذ تشكيلات وأنماطا مختلفة من بينها التعريف بالمغرب حضاريا وفكريا وأدبيا، إلى جانب التعريف به سياسيا وجغرافيا، وبذلك يمكن القول بأن الاهتمام بالأدب المغربي في هذا العصر كان نتيجة لهذا الشعور بضرورة رفع كابوس الاحتلال، والزهو على البلاد الأخرى بما شيده المغاربة من بناء حضاري وفكري وأدبي على مر الأجيال وتعاقب الحقب والدهور.

ومن هذه العوامل والظروف كذلك الرغبة في أن يكون للأدب المغربي ذكر في المحافل العربية، ومكان بين صفحات الكتب المشرقية التي كان أصحابها يؤلفونها في تاريخ الأدب العربي، ولكنهم لا يدرجون فيها شيئا عن الأدب المغربي، كما لو أن هذا الأدب شبح لا حقيقة له، أو كما لو أنه لم يكن مساهما في الحفاظ على اللغة العربية وأدبها في هذا الجزء الغربي من العالم الإسلامي.

وإلى هذين العاملين كذلك يضاف عامل ثالث له من الأهمية قدر كبير، وهو إنشاء الجامعة المغربية في الخمسينات، التي عملت على تخريج **الأفواج من المهتمين بهذا الأدب وتاريخه، والذين حملوا مشعل التعريف به** ودراسته في إطار علمي متجدد عبر ما يقدمونه من رسائل وأطروحات في جوانب مختلفة من هذا الأدب المغربي.

ولابد كذلك من الإشارة إلى عامل رابع لا يقل أهمية عما سبقه، وهو المتمثل في النزعة القومية التي حملت بعض المثقفين المغاربة على المساهمة بأقلامهم في هذا المجال في خضم هذه النزعة القومية التي عرفها الأدب العربي في مناطق متعددة من الوطن العربي، والتي تمخضت عن مجموعة من الكتب والدراسات التي لا يزال صدورها مستمرا إلى اليوم، ونذكر منها «الأدب

العربي المعاصر في مصر» للدكتور شوقي ضيف[66]، و«الشعر العراقي أهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر» للدكتور يوسف عز الدين[67] و«الأدب العربي المعاصر في سوريا» لسامي الكيالي[68]، و«الشعر العربي القومي في مصر والشام» لسميرة محمد زكي أبو غزالة[69]، و«الأدب العربي المعاصر في فلسطين» للدكتور كامل السوافيري[70]، و«الشعر الجزائري» لصالح خرفي[71].

ونتوج هذه العوامل كلها أخيرا بعامل جوهري لعله أكبرها قيمة وأوسعها قدرا، وهو الرعاية الملكية السامية التي يحظى بها الأدب والأدباء المغاربة، والتي تبلورت في واجهات متعددة نذكر منها على سبيل المثال :

أ - جائزة الحسن الثاني للمخطوطات والوثائق، التي تعتبر لبنة جديدة تضاف إلى هرم التاريخ الأدبي، بما تمكنت به من جمع لنصوص كانت متفرقة ومهملة، وما ساهمت به في إمداد الباحث بهذه النصوص وتيسير استفادته منها.

ب - جائزة المغرب التي تخصص لأجود إنتاج أدبي أو علمي، والتي تعتبر حافزا على الإبداع والبحث في أدبنا المغربي، قديمه وحديثه.

ج - جعل سنة 1986 سنة للثقافة، بما فيها الجانب الأدبي، سواء تعلق الأمر بإحياء تراثه، أو بالتشجيع على دراسته وتحليله.

---

66) دار المعارف بالقاهرة عام 1971م.

67) صدرت طبعته الأولى عام 1957م.

68) صدر عن دار المعارف بمصر عام 1959م.

69) صدر بدون تاريخ عن الدار المصرية للتأليف والترجمة.

70) صدر عن دار المعارف بمصر عام 1975م.

71) صدر عن مطابع الشروق ببيروت عام 1970م.

فمن هـذه العـوامـل مجتمعـة، برز الاهتمام بـالتـاريـخ الأدبي للمغرب، وراحت الأقلام تتناولـه سواء في إطـار الكتب والـدراسـات المطولـة، أو في إطار المقالات والأبحاث المقتضبة، باذلة في ذلك من الجهود والتضحيـات مـا جعل هذا التاريخ الأدبي قبلة تغري بالمزيد من الدراسة والبحث.

ولعلنـا نستطيـع أن نصنف الأعمــال التي ظهرت في هــذا المجــال في التبويب الآتي :

1) كتب التـاريـخ الأدبي العـام، وهي الأعمـال التي تنـاولت الأدب المغربي عبر مختلف العصور السياسيـة التي مربهـا المغرب، في محـاولـة لرصـد بعض مميزاته وخصائصه. وإذا كان كتـاب «تـاريخ الأدب العربي في المغرب والأنـدلس» لإبراهيم بن علي الإلغي السـوسي[72]، وقبلـه كتـاب «المنتخبـات العبقرية لطلبة المـدارس الثـانويـة» لمحمـد بن عبـد السلام السـايح[73] أول شرارة في هذا الميدان، فإن كتاب «النبوغ المغربي في الأدب العربي» للأستاذ عبد الله جنون[74] يعتبر كما قال عنه الدكتور عباس الجراري «معلمـة بـارزة متميزة لا يناقش فيها أحـد»[75] نظرا لكونـه أحـاط بهـذا التـاريخ إحـاطـة شاملة من جهة، ومن جهة ثانيـة نظرا لمـا يتوفر عليـه من نصوص شعريـة

---

72) صدر عام 1955م عن المطبعة المهدية بتطوان.

73) صدر عام 1920م عن المطبعة الرسمية بالرباط.

74) صدرت طبعته الثانية عام 1961م عن دار الكتاب اللبناني ببيروت في ثلاثة أجزاء.

75) انظر العرض الذي شارك بـه الـدكتور عبـاس الجراري في نـدوة تكريم الأستـاذ عبـد الله جنـون بطنجـة تحت عنـوان : النبـوغ المغربي وتـاريخيـة الأدب العربي في المغرب، الملحـق الأسبوعي لجريدة العلم، السبت 27 صفر 1407 هـ، 1 نونبر 1986م العدد 799، السنة 16.

ونثرية تمثل الأدب المغربي في كافة عصوره ومراحله. وهي خطوة رائدة في وقتها تلتها خطوة مشابهة تمثلت في كتاب «الأدب المغربي» لكل من محمد بن تاويت ومحمد الصادق عفيفي[76] الذي يتناول هو الآخر تاريخ الأدب المغربي سواء من حيث أعلامه أو ظواهره.

2) كتب التراجم، سواء تعلق الأمر بأدباء منطقة معينة من مناطق المغرب ككتاب «تاريخ الشعر والشعراء بفاس» لأحمد النميشي[77]، أو كتاب «الوسيط في تراجم أدباء شنقيط» لأحمد بن الأمين الشنقيطي[78]، أو كتاب «من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين الرباط وسلا» للمرحوم عبد الله بن العباس الجراري[79]، أو تعلق بأدباء المغرب عامة ككتاب «شعراء المغرب الأقصى وأدباؤه للمرحوم الجراري المتقدم[80]، وسواء كذلك تعلق الأمر بعصور مغربية متعددة ككتاب «ذكريات مشاهير رجال المغرب» للأستاذ عبد الله جنون[81] أو تعلق بفترة معينة ككتاب «الأدب العربي في المغرب الأقصى» لمحمد بن العباس القباج[82] الذي قصره على معاصريه الأدباء من شباب وشيوخ.

3) كتب التاريخ الأدبي والفكري وكذا المقالات التي تعنى بعصر واحد، وهو صنف نجده يغطي معظم العصور السياسية في المغرب بدءا من

76) صدر عام 1960 عن مطبعة دار الكتاب اللبناني ببيروت.

77) صدر عام 1924 عن مطبعة أندري بفاس.

78) صدر عام 1961 عن مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة.

79) صدر في جزأين عام 1971م عن مطبعة الأمنية بالرباط.

80) مخطوط في خزانة المؤلف (انظر الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية ص 303).

81) طبعت التراجم منفصلة في كتيبات متسلسلة بمطابع دار الكتاب اللبناني ببيروت.

82) صدرت طبعته الثانية في جزأين عن مطبعة فضالة بالمحمدية عام 1400 هـ ـ 1979م.

العصر الإدريسي والمرابطي مع «نشأة الأدب العربي في المغرب : ظروفها ومظاهرها» للدكتور عباس الجراري[83]، فالعصر الموحدي مع كتاب «العلوم والفنون والآداب على عهد الموحدين» للأستاذ محمد المنوني[84]، فالعصر المريني مع كتاب «الحياة الثقافية المغربية في عهد المرينيين والوطاسيين» للدكتور محمد بن شقرون[85]، فالعصر السعدي مع كتاب «الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين» للدكتور محمد حجي[86]، ووصولا إلى العصر العلوي سواء مع كتاب «الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية» للدكتور محمد الأخضر[87] أو كتاب «أحاديث عن الأدب المغربي الحديث» للأستاذ عبد الله جنون[88].

ولعل مما يميز هذا الصنف من الكتب أنها تعتبر جردا شاملا للحياة الأدبية المغربية إن على صعيد التراجم أو النصوص، علاوة على اهتمام بعضها بالجوانب العامة المرتبطة بالأدب والفكر عامة كالمراكز الثقافية من مكتبات وزوايا ومساجد، وكالكتب المؤلفة في شتى أصناف الفكر والإبداع، وكالوقوف عند بعض الفنون الأدبية التي نشأت في العصر الحديث.

4) صناعة الدواوين الشعرية أو جمع النصوص النثرية من رسائل أو غيرها، مع ما يتطلبه هذا العمل من بحث عن النصوص وتحقيقها والتعريف بأصحابها وعصورهم ومختلف العناصر المؤثرة في إنتاجهم.

83) مجلة المناهل، العدد 2، السنة 2، صفر 1395 هـ، مارس 1975م.

84) صدر عن مطبعة معهد مولاي الحسن بتطوان سنة 1369 هـ ـ 1950م.

85) صدر بالفرنسية عام 1394 هـ ـ 1974م عن مطبعة محمد الخامس بفاس.

86) صدر في جزأين عن مطبعة فضالة بالمحمدية عام 1396 هـ ـ 1976م.

87) صدر عام 1977 عن دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء.

88) صدر عن دار الرائد للطباعة بالقاهرة عام 1964م.

ولعلها دواوين ومجموعات تغطي بدورها مختلف المراحل الأدبية في المغرب، **كما يشهد بذلك ديوان ابن الصباغ الجذامي[89] من العصر الموحدي،** وديوان عبد العزيز الفشتالي[90] من العصر السعدي، ومجموعة من دواوين شعراء العصر العلوي كمحمد بن الطيب العلمي[91]، وعلي مصباح الزرويلي[92]، ومحمد بن إدريس العمراوي[93]، والطاهر الإيفراني[94] وغيرهم مما جعل هؤلاء الشعراء، الذين كانوا مغمورين إلى حد، يتخطون مستوى الإهمال والنسيان إلى مستوى الشهرة وذيوع الذكر.

أما في ميدان جمع الرسائل وتحقيقها فلابد من ذكر «رسائل سعدية» للأستاذ عبد الله جنون[95]، و«رسائل أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي» لفاطمة خليل القبلي[96].

5) التعريف بالأعلام ودراسة إنتاجهم الأدبي والفكري، وهو اتجاه لا يقل أهمية عن سابقه، بل إنه يساهم في استكمال الصورة التي يجب أن يبرز فيها أدبنا المغربي، ويمد هذا الأدب بروافد ثرة لاشك أنها تغني الباحث وتسد فراغا كان واضحا في المكتبة الأدبية في المغرب.

---

89) صنعته نور الهدى الكتاني، ويوجد مرقونا بمكتبة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط.

90) صنعته نجاة المريني، وصدر عن مطبعة المعارف الجديدة بالرباط عام 1986.

91) صنعه عبد الرحيم الراجي، ويوجد مرقونا بمكتبة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط.

92) صنعه حمدي حسني، ويوجد مرقونا بمكتبة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط.

93) صنعه التهامي شهيد، ويوجد مرقونا بمكتبة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط.

94) صنعه عبد الله الدرقاوي، ويوجد مرقونا بمكتبة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط.

95) صدرت عن دار الطباعة المغربية بتطوان عام 1954.

96) صدر في جزأين عن مطبعة النجاح الجديدة بالدار البيضاء عام 1401 هـ ـ 1981م.

وهذا الصنف كسابقه يغطي كافة المراحل التاريخية ببلادنا بدءا من العصر المرابطي الذي عرف بعض أعلامه اهتماما واسعا وخاصة منهم القاضي عياض الذي نجد حوله أكثر من دراسة[97]، ومرورا بالعصر الموحدي مع دراسة الأستاذ محمد الفاسي حول أبي العباس الجراوي[98] ودراسة الدكتور عباس الجراري حول أبي الربيع سليمان الموحدي[99] فالعصر المريني مع كتاب «ابن البناء المراكشي المعروف بالعددي[100] فالعصر السعدي مع شخصيات متعددة ترجم لها الأستاذ عبد الله جنون[101]، ووصولا إلى العصر العلوي مع دراسات متعددة مست نخبة من أعلام الفكر والإبداع في هذه المرحلة، أكتفي منها بذكر سلسلة شخصيات مغربية للمرحوم عبد الله بن العباس الجراري[102] و«أدب التاستاوتي من خلال كتابه نزهة الناظر» لأحمد الطريبق اليدوي[103]، و«محمد بوجندار الشاعر الكاتب» لمحمد حميدة[104].

6) تحقيق المصنفات القديمة، وهي عملية انصبت على أعمال ذات اتجاهات مختلفة ولكنها جميعا تلتقي حول اهتماماتها الأدبية سواء من حيث

---

97) من هذه الدراسات «القاضي عياض الأديب» لعبد السلام شقور، مطبعة دار أمل بطنجة عام 1983، و«القاضي عياض بين العلم والأدب» للأستاذ عبد الله جنون، عن منشورات دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع بالرياض عام 1984م.

98) نشر ضمن مطبوعات جمعية قدماء تلاميذ مدرسة جسوس.

99) الأمير الشاعر أبو الربيع سليمان الموحدي، انظر الهامش رقم 1.

100) يوجد مرقونا بمكتبة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط.

101) بعض الأعداد من «ذكريات مشاهير رجال المغرب».

102) صدرت منها ستة أجزاء عن دار النجاح الجديدة بالدار البيضاء منها «شيخ الجماعة العلامة محمد المكي البطاوري» (1398 هـ - 1978م).

103) يوجد مرقونا بمكتبة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط.

104) يوجد مرقونا بمكتبة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط.

تراجم بعض الأعلام، ونمثل لهذا الجانب بكتابي محمد بن الطيب القادري «التقاط الدرر» و«نشر المثاني»[105]، أو من حيث الكتابة التاريخية الممزوجة بالأدب ككتاب «المنتقى المقصور على مآثر المنصور» لابن القاضي[106]، وكتاب «مناهل الصفا في مآثر الملوك الشرفا» لعبد العزيز الفشتالي[107]، أو أخيرا من حيث الإبداع الأدبي الصرف كبعض أعمال الحسن اليوسي وخاصة منها كتاب «المحاضرات»[108] وكتاب «زهر الأكم في الأمثال والحكم»[109].

وإن عملية التحقيق هاته، وما يواكبها من بحث واستقصاء، لتعد مساهمة جادة وأساسية في دعم هذه الحركة التاريخية للأدب المغربي التي تعمل على إحياء التراث الدفين، وإخراجه لجمهور المثقفين، سواء في البلاد المغربية أو غيرها.

7) التأريخ للفنون الأدبية، سواء كانت شعرية أو نثرية، في محاولة لجرد ما طرأ على هذه الفنون من تطورات، وما تتميز به من ملامح وسمات. وفي هذا الإطار، وفي مجال النثر، نشير إلى أعمال متنوعة منها : «الخطابة والخطباء بفاس» لعبد الواحد الفاسي[110]، و«الرحلة في العصر المريني» لحسن

105) الأول حققه هاشم العلوي القاسمي، وصدر عن دار الآفاق الجديدة ببيروت عام 1401 هـ، 1981م والثاني حققه كل من الدكتور محمد حجي والأستاذ أحمد التوفيق، انظر الهامش رقم : 27.

106) انظر الهامش رقم 14.

107) انظر الهامش رقم 13.

108) نشر لأول مرة بتحقيق الدكتور محمد حجي بدار المغرب بالرباط عام 1977.

109) حققه كل من الدكتور محمد حجي والدكتور محمد الأخضر في ثلاثة أجزاء صدرت عن مطبعة النجاح الجديدة بالدار البيضاء.

110) مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم ح 163.

شاهدي[111]، و«فن القصة في المغرب» لأحمد اليابوري[112]، وفن المقامة بالمغرب في العصر العلوي» لمحمد السولامي[113]، والمقالة الأدبية في المغرب من سنة 1930 إلى 1955، لأحمد بلشهاب[114]، و«مناهج النقد الأدبي بالمغرب خلال القرن الثامن الهجري» للدكتور علال الغازي[115].

أما في المجال الشعري فالدراسات كذلك متنوعة سواء كانت دراسة لفن من فنون هذا الشعر ككتاب «الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية» للدكتور إبراهيم السولامي[116]، أو دراسة الدكتور عباس الجراري حول شعر المولديات في المغرب[117]، أو كانت دراسة لظاهرة من ظواهره ككتاب «ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب» لمحمد بنيس[118]، أو كتاب «أدب الفقهاء» للأستاذ عبد الله جنون[119]، أو كانت أخيرا دراسة لنمط من أنماطه التعبيرية كدراسة عبد الجواد السقاط حول الأرجوزة في الأدب المغربي[120].

---

111) يوجد مرقونا بمكتبة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط.

112) يوجد مرقونا بمكتبة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط.

113) يوجد مرقونا بمكتبة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط.

114) يوجد مرقونا بمكتبة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط.

115) يوجد مرقونا بمكتبة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط.

116) صدر عام 1974م عن مطبعة النجاح بالدار البيضاء.

117) مجلة المناهل، عدد 9، السنة 4، رجب 1397 هـ، يوليو 1977م، وكذلك كتاب «الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه» لنفس المؤلف، مكتبة المعارف بالرباط ص 139 ـ 167.

118) صدر عام 1979 عن دار العودة ببيروت.

119) صدر بدون تاريخ عن دار الكتاب اللبناني ببيروت.

120) مقال بمجلة المناهل عدد 35، السنة الثالثة عشرة، دجنبر 86.

8) التأريخ لأدب خلية من خلايا المجتمع المغربي متمثلة في الزوايا التي انتشرت في المغرب، وخاصة في العصر السعدي، وهو تأريخ يمكن رصده من خلال واجهات ثلاث :

أ ـ الوقوف عند علم من أعلام هذه الزوايا للبحث في شخصيته وأدبه، ومن نماذج ذلك كتاب «عبقرية اليوسي» للدكتور عباس الجراري[121]، وكتاب «أبو عبد الله محمد المرابط الدلائي» لحسن جلاب[122]، ودراسة حول الشاعر أبي عبد الله محمد بن محمد المرابط الدلائي لعبد الجواد السقاط[123].

ب ـ التركيز على فن الشعر في إحدى هذه الزوايا المغربية، ويمثل هذه الواجهة كتاب «الشعر الدلائي» لعبد الجواد السقاط[124].

جـ ـ دراسة الجوانب الأدبية عامة في رحاب إحدى هذه الزوايا كما نلمس ذلك في كتاب «الحياة الأدبية في الزاوية المعينية» لمحمد الظريف[125].

9) ولعل مما يتميز به التاريخ الأدبي بالمغرب في هذه المرحلة كذلك، **أنه لم يحصر في دائرة الأدب المدرسي الفصيح فحسب، وإنما امتد إلى لونين** آخرين من هذا الأدب، هما الأدب الشعبي من جهة، والأدب المكتوب باللغة الفرنسية أو بالبربرية من جهة أخرى.

---

121) صدر عام 1401 هـ ـ 1981م عن مطبعة النجاح بالدار البيضاء.

122) يوجد مرقونا بمكتبة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط.

123) مقال بمجلة المناهل عدد 34، السنة الثالثة عشرة، ذو القعدة 1406 هـ ـ يوليو 1986م.

124) صدر عام 1985 عن مطبعة المعارف الجديدة بالرباط.

125) يوجد مرقونا بمكتبة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط.

ولعل مكان الريادة في المجال الأول يحتله كل من الدكتور عباس الجراري من خلال كتابه «القصيدة أو الزجل في المغرب» الذي تناول فيه كافة الأنماط الأدبية الشعبية[126]، وكذلك كتابه «موشحات مغربية دراسة ونصوص»[127]؛ والأستاذ محمد الفاسي من خلال اهتماماته بشعر الملحون، هذه الاهتمامات التي ظهرت أخيرا في البواكير الأولى من موسوعته «معلمة الملحون»[128].

أما المجال الثاني فتكفي الإشارة فيه إلى «الشعر الأمازيغي المنسوب إلى سيدي حمو الطالب» لعمر أمرير[129]، و«الأدب المغربي المكتوب بالفرنسية : دراسات تحليلية رمزية» لعبد الرحمن طنكول.[130]

10) على أن هناك ظاهرة أخرى من مظاهر العناية بالأدب وتاريخه وهي المتمثلة في إقامة الندوات وإلقاء المحاضرات التي تعنى بهذا اللون من التاريخ، إن على المستوى الوطني أو الخارجي، وسواء تعلقت بالأدب الفصيح أو الشعبي. ومن أمثلة ذلك ندوة «الأدب الشعبي المغربي» التي أقيمت في السنة الماضية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط[131]

---

126) صدر عام 1970 عن مكتبة الطالب بالرباط.

127) صدر عام 1973 عن مطبعة دار النشر المغربية بالدار البيضاء.

128) صدر القسم الأول من الجزء الأول منها ضمن مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، مطبعة المعارف الجديدة بالرباط عام 1406 هـ ـ 1986م.

129) يوجد مرقونا بخزانة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط.

130) صدر باللغة الفرنسية عن دار النشر «أفريك أوريان» بالبيضاء عام 1986.

131) أقيمت في شهر مارس سنة 1986.

ونـدوة «القـاضي عيـاض» المنعقـدة في مـارس 1981[132]، ونـدوة «الإنتـاج الثقـافي في المغرب خلال الثانينـات : حصيلـة وتقويم» المنعقـدة في مستهـل السنة الحالية[133].

هـذا علاوة على تخصيص بعض الأعـداد من مجلات مغربيـة للتـأريخ لبعض الأدباء والأعلام المغـاربـة، كما هو الشـأن بـالنسبـة لمجلـة المنـاهل التي خصصت العدد التاسع عشر منها للقاضي عياض[134]، والعـدد الخـامس عشر منهـا للحسن بن مسعـود اليـوسي[135]، أو لبعض الفنـون الأدبيـة كمجلـة آفاق[136] التي خصصت العددين الأول والثاني منهـا لفن القصـة[137] بينما خصصت العـدد الثـالث لفن الشعر[138]، وكمجلـة الفنون[139] التي خصصت العددين الثالث والرابع منها للنصوص المسرحية[140].

11) وأخيرا نسجل في المضمار نفسـه تلـك البيبليـوغرافيـات المتعـددة التي حـاول فيهـا مصنفوهـا أن يقـدموا صـورة تظهر الخصـوبـة التي عرفهـا ميـدان الإبـداع والتـأليف ببلادنـا، وهي صورة تـأريخيـة ولاشـك، تعكس

---

132) نظمتها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، وطبعت المقالات والدراسات التي ساهم بها المشاركون في هذه الندوة في ثلاثة أجزاء بمطبعة فضالة بالمحمدية 1404 هـ ـ 1983م.

133) أقامها فرع الرباط لاتحاد كتاب المغرب أيام 28، 29، 30 يناير 1987م.

134) السنة السابعة صفر 1401 هـ ـ دجنبر 1980م.

135) السنة السادسة شعبان 1399 هـ ـ يوليو 1979م.

136) يصدرها اتحاد كتاب المغرب.

137) عام 1966.

138) عام 1966.

139) كانت تصدرها وزارة الشؤون الثقافية.

140) أكتوبر دجنبر 1974.

مختلف الاهتمامات التي حركت أقلام المغاربة سواء في هذا الفن أو ذاك. ولعل من نماذج ذلك كتاب «التأليف ونهضته في القرن العشرين» للمرحوم عبد الله الجراري[141]، وكتاب «الأدب المغربي الحديث بيبليوغرافيا شاملة» لعبد الرحمن طنكول[142]، و«بيبليوغرافيا الفن الروائي بالمغرب 1930 ـ 1984» لمصطفى يعلى[143].

وهكذا لو تتبعنا مختلف مستويات النشاط الذي واكب حركة التاريخ الأدبي بالمغرب في العصر الحديث، لما أمكننا أن نقف عند هذه الصفحات المختصرة، ولكن حسبنا أن فيما ذكرنا من أعمال وأسماء، على سبيل المثال لا على سبيل الحصر، ما يعكس الصورة المشرقة التي تعرفها هذه الحركة، وخاصة في العهد الحسني الزاهر، والتي تنبئ بالمزيد من الأبحاث والدراسات تضاف إلى هذه اللبنات المتقدمة، لتشييد صرح الثقافة المغربية، انطلاقا من جذورها الأولى، وعبر كافة المراحل التي مرت بها، وتميزت فيها بسمات خاصة وملامح متفردة.

الرباط **عبد الجواد السقاط**

---

141) صدر بتقديم نجل المؤلف الدكتور عباس الجراري عن مطبعة النجاح الجديدة بالدار البيضاء عام 1406 هـ 1985م.

142) صدر عن مؤسسة بنشرة للطباعة والنشر بالدار البيضاء عام 1984م.

143) مجلة آفاق، العدد 3، 4، دجنبر 1984.

من نوادر المخطوطات:

زهر الأكم

مخطوط فريد في تاريخ الدولة العلوية

للحاج عبد الكريم بن موسى الريفي

حسن الصادقي

- تقديم
- تعريف بالمخطوط
- من حيث الشكل
- من حيث المضمون
- من حيث الأهمية
- عنوان المخطوط
- المؤلف
- تاريخ التأليف

- ناسخه وتاريخ نسخه
- المصادر التي اعتمد عليها مؤلف زهر الأكم
- ملاحظات على هاته المصادر
- منهج الكتاب وبعض محتوياته

غير خاف أن الذين أرخوا للدولة العلوية الشريفة لهم من الشهرة ما تغني عن التعريف بهم. فقد نال بعضهم الحظ من الدراسة ونشر تواريخهم أمثال أكنسوس والضعيف والزياني والناصري وابن زيدان وغيرهم. وما على الباحث إلا الاطلاع على كتب البيبليوغرافيا الموضوعة في هذا الشأن مثل كتاب «مؤرخو الشرفاء»[1] وكتاب «المصادر العربية لتاريخ المغرب»[2] «ودليل مؤرخ المغرب الأقصى»[3] ليغني معلوماته في هذا الموضوع.

لكن هناك من مؤرخي الدولة العلوية ما بقي في عداد المجهول بالنسبة للباحثين والمهتمين بالتاريخ المغربي، خاصة المؤرخين الذين لم تنشر

1) تأليف ليفي بروفنصال تعريب عبد القادر الخلادي الرباط 1977.
2) تأليف محمد المنوني منشورات كلية الآداب الرباط 1984.
3) عبد السلام بن عبد القادر ابن سودة 2 ج الدار البيضاء 1965.

مؤلفاتهم أو بقيت هاته المؤلفات رهينة ودفينة بعض الخزانات العامة والخاصة.

ولابأس في هذا المجال وتعميما للفائدة ومساهمة في التعريف بمؤرخي الدولة العلوية الشريفة. من أن أدلو بدلوي في هذا المضار.

وأهدف من خلال مساهمتي المتواضعة هاته إلى :

1) المساهمة في إحياء التراث المغربي المخطوط.

2) إضافة اسم مؤرخ ومؤلف شبه مجهولين إلى قائمة المؤرخين ومؤلفاتهم التي اهتمت بالدولة العلوية.

3) إلقاء بعض الضوء على هذا المخطوط المغمور والغير المنشور.

4) إغناء المكتبة التاريخية المغربية بمؤلف جديد عن تاريخ المغرب والدولة العلوية الشريفة.

ويعتبر هذا المؤلف موضوع هاته المساهمة من نوادر المخطوطات المتعلقة بتاريخ المغرب بقي مغمورا وشبه مجهول تقريبا بالرغم من أن المؤرخ الضعيف الرباطي اعتمد عليه في تاريخه عن الدولة العلوية ونقل عنه نقلا مباشرا وأشار إليه إشارات متعددة.

ومن المرجح أن يكون أحد الأسباب التي ساعدت، ودفعت بالضعيف إلى كتابة تاريخه المعروف، وإذا كان الأمر كذلك فإننا نكون قد أجبنا على تساؤل صاحب كتاب «مؤرخو الشرفا» الذي كان يجهل هذا المخطوط

ومؤلفه والـذي يقول عن الضعيف «لا نـدري مـا الـذي دفع بـه إلى كتـابـة تاريخ بلاده بل على الأصح تاريخ الدولة العلوية»[4].

وبما أن الضعيف اطلع على هذا التاريخ ونسخه بيده فإن ذلك مكنه من المعلومات التاريخية ويسر عليه كتابة تاريخه عن الدولة العلوية.

المخطوط المعتمد

اعتمدت في التعريف بهذا المخطوط على نسخة فريدة في حوزة الأستاذ الفاضل محمد المنوني بالرباط، ولم أعثر على أية نسخة منها لا بالخزانة العـامـة بالرباط أو بتطوان.

ومع ذلـك ففي كتـاب تـاريـخ الضعيف مـا يغنينـا عن البحث عن نسخة أخرى لأنه يساعدنا على مقابلته بهاتـه النسخـة الفريـدة التي نسخهـا الضعيف واعتمدها ونقل منها.

من حيث الشكل :

- مخطوط صغير الحجم عدد صفحاته 90 صفحة.
- مسطرته : 25 سطرا.
- متوسط عدد الكلمات في السطر : 9 كلمات.
- مكتوب بخط مغربي مقروء.
- توجد بهامشه تعاليق وإضافات لناسخه الضعيف الرباطي.

---

4) ليفي بروفنصال ص 146.

1

الحمد لله وحده. وصلى الله على من لا نبي بعده. اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله

هذا جزء من تاريخ الحاج عبد الكريم بن موسى الريفي رحمه الله [illegible]

ذكر سبب دخول الشرفاء العلويين السجلماسيين وتملكهم المغرب والعدوة
وأطراف السودان وبداية أمرهم ومصادر أحوالهم ومبادئهم بسجلماسة أولا
وكانت دائرة الملك الأول منهم السلطان أبو عبد الله محمد بن الشريف
[illegible] اشتغل الملك من يد الفئة الدلائية بفاس [illegible]
[illegible] سنة 1076 [illegible] البلاد وطاعت له [illegible]
من البلاد واستوطنها [illegible] سنة 1082
[illegible] وفعل [illegible] الولي الصالح [illegible]
[illegible] ونهض بعده للخلافة أخوه الإمام [illegible] والسلطان
[illegible] مولاي إسماعيل [illegible]
[illegible] سنة 1116 [illegible]
[illegible]
[illegible]
السلطان أبو محمد عبد الله [illegible]
[illegible]
[illegible] وغير ذلك [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] سنة 1140 [illegible] مولاي عبد
الله [illegible] البلاد وطاعت له العباد [illegible]

الورقة الأولى من مخطوط «زهر الأكم»

من حيث المضمون :

1) مؤلف خاص بتاريخ الدولة العلوية الشريفة بدءا من «دخول الشرفاء العلويين إلى سجلماسة وتملكهم المغرب» إلى عام 1153 هـ إذ جاء في الورقة الأخيرة من المخطوط وفي يوم الأربعاء آخر جمادى الأولى سنة 1153 المذكورة كانت وقعة كبيرة... ورجع أمير المؤمنين مولاي عبد الله إلى بلاد دكالة... ثم في آخر جمادى الثانية رحل عنهم إلى مدينة مكناسية مؤيدا منصورا ووصلها في النصف من رجب الفرد عام التاريخ... وهو أيده الله مقيما بها إلى الآن والوفود تأتيه من جميع أقطار المغرب... هنا انتهى بنا هذا التأليف...»[5].

2) يشكل هذا المخطوط جزء من كتاب في التاريخ ضاع بأكمله ولم يبق منه إلا هذا القسم الذي نسخه المؤرخ الضعيف والخاص بالدولة العلوية وذلك حسبما جاء في الورقة الأولى «هذا جزء من تاريخ الحاج عبد الكريم بن موسى الريفي رحمه الله من زهر الأكم» وهناك إشارات أخرى تدل على أن هذا المخطوط جزء من تاريخ عام فالمؤرخ الريفي يقول : «ولنرجع إلى شيعة أهل البيت، قد تقدم لنا... في موضعه وما كان لهم...» ويقول كذلك «كما ذكره في تذكرة القرطبي وغيره كما مر...»[6].

من حيث الأهمية :

- مخطوط فريد.

5) مخطوط زهر الأكم.

6) المصدر نفسه صحيفة 2.

- من المصادر الأساسية لتاريخ الضعيف الرباطي.
- مكتوب بخط الضعيف الرباطي.
- مصدر معاصر لبعض الأحداث وموثوق به.
- توجد بهذا المخطوط «تفاصيل موضوعية مهمة بينها بعض المعلومات لا توجد عند غيره»[7].

عنوان المخطوط والمؤلف :

سأعتمد لمعرفة عنوان التأليف والمؤلف على بعض الإشارات الدالة، المستخرجة من النسخة المصورة لدينا عن الأصل المخطوط ومن تاريخ الضعيف الرباطي عن الدولة العلوية.

- فقد جاء في الورقة الأولى من المخطوط الإشارة التالية «هذا جزء من تاريخ الحاج عبد الكريم بن موسى الريفي رحمه الله من زهر الأكم».

ويقول الضعيف ما يلي : «ووجدتهم هكذا عند صاحب زهر الأكم وهو الحاج عبد الكريم بن موسى الريفي رحمه الله»[8]، مع العلم بأن هذا غير «زهر الأكم» لليوسي.

وفي إشارة أخرى يقول : «إلى هنا بلغ تأليف الفقيه المؤرخ الحاج عبد الكريم بن موسى الريفي الذي سماه زهر الأكم»[9].

---

7) محمد المنوني المصادر العربية ص 216.

8) تاريخ الضعيف. مخطوطة الخزانة العامة بالرباط د 758، ص 1، وكذا تاريخ الضعيف تحقيق أحمد العماري الرباط 1986 ص 6.

9) المصدر نفسه ص 234.

وحسب هاته الإشارة، لا نجد أي اختلاف لا في عنوان هذا التأليف الذي يحمل اسم : «زهر الأكم»، ولا في إسم مؤلفه الذي هو الفقيه المؤرخ الحاج عبد الكريم ابن موسى الريفي. ولا مجال هنا للشك في عنوان الكتاب ولا في نسبته لصاحبه فمن هو هذا المؤرخ الذي اعتمده الضعيف في تاريخه ؟

المؤلف :

تجدر الإشارة إلى أن المؤرخ الريفي لم يحظ باهتمام كتاب التراجم، ولا الذين اهتموا بالتعريف بمؤرخي الدولة العلوية[10].

وعليه، فمؤرخنا شبه مجهول والمعلومات التي لدينا عنه لا تتجاوز ما يمكن استخراجه من إشارات من خلال مخطوطة : «زهر الأكم»، ومما ذكره الضعيف في تاريخه.

ويمكن إعطاء نبذة مختصرة عن حياته في النقط التالية :

1) الاسم الكامل لهذا المؤرخ هو الحاج عبد الكريم بن موسى الريفي، وهو ينتمي إلى منطقة الريف[11] حسب ما جاء في نسبته من

---

10) لم يشر إليه ليفي بروفنصال في كتابه مؤرخو الشرفاء لأنه كان يجهله، وكذلك عبد السلام بن سودة في كتابه دليل مؤرخ المغرب الأقصى. كما جهلته بعض الدراسات الحديثة مثل كتاب الحياة الأدبية في عهد الدولة العلوية لمحمد الأخضر.

11) يحد إقليم الريف، بإقليم الهبط من الغرب والبحر المتوسط من الشمال، وإقليم كرط من الشرق ويمتد ما وراء وادي ورغة جنوبا بقليل.

جهة، ومن جهة أخرى فهو يذكر أهل الريف بشيء من التقدير. وأن منهم علماء وقواد في خدمة الدولة العلوية.

2) لا نعرف تاريخ ولا مكان ازدياده ولا تاريخ ومكان وفاته. إلا أنه كان حيا سنة 1153 هـ في عهد : «السلطان الأفخم أبو محمد عبد الله... هو الخليفة في وقتنا هذا وهي سنة ثلاثة وخمسين ومائة وألف»[12].

3) درس بمسقط رأسه وأخذ في الغالب عن شيوخ بلده ودخل بعض المدن المغربية، كفاس ومكناس. إما للاستزادة من العلم أو لظروف أخرى مرتبطة بعمله في البلاط العلوي.

4) اعتنى الريفي بالأدب والفقه والتاريخ، لذا كانت ثقافته ثقافة متنوعة. فمن خلال مصادر كتابه «زهر الأكم» نعرف أنه اطلع على العديد من المؤلفات المشرقية والمغربية مثل تذكرة القرطبي، كتاب الطرطوشي، وكتاب الدوحة العراقية، وكتاب مرآة المحاسن، وكتاب روض النسرين وغيرها.

وتكوينه هذا والغالب عليه العناية بالعلوم النقلية جعل الضعيف يضعه في خانة المؤرخين والفقهاء.

5) رحل الريفي إلى المشرق وحج. وكرجل أدب وعلم فإنه التقى في الغالب بشيوخ العلم في المشرق وأفاد واستفاد.

---

12) مخطوط زهر الأكم ص 88.

13) الريفي : زهر الأكم ص 61.

ومن المحتمل أن يكون سفره هذا إلى الحج في إطار رسمي كمصاحبة ركب الحاج المغربي، خاصة وأنه كان فقيها، ومن المحتمل كذلك أن يكون قد حج مع زوجة المولى عبد الله بن إسماعيل وولده الأمير سيدي محمد عام 1143 هـ.

6) كانت للريفي علاقة برجال الدولة العلوية وأمرائها وربما عمل في خدمتهم إسوة بأفراد قبيلته من أهل الريف الذي خدموا الدولة العلوية.

فقد كان المؤرخ الريفي مثلا على صلة بأحد الأمراء إذ يقول : «هذا ما رويته... عن أخيهم سليمان الكبير» وهو يقصد الأمير سليمان بن المولى إسماعيل مما يدل على اتصاله برجال البلاط العلوي. ومن المحتمل أن يكون قد عمل في خدمة المولى عبد الله بن إسماعيل المعاصر له والذي يتحدث عن حركاته كشاهد عيان. وصلته برجال الدولة وأمرائها ومشاهدته للأحداث ومعاصرته لها، شجعته على تدوينه تاريخه هذا عن الدولة العلوية.

تاريخ تأليفه :

ليس لدينا تاريخ دقيق عن زمان التأليف، وكل ما نعلم أن المؤرخ عبد الكريم بن موسى الريفي قد توقف عند أحداث سنة 1153 هـ في عهد «السلطان الأفخم أبو محمد عبد الله... هو الخليفة في وقتنا هذا وهي سنة ثلاثة وخمسين ومائة وألف»[14]. ويقول في موضع آخر «...وأقام بين ظهورهم إلى الآن سنة 1153 هـ»[15].

14) مخطوط زهر الأكم ص 88.

15) المصدر نفسه ص 76.

ويقول المؤرخ الريفي في آخر المخطوط «هنا انتهى بنا هذا التأليف وقد قيل في بعض الكلام من قعدت به نكاية الأيام اقامته إغاثة الكرام والبقاء والدوام لله الملك الواحد العلام»[16].

وعليه يكون المؤرخ الريفي قد شرع في تدوين تاريخه قبل سنة 1153 بقليل. إذ يقول في إشارة أخرى «ومازال فيه الإشراف بنو عمهم إلى وقتنا هذا وهو سنة اثنين وخمسين ومائة وألف»[17].

ناسخه وتاريخ نسخه :

جاء في آخر مخطوط زهر الأكم :

«وكان الفراغ من هذا الجزء من تاريخ الفقيه الحاج عبد الكريم بن موسى الريفي رحمه الله وكان الفراغ منه على يد عبد ربه **محمد بن عبد السلام** ابن أحمد بن **محمد الضعيف الرباطي** غفر الله ولوالديه وللمومنين أجمعين.

صبيحة يوم السبت العاشر من جمادى الأولى عام مائتين وألف 1200».

وناسخ هذا المخطوط غني عن التعريف ويشتهر بين مؤرخي الدولة العلوية بالضعيف الرباطي[18].

---

16) المصدر نفسه ص 90.

17) المصدر نفسه ص 12.

18) انظر ترجمة الضعيف في : بروفنصال مؤرخو الشرفاء ص 146 ـ مقدمة تحقيق تاريخ الضعيف لأحمد العماري الرباط 1986 ـ مقدمة تحقيق تاريخ الضعيف لمحمد البوزيدي (د.د.ع كلية الآداب الرباط 1985 (مرقون) ـ محمد الأخضر الحياة الأدبية في عهد الدولة العلوية الدار البيضاء 1977.

منهجــه :

سـار المؤرخ الريفي على طريقـة سرد الأحـداث، مـع التزام طريقـة الحـوليـات. وكان يـذكر بعض الأحـداث البـارزة في كل سنـة، من قحـوط ومجاعـات وغلاء الأسعـار، أو فترات ممطرة ورخص الأسعـار، كما كان يـذكر وفيات الأعلام، ويسجل أسماء بعض رجال البلاط العلوي من كتـاب وقواد وقضاة وأمناء، وما شيده رجال الدولة من منشآت عمرانية.

ومن فصول الكتاب :

- ذكر آل البيت من أبناء علي وثوراتهم ضد الأمويين.
- ذكر صراع آل البيت مع العباسيين.
- فصل في ذكر سبب انتقال الحسن الداخل إلى سجلماسة.
- ظهـور أمر الشريف بن علي بتـافـلالت وبيعـة المـولى امحمـد بن الشريف.
- ذكر دولة المولى الرشيد.
- ذكر دولة المولى إسماعيل.
- ذكر دولة المولى أحمد الذهبي.
- ذكر دولة المولى عبد الملك.
- ذكر دولة المولى عبد الله.

مصادر «زهر الأكم» للحاج عبد الكريم بن موسى الريفي.

ليس من شـك في أن المـؤرخ الريفي قـد ذكر في كتـابــه زهر الأكم. أحداثا سابقة لعصره بكثير، وأحداثا عاصرها. وفي كلتـا الحـالتين حصل على

معلومات كتابه من مصادر متعددة ومتنوعة، صرح بها في كتابه، وهذا ما يضفى على هذا الكتاب أهمية من كون صاحبه قد وثق معلوماته.

وباستقراء كتاب زهر الأكم نخرج بإشارات متعددة إلى مصادره وهي كالتالي :

الإشارة إلى المصدر	ضبط في المصدر المخطوط
- «كما ذكر في تذكرة القرطبي».	ص 2
- «فأورد فيهم صاحب الدوحة العراقية».	ص 5
- «قال سيدي إبراهيم بن هلال والإمام سيدي عبد الله بن طاهر الحسني».	ص 7
- «روى هذا كثير من السادات كالسيد أحمد بن يحيي العلمي والسيد العربي الفاسي في مرآة المحاسن».	ص 7
- فما خاطبه بها الفقيه سيدي عبد الله بن محمد العياشي المجاهد قوله :	ص 12
- (قال) الإمام النسابة شيخ الشرفاء».	ص 23
- «وهذا القول عند جميع أهل الريف ولا عندهم في ذلك خلاف».	ص 23
- «وقتل منهم... على ما ذكروا».	ص 29
- «وهذا ما رويته عن من أثق به من أهل الخير. وعن أخيهم مولاي سليمان الكبير، وكثير ممن له محبة في آل الرسول... وقد قيل».	ص 61
- كما ذكره صاحب روض النسرين في أخبار بني مرين.	ص 61
- قال الطرطوشي.	ص 73
- ووجد قصيدة في مدح الإمام مولاي عبد الله على قارعة الطريق لم يعرف أحد قائلها.	ص 72
- قال عبد الله بن مبارك رحمه الله.	ص 74
- كما أخبرني بعض من اثق به.	ص 81

وحسب إشارات المؤرخ الريفي إلى مصادره نستنتج ما يلي :

1 ـ أنه اعتمد على مصادر متنوعة وتنقسم إلى :

أ ـ وثائق مكتوبة : وهي أما مؤلفات في التاريخ والأدب، أو **تقاييد وأشعار.**

ب ـ الرواية الشفوية والمشاهدة.

2 ـ أنه اعتمد بصورة مباشرة على هاته المصادر.

3 ـ يصرح الريفي أحيانا باسم المصدر المكتوب واسم صاحبه، أو يذكر فقط اسم صاحب التأليف.

4 ـ أنه يصرح أحيانا باسم راوي الخبر.

5 ـ أن صيغ إشاراته تختلف حسب الخبر.

6 ـ **أن مصادره، مصادر موثوق بها، وبعضها معاصر للأحداث** وقريب منها.

7 ـ أنه سجل ما شاهده هو نفسه من أحداث، وذلك لمعاصرته لها.

وبإلقاء الضوء على هذا المخطوط المجهول وصاحبه، نكون قد أضفنا مؤرخا وتأليفا جديدا إلى قائمة مؤرخي الدولة العلوية. ولا جدال في أن الذين أرخوا لها ينتمون إلى جل المناطق المغربية بما فيها منطقة الريف التي ينتمي إليها مؤرخنا عبد الكريم بن موسى الريفي.

وإن إخراج هذا التأليف إلى الوجود لمن شأنه أن يغني المكتبة التاريخية المغربية، ويمد الباحثين والمهتمين بالتاريخ المغربي بإفادات وإضافات جديدة تتعلق بتاريخ الدولة العلوية الشريفة.

سلا **حسن الصادقي**

تحرير الحسن الأول لطرفاية من الاحتلال البريطاني

محمد أبو طالب

في خضم التحركات السياسية المكثفة التي كانت القوات الغربية تنهجها في القرن التاسع عشر داخل المغرب، كان لبريطانيا دور دقيق[1] دوّنه عدد من الأفراد الذين ساهموا في الأحداث أو شاهدوها عن كثب، وذلك في شكل مذكرات أو مقالات أو كتب. ومن بين هؤلاء الأفراد شخص يدعى ضانلند ماكنزي Donald Mackenzie الذي أرخ لمرحلة حاسمة في تاريخ إقليم طرفاية، وذلك في كتاب له طبع سنة 1911 تحت عنوان The Khalifate of the West أو «خلافة الغرب».

في سنة 1975 انعقد اجتماع بقصر بلدية لندن لدراسة مشروع تقدم به ضونالد ماكنزي قصد ضمان منفذ بريطاني على المحيط الأطلسي،

1) للمزيد من التفاصيل، انظر بحثنا ضمن أعمال ندوة «الإصلاح والمجتمع المغربي في القرن التاسع عشر»، منشورات كلية الآداب بالرباط، سلسلة رقم 7، رجب 1404 (أبريل 1983)، ص 295 - 311.

وبالضبط في ناحية طرفاية. ومنذ اللحظات الأولى لقي المشروع صعوبات، أهمها :

1) معارضة الإدارة البحرية التي لم تكن تعتقد أن البواخر الإنجليزية قد ترسي في جنوب المغرب دون أن تواجهها مشاكل.

2) برودة المفوض البريطاني دجون دروموند هاي[2] John Drummond Hay، الخبير المحنك في شؤون المغرب، والذي طلب منه ماكنزي تقديم المشروع إلى السلطات المغربية على أساس أنه استثمار للمغرب نفسه.

3) عدم استعداد المغرب لقبول المشروع بحجة أنه غير قادر أن يضمن سلامة الأجانب في المناطق النائية من البلاد.

ولكن ماكنزي أخذ على عاتقه خوض عملية جريئة، مرتكزا على عاملين :

1) مراسلة سرية من دروموند هاي[3] ينصحه فيها بالاستعانة بأحد القواد في المنطقة إذا ما قرر تنفيذ مشروعه على انفراد.

2) استنتاجه من موقف ملك المغرب أن المنطقة غير خاضعة للنفوذ المغربي.

---

2) مذكراته A Memoir (لندن : 1896)، ص 317.

3) لعل موقف هاي المتناقد هذا راجع إلى اقتراب نهاية مهمته الدبلوماسية التي دامت أزيد من أربعين سنة، وإلى انشغاله بتنفيذ اتفاقية 1856 التي كان قد كرّس جهودا جبارة من أجلها، وكذا إلى محاولته في إقناع حكومته بالتخلي عن جبل طارق سعيا في تعويضه بمدينة سبتة.

وهكذا وبمساعدة السلطات الإسبانية التي توسطت لديها الحكومة البريطانية، توجه ماكنزي إلى الجزر الخالدات استعدادا للعبور إلى طرفاية.

وفي 1878 زار ماكنزي طرفاية للمرة الثانية، صمم العزم على إرساء قواعد مستعمرة بريطانية في شكل مركز تجاري. إلا أن السلطات الإسبانية هذه المرة منعته من العودة إلى الجزر الخالدات بدعوى أن مركبه يحمل نوعا من الوباء. مما اضطره إلى اللجوء إلى شاطئ البرتغال، وذلك بمساعدة السلطات البرتغالية التي لم تسمح له ولا لأي فرد من رفاقه بالنزول، وذلك عندما عثر على أسلحة وأزياء عسكرية على متن باخرته. وحيث لم تفد تدخلات المفوض البريطاني بلشبونة شيئا، قرر ماكنزي إرسال الباخرة بطاقمها إلى الجزر الخالدات وعاد هو إلى لندن.

وهكذا وأمام مختلف التحديات شرع ماكنزي مغامرا في تنفيذ ما لم يتوفق في إنجازه من سبقه كمواطنه ديفيدسن[4] John Davidson وغيره من الإسبان. وبتحديه هذا أعطى للوضع أبعادا اقتصادية وسياسية شغلت القادة المغاربة وأثارت قلق الإسبان.

وبمجرد ما تأكد الملك الحسن الأول من استقرار ماكنزي، بعث إليه بوفد يفاوضه في العدول عن مشروعه، لكن المهمة لم تنجح رغم التسبب في بعض الخسارات المادية.

وفي صيف 1882 قاد العاهل المغربي جيشا متكونا من 20.000 جندي[5] وأقام معسكرا برأس الواد حيث أرسل إلى ماكنزي وفدا ثانيا كان

4) هاي : ص 317.

5) خلافة الغرب : ص 170.

يضم مولاي عبد المالك، خليفة السلطان، ومحمد الكَباص، كاتب الملك، والقائد دحمان، عامل وادي نون، بالإضافة إلى قائد آخر وأربعة جنود.

وكان الوفد حاملا لرسالة[6] من هاري ماكلين Harry Maclean السكوطلاندي الأصل مثل ماكنزي والذي كان يعمل بالجيش المغربي، وفي الرسالة أكثر من دلالة، وهذا نصها :

من معسكر السلطان برأس الواد
في 23 يوليوز 1882

سيدي المحترم،
اسمحوا لي أن أكتب إليكم بصفتي سكوطلانديا لأقدم لكم السيد محمد الكَباص الذي أوفده صاحب الجلالة لتفقد الأحوال، وللكَباص معرفة بعاداتنا وتقاليدنا حيث درس بإنجلترا لمدة ثلاث سنوات. واني أعرفه شخصيا منذ خمس سنوات، ولم أشهد فيه إلا الخصال الحميدة لكونه مغربيا مهذبا، وقد طلب مني أن أكتب إليكم هذه الرسالة في حالة احتياجه إليكم أثناء رحلته.

وإذ أعتمد على تفهمكم، أضع نفسي رهن إشارتكم إذا ما احتجتم لمساعدتي هنا، مع تحياتي الصادقة.

التوقيع : هاري ماكلين
قائد الحمية 69

(6) نفس المصدر : ص 171.

ورغم حرص الوفد المغربي على اللجوء إلى الطرق السلمية من أجل الحفاظ على حسن العلاقات المغربية البريطانية، رفض ماكنزي الدخول في أي تفاوض، مبرزا ثلاثة اعتبارات لتبرير قوة مركزه :

1) أنه يمثل شركة مستقلة لا علاقة لها بالحكومة البريطانية.

2) مساندة السكان المحليين لعمله بطرفاية.

3) عدم مشروعية الوفد المغربي.

وبعد انصراف الموكب الملكي أخذ نفود ماكنزي يتوغل في المناطق المجاورة منتشرا إلى أقصى المواقع بالساقية الحمراء. إلا أن الأوضاع سرعان ما بدأت تتأزم، خاصة بعد وفاة سنده محمد بن بيروك سنة 1883.

ففي سنة 1884 قامت القوات المغربية بعملية مكثفة أدت إلى تدهور النشاط الاقتصادي لمشاريع ماكنزي.

ومن جهة أخرى، أخذت القوات الإسبانية تتحرك من الجزر الخالدات خوفا من انتشار النفوذ الإنجليزي إلى سكانها، فأقامت مركزا عسكريا بوادي الذهب واحتلت منطقة بوجدور.

وفي سنة 1888 بلغت الأوضاع أسوأ الدرجات باغتيال مدير المؤسسة الماكنزية وجرح عدد من مساعديه على يد القوات المغربية، مما أثار غضب الحكومة البريطانية التي طالبت بتعويض قدره خمسة آلاف جنيه لأسر الضحايا.

وبعد أن تسببت القوات المغربية في خسارات جسيمة، طالبت الشركة بتعويض لها بقدر خمسين ألف جنيه، وأخذ مجلس النواب يهتم بالقضية معتبرا أنها داخلة في العلاقات الثنائية.

وإثر ذلك عزز ماكنزي موقفه ببناء قوة مهاجمة وتشييد جدار أمني، كما لجأ إلى محاولة إشراك بعثة استطلاعية بلجيكية في أعماله بعد أن قدّم لها مساعدة أثناء عملية اكتشافها للمنطقة، وكان سيحصل على مساهمة قدرها خمسون ألف جنيه لولا عدم موافقة ملك بلجيكا.

ولما شعر ماكنزي بخطورة الأوضاع، فكر في جس النبض خارج طرفاية للتأكد من حقيقة موقف أو مواقف باقي سكان المنطقة. وهكذا أوفد شخصين يدعى أولهما الحاج حماد من طرفاية، والثاني محمد ولد بودبوس من قبيلة آيت الحسن للقيام بجولة استطلاعية، وذلك ما بين 12 دجنبر 1891 و29 يناير 1892، وبعد جولة في عدة أماكن أهمها واد علوش، وواد شبايكة، وراس الوطية، وواد درعة، والمطفية، والأبيار، والقصبة، وآيت موسى وعلي، ووادي نون، وترزيست وآيت إبراهيم، تبين أن هناك معارضة للوجود الإنجليزي بطرفاية رغم ما يقدمه في الظاهر من امتيازات تجارية. وحيث لم يقتنع ما كنزي بالنتيجة، لجأ إلى الحاج علي الطالب للقيام بعملية مماثلة في منطقة طرفاية، فاكتشف أنه لم يحسن الاختيار نظرا لسوء سمعة الحاج الطالب هذا[7].

وكان أكبر طموح ماكنزي آنذاك ضمان استقرار مؤسسته وحمايتها من منافسات إسبانية وفرنسية، بل وحتى إنجليزية، وذلك ضمن مخطط استعماري واضح، أي بالسيطرة الكاملة على المنطقة.

فلقد أدى به الغرور بالنفس إلى المطالبة برقعة تمتد من وادي درعة إلى رأس بوجدور، على أن يديرها باسم ملك المغرب وأن تقتسم أرباح

---

(7) نفس المصدر : ص 193 ـ 199.

الشركة، وبالفعل تبنت الحكومة البريطانية مشروعه الذي تقدم به مندوبها بطنجة تشارلز سميث Charles Smith سنة 1892 إلى ملك المغرب، لكن المشروع لم يحظ بالقبول[8]، وأخذت الأحداث مسارا لم يدخل في حسبان ماكنزي.

فأمام الصمود المغربي، أمرت وزارة الخارجية البريطانية ممثلها بطنجة المندوب الجديد أرنست ساطو Ernest Sato بفتح المفاوضات مع الحكومة المغربية، وهكذا وفي غياب ماكنزي الذي كان قد توجه إلى شرق إفريقيا، تم إبرام اتفاقية[9] في 16 رمضان عام 1312 (موافق 13 مارس 1895) وقعها كل من الوزير المغربي الذي أشرف على تنفيذها والمندوب البريطاني الذي عبر عن موافقة حكومته لها في تصريح إضافي خاص وتنص الاتفاقية على ما يلي :

1) بعد اشتراء الحكومة المغربية لبنايات «شركة شمال غرب إفريقيا، لن يسمح لأي كان بحق المطالبة بالأراضي الواقعة بين وادي درعة ورأس بوجدور والمعروفة بطرفاية، وكذا الشأن بخصوص الأراضي التي تليها، لأن جميعها جزء من التراب المغربي.

2) تتعهد الحكومة المغربية بعدم التخلي عن الأراضي المذكورة لأي كان دون موافقة الحكومة البريطانية.

---

8) نفس المصدر : ص 200.

9) نفس المصدر : ص 201 ـ 203 (نص الاتفاقية كذلك عند رشيد الأزرق في Le Contentieux Territorial entre le Maroc et l'Espagne دار الكتاب، الدار البيضاء، 1974، ص 406 ـ 408 لكن دون ذكر المصدر.

3) بعد اشتراء الحكومة المغربية لبنايات الشركة المذكورة تصبح هذه في ملكها، وبما في ذلك : البنايات البرية والبحرية، والبنايات الواقعة داخل السور، والعتاد والمدافع، وغير ذلك من الممتلكات والتجهيزات، ولن يحق لأي كان أن يطالب بأي ملك من هذه الممتلكات.

4) تلتزم الحكومة المغربية بدفع خمسين ألف جنيه إلى الشركة المذكورة يؤدي نصفها عند توقيع الوثيقة والنصف الآخر عند استلام الحكومة المغربية للممتلكات المذكورة، وذلك في غضون ستة أشهر بدايتها فاتح شوال وآخرها منتهى ربيع الأول.

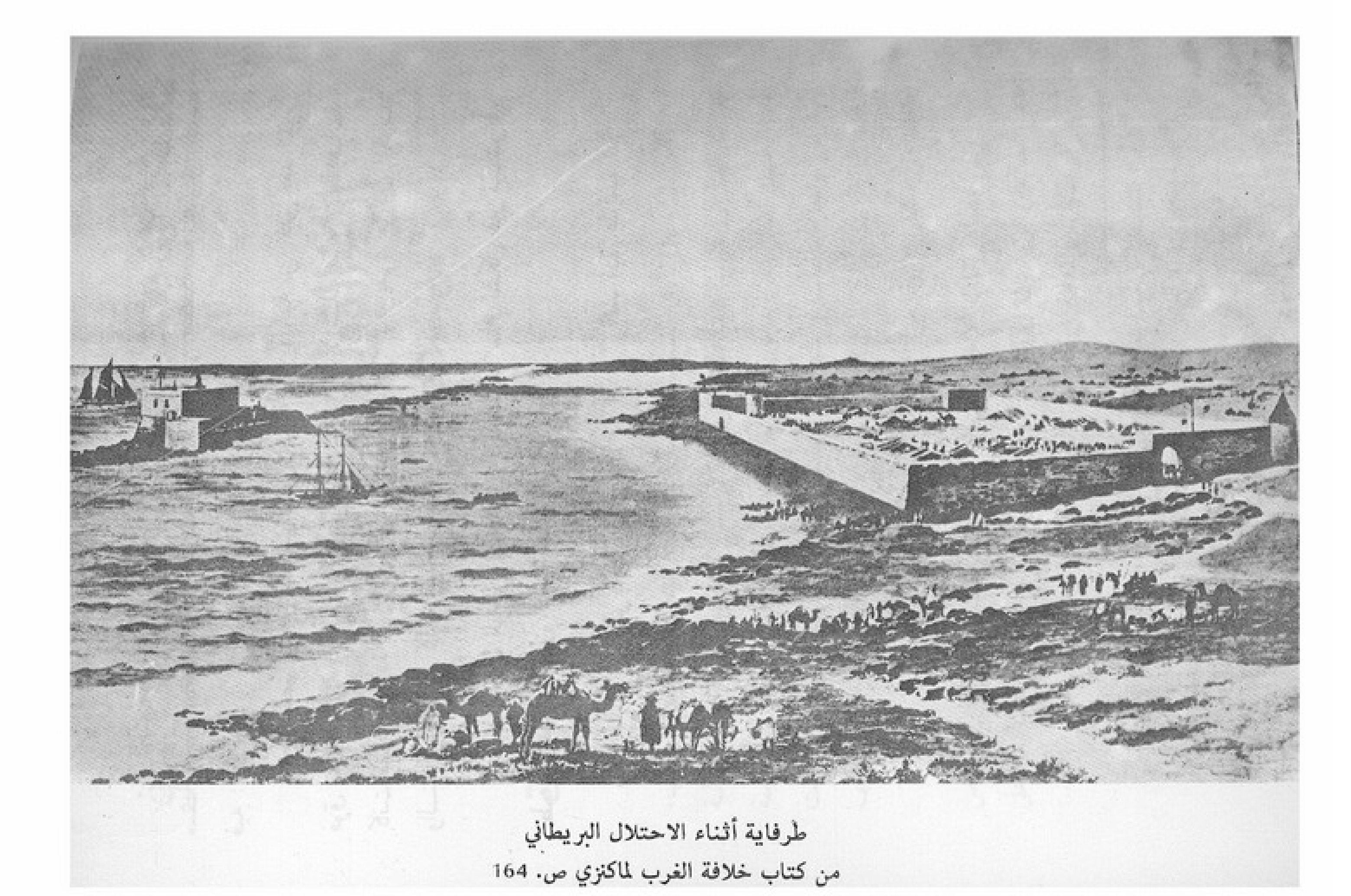
5) أن تكون المنطقة مفتوحة للتجارة مع الخضوع للشروط الجاري بها العمل في مراسي أخرى على الساحل.

6) السماح للتجار بالقيام بأنشطة فوق أراضي يستغلونها بالإيجاز مدة عشرين سنة تصير بعد ذلك جميع البنايات ملكا للحكومة المغربية.

ولما علم ماكنزي بخبر إبرام الاتفاقية وهو في طريق عودته من زنجبار أصيب بخيبة شديدة وكأنها اطاحة به، ولم يخضع للأمر الواقع الا وهو يتحسر لفقدان ما كان يعتبره مكسبا له شخصيا ثم لبريطانيا، معتقدا **أنه عثر على «أسلم موقع في الساحل الإفريقي وأضمنه للطريق** التجارية الكبرى إلى أغنى بقاع إفريقيا الوسطى»[10].

---

(10) نفس المصدر : ص 204.



طرفاية أثناء الاحتلال البريطاني

من كتاب خلافة الغرب لماكنزي ص. 164

وكانت مواساته أن شاركته في تـألمـه بعض الصحف البريطـانيـة مثل «ستـانـدرد» Standard التي نشرت الخبر كما ورد من طنجـة مع تعليـق جـاء فيه :

«ولا يسعنا إلا أن نتأسف لكون الراية البريطانية لن تخفق بعد اليوم فوق تلك البناية الجميلة الدالة على سيادتنا، ومما لا شك فيه أن طرفاية كانت تشكل لبلادنا في ترسيخ قدمنا على الساحل الإفريقي، ما بين المغرب والسنغال، ولذلك كانت تستحق مصيرا أحسن مما آلت إليه»[11].

وهكذا خلف الوجود الإنجليزي أثراً جديداً ساهم بشكل غير مباشر في تطوير أحداث القرن التاسع عشر.

الرباط **محمد أبو طالب**

بمناسبة الذكرى 25 لتتويج صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني

تاريخ الدّولة العلويّة المجيدَة

من خلال طوابع البَريد

محمد ابن عودة

احتفلت بلادنا في السنة الماضية من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب، ومن شرقها إلى غربها، بذكرى مرور 25 سنة على تربع صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني على عرش أجداده المنعمين، وقد أُقيمت بتلك المناسبة المعارض والمهرجانات والسهرات، ونظمت الاحتفالات الشعبية، وألقيت المحاضرات في مدرجات الكليات والمعاهد، احتفالاً بالذكرى، ومشيدة بما أنجزت من مشاريع وتم من أعمال في تلك الحقبة من الزمن.

ومن مظاهر تلك الاحتفالات ما قام به المكتب الوطني للبريد، من إصدار طابعين بريديين وورقة تذكارية لتخليد هذه الذكرى الغالية على قلوب المواطنين، والمعلمة في تاريخ هذا الوطن العزيز (رقم 1). (*).

(*) الأرقام المتسلسلة في هذا المقال تشير إلى الطوابع البريدية المثبتة في الصفحات الأخيرة منه.

وبهذه المناسبة نذكر أن الطوابع البريدية المغربية التي صدرت في 25 سنة الأخيرة، قد خلدت كثيراً من الأحداث الوطنية وسجلت ذكرى العديد من المواقف المشهودة لصاحب الجلالة وما قام به من أعمال لصالح شعبه ووطنه، كما ذكّرت بأعمال أسلافه الكرام من ملوك الدولة العلوية المجيدة، وما أنجزوه وحققوه وتركوه من آثار.

ونظراً لكون هذه الطوابع البريدية لا يعلم بوجودها إلا القلة من الناس من غير المهتمين بجمعها، وكمساهمة متواضعة للاحتفال بالذكرى الفضية لتربع صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني على عرش أسلافه المنعمين، ننشر في هذا المقال كل ما له علاقة بحياة ملكنا المحبوب، وبالدولة العلوية المجيدة، والذي صدرت في شأنه طوابع بريدية سواء منها المغربية أو الأجنبية.

المولى اسماعيل (1672 ـ 1727)

صدر سنة 1963 طابع يحمل صورة هذا الملك العظيم (رقم 2) بمناسبة الذكرى المئوية الثالثة لتأسيس مدينة مكناس.

ومن المعروف أن المولى اسماعيل كان معاصراً لملك فرنسا لويس الرابع عشر (رقم 3) الذي كان يرى فيه المولى اسماعيل أنه الملك الوحيد الذي يستحق ذلك الإسم من بين ملوك أوروبا. وكانت بين الملكين مراسلات وسفارات. وكان المولى اسماعيل يأمل في أن يصبح الملك الفرنسي ـ الذي هو في نفس الوقت عدواً لدودا للانجليز وللاسبان ـ حليفاً لمساعدته على محاربة الانجليز الذين كانوا يحتلون طنجة، والاسبان المحتلين للمعمورة والعرائش والجيوب التي لا زالت تحت أيديهم لحد الساعة.

واستطاع رحمه الله أن يخرج المحتلين بدون مساعدة أحد، وهكذا حرر المعمورة سنة 1681 وطنجة سنة 1684 والعرائش سنة 1689.

أما مدينة سبتة (رقم 4) فقد ضرب عليها حصاراً شديداً طوال 33 سنة، وكلف بتلك المهمة القائد الهمام علي الريفي الحمامي وولده الباشا أحمد. وتوفي ذلك الملك العظيم وجيوشه محاصرة لتلك المدينة.

سيدي محمد بن عبد الله (محمد الثالث) (1757 ـ 1790)

صدر سنة 1976 طابع يحمل صورة هذا الملك العظيم، (رقم 5) وصورة معاصره جورج واشنطن (رقم 6) وذلك بمناسبة مرور 200 سنة على استقلال الولايات المتحدة الأمريكية.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن المغرب والولايات المتحدة الأمريكية، سيصدران في شهر يوليوز من هذه السنة طابعاً يخلد الذكرى 200 لتوقيع معاهدة مراكش سنة 1786 بين البلدين. هذا وستقام على امتداد هذه السنة مهرجانات، وستلقى محاضرات تخليداً لهذه الذكرى. وقد شرع فيها في السنة الماضية بالملتقى الأمريكي المغربي الذي جرى بنورفولك (فيرجينيا) ما بين 13 و 15 نوفمبر 1986.

وقد كان سيدي محمد بن عبد الله، معاصراً لملك إسبانيا كارلوس الثالث (رقم 7) الذي كانت تربطه وإياه علاقات وثيقة منها معاهدة الصلح لسنة 1767 غير أن ذلك لم يثن سيدي محمد بن عبد الله عن حصار مدينة مليلية سنة 1774 والتضييق عليها لاسترجاعها من يد الاسبان، ورفع عنها الحصار بعد إبرام اتفاق أخر في 30 ماي سنة 1775 واشترط على الاسبان

من جملة ما اشترط أن يحملوا المدافع التي كان يحاصر بها المدينة بسفنهم من مليلية إلى مدينتي طنجة والصويرة.

وكان من جملة اهتمامات سيدي محمد بن عبد الله، إصلاح الاقتصاد المغربي وبناؤه على أسس سليمة، منها إصلاح العملة المتداولة، فسك منها الذهبية والفضية والنحاسية في العديد من المدن المغربية، غير أن أجملها وأندرها على الإطلاق، إضافة إلى كونها العملة الوحيدة في العالم التي نقش عليها مبدأ من مبادئ الاقتصاد السياسي، هي قطعة 10 دراهم التي ضربت بتطوان عام 1195 (1780). وقد نقش على العملة التي نحن بصددها آية من القرآن الكريم تحث الناس على تداول العملة وعدم اكتنازها، وهكذا نرى على الوجه الأول لتلك القطعة ﴿ **والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله**﴾... وعلى الوجه الثاني (**فذوقوا ما كنتم تكنزون** ضرب بتطوان عام 1195)(*) وقد خلدت هذه التحفة الفنية في طابع مغربي صدر سنة 1968 (رقم 8).

وقد عرض الملك الإسباني على سيدي محمد بن عبد الله مساعدته فيما هو بصدده، كضرب العملة في معامل مدريد واشبيلية، وسك له على سبيل التجربة عملة من ذهب سميت «بالمطبوع» وزنها 17 غراما ونقش على الوجه الأول «ضرب بمدريد» وعلى الوجه الثاني «عام 1201» (7 / 1786 م) وهي قطعة نادرة جدا (رقم 9).

(*) نقش على القطعة جزء من الآية 34 من سورة التوبة ﴿**والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم... فذوقوا ما كنتم تكنزون**﴾صدق الله العظيم.

وقد أودع سيدي محمد بن عبد الله لتلك الغاية بالخزينة الإسبانية «مالاً له بال» على حد تعبير المؤرخ الضعيف الرباطي.

مولاي عبد الرحمان ابن هشام (1822 ـ 1859)

وبمناسبة الذكرى الثالثة لتتويج صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله، أصدرت وزارة البريد سنة 1964 طابعاً من فئة درهم واحد، يمثل السلطان مولاي عبد الرحمان ابن هشام أمام أحد أبواب مكناس يستقبل أحد السفراء الأجانب (رقم 10). والطابع مأخوذ من رسم زيتي للرسام الفرنسي الشهير دي لاكروا DELACROIX الذي زار المغرب في ذلك العهد ورسم كثيراً من جوانب الحياة فيه كلوحته الشهيرة «صيد الأسد بالمغرب»، أيام كانت لا تزال هناك أسودٌ في سفوح جبال الأطلس...

سيدي محمد بن عبد الرحمان (1859 ـ 1873)

خلدت صورة سيدي محمد ابن عبد الرحمان في طابع مغربي صدر سنة 1964 (رقم 11) للاحتفال بالذكرى المئوية لبناء منارة رأس اسبارطيل (طنجة).

وكان سيدي محمد بن عبد الرحمان، قد تعهد في المادة 43 من المعاهدة التجارية المغربية الإسبانية الموقعة في 20 نونبر 1861 والتي فرضت بنودها على المغرب نتيجة حرب تطوان، ببناء المنارة وصيانتها وتسييرها، غير أن الدول الأجنبية التي كانت لها مطامع ومصالح بالمغرب طلبت منه تكليف هيأة دولية بإدارة المنارة وصيانتها، فأبرمت لتلك الغاية بطنجة معاهدة 31 ماي 1865 بين المغرب وفرنسا والنمسا وبلجيكا وإسبانيا والولايات المتحدة

الأمريكية وبريطانيا العظمى وإيطاليا وهولندا والبرتغال والسويد، وقد وقع المعاهدة عن الجانب المغربي النائب السلطاني بطنجة المرحوم السيد محمد بركاش.

وقد انضمت ألمانيا إلى تلك المعاهدة بتاريخ 4 مارس 1878.

مولاي الحسن الأول (1873 - 1894)

إلى هذا الملك العظيم يعود الفضل في تنظيم البريد ببلادنا سنة 1892.

وقد كان السيد المباشر في ذلك هو النجاح والإقبال الكبيران على البريد الذي نظمه وأحدثه المسمى إسحاق برودو Isaac Brudo ابن نائب قنصل فرنسا بالجديدة، وكان خاصاً بنقل البريد عن طريق «الرقاص» بين مدينتي الجديدة ومراكش. وقد حاول السلطان مولاي الحسن أن يشتري من الأجنبي شركته المذكورة، غير أن هذا الأخير امتنع من بيع ذلك الحق المكتسب، ونظراً لكون رعايا بعض الدول الأجنبية الأخرى شرعت في مطالبة الحكومة المغربية بمنحها ذلك الامتياز متعللة بعدم وجود بريد مغربي، أصدر السلطان مولاي الحسن، أوامره بتاريخ 22 نونبر 1892 إلى الحاج عثمان بن الحاج عبد الكريم ابن جلون بما يجب على الامناء بالمراسي والمدن المغربية أن يفعلوه لتوجيه الرسائل المسلمة إليهم من جهة لأخرى بربوع المملكة.

وحسب الأوامر السلطانية، فقد أحدثت في 13 مدينة مغربية خدمات للبريد، وكلها في المدن التي كانت مفتوحة للتجارة الخارجية أو

توجد بها جالية أجنبية، والمدن هي : أسفي، أزمور، تطوان، طنجة، القصر، الرباط، الدار البيضاء، الجديدة، الصويرة، مراكش، مكناس، فاس، والعرائش، وأحدثت لتلك الغاية طوابع مثمنة الأضلاع ومستديرة تختم بها الرسائل (صورة 12).

وقد اضطر جلالة السلطان لإصدار تلك الأوامر بسرعة لكثرة الطلبات من البعثات القنصلية الأجنبية بالمغرب، لإنشاء بريد خاص بها يقوم بتلك الخدمة من مدينة لأخرى، هذا مع العلم أنه كان يوجد بالمغرب في ذلك العهد، بريد رسمي انجليزي، وآخر فرنسي، وثالث ألماني، ورابع إسباني، لها مكاتب في عديد من المدن المغربية.

وقد صدرت سلسلة من الطوابع المغربية سنة 1962 تحمل إحداها صورة لجلالة السلطان الحسن الأول (رقم 13) وذلك بمناسبة الذكرى السبعين لتنظيم البريد المخزني، والطوابع الثلاثة هي من تصميم وإعداد كاتب هذا المقال.

المولى يوسف بن الحسن (1912 ـ 1927)

لم تصدر سلطات الحماية أي طابع يحمل صورة لملك المغرب المولى يوسف بن الحسن، ولا لخلفه محمد الخامس تغمدهما الله برحمته، غير أنها فكرت في ذلك مرة واحدة سنة 1928 فعهدت للرسام فلاندران FLANDRIN بإعداد طابع يحمل صورة مولاي يوسف، فقام بذلك العمل وطبعت سلطات الحماية عدداً ضئيلاً جداً من الطوابع التي تحمل صورة السلطان وذلك للتجربة قبل طبعها بصورة نهائية، لكنها عدلت عن فكرة

إصدارها وأحرقت كل ما طبع منها، غير أن بعض الشخصيات الاستعمارية المهمة احتفظت بعدد قليل منها، ربما لا يصل إلى 20 طابعاً. ولذلك فهي من أندر طوابع المغرب، وجل الهواة لا يعلمون بوجودها البتة وتنشر صورها في هذا المقال لأول مرة حسب علمنا (رقم 14).

جلالة محمد الخامس (1927 ـ 1961)

لعل جلالة المغفور له محمد الخامس، هو الوحيد بين ملوك ورؤساء الدول الذي صدرت طوابع تحمل صورته في عدد من طوابع الدول الأجنبية إلى جانب طوابع مملكته.

وكانت الطوابع الأولى التي صدرت بصورته رحمه الله، غداة الاستقلال سنة 1956 لتحل محل الطوابع التي كانت متداولةً في ذلك الحين، والتي كانت من إصدار سلطات الحماية هي عبارة عن سلسلتين من الطوابع الأولى، مكتوبة بالعربية والفرنسية للتداول في منطقة الحماية الفرنسية (رقم 15) والثانية مكتوبة بالعربية والإسبانية للاستعمال في منطقة الحماية الإسبانية بالشمال (رقم 16).

وفي سنة 1957 صدرت ثلاث مجموعات تحمل صورة جلالته : الأولى لتخليد الذكرى الأولى للاستقلال (رقم 17)، والثانية، يرتدي الزي العسكري بمناسبة الذكرى الثلاثين لتربعه على عرش المملكة (رقم 18)، والثالثة تحمل رسمه وهو يمتطي صهوة جواده (رقم 19) لتخليد الذكرى الخمسين لميلاده رحمه الله.

وتجدر الإشارة في هذه المناسبة، إلى أن صورة جلالة محمد الخامس، قد ظهرت مؤخراً مرسومة على أوراق بنكية غينية تتداول في الآونة الراهنة

بجمهورية غينيا الشقيقة، وهذا حدث نادر جداً إذ لا تصدر في الأوراق البنكية لبلد من البلدان سوى صورة ملوكها ورؤسائها وزعمائها...

وقد قام رحمه الله سنة 1960 بجولة في عدد من دول الشرق العربي، زار من بينها جمهورية لبنان، وذلك ما بين 3 و 7 من شهر فبراير، فأصدرت وزارة البريد، بذلك البلد الشقيق سلسلة من طابعين وورقة تذكارية (رقم 20) ـ تخليداً لتلك الزيارة ـ تحمل صورته، وصورة رئيس الجمهورية اللبنانية في ذلك العهد الأمير الجنرال فؤاد شهاب.

وفي سنة 1962 أصدرت كل من غينيا ومالي والجمهورية العربية المتحدة، بالإضافة إلى المغرب سلسلة من طابعين تخليداً للذكرى الأولى لميثاق الدار البيضاء (4يناير 1961)، ويرى في تلك الطوابع رسم صاحب الجلالة محمد الخامس قدس الله روحه بلباسه التقليدي، فوق خريطة القارة الإفريقية، وذلك اعترافاً من إفريقيا بفضله وفضل بلاده على جمع شتات الأفارقة وتوحيد كلمتهم وتحرير أراضيهم... (رقم 21).

جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله

أما أول طابع صدر بصورة صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله، فقد كان سنة 1957 وذلك بمناسبة إسناد ولاية العهد إليه من لدن والده قدس الله روحه، وكان ذلك في سلسلتين من الطوابع تضم كل واحدة منها ثلاثة طوابع الأولى بعملة الفرنك، والثانية بعملة البسيطة (رقم 22).

وبعد وفاة المغفور له محمد الخامس، التي صارت الطوابع التي تحمل صورته تستعمل في كل أجزاء الوطن الموحد بعد سحب عملة البسيطة

الإسبانية من شمال البلاد، صدرت سنة 1962 أول سلسلة من الطوابع العادية (*) للاستعمال في كل أرجاء المملكة تحمل صورة صاحب الجلالة الحسن الثاني نصره الله (رقم 23) مكونة من 20 طابعاً من فئات مختلفة ما بين 0.01 سنتم و5 دراهم وهي مطبوعة في فرنسا.

وصدرت سنة 1968 السلسلة الثانية من الطوابع العادية بصورة جلالته مرتدياً الزي الوطني مكونة من 19 طابعا (رقم 24) وتولت إحدى الدور الانجليزية طبعها.

أما السلسلة الثالثة من الطوابع العادية، والتي تعرف بين هواة جمع الطوابع بسلسلة طوابع «الملك المبتسم» فقد صدرت سنة 1973 وتتكون من 20 طابعاً (رقم 25) طبعت بألمانيا الشرقية.

وفي سنة 1982 صدرت السلسلة الرابعة من الطوابع العادية (رقم 26) مكونة من 20 طابعاً وهي من عمل مطابع مدينة VITORIA بإسبانيا.

أما آخر سلسلة من الطوابع العادية التي صدرت لحد الساعة بصورة جلالته فكانت التي طبعت سنة 1983 بسويسرا وعددها خمسة خاصة للاستعمال بالمراسلات في البريد الجوي وهي في غاية الإتقان. (رقم 27).

وقد تخلل أول إصدار عادي سنة 1962 وآخر إصدار سنة 1983، العديد من الإصدارات التي تحمل صورة صاحب الجلالة في مناسبات وطنية

(*) تستعمل كلمة «العادية» عند الهواة للتمييز بين الطوابع البريدية التذكارية وهي محدودة العدد وبين العادية التي يطبع منها العدد العديد.


ROYAUME DU MAROC
Dh.3,00 درهم





1


5 PTAS
CEUTA
ESPAÑA
CORREOS


REPUBLIQUE FRANÇAISE
LOUIS XIV


0,20
ROYAUME DU MAROC

4

3

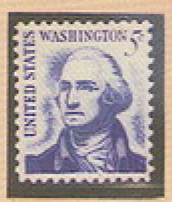
2



8



7



6



5



11



10



9

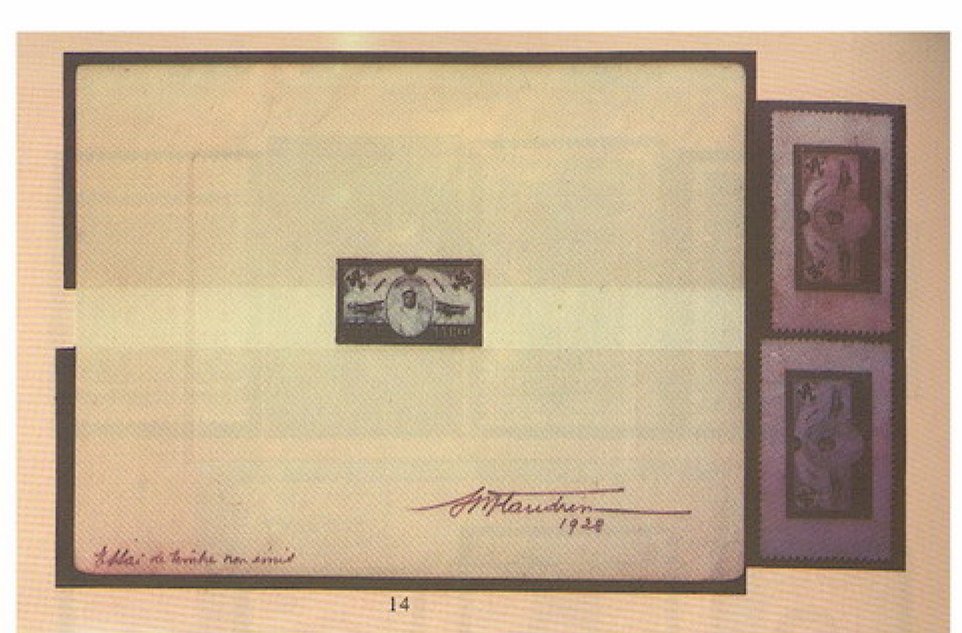


13





12



14



17 16

19 18 15

20









21









23 24 22

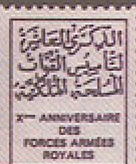






25 26 27







28


المملكة المغربية
ROYAUME DU MAROC

31


المملكة المغربية
0,25

30


0,25
HASSAN II

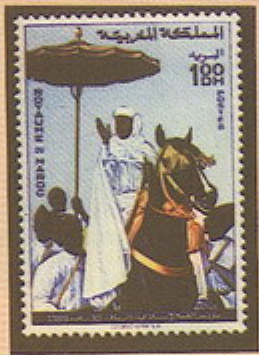
29


الذكرى الاربعون
لميلاد جلالة الملك
الحسن الثاني
9 - 7 - 1969
40e ANNIVERSAIRE
DE S.M. HASSAN II
2.50 DH

32


المملكة المغربية
ROYAUME DU MAROC
1,00

33


المملكة المغربية
1,00 DH


المملكة المغربية
مؤتمر القمة الاسلامي
الرباط ١٠ رجب 1389
ROYAUME DU MAROC
1,00

35


60c

34


المملكة المغربية
0,40
ROYAUME DU MAROC


المملكة المغربية
1,00 DH
1394

36


المملكة المغربية
1975
1955
1,00
ROYAUME DU MAROC
POSTES


المملكة المغربية
1975
1955
1,00
ROYAUME DU MAROC
POSTES

37


0,80
25
0,80
0,80
ROYAUME DU MAROC
ROYAUME DU MAROC
ROYAUME DU MAROC

38


ROYAUME DU MAROC

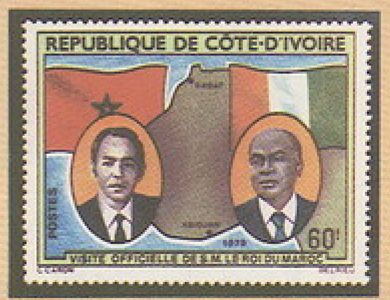
41


1,00
ROYAUME DU MAROC

40


ROYAUME DU MAROC
1,00 DH
POSTES

39


REPUBLIQUE DE CÔTE-D'IVOIRE
POSTES
1978
60F
VISITE OFFICIELLE DE S.M. LE ROI DU MAROC


REPUBLIQUE DE CÔTE-D'IVOIRE
POSTES
1978
65F
VISITE OFFICIELLE DE S.M. LE ROI DU MAROC


REPUBLIQUE DE CÔTE-D'IVOIRE
POSTES
1978
500F
VISITE OFFICIELLE DE S.M. LE ROI DU MAROC

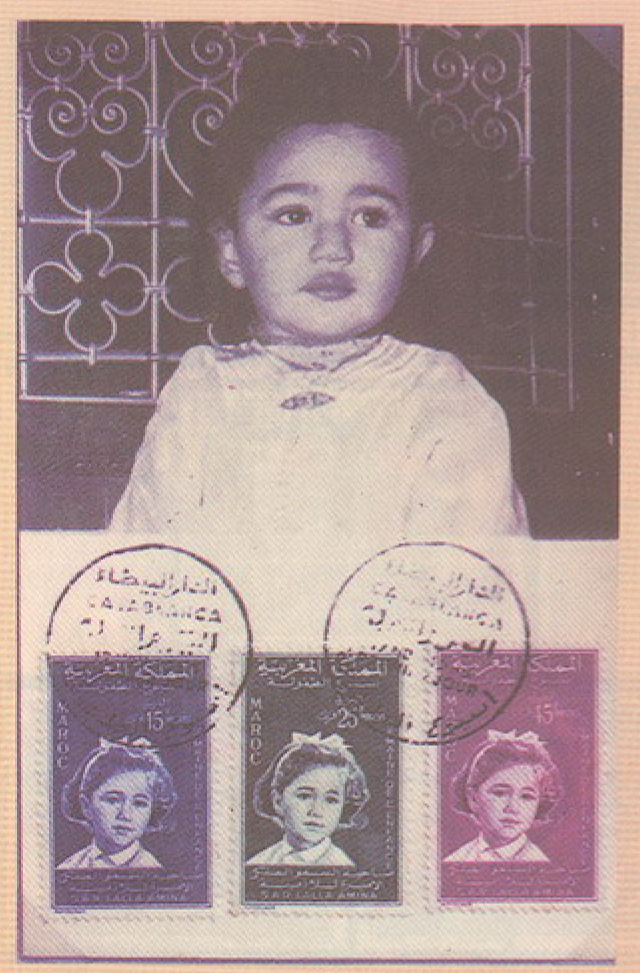
42


MAROC
0,25
POSTES
SEMAINE DE L'ENFANCE


MAROC
0,40
POSTES
SEMAINE DE L'ENFANCE


MAROC
1,00
POSTES
SEMAINE DE L'ENFANCE

43


MAROC
MAROC
SAR LALLA AMINA

44


0,30
ROYAUME DU MAROC
0,20
ROYAUME DU MAROC

45


1,00

47


ROYAUME du MAROC
0 20
RECONSTRUCTION d'AGADIR

ROYAUME du MAROC
29 Février 1960
0 30
RECONSTRUCTION d'AGADIR

ROYAUME du MAROC
0 50
RECONSTRUCTION d'AGADIR

46.


1,00
POSTES
ROYAUME DU MAROC

المملكة المغربية
0,25
POSTES
ROYAUME DU MAROC

المملكة المغربية
POSTES
0,50
ROYAUME DU MAROC

48


المملكة المغربية
ROYAUME DU MAROC

49


المملكة المغربية
1,40
ROYAUME DU MAROC

50



51



53



54



52



55



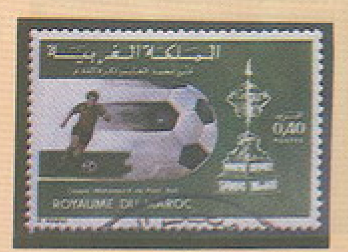
56



57



58



59



60



61



62



63



64



65



66



67



68



69



70



71



72



73



74



75


المملكة المغربية
2,00
ROYAUME DU MAROC


المملكة المغربية
البريد
2,00
POSTES
ROYAUME DU MAROC


المملكة المغربية
0,60
Postes
ROYAUME DU MAROC

76


المملكة المغربية
1,00
POSTES
ROYAUME DU MAROC

77


المملكة المغربية
فلسطين
PALESTINE

78


المملكة المغربية
تنصيب البرلمان
1963-11-18
INSTALLATION DU PARLEMENT
0,20
ROYAUME DU MAROC

79


مجلس النواب
المملكة المغربية
1,00
ROYAUME DU MAROC
افتتاح مجلس النواب
OUVERTURE DE LA CHAMBRE DES REPRESENTANTS
Dh.3,00

80


المملكة المغربية
ROYAUME DU MAROC
DH.3,00
0,40
1,00
H. FOURNIER - VITORIA (ESPAÑA)

81


5 PTAS
IFNI
6
PTAS
CORREOS
ESPAÑA
CORREOS
ESPAÑA


5 PTAS
SAHARA
6
PTAS
CORREOS
ESPAÑA
CORREOS
ESPAÑA

82 83


1.00
Royaume du Maroc


المملكة المغربية
1,50




المملكة المغربية
0,40

84


المملكة المغربية
ROYAUME DU MAROC

85


المملكة المغربية
0,80
ROYAUME DU MAROC

86


المملكة المغربية
البريد
3,00
POSTES
ROYAUME DU MAROC

87


1,00
1979

88


1,00


المملكة المغربية
0,40
ROYAUME DU MAROC


0,80
POSTES
ROYAUME DU MAROC

89


O20
ROYAUME DU
MAROC

90


0,80
ROYAUME DU MAROC


0,80
ROYAUME DU MAROC


0,80
ROYAUME DU MAROC

عديدة، كانت أولها سنة 1966 حيث صدرت سلسلة من طابعين تذكارين يخلدان الذكرى العاشرة لتأسيس القوات المسلحة الملكية (رقم 28).

وفي نفس السنة حلت الذكرى الخامسة لتتويج صاحب الجلالة فصدر بتلك المناسبة طابع من فئة 25 سنتيم (رقم 29).

ولتخليد الذكرى العاشرة للتتويج صدر سنة 1971 طابع بريدي يحمل صورته نصره الله وهو يطل على سد من السدود المشيدة (رقم 30) والتي هي من أحب الأشياء إلى نفسه، والطابع من تصميم كاتب هذا المقال. وصدر كذلك طابع آخر سنة 1981 لتخليد الذكرى العشرين لتتويجه (رقم 31) يحمل صورته حفظه الله.

أما سنة 1969 فكانت للاحتفال ببلوغ جلالته سن الأربعين من عمره المديد إن شاء الله، فصدر لتلك الغاية طابع بريدي وورقة تذكارية (رقم 32) أصبح من العسير الحصول عليها اليوم لندرتها ولقيمتها المرتفعة في سوق الطوابع البريدية. كما صدر طابع آخر سنة 1979 (رقم 33) للاحتفال ببلوغ جلالته سن الخمسين من عمره المبارك إن شاء الله.

وفي 21 غشت 1969 أقدمت يد أثيمة على إحراق المسجد الأقصى (رقم 34)، فقام صاحب الجلالة بتوجيه دعوة عامة إلى كل البلاد الإسلامية لعقد مؤتمر قمة إسلامي، فكان أول لقاء في القمة بالرباط يوم 10 رجب 1389 وأصدر المغرب لذلك الحدث العظيم طابعين بريديين (رقم 35)، كما خلد في طوابعه ذكرى انعقاد المؤتمر الثاني بلاهور سنة 1974 (رقم 36).

ولتخليد ذكرى الاستقلال أصدر المغرب سلسلة من الطوابع سنة 1975 تخلد الذكرى العشرين (رقم 37) والذكرى الخامسة والعشرين سنة 1981 (رقم 38).

أما ذكرى ثورة الملك والشعب، فقد خلدت سنة 1970 بمناسبة الذكرى العاشرة (رقم 39) والذكرى 25 سنة 1979 (رقم 40) والذكرى الثلاثين سنة 1983 (رقم 41).

وفيما يخص طوابع البلاد الأجنبية التي صدرت وهي تحمل صورة جلالته، فإننا نخص بالذكر الطوابع الثلاثة التي صدرت بجمهورية ساحل العاج، وهي مزينة بصورته وصورة الرئيس العاجي همفويت بواني، وذلك سنة 1979 (رقم 42).

وبالنسبة لأسرته الكريمة، فقد صدرت سنة 1968 ثلاثة طوابع بمناسبة «أسبوع الطفولة» وهي تحمل صور أنجاله الكرام، صاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير سيدي محمد، وشقيقتيه صاحبة السمو الملكي للا أسماء وصاحبة السمو الملكي الأميرة للا مريم (رقم 43).

وسبق أن صدرت بنفس المناسبة سنة 1957 ثلاثة طوابع تحمل صورة صاحبة السمو الأميرة للا أمينة أخت صاحب الجلالة المعظم (رقم 44).

وفي التالي نتعرض للمشاريع العمرانية والأعمال الاجتماعية والقضايا السياسية وغير ذلك من المنجزات التي تحققت لحد الساعة، وصدرت في شأنها طوابع في عهد جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله.

فمن المشاريع العمرانية الهامة التي انجزت في عهده، نجد حوض الحوت بالدار البيضاء، وهو أعظم حوض في إفريقيا على الإطلاق دشن سنة 1967 (رقم 45) وأعيد بناء مدينة أكَادير التي دمرها زلزال يوم 29 فبراير 1960 (رقم 46)، ودشن أكبر فندق في حينه بالمغرب الرباط هيلتون سنة 1967 (رقم 47).

وفي سنة 1971 صدرت طوابع ثلاثة لتخليد تحفة الهندسة المعمارية المغربية، ونعني بها ضريح محمد الخامس طيب الله ثراه (رقم 48).

ومن المشاريع المستقبلية التي خطط لها صاحب الجلالة، مشروع ربط إفريقيا بأوروبا عبر مضيق جبل طارق (رقم 49)، ومشروع خط الوحدة للسكة الحديدية بين مراكش والعيون (رقم 50).

وفي سنة 1980 تم إنجاز مطار محمد الخامس الدولي، وهو مطار فريد من نوعه من بين مطارات القارة الإفريقية وقد دشنه صاحب الجلالة بنفسه (رقم 51).

وفي الميدان الفلاحي، حرص صاحب الجلالة نصره الله، على أن يصل المغرب للاكتفاء الذاتي في الحبوب، فشيد لذلك السدود منها سد آيت عادل (رقم 52) وسد المسيرة (رقم 53) وأكد حفظه الله في الخطاب الموجه إلى مجلس النواب، عند افتتاح السنة التشريعية يوم 10 أكتوبر 1986 على ذلك بقوله «قررنا أن نبني سدأ كل سنة حتى نصل إلى سنة 2000». ولا يخفى على أحد في هذا المضمار، أن المغرب هو البلد الوحيد الذي تدشن فيه السدود بينما الأعمال منهمكة في بناء سدود أخرى، وتوجد تحت الدرس

والتخطيط سدود ثالثة. وكل ذلك من أجل عملية مليون هكتار من القمح الطري (رقم 54).

ولمساعدة صغار الفلاحين على إنجاز مهامهم الفلاحية في أحسن الظروف أمر حفظه الله بإحياء عملية التويزة (رقم 55).

ومن الأعمال الخيرية العظيمة التي تمت في عهده وبأمر منه «المنظمة العلوية لرعاية المكفوفين» وقد جاء في أول طابع صدر لمساعدة تلك المنظمة قوله نصره الله «أنا عينكم التي تبصرون بها» (رقم 56) كما تأسست بأمر من جلالته العصبة المغربية لمحاربة أمراض القلب والشرايين التي يوليها عنايته الكبرى (رقم 57).

وازدهرت الرياضة في 25 سنة الأخيرة ازدهاراً عظيماً بما يوليه إياها الرياضي الأول صاحب الجلالة من اهتمام كبير، حتى أصبح المغرب يحظى باحترام الجميع واستطاع من دون باقي الدول العربية الأخرى أن ينتصر في الألعاب الأولمبية ويفوز بالميداليات الذهبية وغيرها.

وهكذا أحدث حفظه الله الجائزة الكبرى للغولف (رقم 58) وكأس محمد الخامس لكرة القدم (رقم 59).

وبأوامره احتضنت بلادنا كثيراً من المهرجانات الرياضية العربية والإفريقية نخص منها بالذكر المهرجانات الكشفية العربية بالرباط سنة 1978 (رقم 60) والبطولة العالمية للزوارق الشراعية سنة 1978 بالدار البيضاء (رقم 61) والمهرجان الرابع للشباب العربي بالرباط سنة 1979 (رقم 62) وأقيمت ألعاب البحر الأبيض المتوسط التاسعة بالدار البيضاء سنة 1983

(رقم 63) والدورة الرياضية العربية السادسة سنة 1985 (رقم 64) وبطولة العالم العسكرية 18 للقفز بالمظلات بالرباط سنة 1986 (رقم 65).

وفي عهد جلالته عقدت بالمغرب لقاءات دولية وجهوية ومؤتمرات علمية وتقنية.

فعلاوة على مؤتمر الدار البيضاء سنة 1961 ومؤتمر القمة الإسلامي سنة 1969، عقدت بالمغرب عدة لقاءات عربية وإفريقية نخص منها بالذكر **مؤتمرمنظمة الوحدة الإفريقية سنة 1972 (رقم66) ومؤتمر القمة العربي بفاس** سنة 1981 (رقم 67) وهناك مؤتمرات دولية أخرى لم تخلد للأسف الشديد في طوابع البريد.

أما الروطاري الدولي فقد عقد عدة مؤتمرات بالمغرب منها الذي عقد بالدار البيضاء سنة 1968 (رقم 68) وبمراكش سنة 1974 (رقم 69) وبفاس سنة 1978 (رقم 70).

أضف إلى ما سبق ذكره اللقاءات والندوات الدولية الفنية والتقنية والعلمية نخص منها بالذكر المؤتمر الثاني الإفريقي للطرق الذي عقد بالرباط سنة 1972 (رقم 71) والمؤتمر الخامس الإفريقي لداء السل بالرباط سنة 1976 (رقم 72) والمؤتمر الخامس لمنظمة المدن العربية سنة 1977 (رقم 73) والمؤتمر العاشر للجمعيات العربية للهلال الأحمر والصليب الأحمر سنة 1978، (رقم 74) والمؤتمر العاشر للاتحاد العالمي للمدن المتوأمة بالدار البيضاء سنة 1981 (رقم 75) وغيرها كثير.

وبخصوص القضايا العربية، وخاصة منها قضية العرب الأولى فلسطين، فإن جلالته أحدث ضريبة لمساعدة الفلسطينيين على استرجاع

وطنهم وحقهم وخلدت بلادنا ذلك التضامن وأصدرت لتلك الغاية عدة طوابع (رقم 76) ويترأس حفظه الله لجنة القدس (رقم 77) المنبثقة عن منظمة المؤتمر الإسلامي (رقم 78).

ومن أجل إقرار الديموقراطية والملكية الدستورية نصب حفظه الله أول برلمان يوم 18 - 11- 1963 (رقم 79) وافتتح سنة 1977 مجلس النواب (رقم 80).

وفي سنة 1980 دخل القرن الخامس عشر الهجري فوجه حفظه الله رسالة إلى شعبه الوفي (رقم 81) ضمنها توجيهات سامية وأفكار نيرة عن مستقبل الأمة الإسلامية كما فعل ذلك جده مولاي الحسن الأول رحمه الله عند مدخل القرن الرابع عشر.

ولنخلص في الأخير إلى أعماله الفذة لاستكمال الوحدة الوطنية ولمعجزة القرن المسيرة الخضراء.

إذ من المعلوم أن صاحب الجلالة نصره الله قام في سنة 1957 وهو ولي للعهد على رأس فرقة من جنوده الأبطال بمحاصرة مدينة إيفني التي أعلنها الإسبان إثر ذلك الحصار مدينة إسبانية (رقم 82). واستطاع استرجاعها لحضيرة الوطن سنة 1969 بالطرق السلمية.

وفي سنة 1975 كانت معجزة القرن المسيرة الخضراء لتحرير الصحراء، والتي كانت تعدها إسبانيا مقاطعة إسبانية (رقم 83) بعد الحصار الذي ضربته القوات المغربية على مدينة إيفني وبعد المعارك التي دارت بين الإسبان وجيش التحرير بالجنوب المغربي.

وهكذا أعطى أوامره حفظه الله يوم 6 نوفمبر 1975 لانطلاق المسيرة الخضراء لتحرير الصحراء فسار 350 ألف مواطن ومواطنة (رقم 84) سلاحهم كتاب الله (رقم 85) وإيمانهم حقهم وثقتهم في ملكهم. وقد أدت الأمة جمعاء القسم على أن تبقى وفية لروح المسيرة الخضراء (رقم 86).

ونال المشاركون في المسيرة الخضراء رضى الله ورضى عاهلهم ووطنهم (رقم 87) على عملهم البطولي.

وفي 14 ـ 8 ـ 1979 استرجع المغرب إقليم وادي الذهب (رقم 88) فضمت هذه المفخرة إلى سابقاتها.

وبأمر من صاحب الجلالة وجهت اهتمامات الدولة الأولى لإنعاش الأقاليم الصحراوية والرفع من مستواها (رقم 89) حتى تصل إلى ما وصلت إليه مثيلاتها في باقي إجزاء هذا الوطن العزيز.

ومن هذا القبيل يجب أن لا ننسى ما اقترحه سيدنا المنصور بالله مؤخراً على وزير الداخلية في الحكومة الإسبانية من إنشاء خلية للتفكير جعلها الله المفتاح الأخير وبداية تحرير الأجزاء التي لا زالت مستعمرة لحد الساعة في شمال البلاد وجلاء آخر أجنبي عن أرض الوطن (رقم 90).

الرباط **محمد ابن عودة**

الموسيقى على عهد العلويين

عبد العزيز ابن عبد الجليل

لم تكد تمضي على وفاة المنصور السعدي إلا سنوات قليلة حتى سقطت البلاد في أوضاع متردية انعكست مظاهرها على مختلف جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية، وتفكك عقد الوحدة الوطنية نتيجة انقسام الأسرة السعدية الحاكمة على نفسها، وتهافتت على السلطة زعامات وإمارات هنا وهناك، واستعادت بعض الزوايا في زحمة الأحداث المضطربة ما افتقدته أيام عز الدولة من نفوذ، وأصبح الوضع أشبه ما يكون بعهد ملوك الطوائف في الأندلس.

وقد مكن كل ذلك للإيبيريين أن يجهزوا على شواطئ البلاد ويقووا من تمركزهم بمراسيها المتوسطية والأطلسية، كما مكن للعثمانيين أن يعبثوا في شرق البلاد وصحرائها فسادا وخرابا.

وفي هذا الجو المليء بالمخاطر كان من الطبيعي أن يتحول الاهتمام إلى القضايا الوطنية الجوهرية، وأن تتجه الجهود إلى رأب الصفوف المتصدعة ولم شتات الأمة ودعوتها إلى الجهاد ومقاومة المحتلين وملاحقة دعاة التفرقة والخلاف، ومن ثم تعطلت وجوه النشاط الفني بالبلاد، وركد سوق الموسيقى، وانحصرت ممارستها ـ أو كادت ـ في أوساط الزوايا، وانحل عقد المجموعات النحاسية التي كان يحتضنها البلاط السعدي، وتعطلت مجالس السّماع التي كانت تقام في ليلة المولد النبوي والتي طالما نوه بصنيعها مؤرخو الدولة القائمة، وعز على موسيقيي هذه الفترة العقيم أن ينبغ فيهم أمثال مؤلف نوبة الاستهلال[1] ومبتكر ميزان الدرج[2] وواضعي أوزان الملحون وصروفه[3].

على أنه ما أن استتب الأمر للدولة العلوية الشريفة حتى أخذت الحركة الموسيقية تستعيد نشاطها، فأقبل منظرو هذا الفن على ضبط قواعده ومراجعة ترتيباته ونشطت الكتب الإخبارية في تناقل المعارف الموسيقية، ووجد أرباب السماع من عناية ملوك الدولة ما حفزهم إلى مضاعفة الجهد وشجعهم على المضي في درب الإبداع والابتكار، كما نشطت مراكز تعليم الموسيقى وأوراش صناعة آلاتها، ووجد الشعراء ما ألهب قرائحهم، فراحوا

---

1) الحاج علال البطة وزير الشيخ عبد الله بن محمد الشيخ في بعض الروايات.

2) لم تحدد المصادر التاريخية مبتكر هذا الميزان. ويبدو أنه كان من مستعملات الزوايا، ومنها انتقل تداوله إلى ممارسي موسيقى الآلة الذين أدرجوه في ميزان البطايحي.

3) عرفت الفترة المزدهرة من عهد السعديين تطورا مرموقا في فن الملحون، وذلك باستنباط أوزان المبيت ومكسور الجناح والمشتب.

ينظمون من القصائد والموشحات والأزجال والبراول ما أصبح يشكل بحق وعاء زاخرا بأروع الألحان وأعذب النغمات.

وسيهتم العرض التالي بالإشارة إلى أبرز مظاهر النشاط الموسيقي الذي تم إنجازه في ظل الدولة العلوية، متخطياً ما يكتنف البحث من صعوبات مصدرها ندرة الكتب المتخصصة في البحث الموسيقي وتفرق الأخبار التي تلم بهذا الفن في مصادر شتى تتوزعها المصادر الإخبارية وكتب التراجم والفقه والفتوى.

التنظير العلمي : برزت في العهد العلوي طائفة من العلماء والأدباء عنوا بدراسة القواعد الموسيقية وضبط أصولها وحصر ترتيباتها، وقد ألفوا في هذه الأغراض جملة من الكتب والكنانيش والمنظومات التي ضمنوها خلاصة ما آلت إليه الموسيقى الأندلسية خاصة، فبسطوا القول في نوباتها وميازينها وصنعاتها وطبوعها.

ويعتبر العلامة المشارك عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي المتوفى عام 1096 من أوائل الذين ألفوا في هذه القضايا على العهد العلوي، فقد كان من العلماء الأفذاذ الذين عرفوا بثقافتهم الموسوعية، ألف في علوم الطبيعة والفلسفة والرياضة واللغة والأدب وغيرها منظومة أسماها «الاقنوم في مبادئ العلوم» تحدث فيها عن مائة وخمسين علما من بينها علم الموسيقى الذي أفرد له ما يربو عن مائة بيت. وله في نفس الموضوع منظومة أخرى قوامها 105 من الأبيات استهلها بتعريف الموسيقى فقال :

علم بـــه يعرف أحـــوال النغم ومـــا لهـــا من بعـــد أو كيف وكم
ومـــا بـــه يقـــع نقرتـــان أقلـــه يـــأتي من الـــزمـــان

وهو في هذا التعريف يستعرض المباحث التي ينظر فيها علم الموسيقى، وهي عنده : أحوال النغم، وأبعادها، وإيقاعاتها، وأوزانها الزمانية.

ومن خلال دراسة وتحليل منظومتي الفاسي يتجلى مدى تأثره بمقولات المشارقة وإيغاله في تبني مصطلحاتهم الفنية، حتى أنه ليشق على الناظر في الموازين والإيقاعات فهم كلامه دون الرجوع إلى «الرسالة الشرفية» لعبد المومن الأرموي البغدادي المتوفى عام 693 هـ[4].

وبعد عبد الرحمن الفاسي ظهر على الساحة الفنية علم آخر من أعلام الموسيقى في العهد الإسماعيلي هو الأديب محمد البوعصامي الذي ترجم له محمد بن الطيب العلمي في كتابه[5] فذكر أنه رحل إلى مصر حيث درس الموسيقى «وأتى فيها بكل خارق وأنسى ذكر الموصلي ومخارق». ولما عاد إلى المغرب تحلق حوله الطلبة يأخذون عنه قواعد الموسيقى وما أحدثه فيها من تعديلات فنية.

وتتجلى أهمية كتاب العلمي في عنايته بنقل جملة من الدروس النظرية التي كان البوعصامي يلقيها على طلبته، وهي دروس تتناول النغمات الثمانية وترتيبها وأبعادها وطريقة استخراجها من أوتار العود، ومنهج تعليم موسيقى الآلة، وتسوية العود، والطبوع وعلاقتها بالطبائع، والآلات الموسيقية، وأثر الغناء في الحيوان وغير ذلك.

4) شرح وتحقيق الحاج هاشم الرجب ـ العراق 1980.
5) الأنيس المطرب فيمن لقيه مؤلفه من أدباء المغرب ـ ط. حجرية.

كما تتجلى أهمية هذه الدروس ذاتها في كونها جاءت لتشكل مرحلة هامة في التنظير العلمي لموسيقى الآلة على أساس قاعدة نظرية أكثر حداثة، كما جاءت للكشف عن رغبة البوعصامي في تطعيم النظرية التقليدية بمعطيات جديدة تستقي مادتها من المعارف التي تلقاها بالمشرق.

وفي وسعنا تمثل هذه المعطيات فيما يلي :

1 ـ جنوح البوعصامي إلى الاستفادة من المصطلحات الشرقية بهدف توظيفها بدل مرادفاتها المغربية التقليدية.

2 ـ إظهاره طبع الصيكة المشرقي وإدراجه ضمن الطبوع المستعملة في الموسيقى الأندلسية بعد تعريته عن ملامحه الشرقية. وبذلك جاءت نغمته وسطاً بين الماية وغريبة الحسين كما جاءت ألحانه رائعة على حد تعبير محمد بن الحسين الحايك.

3 ـ اعتماده آلة العود كمنطلق أساسي لتطبيق النظرية الموسيقية.

4 ـ تأسيسه لأسلوب جديد في التعليم الموسيقي، ينهض على طرح النظرية كأرضية ضرورية لتأطير العملية التعليمية قبل الدخول في مرحلة التطبيق، وذلك في مقابل الطريقة التقليدية التي كانت قبل البوعصامي ـ ثم عادت من بعده ـ تعتمد الترجيع والتوسيد كوسيلة مثلى لترسيخ الألحان والأوزان في نفوس المتعلمين.

5 ـ توظيفه الحروف الأبجدية الثمانية التالية كرموز لتدوين النغمات الثمانية في سلم المقام الأندلسي، وهي الألف لنغمة الذيل، والباء لنغمة الماية، والجيم لنغمة الماية مع الدس بالسبابة على الوتر، والدال لنغمة الماية أيضا

مع الدس بالبنصر، والهاء لنغمة الرمل، والواو لنغمة الحسين، والزاي لنغمة الحسين مع الدس بالسبابة، والحاء لنغمة الحسين أيضا مع الدس بالبنصر.

وقد وفق البوعصامي في صنيعه إلى تعرية الحروف الأبجدية المذكورة عن مدلولاتها الشرقية، بحيث جعلها خاضعة لمقتضيات سلم الطبع الأندلسي وأضفى عليها سمات وملامح محلية، أصيلة، ثم ساق لذلك نموذجا لحنيا على مقطوعة شعرية كادت تستوفي الغرض المقصود لولا ما يعتورها من نقص سببه خلو مدونتها من كل رمز يدل على المدة الزمنية التي ستعزفها حروف التدوين، وهو نقص أفضى إلى فقدان الهيكل الإيقاعي الذي يحدد هيئة الجملة اللحنية للمقطوعة الموسيقية.

وباستثناء أعمال البوعصامي في مجال تدوين ألحان الموسيقى الأندلسية والتي شكلت حلقة يتيمة في مسلسل تطوير هذه الموسيقى بالمغرب، فقد استمر العمل بمحدثاته وتعديلاته جاريا في أوساط ممارسي الآلة. وهكذا تناقل عنه تلاميذه ومن بعدهم استعمال طبع الصيكة المشرقي[6] بما ركبه له من تواشي وصنعات، وأخذوا عنه ترتيبه للطبوع التي عزز شرحها وتصنيفها برسم خاص أسماه «شجرة الطبوع»، كما تبنوا طريقته في تسوية أوتار العود وتحديد مواقع عفق الأصابع عليها.

وبجمل القول، فلقد كان محمد البوعصامي بحق مثالا للفنان المثقف، جمع إلى إلمامه بالموسيقى دراية بعلوم اللغة والمنطق والتفسير وقدرة فائقة على نظم الشعر حتى «نودي باسمه فارتفع بالإفراد والعلمية»، على حد تعبير

6) كلمة فارسية من لفظين هما سي ـ ومعناها ثلاثة، ودوكاه ـ ومعناها المكان أو المحل ـ. وتعني الدرجة الثالثة من سلم الرست الذي هو السلم العربي الأساسي في الموسيقى العربية.

العلمي في أنيسه. ولا غرو فقد شكلت أعمال البوعصامي حلقة هامة في مسلسل تطور النظرية الموسيقية بالمغرب، استمدت حداثتها من طرافة المعارف التي ضمنها دروسه وحيوية الأسلوب الذي ابتكره في تعليم الموسيقى.

وقد عرف المغرب على عهد السلطان العالم سيدي محمد بن عبد الله المتوفى عام 1204 جملة من أعلام الموسيقى أسهموا في تقريب المفاهيم والمصطلحات من خلال ما أودعوه في مؤلفاتهم من شروح وبيانات لها، وبذلك جاءت أعمالهم التي أنجز بعضها باقتراح من الأمير العلوي المولى عبد السلام نجل السلطان محمد بن عبد الله لتلقي مزيدا من الضوء على واقع الموسيقى الأندلسية في نهاية القرن الثاني عشر ومطلع القرن الثالث عشر، وهو واقع كان يؤذن بما آل إليه جزء غير يسير من التراث الغنائي الأندلسي من انحسار وتقلص نتيجة ما أصاب النوبات من تفكك أفقد بعضها وحدتها الفنية وعرض ميازينها للتلاشي، فانفك عقدها وانتثرت صنعاتها.

كما جاءت هذه الأعمال لتكشف عن رغبة جامحة لدى هؤلاء في إيقاف موجة الضياع التي ما انفكت تجتاح التراث الأندلسي منذ العهد السعدي، واتجهت في أكثر من مسار، وتوخت أكثر من غاية، فهي آناً تهتم بتدوين النصوص الشعرية للصنعات المتوارثة وتستبدلها بأخرى إن افتقدت الأصل أو استعصى فهم لهجته على المنشدين، وهي آنا آخر تستعرض أسماء الطبوع وتتهافت على سردها وترتيبها ونسبة الفروع منها إلى الأصول،

وهي حيناً تغالي في نسبة الطبوع إلى واضعيها، وتبالغ في بيان العلاقة بينها وبين الطبائع البشرية ووجه تأثير الأولى في الثانية.

وقد أفضت كل هذه الجهود إلى نتيجة حاسمة تمثلت في العمل الكبير الذي انتهى من تأليفه الفنان محمد بن الحسين الحايك عام 1214 على عهد السلطان العلوي المولى سليمان والذي عرف منذئذ بمجموع أو كناش الحايك.

وتتجلى أهمية هذا المجموع في كونه شكل خلاصة ما أفضت إليه جهود المهتمين بالموسيقى الأندلسية طيلة القرنين الحادي عشر والثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر، فلقد أودعه ما تفرق في الكنانيش وفي صدور الحفظة من أشعار الصنعات، ومهد لها بمقدمة مستفيضة بسط فيها الكلام عن حكم السماع ومنافعه وأصول الغناء العربي، ثم عرف الموسيقى وتحدث عن آلة العود وخلص إلى إحصاء الطبوع فحصرها في 24 يضاف إليها طبع الصيكة، ثم قرر في النهاية أن أهل زمانه اقتصروا على استعمال إحدى عشرة نوبة هي : الحسين، والأصبهان، والماية، ورصد الذيل، والاستهلال، والرصد، وغريبة الحسين، والحجاز الكبير، والحجاز المشرقي، وعراق العجم، والعشاق، وأنهم أدرجوا الطبوع الباقية (14) ضمن سبعة منها هي الحسين، والأصبهان والاستهلال، والرصد، وغريبة الحسين، والحجاز الكبير، والعشاق، وبذلك تقلص عدد النوبات من أربعة وعشرين إلى ما يربو على نصف هذا العدد بقليل.

وقد ختم الحايك كلامه عن الطبوع بالإشارة إلى ظاهرة نعلم أن بوادرها الأولى طفت على الساحة الفنية بالمغرب منذ العهد السعدي،

وتتجلى في تسرب جملة من الطبوع المشرقية إلى البلاد في أعقاب النفوذ الذي بسطه العثمانيون على كل من تونس والجزائر. ولم يفت الحايك ـ وهو يستعرض أسماء هذه الطبوع ـ أن ينعتها بأنها لم تناسب المجموع الذي ألفه، وبذلك وضع الأصبع على حقيقة علمية لا يمكن أن يتسرب الشك إليها، وهي أن المغرب ـ باعتباره جزء لا يتجزأ من العالم العربي ـ ظل على مر العصور منفتحا على المعارف الموسيقية الوافدة من المشرق، غير أن طبيعة المكونات اللحنية التي أسهمت في بلورة تراثه الموسيقي أبت على كثير من المعارف الوافدة أن تنصهر في بوثقة الخصائص التي تسود أنماط وأساليب الممارسة الموسيقية المحلية، وذلك لعوامل مقامية معروفة يقتضيها تباين التركيب النغمي للسلم الشرقي الذي يحتضن في ثناياه أرباع النغمة. ومن هنا ندرك ـ مثلا ـ كيف عرى طبع الصيكة عن خصوصياته المشرقية ليأخذ مكانه بين طبوع الموسيقى الأندلسية، وتلك عملية فنية دقيقة لم يكن ليحققها إلا أمثال الفنان العبقري الفذ محمد البوعصامي الآنف الذكر.

وقد تكررت الإشارة إلى ما بين الطبوع الشرقية الوافدة مع العثمانيين وبين الطبوع الأندلسية بالمغرب على لسان غير الحايك، وفي هذا الصدد يستعرض عالم الرباط ابراهيم التادلي المتوفى عام 1311 هـ أسماء جملة من الطبوع الشرقية شاع ذكرها بين أهل الموسيقى على عهده كالرها، والجناوي، والجركة، ثم يعقب عليها بقوله : «وكل هذه أو جلها أسماء عجمية لا تحقيق عندنا بضبطها ولا بألحانها»[7].

---

7) أغاني السقا ومغاني الموسيقى ـ الباب الثاني.

وفي هذا الصدد أيضا يورد محمد الضعيف في تأريخه خبرا لا يخلو من طرافة وأهمية مفاده أن محمد الزوين مبعوث السلطان محمد بن عبد الله إلى استانبول عام 1204 عرضت عليه جارية مغنية للشراء، فرفضها لغلاء ثمنها بالرغم من كونها تحفظ خمسة عشر طبعا من الموسيقى التركية...[8]، وهذا موقف يعكس ولا ريب وجهة الذوق السائد في المغرب يومئذ، خاصة وأنه نابع من رئيس الوفد الذي يمثل السلطة العليا بالبلاد، ومن ثم استقل ثمن الجارية وإن يكن رفيقه في البعثة قد أبدى استعداده لشرائها، ثم وإن يكن الضعيف نفسه بعد حوالي عقد من تاريخ وقوع الحادث[9] قد علل رفض السفير بما يدل على «عدم رقته ولكونه بدوياً من أهل البادية»[10].

وإذا كان رجال الموسيقى الأندلسية بالمغرب قد استقروا منذ أواخر عهد السلطان محمد بن عبد الله وسلفه المولى سليمان على إحدى عشرة نوبة، طبق ما أقره الحايك في مجموعه فإنهم ما انفكوا يعاودون هذا المجموع بالنظر والمراجعة، بغية تصحيح الطريقة التي اعتمدها صاحبه في ترتيب النوبات ورفع مظاهر الخلط والحشو التي كانت تشوب صنعاتها. وهكذا انعقد في ظل رعاية الدولة الحاكمة مؤتمران موسيقيان، كان أولهما على عهد السلطان محمد بن عبد الرحمن المتوفى عام 1290 وضم نخبة من الفنانين خرجوا بترتيب جديد لميازين النوبات الإحدى عشرة. وقد تمّ ذلك في ظل النزعة التي

---

8) تاريخ الضعيف. ص. 215.

9) توفي عام 1233. ويبدو أنه صنف هذه المعلومات حوالي عام 1211 حسب محقق الكتاب.

10) نفس المرجع ص. 215.

كانت تسم هذا العصر بالبحث عن سبل تطوير مردودية التعليم الذي كان يعاني من قلة التحصيل وسوء المنهج التربوي.

أما المؤتمر الثاني فقد انعقد في رحاب قصر محمد بن العربي الجامعي بمكناس، وهو يومئذ وزير السلطان المولى الحسن، وكان موضوعه مراجعة التعديل السابق والخروج بـ (مختصر مجموعة الحايك) الذي أصبح عمدة الموسيقيين ومرجعهم[11].

تعليم الموسيقى : وقد كان طبيعياً أن يواكب الاهتمام بضبط النوبات الأندلسية ومراجعة ترتيبها المرة بعد الأخرى التفكير في إحداث مراكز لتعليم الموسيقى الأندلسية، وذلك بهدف تيسير حفظ النوبات الإحدى عشرة وتعميم تداولها بين المهتمين على ضوء التعديل الذي أصبح يشكل البرنامج القار لهذه المادة والذي أصبح العمل بمقتضاه تقليدا يتوارثه أساتذة الموسيقى الأندلسية.

وقد كان السلطان محمد بن عبد الرحمن أول من سن التعليم الموسيقي بشكل منتظم عندما أقدم علىإدخال هذه المادة ضمن برنامج مدرسة الفنون التي أحدثها جوار القصر السلطاني من فاس الجديد إلى جانب مواد الحساب والتوقيت والتنجيم والهندسة والهيئة[12] ثم سار على نهجه خلفاؤه من بعده.

وإلى جانب التعليم المنتظم الذي كانت تضطلع به مدرسة الفنون هذه، عني ملوك الدولة العلوية بتأسيس أجواق موسيقية خاصة كانت في

---

11) تم تحقيق هذا المختصر وطبعه على يد الفنان الحاج عبد الكريم الرايس تحت عنوان «من وحي الرباب».

12) أتحاف ابن زيدان ج 3 ص. 367.

الغـالب مكـونـة من الإمـاء اللـواتي يشرف على تكـوينهن أمهر المعلمين من أرباب الصناعة الموسيقية، وفي هذا الصدد يسجل الضعيف أن السلطان محمد بن عبد الله أوفد خمس عشرة جارية إلى فاس بقصد تعليمهن الموسيقى[13] كما ينقل ابن زيدان أن محمد بن عبد الرحمن عين المعلم الساوري لتعليم جماعة من إمائه هذه الصناعة[14]، ومن جهة أخرى اهتم الملوك العلويون بتكوين الجوقات النحاسية لمرافقة مواكبهم في حلها وترحالها، أو في مراسيم صلاة الجمعة والأعياد أو لاستعراض العساكر.

وكانت هذه الأجواق مما أحدثه بالمغرب الملوك السعديون الذين اقتبسوه من نظم الدولة العثمانية وكان قوامها «المزامير المعروفة بالغيطات يتولى النفخ فيها قوم من العجم أساتيذ يتعلمونها... وجعاب طوال صفرية على مقدار النفير تسمى الطرمبات»[15]، على أن العهد العلوي سجل حدثا فنيا هاما يتجلى في تحول هذه الأجواق من عزف ألحان الموسيقى الغربية إلى أداء ألحان الموسيقى الأندلسية، وهكذا فبعد أن كان جمهور المواطنين - على العهد السعدي - لا ينوبهم من معزوفات هذه الأجواق سوى ما يوحي «بفخامة الدولة وضخامتها ولا تكاد أصواتها وتلاحينها تحرك الطبع أو تبعثه على شيء سوى الحرب»[16]، أصبحوا على العهد العلوي وهم أكثر تطلعا إلى سماع موسيقى «الخمسة والخمسين» التي إن هي إلا الاسم المبتكر

---

13) تاريخ الضعيف. ص. 173.

14) الاتحاف ص. 368.

15) المناهل ع. ؟؟ ص. 204.

16) الفشتالي. مناهل الصفا في أخبار الملوك الشرفا. تحقيق د. كريم ص. 204 - نزهة الحادي ص 98 - 99.

لميازين النوبات الإحدى عشرة تعزفها أجواق عصرية قوامها آلات النفخ الحديثة بنوعيها الخشبية والنحاسية.

وإذا صح أن يكون تأسيس جوقة الخمسة والخمسين قد جاء ليشكل الحقل التجريبي لما تضمنه مجموع الحايك من نوبات، فسندرك إلى أي حد بلغ حرص الدولة الحاكمة على أن يواكب التطبيق العلمي تطور الجانب التنظيري لموسيقى الآلة بالمغرب، وهذه مبادرة تعكس ولا ريب مدى اكتمال الإحساس بالأهمية التي ينطوي عليها تراثنا الموسيقي، وخاصة منه ما يمت إلى الحضارة المغربية الأندلسية.

ولعل مما زاد في تعميق الإحساس بأهمية هذا التراث معرفة بعض ملوك الدولة بالموسيقى. فقد كان المولى محمد بن عبد الرحمن ذا «باع طويل وقدم راسخة في العلوم العقلية كالحساب والتوقيت والتنجيم والهندسة والهيئة والموسيقى، درس تلك الفنون بالنقد والتحرير»[17]، «وكان له ولوع بالطرب والنغمات الموسيقية»[18]، وكذلك كان الحسن الأول مولعاً بأصناف الموسيقى والغناء. ومن ولعه بالملحون أنه كان في أسفاره يستقبل أصحابه كل ليلة بعد صلاة العشاء بباب فسطاطة، فيتناوبون أمامه على العزف والإنشاد حتى انشقاق الفجر. ومثل هذا كان ـ ولا ريب ـ حريا بأن يشجع ذوي الاختصاص على تناول الكتابة في مختلف الموضوعات التي تتصل بالموسيقى، وهكذا نظمت الأراجيز وألفت الكنانيش والكتب، وحررت

---

17) الاتحاف ابن زيدان ج 3 ص. 367.

18) نفس المرجع ص. 368.

المقدمات والشروح وترددت أصداء النشاط الموسيقي بين دفات كتب التاريخ والتراجم والأدب والفقه والفتوى، وتكون من ذلك كله رصيد بالغ الأهمية، ما يزال أغلبه حتى اليوم بعيدا عن تناول الباحثين والدارسين.

كما كان ذلك حريا بأن يخلق مناخا فنيا تبلور من خلال المجالس التي كانت تقام بحضرة الملوك أو في حلقات خاصة، حيث تطرح المساجلات الأدبية، وتنشد قصائد الملحون، وتردد الأمداح، وتصدح ألحان موسيقى الآلة.

ولم يكن الملوك العلويون يترددون في استقدام أرباب الغناء والسماع، فلقد «عيد المولى سليمان عام 1228 بمراكش، واستقدم نخبة من المطربين فيهم الصغير العلوش الشاوني المنشد»[19] ومن قبله أحيي السلطان محمد بن عبد الله ليلة عيد المولد النبوي فأقام حفلا كبيرا في جامع السنة بالرباط عام 1200 استدعى له مطربي فاس وتطوان، فبات هؤلاء ليلتهم يتناوبون على الإنشاد ثم لما كان صباح يوم العيد خرج السلطان إلى ظاهر المدينة، ومطربو المدينتين راكبون على بغالهم وهم ينشدون البردة بأحسن الطبوع.[20] وما زال ملوك الدولة العلوية يتباهون في مظاهر الاحتفال بليلة المولد النبوي حتى غدت في مقدمة المناسبات التي تستقطب خيرة رجال السماع من سائر المدن والأقاليم، فإذا التأم جمعهم باتوا وهم يتناشدون أبيات البردة والهمزية، وما أشبهها من المدائح النبوية، تتخللها الإنشادات والمواويل وصنعات مصطفاة من النوبات وأخرى صيغت على نحوها بوحي

19) تاريخ الضعيف. ص. 375.

20) نفس المرجع ص. 187.

من المناسبة المحتفى بها، يستغرق ذلك هجيع الليل أو سواده ولا يكاد القوم يتأهبون للافتراق حتى يتبدى لهم نور الصباح.

وإلى جانب الدور الروحي الذي أنيط بالموسيقى في ليلة المولد النبوي وفيما يشاكلها من المناسبات الدينية كصلاة الجمعة والأعياد، فقد ظلت تمارس دورها الطبيعي في خلق أجواء الرفه والأنس، وهكذا خصص لها السلطان الحسن الأول خير أيام الأسبوع وهو يوم الجمعة - حتى إذا قضى منها وطره وختم مراسيم الصلاة وقفل راجعا على نغمات أصحاب الموسيقى وإيقاع أصحاب الكومي على طبولهم وهم ينفخون في مزاميرهم، أذن «لوزير الحرب أن يجلس لاستعراض العساكر حذاء الباشا بباب منصور العلج ومن حولهما جمهور المواطنين يستمعون إلى ألحانها العذبة وبعد نهاية الاستعراض تنفض حفلة الجمعة»[21]. وكذلك كان الشأن في العشر الأواخر من شعبان، إذ تقام «حفلة كبرى لمدة سبعة أيام آخرها تمام شعبان بأحد أجنة المخزن، ويكون المطربون من بين المدعوين فيطربون مناوبة من الصباح إلى العشي»[22].

وبعيدا عن هذه الأجواء ارتبطت الموسيقى بمراسيم الملوك العلويين وطقوسهم، فكانت ترافق السلطان عند نهوضه من «المحلة» وعند استقباله للقبائل أو دخول ممثلي الدول وسفرائها إلى جنبات قصره، وعند سيره في السفر عبر المملكة، فيسمع طبال الكومي، وتصدح المزامير والطبول.

---

21) الأتحاف ج 2 ص 517.

22) نفس المرجع ص. 542.

وبعيدا عن محافل الملوك ورحاب القصور، نشطت ظاهرة المجالس الخاصة التي تجعل لها السرايا والمغنيات، ويستقدم لها أبرع المطربين والمنشدين ممن طبقت شهرتهم الآفاق.

وتفيدنا بعض المصادر التاريخية والأدبية في التعرف على أسماء بعض هؤلاء ممن كانت تضمهم مجالس السمر والغناء، فهذا محمد الضعيف المتوفى عام 1233 على العهد السليماني يذكر من معاصريه عبد السلام الجابري عازف العود والمعلم موسى بن أبي جمعة الشبايني، والشريف سيدي محمد بن الحسن، والشريف سيدي علال بن مولود، وكل هؤلاء من فاس ـ كما يذكر من تطوان الشريف سيدي هاشم التطواني الزياني، وأبا العباس التطاوني صاحب القرط[23]. ومثل الضعيف يحدثنا عصريه سليمان الحوات عن مجلس من مجالس الطرب، بمدينة مكناس ضم إلى جانب الشاعر الأديب والعالم الأكبر أبي عبد الله سكيرج الفاسي كلا من أبي زيد عبد الرحمن المزداري صاحب الرنة العذبة التي تنفي الهمّ والوصب، وابن زكري الذي جمع بين مهارة الغناء وجودة العزف على العود حتى لكأن نغمة الحسين تنطق الأوتار بالعجب[24].

الموسيقى بين التأييد والمعارضة :

لا يستطيع الباحث ـ وهو يستعرض جوانب النشاط الموسيقي على عهد الدولة العلوية ـ أن يغفل عن الجدل الذي كان قائما بين فقهاء المغرب

23) تاريخ الضعيف. ص. 258.

24) من كناشة للحوات عن الاتحاف ج 4 ص. 121 ـ 122.

حول ممارسة السماع[25]، فقد كان فيهم المعارض المتشدد، والمدافع المتساهل، والمعتدل الذي لايرى أية جنحة في تعاطي السماع ما لم يخرج عن الحد الشرعي المعلوم أو يفضي بصاحبه إلى ارتكاب الحرام.

وبصفة عامة فإن الفقهاء يجنحون إلى إنكار السماع إلا ما كان منه غناء خالصا لا ترافقه الآلات. فإن صاحبته «الملاهي الملهية كالعود وجميع ذوات الأوتار كان حراما في الأعراس وغيرها»[26].

وملخص الرأي في هذا الموضوع ما أعلنه اليوسي عندما قال : «هو على الجواز في أصله لأنه يرجع إلى الإنشاد... وإنما التفصيل فيه حسب مورده : فما كان وعظيا... فجائز مطلقا، ... وما كان رقيقا يذكر الفراق والمحبة والشوق... فهو يصلح لأهل الذوق من المريدين المتخلصين عن سر أنفسهم والعازفين الكمل دون سواهم. وما كان نسبيا صريحا يذكر القدود والخدود فلا ينبغي أن يتعاطى، وإن كان أهل الذوق الكاملون لا حرج عليهم فيه... أما بالآلات كالدف والشبابة فقد حكي فيه عن بعض السلف التوسعة، والجمهور يكرهونه وهو الحق... ولذا قال بعض المشايخ : إن السماع في زماننا لا يقول به المسلم، ولا يقتدى بشيخ يقول به : فمتى كان أشبه بسماع السلف المجرد كان أقرب إلى الجواز، ومتى أخرج إلى الآلات كان لهوا محضا وباطلا واضحا»[27].

---

25) يراد بالسماع عند الفقهاء سائر وجوه النشاط الموسيقي بما فيه العزف والغناء والتأليف.

26) شرح الحبل المتين لمحمد الفتحي المراكشي الموقت ص 70 ـ 1958.

27) رسائل أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي. جمع وتحقيق فاطمة خليل قباني ج. 2 ص. 430 ـ 435.

ويستشف من كلام اليوسي أن للصوفية موقفا مغايرا من السماع، فإن أكثرهم يترخص فيه ولا يرى حرجا في تعاطيه.

ومما يدخل في إطار المعارضة أيضا رسالة السلطان المولى سليمان التي وجهها إلى أرباب الطوائف يستنكر فيها ما أحدثته هؤلاء في الدين من البدع الشنيعة المخالفة لأحكام الشريعة، ويستهجن تمايل القوم يمينا وشمالا إذ «ليس في دين الله ولا في شرع نبي الله أن يتقرب إلى الله بغناء ولا شطح».[28].

وما ينبغي أن توهم رسالة المولى سليمان إلى أرباب الطوائف أنه كان يقف من الموسيقى موقف المعارضة، فقد رأينا من قبل كيف كان يستقدم أمهر المطربين لإحياء ليلة المولد النبوي كما أطلعنا كل من محمد الضعيف وسليمان الحوات على نماذج من مجالس السمر والغناء، مما يدل على ازدهار الحركة الموسيقية على عهده. ومن ثم تأتي «رسالته» ـ فيما يبدو ـ لتحد من جموح الشطط الذي كان يطبع تصرفات بعض الطوائف الطرقية، ومن غير أن يكون لها أي أثر سلبي على سير الحركة الموسيقية نحو مزيد من التطور الذي تجلت مظاهره ـ خاصة ـ في استقلال كبريات المدن ـ كفاس وتطوان ـ بأساليب متميزة في الأداء أفضت إلى نشوء مدارس فنية لها خصائصها الذاتية، وهي مدارس أفرزت ـ وما تزال ـ عطاءات غنية تشد الموسيقى الأندلسية إلى أصولها، وتؤكد في ذات الوقت قدرتها على معاصرة أحدث أنماط التأليف الموسيقي.

مكناس **عبد العزيز بن عبد الجليل**

28) دليل مؤرخ المغرب الأقصى ـ بن سودة ـ رقم 2066.

صفحات من مخطوط "المفاخر العلية" لعبد السلام اللجائي عن النشاط العلمي بفاس خلال القرن التاسع عشر

تقديم: محمد المنوني

ظهر أيام السلطان الحسن الأول مجموعة من المؤلفات عن الدولة العلوية، وكان بينها كتاب «المفاخر العلية والدرر السنية في الدولة الحسنية العلوية»، من تأليف أحد أعلام فاس : اللجائي : عبد السلام بن محمد الحسني العمراني، المتوفى عام 1332 / (1914)، فرغ من تأليفه يوم 9 شعبان 1305 / (1888)، بعدما اشتغل فيه خلال السنة نفسها.

وقد صنفه في عشرة أبواب، وخصص الباب التاسع لأيام الحسن الأول، وبين الموضوعات التي تناولها عن عصره، فصل جعل عنوانه هكذا : «علماء مولانا الحسن وقضاته بحضرتي فاس ومكناسة الزيتون، وعلماء أبيه وجده وصلحاؤهم».

وكعمل المؤلف في سائر الكتاب : خلل هذا الفصل بالاستطرادات، فعمد أستاذ مهتم إلى تلخيص هذا وتهذيبه ومعه معظم الكتاب، وكان المنوه به هو العالم أحمد بن محمد النميشي الحسني الفاسي، المتوفى عام 1386 / 1966، حيث أثبت تلخيصه للكتاب في كناشة له بالخزانة العامة رقم 351 ك، بينما يحفظ الأصل من «المفاخر العلية» في نسختين بالخزانة الحسنية : 460، 3070 ز.

وفي الواقع جاء هذا التلخيص يعبر عن حس ذكي لصاحبه، وقد كان من جيل المتطلعين للبحث التاريخي، وهو مؤلف «تاريخ الشعر والشعراء بفاس»، وله جملة من المقالات والأشعار الناطقة بغيرته وحيويته.

وسنتخير من «ملخصات المفاخر العلية» معظم الفصل المشار له، وأهميته أنه يرسم صورا لامعة عن المجتمع العلمي بفاس خلال القرن 19، فيتتبع أسماء العلماء وأنسابهم ووفيات بعضهم، ويقدم تفاصيل عن اختصاصاتهم وأشياخهم وطلابهم ومؤلفاتهم، كما يحدد كتب الدراسة وطبيعة الدروس وأخلاق الأساتذة، مع تبريز قناعة جماعات منهم ورفضهم لولاية المناصب.

ومن جهة أخرى : يشير لأسماء العلماء أعضاء المجالس الحديثية بحضرة السلطان مولاي عبد الرحمن وبعده.

مع تفاصيل عن قضاة فاس ونوابهم في الفترة ذاتها.

إلى أخبار عن النشاط الدراسي لعلماء تلمسان الوافدين على فاس بعد أزمة الجزائر، ثم ملامح من تعاطف بعض العلماء مع زملائهم المهاجرين.

ويزيد في أهمية هذه الصفحات من «المفاخر العلية»، أنها تنفرد بمعلومات جمة عن الحياة العلمية المنوه بها.

هذا إلى أنها تستوعب أشياخ المؤلف، فتسد ثغرة من ترجمته التي لم تدون بصفة وافية.

غير أنه يلاحظ على المؤلف أنه اهتم في عروضه بالعلوم الشرعية واللسانية، وأهمل الإشارة لحركة الرياضيات والفلك.

كما أنه يسجل - أحيانا - بعض الغرائب والخوارق دون أن ينقدها، وأيضاً لا يدقق تواريخ بعض الوفيات، وقد يغلط في بعضها.

☆ ☆ ☆

أما عملي في تقديم هذه القطعة، فقد اجتهدت في تصحيح نصها جهد الإمكان، وحال دون التعليق عليها زحمة وقت صدور المجلة.

غير أني أتبعتها بملحق تتكامل به رؤية المجتمع العلمي بفاس في الفترة ذاتها، وبهذا لم يبق إلا أن نقدم نص القطعة...

وقد بدأها المؤلف بذكر القاضي مولاي محمد فقال فيه : إنه من شرفاء مدغرة، وأنه كان قاضياً لمولاي الحسن ولأبيه وجده قبله، وأنه توفي في رمضان سنة 1300 وحزن الناس عليه، وأنه كان يحفظ المختصر والتحفة والزقاقية والعمل المطلق والعمل الفاسي وجمع الجوامع ومختصر القزويني، ونقل أنه قيل لمولاي محمد لم لا تحكم وتفصل ؟ فأجاب بأنه نص ابن أبي رحال على أنه إذا كثرت بينات الفجور ينبغي للقاضي أن لا يحكم، عسى أن يصطلح المتداعيان.

واستخلف في سفره للحج سيدي الحبيب العلوي وكان ساكنا بمكناس، ثم لما رجع مولاي محمد لفاس توجه سيدي لحبيب للصحراء، وفي بعض أسفاره استخلف العدل سيدي محمد بن طاهر العلوي وكان من عدوله وتوفي، ثم استخلف في سفر له أيضا العلامة الحافظ السيد التهامي الورياجلي، واستخلف أيضا العلامة السيد أحمد بن شيخ الجماعة الفقيه ابن عبد الرحمن، ولما جاء من سفره تركه خليفة له.

ولما توفي مولاي محمد ولى مولاي الحسن قاضيين : السيد أحمد هذا، والثاني الفقيه العلامة المدرس السيد حميد بناني، وكان قاضيا بطنجة فنقله لفاس وأمره بالحكم بمقصورة الرصيف.

وأول من جعل قاضيين بفاس السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن، وذلك أن مولاي محمد طلب منه من يعينه، فعين لذلك أبا حفص السيد عمر الرندي، فضيق على أهل الفجور وضاق الناس من شدة أحكامه، وقبض على جماعة من الفقراء المشتغلين بالرقص والسماع، ثم وقع في الساعة 10 من يوم الإثنين ثامن عشر حجة عام 1286 مرور بعض فقراء درقاوة بأسواق فاس وحوماتها يذكرون الهيللة ومعهم خدمة المحتسب الحاج المهدي

بناني يحمونهم من مريد القبض عليهم، ووصلوا إلى قرب دار القاضي الرندي وأقاموا حلقة الذكر، ولما فرغوا رجعوا يذكرون الله على عادتهم.

ولما توفي الفقيه السيد أحمد بن عبد الرحمن بقي القاضي السيد حميد وحده يحكم بفاس نحو العامين، ثم في جمادى سنة 1305 تولى خطة القضاء الشريف البركة العلامة النحوي الأصولي البياني المحدث الفقيه المحقق المدرس مولانا الهادي، ابن الشريف البركة العلامة الفاضل مولاي أحمد الصقلي، وكان مولاي أحمد هذا معظما عند كبراء أهل فاس، وكان محترما عند السلطان مولاي عبد الرحمان، ولما حج مولاي أحمد وجه معه مولاي عبد الرحمن بعض حوائجه لتزويرها، ولما ولي السلطان مولاي الحسن سيدي الهادي خطة القضاء نفذ له إمامة مسجد الأبارين، وكانت قبله للفقيه القاضي السيد أحمد بن عبد الرحمن، وكانت قبلهما للقاضي مولاي محمد.

ثم ذكر أن من أشياخ مولاي محمد : الفقيه ابن عبد الرحمن، وذكر أنه كانت له وجاهة عظيمة عند الحكام، وأنه كان يضرب به المثل في العلم فيقال هل أنت الفقيه ابن عبد الرحمان، وأنه لا يقرأ أحد وقت قراءته إلا الفقيه السيد محمد المكناسي مع نحو 10 من الناس، وأنه أول من أظهر حاشية الشيخ بناني على الزرقاني، وأول من أقرأ المختصر قراءة بحث وتحقيق.

واستطرد أن سيدي عبد السلام اليزمي كان يقرأ في المختصر في زمن قريب، وأنه سمع من الفاضل البركة العلامة المسن سيدي عبد الكبير بن المجذوب الفاسي يقول : قرأت على سيدي عبد السلام سلكة في المختصر بجامع الأندلس في 40 يوما، كان يجلس قبل الشروق إلى الظهر، ومن بعد صلاة الظهر إلى العصر.

ومن أشياخ مولاي محمد : سيدي عبد السلام بوغالب، قال إنه عرض عليه قضاء صفرو فامتنع، وأجبر على ذلك بإزالة ما بيده من الوظائف ففر، قرأ على سيدي حمدون بن الحاج والزروالي وابن منصور، وذكر أنه ختم عليه قراءة جمع الجوامع بالقرويين في رجب سنة 1276، وقال طلبت منه قراءة جمع الجوامع وكان يدرسه سيدي الوليد العراقي فامتنع، وقال لا اشوش عليه، وكان زاهدا ورعاً يحمل أموره من السوق بيده !! ومن طلب أن يحمل عنه ردّه، وكانت داره مهدمة الحيطان، وبيته الذي يسكن فيه كثير التراب، ولا يكلمه أحد في داره، وإذا جاء في الليل وضعت له جاريته شيئا من الطعام، فربما أكل شيئا وربما بقي ذلك إلى الصباح!! وكان يترك ثيابه متسخة، وكان يجلس بباب مدرسة العطارين ويرى الناس كأنه يفلي ثيابه، ولعل هذا أصابه بمخالطة الولي سيدي المكي الجباري، وعينه مولاي عبد الهادي لقراءة البخاري بمجلس مولاي عبد الرحمان، فلما قام من حضرته جعل يلتقط النوار بمرآ منه فعلم أنه تجاذب فعذره.

وذكر أن رجلا أتى من المدينة المنورة فاحتفل به أهل فاس وصاروا يستدعونه لمحلاتهم، وفي بعض الاحتفالات حضر سيدي عبد السلام بوغالب فقال لذلك المدني لما خرجت من المدينة ؟ فقال خرجت لزيارة الأولياء، فقال له إن المدينة كالكير تنفي خبثها، فبهت الناس وتأثر صاحب الاحتفال، ثم إن الرجل المذكور توجه للمدينة فمات في الطريق.

ومن أشياخ سيدي عبد السلام بوغالب العالم العامل الولى الصالح الورع سيدي محمد بدر الدين الحمومي الحسني كما كان يكتب ذلك بخطه، كان متبركا به ساعيا في قضاء حوائج المسلمين، معظما عند السلطان مولانا

سليمان، مر يوما هذا السلطان بجامع الأندلس فسمع تدريس العلم، فسأل عمن يدرس ؟ فقيل له طالب من طلبة الجبل يقال له السيد بدر الدين، فقال السلطان للقائل : بل الشريف العالم، وأمره بتدريس العلم بالقرويين، وكان يؤم بمسجد الأبارين، وتقصده الناس للاستجداء لأنه كان كثير الصدقات، وكان معظما أيضا عند السلطان مولاي عبد الرحمان، وله تآليف منها شرحه على الشمائل، وشرحه على المرشد، وتقاييد ورسائل ونظم كثير، ورسالة في الأتاي، وعمر طويلا واحدودب وكان يؤم محدودبا.

قال سيدي عبد السلام الجاءي المنقول عنه، وكنت أزوره وأنا صبي وكان يدعو لي بالفتح.

ومن أشياخ بوغالب أيضا الفقيه العلامة المشارك المحدث أبو العباس المرنيسي، من قبيلة مرنيسة برأس ورغة من مدشر منها يقال له الكدية، كان مشاركا في علوم، ومعتكفا على تدريس الألفية ختمها ما يزيد على 36 ختمة، ولما توفي سيدي بدر الدين أعطيت له إمامة الأبارين، فكان يأتيه قبل طلوع الفجر ولا يذهب إلا بعد العشاء، ويدرس الألفية، ويقرأ الصحيح بين العشائين، ويدرس المختصر بالقرويين، وكان منزله مأوى الأرامل والأيتام، وله حاشية على المكودي، وأخرى على شرح التلخيص، وله دين متين، توفي يوم الجمعة 17 صفر سنة 1277 ببيت بالجامع المذكور، وحمل لداره ودفن بالزاوية الدرقاوية بسويقة ابن صافي.

ومن أشياخ بوغالب القاضي مولاي عبد الهادي، ذكر أنه ولاه إمام وقته مولاي عبد الرحمان قضاء سجلماسة ونواحيها، ثم نقله للقضاء بفاس وصهره ببنته المولاة خديجة، وأنه ختم البيان والتحصيل ختمات 18، والمعيار مرارا لا تحصى، وكان على كبر سنه لا يترك تدريس البخاري بداره،

ويحضره خاصته من أهل العلم، شرح جامع الأصول شرحا لا يأتي له الزمان بمثال،وصاهر القاضي مولاي محمد بينته.

ومن شيوخ بوغالب العلامة المحقق المتقن لمختصر خليل، والمداوم على تدريسه بالقرويين، سيدي محمد الداودي التلمساني، ولما دخل العدو مدينة تلمسان سنة 1257 خرج منها علماء أجلة، منهم الداودي هذا، ومنهم سيدي محمد بن عبد الله المجاوي، ثم قال : وأخبرني بعض الثقات أنه كان يعتني بالصورة الأولى من صور درسه للمختصر دون ما عداها، ومن شيوخ بوغالب سيدي محمد بن سعد التلمساني، كان فقيها خيرا...

ثم رجع لذكر شيوخ القاضي مولاي محمد فقال : ومنهم العلامة المحقق المشارك الأديب، أبو الحسن علي بن إدريس قصارة الحميري، أخذ عن أبي عبد الله محمد اليازغي، وأبي بكر النسب، واليزمي، وأبي العباس ابن الشيخ التاودي، وسيدي حمدون بن الحاج، ولقي مولاي العربي الدرقاوي وأخذ عنه، وكان له مجلس لتدريس الألفية، وكان يقرر كلام التوضيح والأزهري، ويقرأ من 6 أبيات إلى 8، وكان مولاي محمد يلهج بذكره، له حاشية على توضيح إبن هشام، وأخرى على شرح السلم، وأخرى على شرح بحرق للامية، ونقل له كثيرا من الأشعار في مدح سيدي محمد بن عبد الرحمان حياة والده، ومدح مولاي ادريس وسيدي أحمد التجاني وغيرهم، ولكن لم يرق لي شيء منها فتركت نقلها، توفي بعد عشاء ليلة الخميس في سنة 1259، ودفن خلف ضريح سيدي رضوان بالقباب.

ثم قال : وممن كان من العلماء وقت هذا الشيخ : قريبه سيدي محمد الضرير، وكان عدلا بالسماط فمر عليه شخص فوجد أناسا واقفين بباب دكانه، فقال كأن هذه الحانوت حانوت لبان، فأصيب الشاهد في عينه بداء لازمه إلى أن فقد بصره.

ثم قال : ومن أشياخ مولاي محمد : الشيخ العلامة المطلع الحامل للمذهب، يعني السيد علي التسولي صاحب شرح التحفة، قال حدثني ولده السيد أحمد أنه نسخ من نسخة المؤلف ما يقارب 200 نسخة، وله أيضا النوازل في أسفار أدخل فيها تآليف عديدة لا حصر لها، ومنها شرح الشامل وقد كان ابتدأ شرحه سيدي محمد بن هنوا، وله حانوت محبسة عليه، ومنها حاشية الزقاقية، وأجوبة لمحيي الدين، وتولى خطة القضاء ثم عزل، وكانت بينه وبين سيدي محمد الكردودي الآتي وحشة عظيمة، وكان يتولى خدمة بستانه بنفسه، وجاءه إنسان يستفتيه في نازلة وكان القاضي مولاي عبد الهادي نهى العلماء أن يكتبوا له على رسم، فلقنه نصوص الأئمة حتى حفظها، فلما دخل على مولاي عبد الهادي صار يملي عليه النصوص فحكم له بها، وكان إذا دعي لولية يسأل الداعي النائب عن صاحب الدعوة هل عينه في جملة المدعوين ؟ فإن قال له عينك ذهب وإلا فلا، وكان يتجر في آلات الحرب، وكان يلبس الملف ويجعل جلابة بونداف تحته مما يلي جسده، وكان يواسي أهل تلمسان الذين جاءوا فارين منها بعد الاستيلاء عليها، وعمدته في الفقه المفتي ابن ابراهيم الدكالي، الذي له أولاد مشهورون بالسبع لويات، فقد كان يلازمه ملازمة الظل للشاخص، فكان يأتيه عند صلاة الصبح ولا يذهب إلا بعد صلاة العشاء.

ومن أشياخ مولاي محمد : الشيخ الأكبر، المحقق لجميع العلوم، ذو الكرامات العديدة، أبو محمد صالح البخاري، جاء من ناحية المشرق لحضرة السلطان مولاي عبد الرحمان فأكرمه إكراما عظيما، وأنزله بحديقة السيد محمد بن البدوي برادة، وصار أهل العلم يتواردون عليه لأخذ العلم، منهم مولاي محمد المذكور، قال : حدثني أنه سمع منه.

لقـاء النـاس ليس يفيـد شيئـا سـوى الهـذيـان من قيـل وقـال
فـاقلل من لقـاء النـاس إلا لأخـذ العلم أو إصـلاح حـال

وقال : حدثني ممن كان يخدمه أنه كان يغلق عليه الأبواب ويأخذ هذا الخادم المفاتيح عنده، ثم يجده ليلا في العرصة يذهب ويجيء وهو يقول حي قيوم يكرر ذلك طول ليله، وكان طبيبا ماهرا وحكيما كبيرا، وعلم بعض الآخذين عنه الكيمياء فصنع هذا الآخذ ذهبا خالصا من ذهب وعقاقير وأرسله للصيارفة فاعترفوا أنه جيد وكان هذا الآخذ عالما، وتوفي رحمه الله بالمدينة، ولما أغناه الله وصار يجد قوت عياله ترك استعمال هذه الصناعة، لكونه وجد فيها عظيم المشقة وقليل النفع، وفي اليوم الذي خرج من فاس قدم سيدي عبد الكبير بن المجذوب الفاسي من زيارة مولاي عبد السلام بن مشيش، فلما علم سيدي الكبير سفر سيدي محمد صالح خرج طالبا له ليودعه، فلحقه بالضويات وقال له ذهبت فاعتذر الشيخ بأن زوجته كانت اشترطت عليه الرجوع بها فسافر وفاء لها، وتوفي بعد ذلك بقريب.

ومنهم رئيس المحدثين في وقته الشريف سيدي الوليد العراقي، كان إماما بالضريح الإدريسي، وكان يقرأ به صحيح البخاري قراءة لا مثيل لها، وكان الناس يتعجبون من شدة معرفته للرواة وأسمائهم وأنسابهم، وكان صوفيا فاضلا، سئل عن أصحاب مولاي العربي الدرقاوي فقال : «يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما».

ومنهم الشيخ العلامة المحقق النحوي البياني الأصولي سيدي محمد الكردودي، كان لدرسه رونق كبير، وكان في درسه لا يحرك يدا ولا غيرها، وله تآليف، وكان متولياً قضاء طنجة ثم تأخر عن ذلك.

ومن أشياخ مولاي محمد ـ وهو ممن أخذ عن أبي محمد صالح ـ شيخنا العلامة النحوي مولاي هاشم العلوي، كان يدرس بالقرويين مختصر خليل والألفية والقزويني والسلم، وله حاشية على شرح السعد، وحضرت ـ والحمد لله ـ دروسه كلها، ثم توجه لحضرة مولاي عبد الرحمان بمراكش فعظمه وأكرمه وصار يدرس هناك، فكان يحضر مجلسه ما يزيد على الخمسمائة طالب، ولما خرج من مراكش متوجها لبلده خرج معه جل أهل البلد لتوديعه، وفيهم خطيب السلطان سيدي علال الفاسي، ثم نقل عنه نص ما كان أملاه على حديث إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث، مبيناً أن الحصر في الثلاث غير مراد، وتوفي بداره بالصحراء.

ثم قال وممن أخذ عن شيخنا إبن عبد الرحمان : شيخنا المحقق المشارك قاضي مكناس سيدي محمد المهدي ابن سودة لما مات قاضيها سيدي العباس ابن كيران، وكان يقرى صحيح البخاري بحضرة مولاي عبد الرحمان، فتولى سيدي المهدي مكانه، ولما توفي مولاي عبد الرحمن أبقاه ولده سيدي محمد على حاله، وذهب للمشرق ولقي علماءه ودرس بحضرتهم وشهدوا له بالتحقيق، وكانت له أخلاق طيبة، وافتتح قراءة التفسير بجامع القرويين فحضر مجلسه ما لا يعد، ثم بعد أيام قلائل تأخر عنه بأمر سلطاني، ومع هذا فقد سمعت الشريف الورع القاضي مولاي محمد يقول : إن قراءته لا تحمل البحث، ويظهر من نظم هذا الشيخ ونثره المتقدمين أن نظمه أحسن من نثره، كما يظهر لمن سمع كلامه حسن خلقه وسعة صدره، وله رحمه الله :

أشغل النفس بالسماع لترقى لبساط الحبيب حبا وشوقا
وأزل بحديثهم ران حجب يضمحل السوى عن القلب حقا
شنف السمع بالحقيقة جمعا حاكم الحب لا يجوّز فرقا

وله تآليف منها حاشية جليلة المقدار على الخرشي، وتأليف في اللغة اشتمل على نحو 200 كراسة، وحاشية المنطق، وحاشية على رسالة العضد، وتعليق على بعض الآيات في سفر، وله عدة أشياخ منهم شيخه ومفيده سيدي عبد القادر الكوهن.

وشيخه هذا قرأ على شيوخ : منهم سيدي عبد القادر بن شقرون، وسيدي أحمد بن سودة، وسيدي الطيب بن كيران، وصحب شاذلي وقته مولاي العربي الدرقاوي، وكان يشنف بمناقبه الأسماع، ويبجل صحبه من الأتباع، ولسيدي عبد القادر هذا شرح على مدخل ابن الحاج، وله النجم الساري في ختم البخاري، مات بعد الفراغ من حجه سنة 1255 ودفن بالبقيع الشريف، وكان مولاي عبد الرحمن اصطفى سيدي عبد القادر لإقراء الحديث بحضرته حين توفي سيدي التهامي الحمادي المكناسي سنة 1248، ولما توفي سيدي عبد القادر هذا اتخذ مكانه السيد العباس ابن كيران، ولسيدي المهدي في شيخه الكوهن المذكور :

حلت سليمى على رغم العدا سحرا   بعد ازورار أتت تزور نادِينَا
نديمنا دع كؤوس الأنس مترعة   رشف اللما من سليمى عنها يغنينا
أعني به الشيخ عبد القادر العابد   الذي إلى حضرة القدوس يدنينا
العالم العاقل الحبر السري الذي   بعلمه وبحاله يربينا
شمس الأنام فمن بحر الشريعة والحـ   ـقيقة الفائض الزلال يسقينا
يارب بالمجتبى المختار من مضر   محمد المصطفى طه وياسينا
نفع جميع الورى بعلمه ابدا   ويرحم الله عبداً قال آمينا

ومنهم شيخه الفقيه العلامة سيدي الحسن بن فارس الحسني، بيتهم بيت انتساب للشرف وانتماء للمروءة، كان متضلعا في علم النحو يدرسه من

غير مطالعة لاستحضار قواعده، وكان شيخ الجماعة في وقتـه، قرأ على سيـدي عبد القادر ابن شقرون والطرنباطي وسيـدي عبـد الكريم اليـازغي الزهني، ولاه مولاي عبد الرحمان قضاء فاس الجديد.

ومنهم شيخه العلامة القاضي سيدي العربي الزرهوني، كان لسانه لسان أدب، وقلمه أحلى من الرطب، وأخذ عن القطب مولاي العربي الـدرقـاوي، وتوفي بالصويرة سنة 1259.

ومنهم شيخه سيدي عبـد السلام الأزمي ينتسب بخطـه للشرف، وهو قلم الصدق ولسان التقوى، قرأ بمـازونـة، ثم لمـا سمع بموت أبي حفص والمحشي بناني اغتم وقال : لم يبق بفاس إلا الشيخ التاودي وربما لم أدركـه، فرءاه في المنام وهو يقول له يا عبد السلام لا يزال عمري طويلا، فلما استيقـظ تهيـأ للسفر لفاس فأدرك الشيخ التاودي وقرأ عليه ما يزيد على العشرين سنـة، وقرأ أيضـا على سيـدي عبـد الكريم اليـازغي، وكان يختم مختصر خليل سردا في أيام العواشر دائما، وله شرح الأربعين، توفي سنة 1241.

ومنهم شيخه قاضي حضرتي فـاس ومكنـاس العلامـة الشريف سيـدي أحمد بن عبد الملك، ولاه مولاي عبد الرحمان قضاء فاس فسار سيرة حسنة، ثم رده لمكناس متولياً قضاءها، ومات بها بعد 1240، ودفن وأخرج من قبره بعد سنين فوجد كأنه دفن في حينه، وهو صاحب البيت :

وقـول سحنـون بـــه العنقـــــاء   طــــارت فلم يبـق بـــه قضــــاء

عارض به بيت التحفة.

وقـول سحنـون بـه اليـوم العمـل   فيما عليـــــه مجلس الحكم اشتمــــل

ومنهم شيخه سيدي العباس بن أحمد بن التاودي، ولاه مولاي سليمان القضاء لما ضعف بصر والده، ثم تولى الفقيه ابن ابراهيم القضاء فولي سيدي العباس الفتوى وقصرها السلطان عليه، فكانت تقع بينهما مراجعات على ما هو معتاد بين المفتي والقاضي.

ومنهم شيخه العلامة الأديب سيدي العربي الدمناتي، قلمه أسحر للألباب من الغانيات، قرأ على سيدي أحمد بن التاودي، وسيدي حمدون ابن الحاج، وابن منصور، وحج ولقي أيمة وعقد لتلك الحجة رحلة، وامهرها للطالبين نحلة وأي نحلة، فهي كالأس بمدينة فاس، ثم سكن ثغر الصويرة إلى وفاته بها سنة 1253.

ومنهم شيخه العلامة سيدي محمد العلمي، قرأ على الشيخ الطيب وأهل طبقة، كان للزمان غرة، ولكن لم يكسبه الزمان شهرة، ولا ولاه أمره، بل ألبسه رداء الخمول فازداد في العلم ترقيا فكان من الفحول، توفي بعد الأربعين ومائتين وألف.

ثم قال وممن أخذ عن شيخنا سيدي محمد بن عبد الرحمن : شيخنا الفقيه العلامة الصوفي أبو حفص سيدي عمر بن الطالب بن سودة شقيق سيدي المهدي المتقدم، لما حملت أم صاحب الترجمة به رأت الولي سيدي قاسم بو عسرية «دفين أزغار، فأخبرها بأنها حاملة بذكر عالم صالح، فولدت سيدي عمر هذا، كان جميل الوجه ظاهر اليمن، قرأ القرآن على مؤدب يقال له السيد محمد الزروالي وكان صالحا مكاشفا، قال له مرة وهو لازال في المكتب : إنك تكون صوفيا عالما يغلب جذبك على سلوكك، ولما حضرته

الوفاة صار الناس يذكرون بحضرته الهيللة فأنشدهم :

قد هللوا عند الممات نصيحة وغدوا يذكرني عهود احبتي
فأقول هل أنسى عهود حماهم وبهم قيامي في الوجود ونشاتي

وقوله يذكرني فيه حذف الضمير المرفوع على الفاعلية، ولو كان فغدا يذكرني أي المهلل لاستقام، قال شيخنا سيدي المهدي أخوه : ثم قال لا إلاه إلا الله محمد رسول الله فكمل الشهادة أولا، ثم ختم بشهادة الألوهية. ثانيا، جمع بين أقوال العلماء في حملهم حديث من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة، وحديث لقنوا موتاكم لا إله إلا الله، هل بتمامها أي الشهادتين معا أو الأولى فقط، وما قلناه من الجمع على الوجه المذكور في ذكرهما معا ثم يعيد الشهادة بالألوهية فقط ويقتصر عليها : هو الذي ذكره الأبي والقسطلاني وغيرهما، انتهى من خطه رحمه الله.

وكان صاحب الترجمة عزم على زيارة النعل الشريف بدار الشرفاء الطاهريين الحسينيين بمصمودة، ومن زار هذا النعل يكون حمامه فورا لا يكمل السنة طبق ما جرت به العادة الإلاهية، فأخبر بذلك لما أراد الزيارة فلم يصرفه صارف، وقال طابت نفسي أن أقبله وأموت عنده عاجلا، فلما دخل إلى المحل الذي فيه النعل الشريف أكثر من البكاء وتعفير خده بالتراب. وبل به دموعه حتى ظنوا أنه قد خرجت روحه، ثم بكى وأنشد :

إن كان سفك دمي أقصى مرادكم فما غلت نظرة منكم بسفك دمي

ثم لم تمر عليه إلا أيام قلائل وتوفي سنة 1285.

وممن أخذ عن شيخنا ابن عبد الرحمان : شيخنا العلامة الحافظ سيدي محمد الحمادي الشهير بالمكناسي، وعمدته أخوه الشيخ العلامة الحافظ الناظم

الناثر سيدي محمد التهامي بن الولي الصالح سيدي الحمادي، قال شيخنا سيدي المهدي ابن سودة : سمعت من سيدي التهامي أنهم من العرب، إلا أن بعض سلفهم سكن بآيت حماد الذين هم بطن من قبيلة بني مطير على نصف مرحلة من فاس.

كان سيدي التهامي من العلماء العاملين، قرأ على سيدي أحمد بن التاودي، واليزمي والزروالي والشيخ الطيب، وولي قضاء مكناس أيام مولانا سليمان، وقضاء مراكش بعد 1240، ثم جعله مولاي عبد الرحمن قارئ البخاري بحضرته.

ومن خط شيخنا سيدي المهدي ابن سودة ما نصه : كنا ذات يوم دعونا سيدي التهامي المكناسي مع الفقهاء سيدي عبد القادر الكوهن والسيد العباس بن كيران والسيد العربي الزرهوني والسيد عبد الواحد ابن سودة لنزهة كان السلطان مولاي عبد الرحمان أعطى لنا مالا لها، فلما أخذوا في الأكل وأنا معهم فكسرت لهم اللحم وهيأته لهم، فقال لي البعض كل أنت لا تشغل نفسك كثيرا بالتقطيع، فقال الفقيه سيدي التهامي :

إن الأسود أسود الغاب همتها   يوم الكريهة في المسلوب لا السلب

فأجابه ارتجالا الفقيه عبد الواحد :

ليست مقاصده غير انبساطكم،   وإن بسطتم فذاك غاية الأرب

مرض سيدي التهامي بمراكش فأرسله مولاي عبد الرحمان اعتناء به لداره بفاس، فلما وصل للرباط اشتد مرضه عليه ودخل عليه خادم له وهو يجود بنفسه فأنشده سيدي التهامي :

وما المال والأهلون إلا ودائع

البيت، ثم تشهد ومات سنة 1251، وكان شيخنا سيدي محمد المكناسي حافظا متقنا.

ولما مات شيخنا ابن عبد الرحمان رجعت الطلبة إليه، وكبر مجلسه حتى صعد على كرسي، وكان يقرئ بالعنزة، وكان جميل الهيأة لا يلبس إلا الثياب الرفيعة، وتوجه للحج سنة 1282 ومات هناك رحمه الله.

وممن كان في طبقة شيخنا هذا ومصاحبا له : شيخنا سيدي محمد التازي الملقب بمسواك، كان نحويا يقرأ الألفية، وكان يبحث معه طالب بقواعد المعقول فقال له يا ابن كذا : أما قلت لك أنا لا أعرف الأصول فلا تحشمني مع الطلبة معترفا بالحق.

وممن أخذ عن شيخنا ابن عبد الرحمن : الفقيه العلامة الحافظ للمتون، المعتني بمسائل العلم، المستحضر لقواعده، من فاز بخدمة الأمير مولاي الحسن وأبيه وجده : سيدي عبد الرحمن الشرفي، وله في التأسف على العلم :

أرقت وما حب الغواني مُورقي ... ولا هجر حب بالتباريح مقلقي
ولكن لفقد العلم آسي وإنني ... إلى الله أشكو ما لقيت وما لقى
فقد كان مثل الروض مذ جاده الندا ... تصوب فيه العين طورا وترتقي
وقد كان مثل الشمس منتشر الضيا ... على الناس في غرب البلاد ومشرق
فأصبح قفرا موحشا مقشعرة ... نواحيه من بعد أزدهاء ورونق
وهبت عليه ريح جهل فمزقت ... أيادسبا أشلاء كل ممزق
ألاسعد ياتيه فينفي خموله ... كما قد نفى الأعشا خمول المحلق
عجبت لقوم عشعش الجهل فيهم ... وأفرخ حتى صار فيهم كموثق
تصدّوا لتدريس العلوم وإنها ... لفي يدهم مثل الأسير الموثق
فمنهم فنيت اليوم حزنا فصرت مثـ ... ـل ريح جرت في مثل بيت الخورنق

ومن فئـــة غلف تسمـو بعصرنـــا نحـاة ومـــا إن تعرف اسم الفرزدق
ومـا هــالني مثـل امرئ نصبت لــه كراسي مهما يـدنـو منهـا تشقـق
جهـول غـدا يقري حـديث محمـد وليس لـــه علم يفيــــد فيتقي
يقول اقتدت زرقـاء بـالأحمـد الـذي جـلا الطرف منهـا بـالنبي المصـدق
ونـأي زمـان المصطفى من زمـانهـا بقـدر تنـاءي جـاهـل من محقـق
لئن صير الـزرقـاء مسلمــة لقــد أراه إلى طــــود من الكفر يرتقي
فيـارب غـاض العلم من بحر فيضـه وأوقص ظهر العلم من بعـد مـا وقى

وفي قصيدته هذه أبحاث لا تخفى، وتولى هذا الفقيه خطة الحسبـة، ثم رجع للكتابة في خدمة الأمير سيدي محمد.

وممن أخذ عن شيخنا سيدي محمد بن عبد الرحمان : العلامة البركة أبو مروان عبـد الملـك الشريف العلـوي الضرير، يـدرس بـالقرويين الفقـه والأصول، وله أوصاف حميدة، وهو الآن ـ سنة 1305 ـ حي بارك الله فيه.

وممن أخذ عن القاضي مولاي عبد الهادي : أبو عبد اللـه سيـدي محمـد بن العلامة المدرس السيد علي الميتوي، أخذ عنه النحو جماعة من المـدرسين، منهم الفقيه جنون، وآخراً : الفقيه النحوي السيد عبد الله بناني، ونفع اللـه بالسيد عبـد اللـه هـذا مـا لا حصر لـه من الخلق، بـارك اللـه فيـه، ولقيني صـاحب الترجمـة مرة فقـال أين الإسم والخبر في قـول اللـه فما زالت تلـك دعواهم، فقلت لـه تلـك هو اسم زال ودعواهم خبرهـا، وقـد نص في التسهيل على أن الأصـل تقـديم المرفـوع على المنصـوب مطلقـا، فنشـط وفرح وحلف يمينا قال فيها إن فلانا لا يهتـدي لهـذا، ولقيني وقت تـأليفي لهـذا الكتـاب

سنة 1202 وقد تولى بعض المدرسين القضاء، فقال لي والله ليحق لك أن تنشد :

أضاعوني وأي فتى أضاعوا

وهذا من سماحة صدره وطهارة سره، وتوفي بعد هذا بيسير.

وممن أخذ عن مولاي عبد الهادي ولده الشريف الوجيه الخير الفاضل العلامة الناسك المتواضع، المحب للمساكين، والمتبرك بالمنتسبين، والساعي في حوائج المستضعفين، التارك للحضور في الولائم واستبدالها بحضور الجنائز، أبو العلاء مولاي ادريس، حج مرارا، وفعل أنواعاً من الخيرات، وهو الآن سنة 1305 حي بارك الله فيه، وقرأ على سيدي عبد السلام بوغالب والفقيه إبن عبد الرحمن والمرنيسي وكلاًّ، وقرأ مدة طويلة على الفقيه العلامة المسن السيد محمد بن الخضر المعسكري، وقرأت أنا عليه أيضا فرائض خليل، وتوفي بعد التسعين والمائتين وألف.

وممن أخذ عن سيدي الوليد العراقي المتقدم الذكر : الشريف العلامة سيدي أحمد النسب، تولى الإمامة والخطبة بالضريح الإدريسي بولاية القاضي مولاي محمد، وكان يرفع صوته بالتكبير كثيرا وقد أصاب، وكان إذا دخل إنسان وهو يخطب وافتتح الصلاة صاح عليه اجلس اجلس، وهذا خطأ، قال الزرقاني عند قول خليل «وقطع محرم في وقت نهي، ما نصه : وشمل قوله محرم إحرامه فيه عامدا أو ساهيا أو جاهلا ثم تذكر وعلم فيها بأنه وقت نهي، وهو كذلك في سائر الأوقات، إلا من دخل يوم الجمعة والإمام يخطب فأحرم بنفل جاهلا أو نسيانا «فلا يقطعه لقوة الخلاف في أمر الداخل والإمام يخطب، بخلاف غير الجمعة» إلى آخره، ثم قال : وكان

يدرس المنطق والبيان والأصول، وله أتباع يشهدون له بالتحقيق، توفي بعد 1290.

ومن أخذ عن سيدي محمد الكردودي وسيدي علي قصارة وابن عبد الرحمان : شيخنا العلامة الحاج محمد التلمساني، انتفع به ناس كثيرون، توفي في نحو التاريخ قبله، ولنا معه رحمه الله مذاكرات.

ومن أخذ عن هؤلاء : الفقيه المدرس الشريف سيدي أحمد السريفي العلمي، درس بالقرويين النحو والبيان والفقه، وكان يعتكف بالأندلس، وذهب للحج،وتوفي فيما يقرب من التاريخ قبله.

ومن أخذ عن ابن عبد الرحمن : الفقيه العلامة الواعظ سيدي محمد بن بوعبيد التادلي، كان موثقا بالطالعة، وشغله التوثيق عن التدريس، وكان له صوت حسن في الوعظ، كان يقرأ كتاب الأحياء بالقرويين قرب باب الصومعة، فكان يجتمع عليه لحلاوته وطلاوته خلق كثير، توفي نحو 1293.

ومن أخذ عن الشيخ التسولي والمرنيسي وابن عبد الرحمن وسيدي علي قصارة: العلامة المدرس المفتي النوازلي المطالع أبو الحسن سيدي علي بن محمد السملالي، وهو الآن أدام الله عمره حي، وربما أرسله مولانا المنصور لبعض البلاد لغرض.

ومن أخذ عن سيدي عبد السلام المتقدم : الشريف العلامة الصالح سيدي عبد السلام بن الخضر العمراني، من آل العارف الكبير مولانا عبد الرحمن الشريف العمراني دفين الجاية، حدثني أن الشيخ سيدي عبد السلام اليزمي أمر كبراء أصحابه أن يكتبوا حكم نازلة، فكتب سيدي عبد السلام بن الخضر هذا بعدما كتب غيره، فأمر الشيخ الآزمي أن تكون كتابة سيدي

عبد السلام هذا هي العليا، وكتابة غيره أسفل منها، وسمعته يقول : لِمَ يترك الناس الاستشهاد بكلام سيدي خليل ويستشهدون بالمعيار تاركين لما في المختصر ؟ وكان ضعيف البصر فشكا ذلك لبعض الأولياء فقال له إن لم تتول خطة القضاء ضمنت لك بصرك، فبقي بصره لا بأس به، وكان يقوم طرفا من الليل دائما وحده، وعرض عليه القاضي مولاي محمد قضاء مراكش فامتنع امتناعا كليا، توفي في نحو 1280.

ومن أخذ عن سيدي الوليد العراقي وابن عبد الرحمن ومن في طبقتهما : شيخنا الشريف العلامة المحقق المحدث أبو السعود سيدي عبد القادر العراقي، كان يدرس بالقرويين، وممن يحضر قراءة الصحيح بحضرة السلطان، وذهب للحج وتوفي في قفوله منه سنة 1289، وأخذ أيضا عن عمه المحدث البركة سيدي محمد فتحا، وهو محدث كبير، وكان يقرئ الألفية للعراقي، وتوفي سنة 1273، وسيدي عبد القادر هذا له تآليف منها حاشية على شرح التاودي للتحفة، وأخرى على المكودي، ودار سيدي عبد القادر دار علم، لانه من نسل العلامة المحدث الكبير أبي العلاء سيدي إدريس، ووجدت بخطه أنه عبد القادر بن العالم العلامة أبي القاسم، بن عبد الله المحدث، بن ادريس الحافظ، بن محمد فتحاً النحوي المدعو سيبويه.

وممن أخذ عن ابن عبد الرحمان : الفقيه الأديب الخير الفاضل السيد أحمد الوديني، وكان آية في الفهم والأدب، وطلب سيدي محمد بن عبد الرحمان من القاضي مولاي عبد الهادي أن يوجه له طالبا فوجه له هذا الفقيه، وكان سيدي محمد لازال خليفة إذذاك، فبقي في خدمته إلى أن توفي الفقيه بعده واقعة تطوان ورجوعها، رحمه الله.

وممن أخذ عن ابن عبد الرحمن ومن في طبقته : الفقيه العلامة سيدي محمد الصفار التطواني الوزير، استوزره مولانا عبد الرحمان وكذا ولده سيدي محمد كما استوزره مولاي الحسن.

وممن أخذ عن ابن عبد الرحمان : الفقيه النحوي الأصولي البياني الخير الفاضل المدرس الذي نفع الله به خلائق لا حصر لها : أبو عبد الله سيدي محمد الطيب، ابن العلامة المدرس المحقق أبي بكر، بن شيخ الجماعة سيدي الطيب ابن كيران، قال شيخنا سيدي المهدي بن سودة كما وجدته بخطه في ترجمة الفقيه العلامة سيدي العباس بن كَيران : «بيتهم بيت علم بفاس، وناسهم خير ناس، أهل الثروة والمروءة التامة، والأخلاق الكريمة المرضية العامة، ونص الترجمة المذكورة : ومنهم شيخنا الفقيه العالم العلامة قاضي مكناس سيدي العباس ابن كَيران، بيتهم بيت علم،إلى آخر ما تقدم، ثم قال : قرأ على أشياخ منهم : ابن عمه سيدي الطيب والزروالي، وابن منصور، وسيدي إدريس العراقي، وسيدي أحمد بن سودة، وحج وزار أيام مولانا سليمان، وكان يدرس بالقرويين المختصر والنحو والبيان والحديث والتفسير، قرأنا عليه النحو وقد انتفعنا فيه عليه، وحضرنا بعض مجالسه في الفقه فكان يأتي بالصور بادية للأفكار، مجتلية للنظار، يبديها لهم براحة فكره، وله تآليف وتقاييد، ولاه مولاي عبد الرحمن قضاء مكناس، وانتخبه لقراءة الحديث عليه في الأشهر 3 كل سنة، من سنة 1255 لما ذهب شيخنا الكوهن للمشرق، وأحيا بمكناسة العلوم أيام ولايته بها، وكانت جوانبه هينة لينة، والتقوى في جوارحه بينة، لا ينتصر إلا لله، ولا يشتكي من الضيق وبلواه، دائما بيّن البشاشة، ويظهر السرور في الزمان ما عاشه، وكان كريم المائدة، لا يغتاب أحدا ولا يذم وقتا.

ومن أخذ عن سيدي محمد الكردودي وبوغالب وابن عبد الرحمن : شيخنا الشريف الجليل، سيدي قاسم القادري، كان يدرس المنطق والبيان والأصول والنحو، وكان من الموثقين، صدره لذلك مولاي عبد الهادي، وكان يخطب بجامع عجيسة نفذها له أيضا مولاي عبد الهادي، وكان له مجلس بعد صلاة العصر بالقرويين يقرئ به البيان، رحمه الله، ولما توفي ولي ولده الشريف الجليل البركة سيدي محمد الخطبة المذكورة وصار يدرس، وهو من المدرسين نفعنا الله به.

ومن أخذ على من ذكرنا قبله : الشريف الجليل البركة الفاضل سيدي جعفر بن سيدي إدريس الكتاني، من سادتنا الشرفاء الكتانيين أهل الخير والفضل، كان أبوه سيدي إدريس من الموثقين بحضرة فاس، وسيدي جعفر من المدرسين ومن أهل الفتوى، وله اعتقاد كبير، وله ولد من المدرسين النجباء الفضلاء اسمه سيدي محمد حفظه الله.

ومن أخذ على من ذكرنا : شيخنا البركة سيدي أحمد بن سيدي محمد بن الشيخ سيدي حمدون بن الحاج، كان أبوه سيدي محمد عالما بالحديث والبيان والأصول، وكان موثقا بسماط العدول، وكان يقرئ البيان والحديث بالقرويين، وأخوه سيدي محمد الطالب كان قاضيا مدة طويلة بمراكش، ثم ولاه مولانا عبد الرحمان قضاء فاس حين مات مولاي عبد الهادي، وأدى عليه ديونا ترتبت بذمته أيام قضائه بمراكش، فتعجب الأمير مولاي عبد الرحمان من ذلك، وولاه قضاء فاس وبقي سنة ومات رحمه الله، فتولى محله القاضي مولاي محمد، ولسيدي محمد المتقدم ولد آخر كان عالما محققا مدرسا، انتفع به خلق كثير، وختم سلكة في المختصر بالقرويين، وتوفي رحمه الله تعالى، واسمه سيدي المهدي، وكان خيرا فاضلا طيبا جليلا.

ومن أخذ عن التسولي والمرنيسي والزرهوني وابن عبد الرحمان : الشريف العلامة البركة النوازلي سيدي محمد الغالي بن سيدي محمد المدعو حم من ءال مولاي عبد الرحمان الشريف العمراني، قال القصار : العمرانيون بالجبل ممن لا يطعن فيهم، ثم قال : ولأهل هذا النسب رسوم كتب عليها سيدي عبد الله العبدوسي بصحتها، وثبوت نسب من شهد له فيها، واتصاله بسيدنا الحسن.

كان صاحب الترجمة صالح الباطن، وفتاويه عمت المغرب كله أو كادت، تأتيه المكاتب من جميع البلدان، وتتوجه إليه الرسوم من جميع الجهات، وريء بعد موته فقيل له كيف كان سؤالك في القبر ؟ فقال لم أسأل !!! ورآه بعد موته الشريف البركة الخير الفاضل سيدي عبد الرحمن المدغري ليلة دفنه، فأخبره بأنه لقي خيرا من الله عز وجل، فجاء ذلك الشريف بنفسه لداره ليخبرهم بذلك، وطلب منه إنسان أن يكسوه لله تعالى، فدخل لزنقة وأزال قميصه وأعطاه له، وكان إذا قبض شيئا على الفتوى أعطى من كان معه جالسا.

وكان مرة مع الشيخ التسولي فجاءه إنسان وقال له أين نفعل البحيرة في هذه السنة ؟ قال الشيخ التسولي لذلك الإنسان إني أكرهك، لأني خسرت في البحيرة التي فعلتها معك، فقال له الرجل أما ربحت فيها خمسة عشر مائة مثقال، فقال له الشيخ خسرت فيها ضياع الأوقات واشتغال القلب بما يرجع إليها، فاطلب غيري فإني لا أعود إلى فعلها، أخذ سيدي الغالي المذكور عن سيدي محمد الحراق، وعن سيدي الحاج أحمد الغماري.

له شرح على الوثائق الفاسية إلا أنه ضاع، وله تأليف سماه «أبطال الشبه ورفع الالباس في الرد على من صوب في تقييده خطأ الناس»، وسببه

أن شيخه المرنيسي ألف تأليفا في ورقتين تكلم فيه على الذكر وحكمه وفضله وكيفيته وصفته وفائدته وعقوبة من أعرض عنه، وقال فيه : وقد سئل أبو أبراهيم المزني عن الرقص والطار والشبابة. قال هذا كله لا يجوز في الدين، ووجدت في آخر هذا التأليف هذا ما يسر الله جمعه على يد الفقير أحمد بن محمد بن علي المرنيسي، ثم كتب عليه أخونا وصاحبنا الفقيه العالم الناسك الخير سيدي محمد بن المرحوم سيدي عبد اللطيف جسوس ما نصه : هذا التقييد أعلاه وحوله في الورقتين المتصلتين : بناه صاحبه على سؤال أبي ابراهيم المزني بزعمه، والسؤال المذكور ليس فيه تعرض لذكر الله، وإنما فيه الرقص والطار والشبابة كما ترى، وكلامنا نحن في رقص الفقراء في حالة الذكر مجردا عنه، وإذا كان كذلك أي ليس إلا مجرد التصفيق والرقص والضرب بالأكف تارة وبالشبابة أخرى كما هو لفظه : فهذا إنما هو مجرد لعب ومسخرة وهتك لحرمة المسجد، فهؤلاء لا كلام لنا معهم، وفعلهم إنما هو سفه وقلة مروءة في غير المسجد، فأحرى في المسجد، فهذا خارج عما نحن فيه، فلا يقول مسلم بجواز فعل هؤلاء السفهاء ذلك الفعل الشنيع في المسجد فاعرفه، ثم قال : وقال في الأحياء في كتاب السماع والوجد ما نصه : والأصوات الموزونة باعتبار مخارجها ثلاثة، فإنها إما أن تكون من جماد كصوت المزامير والأوتار والقضيب والطبل وغيره، وإما أن يخرج من صوت حيوان، وذلك الحيوان إما إنسان، أو غيره كصوت العنادل وذوات السجع من الطيور، فسماع هذه الأصوات يستحيل أن يحرم لكونها طيبة أو موزونة، ولا فرق بين حنجرة وحنجرة، ولا بين جماد وحيوان، فينبغي أن يقاس على صوت العندل الأصوات الخارجة من سائر الأجسام باختيار من الآدمي، كالذي يخرج من حلقه أو من القضيب والطبل والدف وغيره من

سائر الآلات، ثم قال الغزالي الدرجة 3 الموزون المفهوم وهو الشعر، وذلك لا يخرج إلا من حنجرة الإنسان، فيقطع بإباحة ذلك، بل قد ادعى ابن عبد البر وغيره الإجماع على جوازه، انظر بسط ذلك في الأحياء مستوفى انتهى منه بلفظه من خط الفقيه سيدي أحمد المرنيسي، وهذا التأليف فيه نحو خمس ورقات، فلما وصل رد جسوس هذا على الفقيه المرنيسي طلب من الشريف المذكور أن يرد الرد المذكور، فرده بتأليفه ابطال الشبه المتقدم، وما قدمناه في صاحب الترجمة اشدد يدك عليه :

لا تسمعن من الحسود نميمة   فكلامه ضرب من الهذيان
إن كان قد أوحى إليك ترقصا   فالناس قد كذبوا على الرحمان
سل غيره عني ليعلم إفكه   واسخط عليه فبالمحال رماني
لا يثبت الحق المبين لحاكم   في الشرع حتى ينطق الخصمان

توفي رحمه الله في نحو 1280.

وممن أخذ عن ابن عبد الرحمان وسيدي الوليد العراقي وسيدي محمد الكردودي وسيدي محمد قصارة وسيدي محمد المتيوي : شيخنا الفقيه العلامة ذو التآليف العديدة أبو عبد الله سيدي محمد جنون، له إقبال عظيم على المطالعة، توفي سنة 1303 بعد أن انتفع به خلق كثير، وصار كل واحد ممن انتفع به رئيساً مدرسا محصلا، فمنهم أخوه المدرس الفاضل ذو الخلق الحسن سيدي التهامي وجل قراءته عليه، ومنهم الشريف المدرس الفاضل، سيدي محمد بن أحمد بن العربي الصقلي، ولا أعلم له شيخا غيره، ومنهم الشريف البركة الفاضل الخير التقي المدرس المؤلف المحقق أبو العباس سيدي أحمد الشهير بابن الخياط، له تآليف وتقاييد جليلة، وله اعتناء بمجلس درسه،

وله أخذ كثير على غيره من أشياخ سيدي محمد جنون، كالفقيه ابن عبد الرحمن، والفقيه البركة سيدي محمد الداودي التلمساني، وسيدي أحمد بناني، وسيدي عبد السلام الغالبي، وشيخنا مولانا هاشم العلوي.

ومنهم الفقيه المدرس البركة سيدي محمد بن المقدم التلمساني، ومنهم الفقيه المدرس سيدي محمد بن التهامي الوزاني، ومنهم الفقيه المدرس سيدي خليل التلمساني، ومنهم الفقيه المدرس سيدي أحمد التلمساني، ومنهم الشريف الفقيه المدرس البركة سيدي محمد بن سيدي قاسم القادري، ومنهم الفقيه العلامة المدرس سيدي عبد السلام الهواري، ومنهم الشرفاء الأجلة المدرسون الأخيار سيدي المكي وسيدي أحمد وسيدي الطيب، أبناء الشريف البركة سيدي محمد بن أحمد الوزاني، ومنهم الفقيه العدل المدرس سيدي إدريس بن شيخنا سيدي محمد بن عبد الرحمان، وهؤلاء كلهم أحياء وقت تاريخه وهو سنة 1305، بارك الله فيهم، وأعاد علينا من بركاتهم، وممن أخذ عنه الفقيه القاضي المرحوم سيدي أحمد بن شيخنا ابن عبد الرحمان.

وممن أخذ عن شيخنا ابن عبد الرحمن والمرنيسي وسيدي أحمد بناني : الفقيه المدرس الفاضل القاضي وقته بفاس السيد حميد بناني، وممن انتفع به وشاركه في بعض أشياخه : الشريف الجليل المدرس الخير سيدي محمد الماحي، بن الشريف البركة ابي اسحاق سيدي ابراهيم الصقلي، توفي سيدي الماحي المذكور سنة 1303.

وممن أخذ عن ابن عبد الرحمان والمرنيسي ومن في طبقتهم : الشريف الجليل الخير الفاضل العلامة المحقق المدرس، نقيب الشرفاء في حينه، سيدي عبد الله بن الشيخ البركة الصالح القدوة المشارك المقرئ أبي العلاء سيدي إدريس البدراوي الشريف الودغيري الإدريسي، كان سيدي ادريس هذا

من العلماء الأخيار، الأتقياء الأبرار، الساعين في حوائج المسلمين، لقيه إنسان فأخبره أن عليه دينا للحاج الطالب ابن جلون، فذهب معه إليه وكلمه في شأنه فسامحه وأكرمه، وأخذ سيدي ادريس عن ابن عبد السلام الفاسي، وقد جعل الله في ذرية سيدي ادريس العلم والخير والفضل والبركة، كسيدي عبد الله بارك الله في عمره، وكأخيه شيخنا البركة الفاضل العدل سيدي محمد، وكأخيه المدرس البركة الفاضل سيدي أبي النصر، وكالفقيه المدرس الخير سيدي محمد بن أبي النصر المذكور، وحفدة هذا الشيخ سيدي إدريس وأولادهم مشتغلون بالعلم الشريف.

وممن أخذ عن ابن عبد الرحمان وطبقته : العلامة المحقق المدرس الفاضل الكاتب البارع الأديب، فقيه حضرة سيدنا : سيدي عبد الواحد ابن المواز السليماني، وله اولاد نجباء أدباء، حفظه الله وبارك في عمره وعمرهم.

وممن أخذ عن ابن عبد الرحمن وطبقته : قاضي مكناس وخطيب الضريح الإدريسي، الفقيه المحقق المدرس المحدث البركة، أبو العباس سيدي أحمد بن الطالب ابن سودة، لصاحب الترجمة حياء وكرم ومروءة، من جاء حضرة مكناسة أضافه وأكرمه وقام بأموره، ومفاخره عديدة، يقرئ صحيح البخاري في حضرة سيدنا، تولى خطة القضاء وتدريس البخاري بالحضرة بعد وفاة أخيه وشيخه سيدي المهدي.

وقد نفع الله به أقواما لا حصر لهم، منهم أخوه البركة العلامة المدرس سيدي عبد الله، ومنهم الفقيه المدرس الموثق، سيدي محمد الزريعي، ومنهم أبناء أخيه : الفقيهان المدرسان، سيدي علي وسيدي محمد، أبناء الموثق البركة سيدي عبد القادر، ومنهم ولد أخيه العلامة المدرس الموثق الخير سيدي الطيب بن سيدي عمر، ومنهم الفقيه المدرس الفاضل السيد بوبكر

بناني، وانتفع به من طلبة القبائل ما لا يحصى، ولا زال الله تعالى ينفع به، أطال الله عمره.

ومن أخذ عن ابن عبد الرحمان وطبقته : الفقيه العلامة النحوي التصريفي الموثق، المشارك المحقق، البركة، خطيب جامع الأندلس، سيدي محمد بن عبد الواحد ابن سودة، وأخذ عن والده، وسمعته يحدث أن أباه سيدي عبد الواحد كان يقول في سجوده : اللهم أعني على فهم صور مختصر خليل، كان يدرس الألفية ويستحضرها، وله شرح عليها، وانتفع به خلق كثير، منهم ولده الخير الفاضل المتولي خطبة الأندلس بعده سيدي الطاهر، وكلامه في غاية الحلاوة.

ومن أخذ عن ابن عبد الرحمن والمرنيسي وطبقتها : الفقيه المدرس البركة الفاضل الحاج الصالح التادلي.

ومن أخذ عن ابن عبد الرحمن والقاضي مولاي عبد الهادي : الفقيه المدرس المفتي، المتولى خطة القضاء بمراكش، سيدي عبد الواحد الدويري، رحمه الله.

ومن أخذ عن ابن عبد الرحمن : الفقيه المدرس الفاضل، السيد الحسن السملالي، وقرأ بسوس على شيوخها المعتمدين، حدثني أنه قرأ على بعض شيوخها مختصر الشيخ خليل ثلاث مرات، بارك الله تعالى في عمره.

ومن علماء حضرة فاس الفقيه الأديب النحوي الفاضل المؤلف، سيدي العربي المشرفي، وقرأ بغير فاس، واستوطن فاسا بارك الله في عمره.

ومن أخذ عن ابن عبد الرحمن وسيدي الحسن بوفارس وسيدي بدر الدين : الفقيه البركة الخطيب البليغ، خطيب مولانا الحسن وأبيه وجده

سيدي علي بن سيدي عبد الله الفاسي، له باع طويل في المطالعة، واعتناء كثير بالكتب والمسائل العلمية، ومعرفة كثيرة بالطب، أطال الله عمره.

ولما كان الشيء بالشيء يذكر تذكرت هنا طبيبا ماهرا أدركناه ورأيناه، فأردت ذكره هنا، لأن الطب علم من العلوم، وهو رجل كان يقال له عبد القادر العلج، جاء من بلاد الروم ومن الله عليه بالإسلام، وكان في أول أمره لم يعرف، فكان يبيع شراب القهوة، ثم أراد الانتقال من فاس طلبا للمعاش، فرأى في منامه الولي الصالح الشريف المبارك سيدي العربي التاكناوتي وفي يده سكين وكأنه يقول له اجلس وإلا ضربتك بهذه السكين، فلما طلع النهار جاء لمحله الذي يبيع فيه القهوة، فإذا بالولي المذكور جاءه وفي يده تلك السكين، وقال له عبد القادر : أهذه هي السكين، يعني السكين التي رآها في النوم، فعزم على عدم السفر، ثم اشتهر أمره في الطب، ثم أصابه العمى فعالج نفسه أشهراً فرد الله عليه بصره، ودخل على مريض فعالجه وبقي معه في المجلس حتى احتاج المريض للمشي، فما خرج عنه حتى عافاه الله، وطلب منه إنسان أن يعالج له جارية وأعطاه عطاء على ذلك، فامتنع من قبوله بعد أن رأى الجارية وقال له غدا في الوقت الفلاني آتي وذهب، فلما أتى وجد الجارية ماتت، فقال لسيدها كانت الموت بها بالأمس مع أنها تقبل وتذهب، وكان مع أناس في نزهة فلما أكلوا أخذوا في البسط والمداعبة، فقالوا له قلب لنا أبناطنا لتخبرنا بمن أكل كثيرا منا، فقبض على نبض واحد منهم فقال له أكلت حقك، إلى أن أتى لنبض رجل فلما وضع يده عليه تغير وجه الطبيب، وقال لأصحابه لا أقبض على نبض أحد منكم بعد هذا، فلما قام ذلك الرجل من بينهم ألحوا عليه في أن يخبرهم، فأخبرهم بأن ذات الرجل كأنها قربة من دم، وأنه يموت قريبا، فمات ذلك الرجل في

الغد، ولما مرض هـذا الطبيب مرض موتـه دخل عليـه الفقيـه العـدل الخير الفاضل سيدي أبو جيدة الفاسي، فقال لـه الطبيب أطلب منـك أن تتوضـأ وأن تصلي ركعتين وأن تدعو الله تعـالى أن يميتني على الإسلام، فتوفي رحمـه الله في نحو 1270.

ملحـــق

ويشتمل على نص يعدد مجالس الوعظ وتدريس الشرعيات بفاس أيام السلطان مولاي عبد الرحمن هشام، وجاء النص ضمن «الفتح المبين في وقائع الحج وزيارة النبي الأمين»، وهو عن الرحلة الحجـازيـة التي قـام بهـا الشيخ محمد بن عبد الواحد الكتاني، ودونها عنـه الشيخ جعفر بن إدريس الكتـاني، فيرد خلالها ذكر مجالس الوعظ والتدريس التي كان يحضرها الرحالة بفـاس، ويبدأ بمجالس الوعظ قائلا :

1 ـ «ففي الوعظ مجلس الفقيه... سيدي محمد بن يفـّ الكبير بجـامع وادي رشـاشـة بعـد طلـوع الفجر، وفي القرويين بعــد الظهر، وفي جــامـع الرصيف بعـد طلـوع الفجر أيضـا، وكان يسرد في هـذه المجـالس «الإحيـاء» وغيرها من كتب الوعظ.

2 ـ ومجلس الفقيـه العـدل الأديب سيـدي محمـد بن عبيـد بجــامـع القرويين قبل صلاة العصر وبعدها، وكان يسرد قبل : «الحلية» وتـأليفـا في الجهاد لسيدي عبد الهادي... وبعد : الذخيرة (المعطوية).

3 - ومجلس الفقيه الشريف العدل سيدي المفضل القادري بالقرويين بعد صلاة العصر، وكان يسرد تأليفا للسيوطي في فضل الصلوات الخمس والنوافل الليلية والنهارية.

4 - ومجلس الفقيه سيدي محمد بن الهاشمي بجامع الديوان، وبجامع شيبوبة، وبزاوية سيدي أحمد بن عبد الصادق، وكان يسرد كتب الوعظ تارة، ويدرِّس أخرى.

5 - ومجلس الفقيه الناسك سيدي الطاهر بن موسى : بسيدي قاسم ابن رحمون، وبجامع زقاق الحجر : بالفجر، وبمولانا إدريس قبل صلاة العصر، وبالقرويين قبل صلاة الظهر.

6 - ومجلس الفقيه الواعظ الصالح : سيدي مسعود بناني بجامع عين علُّو.

7 - ومجلس الفقيه العلامة : سيدي محمد مسواك التازي : بجامع الرصيف : بعد طلوع الفجر، وبالقرويين : قبل صلاة الظهر، وبجامع ابن البيّاض بين العشاءين، وكان يسرد كتب الوعظ : كالوافدي والمنذري وغيرهما.

8 - ومجلس... سيدي العربي الزرهوني بمولانا إدريس بعد طلوع الشمس، وكان يسرد كتب الوعظ.

9 - ومجلس... مولاي محمد العراقي بالقرويين : بين العشاءين، وقبل صلاة العصر وبعدها، وكان يسرد بين العشاءين صحيح البخاري»،

و«المسند» لابن حنبل، والقشيري على أسماء الله الحسنى، والكلاعي، وقبل صلاة العصر «الحلية»، وبعدها المنذري تارة، و«الدر المنثور» أخرى.

10 ـ ومجلس أخيه... سيدي محمد بالقرويين أيضا : قبل صلاة الصبح وبعدها، وكان يسرد قبلُ : الدر المنثور» و«صحيح البخاري»، وبعدُ : «صحيح البخاري»، و«الشفا»، وابن عباد على الحكم، والحُرَيْفِشي، وتفسير الثعالبي.

☆ ☆ ☆

11 ـ وفي الحديث : مجلس... سيدي عبد القادر الكوهن بالقرويين بين العشاءين، وفي سيدي أحمد بن يحي بعد صلاة الصبح، وكان يدرس «صحيح البخاري».

12 ـ ومجلس... سيدي محمد بن سعد التلمساني بالقرويين بين العشاءين، وكان يدرس صحيح البخاري تارة، ورسالة ابن أبي زيد أخرى.

13 ـ ومجلس الفقيه المجيوي بالقرويين : بالعنزة صباحا، وكان يدرس صحيح البخاري.

14 ـ ومجلس... سيدي محمد السنوسي إمام الضريح الإدريسي : به بعد صلاة الصبح، وكان يدرس صحيح البخاري.

15 ـ ومجلس... مولاي الوليد العراقي : به أيضا، بعد صلاة الصبح أيضا : بعد وفاة السنوسي، وكان يدرس صحيح البخاري أيضا.

16 ـ ومجلس... سيدي محمد بن مولاي حفيد الدباغ : بمولانا إدريس قبل الزوال فوق باب الطبالين، وكان تسرد عليه الشفا ويتكلم في بعض المواضع.

17 ـ ومجلس... القاضي مولاي عبد الهادي... بالقرويين : بالعنزة بعد صلاة الظهر، وبجامع عقبة ابن صوال صباحا، وكان يدرس صحيح البخاري في الأول، ويسرده في الثاني.

18 ـ ومجلس.. سيدي أحمد المرنيسي : باللّبارين بين العشاءين وبعد صلاة الظهر، وبالقرويين صباحا وضحوة، وكان يدرس صحيح البخاري.

19 ـ ومجلس... سيدي الطالب ابن الحاج بجامع زقاق الحجر ضحوة، وبمولانا إدريس بعد صلاة الصبح، وبالقرويين بعد صلاة الصبح ونهارا، وكان يدرس في الأول «الشفا»، وفي الثاني «صحيح البخاري»، وفي الثالث بعد صلاة الصبح : «رسالة ابن أبي زيد»، ونهارا «المرشد المعين».

20 ـ ومجلس أخيه... سيدي محمد بالقرويين بين العشاءين وبعد صلاة الظهر، وبجامع عقبة ابن صوال بين العشاءين وبعد طلوع الفجر، وبمولانا إدريس بالجامع الجديد بموضع الحزب، وكان يدرس في الأول «صحيح البخاري»، وفي الثاني تارة «البخاري» وتارة «الشمائل»، وضحوة «الشفا» المرة بعد المرة : تارة سردا، وتارة تدريسا، وفي الثالثة الشمائل».

21 ـ ومجلس... سيدي الأمين الزيزي بسيدي نوار بين العشاءين، وكان يدرس «همزية البوصيري» تارة، و«رسالة ابن أبي زيد» أخرى.

22 ـ ومجلس... القاضي مولاي محمد... بجامع القرويين بعد صلاة الظهر، وكان يدرس «صحيح البخاري».

23 ـ ومجلس... سيدي محمد المكناسي بمولانا إدريس : بين العشاءين وبعد الفجر، وكان يدرس «همزية البوصيري».

24 ـ ومجلس... مولانا أحمد العراقي بمولانا إدريس بعد الصبح، وكان يدرس صحيح البخاري.

وما لا يحصى من مجالس المذاكرة.

من مصادر التاريخ الديني والاجتماعي على عهد العلويين :

مخطوط «درر الحجال» لليفرني

حسن جلاب

مؤلف كتاب «درر الحجال في سبعة رجال» مؤرخ مشهور، هو أبو عبد الله محمد الصغير بن محمد بن عبد الله اليفرني المراكشي. أصله من سوس، وهو من مواليد مراكش سنة ثمانين وألف. درس بها، وبالقرويين.

اشتهر بمؤلفاته التاريخية :

ـ نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي : في تاريخ الدولة السعدية وظهور الدولة العلوية إلى عهد المولى إسماعيل. ذيّل به الأنيس المطرب لابن أبي زرع، وروضة النسرين لابن الأحمر، فأتم تاريخ الدول المغربية إلى عصره.

ـ وخص السلطان الذي عاصره بكتاب هو : روضة التعريف بمفاخر مولانا اسماعيل بن الشريف.

وإذا كانت كتب التاريخ تركز على الأحداث السياسية والعسكرية، ولا تولي نفس الاهتمام للجوانب الاجتماعية والاقتصادية، فإن المؤرخين يلجأون عادة إلى كتب المناقب والتراجم لسد هذه الثغرات، بل ويعتبرونها أكثر صدقاً في تناول الأحداث، لأنها لم تكتب تحت توجيه أو ضغط ما[1].

ـ وقد أدرك اليفرني ذلك فألف صفوة ما انتشر من علماء القرن الحادي عشر، لتكون مكملة لنزهة الحادي.

فكان بذلك من المتخصصين في تاريخ هذا القرن (ألف الصفوة كذلك لتكملة تراجم الدوحة). وكان اهتمامه منصباً على مشايخ الجنوب بحكم انتمائه إليه، وخاصة أولئك الذين ينتسبون إلى مراكش.

واعتمد المصادر الموثوق بها، والروايات الدقيقة، وخلصه من الخرافات والأساطير المبالغ فيها مكتفياً بالكرامات المعقولة المنسوبة إلى مترجميه.

وفي هذا الإطار ألّف كتابه «درر الحجال» :

ـ لتدوين جانب من التاريخ الديني والاجتماعي للمغرب بدراسة هذه الظاهرة والملابسات الدينية والاجتماعية والسياسية التي أفرزتها وانعكاساتها على الأوضاع في البلاد.

ـ والتعريف بأعلامها ومذاهبهم وطرقهم الصوفية، ومناقبهم ومدى تأثيرهم في رجالات عصرهم.

وإذا كان الهدف الأول قد تحقق ـ وبكثير من النجاح ـ فقد سدّ العثور على الكتاب كثيراً من الثغرات، وصحح الأوهام التي وقعت فيها

1) مؤرخو الشرفاء 68. تعريب عبد القادر الخلادي.

المؤلفات اللاحقة التي لم تعتمده، فأن الهدف الثاني لم يتحقق إلا جزئياً، ذلك أن المؤلف لم يتمكن من إكمال الكتاب، فلم يُعرّف إلا باثنين من السبعة، هما : يوسف بن علي، وعياض.

وصلتنا من الكتاب نسخة فريدة بخط المؤلف[2] تقع في ثمانين صفحة من الحجم الكبير، في كل صفحة ثلاثة وعشرون سطرا في كل سطر بين خمس عشرة، وسبع عشرة كلمة. ويتخلل الصفحات بياض في الأصل يبدو أن المؤلف تركه للتصحيح أو استكمال المعلومات فلم يعد إليه.

تاريخ تأليف الكتاب : يعتقد بروڤنصال أن «درر الحجال» كتب قبل سنة سبع وثلاثين ومائة وألف، وهو تاريخ كتابة «الصفوة» حسب ما ذكره الحوات[3]، وتبعه في ذلك محمد الأخضر لتحديد الفترة بين ثمان وعشرين ومائة وألف (تاريخ تأليف اليفرني لأول كتاب : المسلك السهل) وسبع وثلاثين ومائة وألف (تاريخ تأليفه للصفوة).

ويسمح لنا هذا الكتاب باقتراح تاريخ أدق للتأليف وهو : بين أربع وثلاثين ومائة وألف. فقد ورد في «الدرر» أن المؤلف اقترح على والي مراكش بناء ضريح أبي يعقوب يوسف في تلك السنة بعدما داهمه سيل جارف ـ وسبع وثلاثين ومائة وألف تاريخ كتابة «الصفوة» آخر مؤلفات اليفرني.

---

2) توجد بمكتبة خاصة بالرباط. وقد سمح لنا مالكها بتصويرها ـ مشكورا ـ انظر تعليق الأستاذ محمد المنوني عليها في كتابه «المصادر العربية لتاريخ المغرب» 70/1. رقم الكتاب 425. ط. الرباط 1983.

3) مؤرخو الشرفاء 90.

ـ **مضمون الكتاب** : خطط المؤلف لإخراج كتابه في حجم كبير، فجعله في **مقدمة** طويلة وسبعة **أسماط**. إلا أنه لم يتيسر له تنفيذ ذلك، إذ أن أغلب فصول المقدمة ناقصة أو لم تكتب في الأساس. كما أنه لم يضع إلا سمطين من أصل الأسماط السبعة.

ـ **المقدمة** : تتكون من ثلاثة وثلاثين فصلا مصنفة كالتالي :

حالة الفصول	التعيين	المجموع
فصول تامة	4 ـ 5 ـ 6 ـ 9 ـ 22 ـ 23 ـ 24 ـ 26 ـ 27 ـ 29 ـ 30 ـ 31 ـ 32 ـ 33	14
فصول ناقصة	2 ـ 3 ـ 8 ـ 10 ـ 11 ـ 12 ـ 13 ـ 16 ـ 20 ـ 25 ـ 28	11
فصول ساقطة أو لم تحرر أصلا	1 ـ 7 ـ 14 ـ 15 ـ 17 ـ 18 ـ 19 ـ 21	8
	المجموع	33

وتتناول هذه الفصول التمهيدية ثلاثة محاور أساسية :

المحور الأول : الولاية والأولياء : الكتاب مبتور الأول يبدأ بجزء من الفصل الثاني، وبعبارات : (وعن القشيري أن دواء القلب خمسة

أشيـاء : قراءة القرآن، خـلاء البطن، قيـام الليـل، التضرع عنـد السّحَر، ومجالسـة الصـالحين...) ويـنـاقش في المحور الأول قضـايـا الولايـة والأوليـاء المطروحـة في كتب التصوف : مـاهيـة الولايـة هل هي ظنيـة أو قطعيـة، فضل ذكر الأولياء، واستعراض كرامـاتهم ومنـاقبهم (تبرير تـأليف الكتـاب) وفضل محبتهم وموالاتهم، والفروق الموجودة بين أصنافهم : السلك، المجـذوب، الملامتي[4].

ويقف مـوقفـاً سلبيـاً من مـدعي التصـوف ومنتحلي الـولايـة من معـاصريـه : (قلت وقـد كثر قـوم يمشـون في الطرقـات منكشي العـورات، مرتكبين لمباحات ومحرمات، ويسميهم الناس بالمجاذيب. وعادتي أنـا فيهم أن أعرض عنهم، فـلا أعرض لهم بـإنكار ولا بتسليم) مـع أنـه يـورد آراء كبـار الفقهاء في الإنكار عليهم كابن حجر[5].

وتنـاول في هـذا المحـور كـذلـك مراتب الأوليـاء : القطب، الغـوث، البَدَل... ومسألة المفاضلة بين علمـاء الظـاهر والبـاطن... (لأن من الرجـال السبعة الذين قصـدنـا جمع منـاقبهم من غلب عليـه علم الظـاهر، ومنهم من غلب عليه علم الباطن)[6].

فرجّح رأي الجمهور، ومنهم شيخـه أحمـد السـوسي في تفضيـل حـامـل العِلْمين معا على حـامل علم واحـد. ونـاقش اليفرني كـذلـك مسـائل أخرى مثل : هل الأولياء معصومون أو لا ؟ هل يعلم الولي أنهَ وَلي ؟ هل يسلب

4) درر الحجال 7.

5) درر الحجال 8.

6) درر الحجال 12.

من الولاية ؟ وهل يبلغ الولي درجة يسقط عنه فيها التكليف ؟ هل الكرامات ثابتة في حقهم ؟...

وهي مسائل كثيرة الورود في كتب التصوف. يتخذ منها المؤلفون مواقف متباينة من مُثبت ومنكر لها. ويعتمد كل فريق على قرائن نقلية، وبراهين عقلية. وساقها في هذه المقدمة لأنها ظلت من الموضوعات المطروحة بإلحاح في عصره.

المحور الثاني : الزيارة وآدابها : طرح المؤلف باختصار موضوع زيارة الأولياء وآدابها كما جاءت في بعض كتب التصوف، وكما هي ممارسَة في عصره، مُبديا وجهة نظره فيها.

فمن شروطها : الطهارة، المشي على الأرجل، خلع النّعلين من باب المقبرة، تخصيصها بالولي المقصود دون غيره، استقبال وجه الولي، قراءة الفاتحة...

وناقش قضايا أخرى أهل أهمية مثل : هل يجوز طلب الدعاء من الغير أو لاَ ؟ ما مصير الصدقات التي تهدى للأولياء ؟ وهل ينتفعون بما يقرأ في أضرحتهم من قرآن ؟ ومسألة بناء المساجد على قبور الصالحين ؟ وحكم اختيار الصلاة فيها، والدفن بالقرب منها[7]. وحكم الحلف في روضات الصالحين ونقل التراب الموجود عند قبورهم تبركاً ؟ والتجاء أرباب الجرائم والجنايات إلى أضرحة الأولياء ؟

وقد أثارت هذه المسألة الأخيرة اهتمامه فعرض آراء العلماء فيها بتفصيل. وهي آراء تميل في اغلبها إلى القول بضرورة إخراجهم لأنهم هتكوا

---

7) درر الحجال 40 ـ 41.

حرمة أنفسهم، فأبطلوا ما جعل الله لهم من الأمن. إلا أن اليفرني يأخذ موقفا مخالفا لهذا، اقتضته الظروف الخاصة بالبلاد (... **لأن هذا المغرب كثير فيه الحيف من الولاة** في الأموال والدماء وغير ذلك، فجعل المظلومون يلوذون بضرائح الأولياء، فيتحصنون بذلك منهم، لِمَا في أنفس كثير من الولاة من تعظيم أمر جانب الأولياء، ولما يرون من العقوبة النازلة بمن يهتك حرمات الأولياء، إذ جُرب ذلك حتى صار أمرا متحققا عند الخاص والعام.

ثم صار من كان ظالما إذا دخل تلك الأحرام أمن على نفسه، ولا يعرض له أحد... فلو كنا نخرج الجناة وأرباب الجرائم منها لكَوْن الشرع أخرجهم ... ربما أدّى ذلك إلى إخراج المظلومين لأن الولاة ربما يقيمون عليهم حججاً شرعية، فسدّ الناس هذا الباب كله رعيا لهذه المصلحة العامة التي تحققنا فائدتها، وجربنا منفعتها)[8].

ومذهب مالك مبني على مراعاة المصالح، وسد الذرائع.

المحور الثالث، زيارة سبعة رجال مراكش : راعى المؤلف التسلسل الموضوعي في عرض هذه المحاور، فبعد الحديث عن الأولياء، والزيارة وآدابها، يخلص إلى المهم وهو زيارة أولياء مراكش. فيكون بذلك قد عرّف بمفهوم الولاية وأقر مشروعية الزيارة وشروطها... ويعتبر هذا المحور أهم ما في الكتاب على الإطلاق باعتبار مؤلفه أول من يطرح ظروف وملابسات تنظيم الزيارة والأهداف منها.

---

8) درر الحجال 41 ـ 42.

الفصل الثاني والثلاثون في سبب تعيين هؤلاء السبعة
رجال وتخصيصهم بالزيارة من بين صلحاء مراكش ومتى كان ذلك

حدثني غير واحد ممن يوثق بحديثه ان السبب في شهرة سبعة رجال وتخصيصهم بالزيارة
من بين اولياء مراكش هو كون ان السلطان مولاي محمد الشيخ [illegible] من الملوك السعديين كان قد
جهز جيشا عرمرما وتوجه لقتال الشياظمة لاستنكافهم عن الدخول في طاعته ~~[illegible]~~
بينه وامتناعهم من الانخراط في سلكه فخرج اليهم في اهبة تامة وعدد [illegible] فلما [illegible]
بينه وبينهم عند جبل الحديد ببلاد حراحة والشياظمة في شرذمة قليلة فوقعت
الهزيمة على السلطان المذكور وقتلت جيوشه ونهبت ذخائره وتفرقت شذر مذر عساكره
ولكن بعد التفرق للاجتماع ولم ينجو الا براسه [illegible] وتركت زوجته العالية [illegible]
ولعقوة بعد ان كان يغار على الشمس ان تحظاها وكانت بارعة حازت انواع الملاحة [illegible]
وكان لديها [illegible] بمثابة [illegible] [illegible] فكان لشدة [illegible] يذهب بعد
[illegible] [illegible] في غاب [illegible] وشجار [illegible] وفعلت [illegible] [illegible]
[illegible] من الشبانة وفعلت الحبالة [illegible] ورجع لحضرته مغلولا ولم يزل [illegible]
[illegible] معلولا [illegible] [illegible] انه لم [illegible] السلطان [illegible]
[illegible] غلام [illegible] عليه [illegible] [illegible] [illegible] يرجعون معرفة
[illegible] [illegible] [illegible] وكان الشياظمة يقولون انما [illegible] علينا سبعة رجال يعنون
الرجال السبعة الذين في بلادهم [illegible] وفدوا على النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] وكانوا من
اصحابه رضوان الله عليهم [illegible] في الناس ان الرجال السبعة [illegible] الشياظمة هو
لما بلغ ذلك السلطان المذكور قال له بعض علماء مراكش [illegible] بمراكش سبعة رجال
كاملين سبعة رجال [illegible] السلطان [illegible] عسى ان [illegible] الله [illegible]
فقال السلطان [illegible] ان شاء الله [illegible] السبعة [illegible] ذلك العالم [illegible] [illegible] يقول

بمراكش لاحت نجوم بعد العلا [illegible] فجال رجال [illegible] سبعة [illegible]
فمنهم ابو يعقوب ذو الغار يوسف [illegible] [illegible] [illegible]
ونجل ابي عمران عياض [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

(نموذج من مقدمة درر الحجال)

وسيكون بذلك المصدر الرئيسي في الموضوع. وقد عرض هذا الموضوع في ثلاث نقط أساسية :

1 ـ مشروعية شد الرحال لزيارتهم منتقداً من سماهم (المتفقهة) الذين أخذوا بظاهر الحديث الصحيح المتفق عليه عند الشيخين (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى) مبيناً أن الحديث محمول على شدها للصلاة، أما شدها لغير هذه العبادة فمباح : فالزيارة تذكّر بالموت، وتكون للاعتبار... بدليل أن الرسول ﷺ كان ياتي حِراء وقباء[9].

2 ـ سبب تعيين هؤلاء السبعة رجال، وتخصيصهم بالزيارة من بين صلحاء المدينة، ومتى كان ذلك ؟

يرتبط هذا التنظيم بالأحداث التي عرفتها منطقة الجنوب (الشياظمة، حاحا، سوس) منذ أواخر العصر المريني عندما ضعفت السلطة المركزية بها، وظهرت طلائع الغزاة الأجانب ـ وخاصة البرتغال ـ في الشواطئ. مما جعل السكان يتطلعون إلى زعماء القبائل وشيوخ الزوايا والرباطات لإنقاذ البلاد، ودفع الأجنبي الدخيل عنها.

وانطلقت الدولة السعدية من هذه المنطقة معتمدة على شيوخ الطرق والزوايا، واستمرت هذه الحركة الدينية خلال العصر السعدي بكامله، وعندما بلغت الدولة مرحلة الضعف بسبب الصراع الذي احتدم بين أبناء المنصور الثلاثة حول الملك، فكوّن الطرقيّون إمارات محلية سعت كل واحدة

---

9) درر الحجال 61.

إلى تمديد مناطق نفوذها. ومن هؤلاء : ابن أبي محلي، أبو زكرياء الحاحي، أبو حسون السملالي، احماد وموسى بتزروالت، رجال رجراجة بجبل الحديد، وأتباع الجزولي بالشياظمة...

وقد حدثت مواجهات بينهم وبين ملوك السعديين، ومنهم من اقتحم العاصمة مراكش بجيوشه[10].

وكان السكان يحترمون رجال رجراجة ويستجيبون لتوجيهاتهم باعتبارهم أشرف قبائل مصمودة. وتذكر المصادر أن الطبقة الأولى منهم كانوا مع روح الله عيسى وآمنوا بما جاء به، وأنهم من الحواريين[11]. وعندما سمعوا ببعثة محمد ﷺ سافر سبعة منهم إلى المدينة، واتصلوا به، فخاطبهم بلسانهم وحمّلهم رسالة الإسلام إلى بلادهم.

وبعد عودتهم إلى رجراجة نشروا بها الإسلام، حتى إذا قدم عقبة لفتح بلاد المغرب، وجد رجراجة موحدين مجتهدين في الدين فبنى لهم مسجدا بساحل حربلة (رتنانة)[12].

وخلد رجراجة حدث التجمع لقراءة الرسالة النبوية والتفرق في البلاد لنشر تعاليمها باجتماع الطوائف في نفس المكان (قرب جبل الحديد)، وتطور بعد ذلك إلى زيارة الأولياء والصلحاء بعد الاجتماع الذي ينعقد في

---

10) انظر الأحداث بتفصيل في الاستقصا 6/ 30 ـ 50.

- Les bérbères et le maghzen dans le sud du maroc. R. Montagne. Paris 1930. pp. 83 et 98.

11) العيون المرضية، لمؤلف مجهول، مخطوطة خاصة، ص 4 ـ 6.

12) العيون المرضية 18 ـ 26.

ربيع كل سنة. وتكون نقطة ضريح الولي أبي بكر الشماس، ثم باقي الأولياء في نظام معلوم لديهم، ويستغرق الطواف مدة أربعين يوماً يجوب فيه سكان تلك المناطق أطرافاً من الشياظمة وحاحا بما في ذلك جبل الحديد إلى سواحل المحيط الأطلسي حيث رباط كَوز ومصب تانسيفت.

ومع أن الطواف كان مركزا على سبعة رجال رجراجة (الصحابة) فإن العادة جرت بجعلهم معالم وزيارة غيرهم من أولياء منطقة رجراجة.

وسبعة رجال رجراجة هم :

- وسمين الياس، في طرف جبل الحديد (متسلم الرسالة من الرسول حسب الرواية) عبد الله اوناس (عند المناصرة).
- عيسى بوخابية (على طرف وادي تانسيفت).
- يعلى بن واطيل (في امسكر).
- سعيد بن يبقى (عزب وادي شوسران).
- أبو بكر الشماس (بأقرمود).
- ابن صالح بن أبي بكر (بأقرمود)[13].

وقد كانت معركة جبل الحديد بين محمد الشيخ بن زيدان والشياظمة سنة خمسين وألف للهجرة الصدى الكبير في أنحاء المغرب، ذلك أن السلطان السعدي حاول إعادة الأمن إلى البلاد بإخضاع المناطق الثائرة التي كانت تهدد كيان الدولة. ومع أنه أخذ كامل عدته لمواجهتهم فقد تمكنوا من إلحاق

---

13) العيون المرضية 40 ـ 41.

هزيمة بجيشه، فكانوا يشيعون بين النـاس أنهم انتصروا بفضل سبعـة رجـال، وأن عيسى بوخابية يضمن للشياظمة أن من أتاهم بقصد الفتنة يهزم[14].

والحقيقـة أن الشيـاظمـة استغلوا هـذا الانتصـار لتوطيـد مكانتهم بين الـزوايـا والطرق في منطقـة سـوس، وهـو لا يـدل على قـوة فعليـة لضعف السلطان المواجه لهم. ففي الاستقصا أنه ثار عليه رجل من هشتوكة خـارج باب الخميس (قاسى في محـاربتـه تعبـاً شـديـدا)[15]، فكيف إذا تطلب الأمر مواجهة قبـائل بكاملهـا في عقر دارهـا، بمنطقـة جبليـة، وذات إيمـان راسخ بالنصر.

وكان همّ الدولة العلوية الناشئة معالجة هذه الأوضاع الفاسدة بمحاربة المتمردين والثوار، وإعادة الأمن والوحـدة إلى البلاد. وفي هـذا الإطـار كانت مواجهـة المولى الرشيـد للزاويـة الـدلائيـة بـالأطلس المتـوسـط والشبـانـات بمراكش، وثوار سـوس (إيليـغ، تـزروالت...) وتمكّن فعـلاً من قطـع أشـواط كبيرة في هذا السبيل، إلا أن وفاته المفاجئة بمراكش جعلت مسؤوليـة إتمـام هذا العمل على عـاتق أخيـه المولى اسماعيل الـذي لم يجـد صعوبـة تـذكر في توطيد الأمن بالبلاد.

إلا أنه كان يدرك رسوخ إيمان سكان سوس بأوليـائهم وتعلقهم بهم إلى أبعد الحدود، مما جعل الثوار والخارجين يلجأون دائمـاً إلى سوس، ويعتمـدون في تأليب العامة وجلبهم وإثـارة مشـاعرهم الـدينيـة وترويج أمور الزيـارة

---

14) العيون المرضية 78.

15) الاستقصا 84/6.

فإننا من التسبيع الأولى بداءة فنظمهم ** وضبطهم لمقتضى طيبه الذكي

وبعد إلى الكيس بن يحيى كما أبدى ** لدى بيت مما يغنيه في النثر والنظم

ثم من هنا التقسيم بيد هب العود والرصد يح بسيدي أبي الأنوار
مبيتون بها الليلة الثالثة عشر على الحالة المذكورة من الذكر والقراءة والا
لدلالة والزيارة كما تقدم ثم يمشون في همين لضريح سيدي أبي زرقطون
على من البحر فيمكثون فيه ويبيتون ثم يغدون فيه في اليوم الذي هو
الرابع عشر ويبيتون الليلة الأخرى به وهناك الختم فهي
بعينه الليلتين دون غيرهم من سكان أو قبائل من جماعة من فقهاء الزمان كما في
بكرامات ومزايا فخري عنه منها ما حكاه من وما الخفية بعض
نية أو بقصد بعمل سوء فإنه يرى لهم من أنواع الانتقام وما يشاهد له
عليه كلامه ويطلع عليه ذلك ويشاهد كل من رآه ومنها
ما حكى أن رفقة من أبناء الجبل جاءت إلى ناحيته بقصد الصيت

والأوليـاء. (كان ابن محرز الثـائر على عمـه المـولى اسماعيـل دائم اللجـوء إلى سوس).

فكان **أول عمل** قام به المولى اسماعيل هو تجريدهم من القـداسـة بـأن طلب من العلماء الإفتاء في أمر صحبتهم. فـأفتت جماعـة منهم وعلى رأسهم محمد بن عبد القادر الفاسي بعدم صحّة ما قيل بزيارتهم للرسول ﷺ بـدليل أن الصحـابي الوحيـد الـذي دخـل المغرب هـو **أبـو زمعـة البلـوي** دفين القيروان. إلا أن علمـاء آخرين دافعـوا ـ فيما بعـد ـ عن صحـة صحبتهم معتمدين في ذلك على أحاديث واجتهادات.

ويأتي على رأسهم محمد بن سعيد المرغيثي[16].

والخطوة الثـانيـة التي خطـاهـا هي تنظيم زيـارة مضـادة لسبعـة رجال مراكش «عرب» مقابل الزيارة السابقة لسبعة رجال رجراجة «بربر». ووفر للزيارة الجديدة كافة وسـائل النجـاح لتجلب إليهـا الأنظـار وتـأخـذ مكانة الزيارة السّابقة وَصَيْتَها. ويُعتقـد أن الإمـام اليوسي هو الـذي أشرف على التنظيم.

---

16) العيون المرضية 14 ـ 19 وصفحات 9 ـ 12 ـ 13. وتوجـد لائحـة طويلـة للقـائلين بصحـة صحبتهم في مجلة المغرب عدد يونيه، يوليوز 1936. ولميشُو بيلير رأي في الموضوع فعنده أن النبي الذي زارته رجراجة هو صالح بن طريف البرغواطي الـذي كان يتكلم بلسـان البربر، فأشاعوا أنهم زاروا مكة، ونبي الإسلام أنظر :

– Michaux Bellaires : Les confréries religieuses p. 16.

هذه هي الأطروحة السائدة في أغلب المصادر التي تناولت موضوع سبعة رجال مراكش عربية وأجنبية[17]. إلا أن هناك تساؤلات تبقى مطروحة دون جواب، من شأنها أن تعيد النظر في الأُطروحة من أساسها :

أ ـ ان المصدر الذي بين أيدينا ـ درر الحجال لليفرني ـ ينسب تنظيم الزيارة للعصر السعدي. فقد ورد فيه عرض الأحداث (أي انتصار رجراجة على محمد الشيخ) : (... وشاع في الناس أن الرجال السبعة بهم نصرت الشياظمة ولما بلغ ذلك **السلطان المذكور** ـ أي محمد الشيخ ـ قال له بعض علماء مراكش إن عندنا بمراكش سبعة رجال، كما لهم سبعة رجال. فلو قصدهم السلطان وتملّق ببابهم عسى أن يرزقه الله الكرة على الشياظمة، فقال السلطان أفعل ذلك إن شاء الله، فمن هم السبعة ؟ **فنظم العالم فيهم قصيدة** يقول :

بمراكش لاحت نجومٌ طوالع	جبال رواسٍ بل سيوفٌ قواطِع
فمنهم أبو يعقوب ذوالغار يوسف (1)	إليه تُشير بالأكفّ الأصابع
ونجلُ أبي عمران عياض (2) الذي	إلى علْمِه في الكون تُصغِي المسامع
وبحرُ أبي العباس(3) ليس يخوضه	سواه كريم لا يزال يمانع
ونجل سليمان الجزولي(4) فضْلُه	شهيرٌ ومن يدعو إليه يُسارع
وتبّاعهم(5) بحر الكرامة والهدى	وسيّدنا الغزواني(6) نوره ساطع
أبا القاسم السهيلي(7) دأباً أضف لهُم	إمام التقى والعلم بحره واسع

17) مثل الكواكب السيارة، إظهار الكمال، السعادة الأبدية...

Les sept patrons de Marrakech. H. Decastries, Hésperis 1924.

فزرهم على الترتيب في كل حاجة   يسهلها المولى وعنك يدافع
فيا أهل الله قوموا بسرعة   وجدّوا بسيركم فإني ضارع
فعار عليكم أن يضام عبيدكم   وقد مدّ بينكم يداً والأصابع
فنجمكم نجم السّلامة والهُدى   وفضلكم بين البريّة شائع[18]

ومما يؤسف له أن هذا الفصل (الثاني والثلاثين) غير تام، شأن كثير من فصول الكتاب، ولا توجد منه ـ حسب ما نعلم ـ إلا هذه النسخة الخاصة التي رجعنا إليها وهي بخط المؤلف[19]. فهل عاد اليفرني إلى الحديث عن دور المولى اسماعيل في إحياء طواف سبعة رجال مراكش وتجديده ؟

ب) ونلاحظ أن اليفرني لم ينسب القصيدة لليوسي إذ اكتفى بالقول : (فنظم له العالم فيهم)، ولم ينسبها له كذلك محمد الغالي بن المكي في بادرة الاستعجال إذ قال : (ونظم **بعضهم** كيفية الترتيب فقال). الأبيات[20]، بل إن هذا الأخير لم يفْصِل في مسألة التنظيم كذلك : فإن قلت أول من اخترع هذا الترتيب في الزيارة، وأقر بالاقتصار على السبعة، قلنا الله أعلم بذلك ما وقفنا على شيء)[21].

18) درر الحجال 56. انظر القصيدة كاملة في إظهار الكمال 24.
19) لاوجود للنسخة التي أشار إليها صاحب دليل مؤرخ المغرب الأقصى 1/ 259.
20) بادرة الاستعجال 15.
21) بادرة الاستعجال 20. وردت الجملة قبل ذلك في المجد الطارف والتالد لمحمد الأمين الصحراوي ص 27.

أما الذي نسب القصيدة العينية لليوسي فهو محمد الأمين الصحراوي في كتابه : «المجد الطارف والتالد» وتبعه في ذلك صاحب الاعلام ومن جاء بعده.

ولا نطمئن لذلك إذ كان عُمُر اليوسي عندما قيلت القصيدة حوالي سنة خمسين وألف للهجرة ـ حسب نص اليفرني ـ لا يتعدى **عشر** سنوات ؟

وأمام افتقارنا للدليل، ووضوح عبارة اليفرني لا يسعنا إلا القول برجوع التنظيم إلى عصر محمد الشيخ، إلا أن هذا لا يمنع من أن يكون المولى اسماعيل أمام تجدد الأحداث في منطقة رجراجة ورغبته في إخمادها وقطع دابرها، عاد إلى إحياء زيارة بشكل يوفر لها هذه المرة النجاح الذي لم تصادفه في المرة السابقة.

ولا نجزم بقيام اليوسي بهذه المهمة، فحتى مدحه للرجال السبعة لا يقوم دليلاً على ذلك لتوفر ديوانه على كثير من أمداح الشيوخ والطرقيين والأولياء. وفي كتابه «المحاضرات» إشارات إلى هذه الزيارات سواء بمفرده أو مع بعض أفراد أسرته. وفي الصفوة أنه كان خلال مدة إقامته بمراكش للتدريس بحي الهواسين يزور الأضرحة (وربما يبيت في ضريح بعض الأولياء)[22]. وقال عنه كذلك (وكان كثير الزيارة لقبور الصالحين، بحّاثاً عن قبورهم حتى استخرج عدّة مزارات غابرة)[23]. وكان اليوسي يسلك في ذلك منهج السّلف في الإيمان بالزيارة للتذكرة والاعتبار والترحم على

22) الصفوة 208.

23) الصفوة 209.

الأولياء. وينتقد تقديس الناس لهم وسؤالهم الحاجات (فإن كان يعتقد في الشيخ أنه هو الذي يعطي وينفع، وقطع النظر عن الله تعالى فهو مشرك يجب عليه أن يسلم)[24].

ج) تحديد التاريخ : وحسب ما جاء في «درر الحجال» أن معركة جبل الحديد كانت حوالي خمسين وألف للهجرة (تولى محمد الشيخ سنة خمس وأربعين وألف) وبذلك فإن تاريخ تنظيم الزيارة الأولى يعود إلى ما بعده بقليل. أما تجديد المولى اسماعيل لها فكان حوالي سنة مائة وألف[25]، أي بعد فراغه من حروبه مع ابن أخيه ابن محرز، وأخيه الحران بسوس ومراكش[26].

3 ـ الحكمة في كونهم سبعة لا أقل ولا أكثر : تحدث اليفرني عن أهمية هذا الرقم في مظاهر الكون، فنقل عن أبي نصر عبد الرحمن الهمذاني في كتاب «السبعينيات» قوله : إن الأعداد السبعة لها عند الله خطر عظيم ومحل جسيم، ولذلك زين الهواء بسبع سماوات، وزينها بسبعة نجوم، فقال : ﴿**وزيناها للناظرين**﴾. وزين الفضاء بسبع أرضين، وسبعة أبحر. والنار بسبع دركات ثم زينها بسبعة أبواب.

وزين القرآن بسبعة أسباع، ثم زينها بالسبع المثاني. وزيّن الكون بسبع كلمات هي : لا$_{1}$ ـ إله$_{2}$ ـ إلا$_{3}$ ـ الله$_{4}$ ـ محمد$_{5}$ ـ رسول$_{6}$ ـ الله$_{7}$.

---

24) رسالة إلى المقدمين، من رسائل اليوسي، تحقيق فاطمة خليل 397/2.

25) – Les 7 patrons de Marrakech, Hespéris 1924.

26) انظر حروبه مع الحران وابن محرز في الاستقصا 7/ 49 ـ 60 ـ 63.

والدنيا بالأقاليم السبعة، والأقاليم بالأيام السبعة[27].

كما تحدث عن وجود سبعة يدفع الله بهم عن أهل الأرض... وتَيَمّنِ الناس به دون غيره من الأرقام[28].

ختم المقدمة بذكر الهدف من التأليف (... فالقصد به أولا وبالذات خدمة جناب أولئك السادات. والسبب الحامل عليه، محبتي فيهم)[29].

جسّد هذه المحبة بالأبيات التي ختم بها المقدمة، منها قوله :

يا سادتي أنا عبدكم فلْتجبروا	كسري وفكّوا عن فؤادي عائقه
أنتم حُماة الحَي فاقضوا حاجتي	واشفوا فؤادي من هموم لازقه

ومن مظاهرها مدحه لأبي العباس السبتي بقصيدة مطلعها :

إن ترد نيل الأمان	في سرور مع تهان...

الأبيات[30]. وكذا الإقبال على قراءة أخبار الأولياء[31]، وخفض الجناح للأحياء منهم[32].

---

27) درر الحجال 57.

28) لهذا الرقم أهمية في التراث المسيحي واليهودي والإسلامي عموماً.

29) درر الحجال 58.

30) إظهار الكمال 181، وتعطير الأنفاس 79 ـ 80 ط. فاسية.

31) جمَعَ كتابة «صفوة ما انتشر» من أزيد من 25 مصدراً في مناقب الأولياء.

32) رسالته إلى صالح الشرقي، في الاعلام 58/6، قال فيه :

الغيــــات الغيــــات يــــا أحرار	نحن خلْجــــانكم وأنتم بحــــار
إنمــــا نحن المــــواســــاة في الشـ	ــــدة لا حين ترخص الأسعــــار

ـ التعريف بمناقب سبعة رجال :

بعد هذه المقدمة الطويلة أفرد المؤلف كل واحد من سبعة رجال بترجمة مستقلة سماها «سمطا» :

السمط الأول، في التعريف بيوسف بن علي الصنهاجي :

اعتمد اليفرني في هذه الترجمة ـ بالأساس ـ على ما جاء في التشوف من تعريف بأبي يعقوب وشيخه وطريقته وابتلائه بالجذام، وشكر الله على ذلك، وكراماته في حياته، وبعد وفاته.

ويمكن تصنيف إضافاته إلى صنفين :

1 ـ تعليقات واستطرادات : علق على بعض أقوال التادلي، وخاصة عبارته (وكان صابرا راضيا) موضحاً فسادها، لأن الصابر ليس براض والراضي ليس بصابر. منتهياً بعد شرح طويل إلى أن المترجم له كان راضياً لا صابراً.

أما الاستطرادات فكثيرة، إذ كلما أثيرت مسألة في الترجمة إلا واستطرد إلى شبيهة لها مما شاهده أو رُوي له (قصة وليّ ابتُلي بالجذام شبيهة بقصة أبي يعقوب ـ حديث عن أبي يعزى وطريقته وشيوخه ـ وعن أبي مدين ومذهبه...).

2 ـ معلومات جديدة عن المترجم له، لم يذكر سنده فيها أو المصدر الذي استقاها منه. مع حرصه ـ عادة ـ على التوثيق في كتاباته (لجوء أهل

مراكش إليه لحمايتهم من سلطان جائر،[33] وجود علاقة قرابة بين أبي مدين الغوث وأبي يعقوب).

وفي الترجمة وثيقة مهمة حول بناء ضريح أبي يعقوب سنة أربع وثلاثين ومائة وألف[34].

هذه الإضافات والاستطرادات لا تمنعنا من القول بأن ترجمة أبي يعقوب بقيت كما كتبها التادلي في مطلع السابع الهجري، ولم تظهر معلومات جديدة تساعد على فهم هذه الشخصية، وكشف المجهول من سيرتها.

السمط الثاني، القاضي عياض : لم يتيسر لليفرني أن يختم هذه الترجمة. فقد انتهت صفحات الكتاب في بدايتها. ولم يتضمن ما ذكره منها أي جديد عن عياض، إذ اكتفى بنقل ما جاء عنه في كتاب التعريف لابن أبي عبد الله محمد، فتحدث عن نسبه، وانتقال أجداده من الأندلس إلى المغرب، ودراسته وشيوخه... وزهده في الدنيا وأخلاقه وسيرته مع معاصريه.

ولعل ما تميز به عن المصدر السابق مناقشته للعبارة المشهورة : (لولا عياض لما ذكر المغرب) وجواب أبي علي اليوسي عندما سئل عن حد حرم الشيخ خلال زيارته لضريحه ؛ فقال (المغرب كله حرم لأبي الفضل)[35].

---

33) كان يعقوب المنصور المعاصر له ـ على العكس من ذلك ـ كثير الصدقات على المساكين والفقراء، واشتهر بعدله ورعايته لمصالح السكان. المعجب، 284. ط. 1949.

34) درر الحجال 65.

35) درر الحجال 79.

ولدت له هانيا وحجبت وعمرا وذكر ابن سعد انه صلى الله عليه وسلم خطبها [illegible]
[illegible] فلما ادرك بنوها عرضت نفسها عليه فقال اما الان فلا لان الله انزل عليه [illegible]
[illegible] التي هاجر معك ولم تكن من المهاجرات [illegible] يقتضي ان [illegible]
[illegible] خلاصة ما في [illegible] في هذا القسم وذكره في القسم الرابع [illegible]
[illegible] يوسف [illegible] وقال الصواب انه لا صحبة له

ارثيت الارامل [illegible] من تحمل	من الحوائج بالفضل يوسف بن علي
شيخ الشيوخ الذي شاعت فضائله	في كل قطر وفي سهل وفي جبل
[illegible] نيرى [illegible]	في البحر يحظى بالمقصود والامل
يا سيدي [illegible] نافذا	انتم والقلب بلا اكدار في شغل
والحوائج [illegible]	عسى بفضلك ان تقضى الحوائج لي
وانت باب من ابواب الاله ومن	اتاكم يبرى من الاسقام والعلل
انني تشفعون بالقطب الامام	[illegible]
وبالمهيمن [illegible]	محمد سيد الانام [illegible]
صلى عليه اله العرش ما هطلت	سحائب وتمشي النور في [illegible]

السمط الثاني في ذكر الامام [illegible] وشيء من [illegible] وذكر مناقبه [illegible] قاضي القضاة [illegible]

[illegible] البياضي [illegible]
[illegible] البياضي [illegible] البياضي
[illegible]
[illegible]

(نموذج من السمط الثاني من در الحجال)

وقصد بإيراد المقولتين تأكيد ما رواه عن فضل عياض ومكانته بين علماء المغرب وأوليائه.

خصائص الكتابة الصّوفية في «درر الحجال» :

يسمح لنا ما وصلنا من «درر الحجال» بإبداء الملاحظات التالية :

1 ـ الإكثار من التقسيمات والفصول. فقد عقد ثلاثة وثلاثين فصلاً للحديث عن ثلاثة محاور أساسية. وجاءت مختصرة لا تتعدى بضعة أسطر في الغالب. ولم يتعد بعضها الآخر الصفحة الواحدة، وبلغ أطولها ثمان صفحات، وهو الفصل الذي تناول فيه كرامات الأولياء.

ولعل مردّ هذا الاختصار عائد إلى موقع الفصول من الكتاب، فهي عبارة عن مقدمة لا غير.

2 ـ تعكس موضوعات المقدمة مشاغل عامة الناس في عصر المؤلف : مناقب الصلحاء، المفاضلة بين علماء الظاهر والباطن، إثبات كرامات الأولياء، وهي أحياناً متواضعة : كمناقشة مسألة تقديم الصدقة للولي، وأخذ التراب من القبور وقراءة الفاتحة عندها، والحلف في الروضات والأضرحة... وهي مسائل لا أهمية لها في ذاتها، وتقوم دليلاً على المستوى الذي آلت إليه الكتابة الصوفية في منتصف القرن الثاني عشر.

فقد ركزت على القشور وتركت جانباً الموضوعات الأكثر أهمية، والتي تعين المريد على معرفة نفسه ومجاهدتها ومعالجة عيوبها وعللها، قصد قطع المقامات، وتجاوز الأحوال، لبلوغ الهدف المنشود.

وقد كان لتقديس الأولياء وتتبع أخبارهم ومناقبهم أثر في تعدد مؤلفات الطبقات والتراجم «كالدّرر» الذي نتحدث عنه، والصفوة والنشر، والتقاط الدرر...

3 ـ ينوع المؤلف أساليب الاستدلال على ما يورده من آراء، ويعرض له من مناقشات، وهي بالأساس : القرآن والحديث، وأقوال السّلف، ومشاهير مؤلفي كتب التصوف.

ويُكثر من إعطاء الأمثلة وقصص الأولياء وخاصة المعاصرين له.

ويتوخى الدقة والضبط بالنقل عنهم مشافهة أو رواية، واختيار أصح الأسانيد عند تأخر أزمانهم. ويحتوي الكتاب على مجموعة من الأخبار المروية عن أصحابها مباشرة من معاصري المؤلف.

كما يستشهد بالنصوص الشعرية على عادة مؤلفات التصوف : كالتشوف، وأنس الفقير، وأثمد العينين... وغيرها، ويقصد به إثارة العواطف والانفعالات خدمة للمقصد العام.

4 ـ ويسعى إلى الإقناع بهذه الأساليب أكثر من استعمال أسلوب النقاش وإبداء الرأي. فهو كثير التردد بادي السلبية، قليلاً ما يبدي رأيه أو موقفه بكامل الوضوح. فما أكثر مثل تعبيراته (هذه المسألة كثر فيها النزاع بين الأئمة، وتشعبت فيها الآراء، ونحن نخلص كلامهم في ذلك تلخيصاً حسناً)[36]. وبالطبع دون إبداء رأي في ذلك.

(36) درر الحجال 46.

وفي مثل قوله عند حديثه عن الساعين للقبور حفاة (لكن عادتي أنا لا أنكر عليهم في ذلك)[37].

ويتخذ موقفا سلبياً من المجاذيب الذين يجوبون الطرقات شعثاً غبرا، قائلاً في موضوعهم (وعادتي أنا فيهم أن أعرض عنهم فلا أعرض لهم بإنكار ولا بتسليم)[38].

ويمكن رد هذه المواقف إلى ما شاع في عصر المؤلف من احترام الأولياء كيفما كان حالهم، وما يتناقله الناس من مناقبهم وكراماتهم وقدراتهم على معاقبة المنكرين عليهم والجاحدين لفضلهم، فلم تكن لليفرني الشجاعة الكافية للتخلص من هذه المعتقدات ومواجهة الموضوعات بتجرد.

ولعله كان أكثر جرأة عندما تعلق الأمر بمسألة لها أبعاد دنيوية كقضية التجاء أصحاب الجرائم إلى الأضرحة، واتخذ موقفاً صريحاً وهو منع إخراجهم منها سدّاً للذرائع وفقا للمذهب المالكي. إذ قد يلجأ إليها المظلومون كذلك لِمَا شاع في البلاد من ظلم الولاة والحكام، فيكون إخراجهم ظلماً لهم واعتداء على حُرمتهم[39].

5 ـ الاستطراد : كان اليفرني مولعاً بجمع أخبار الصوفية وأقوالهم ومناقبهم فحصل على قدر مهم منها كان له دور في ميله إلى الاستطراد فكلما تحدث عن حادث أو ظاهرة انساق إلى ما يعرفه من مثيل لها في محفوظه أو مشاهداته. وهي ظاهرة عامّة في التآليف العربية القديمة، لا تخلو

37) درر الحجال 31.

38) درر الحجال 8.

39) درر الحجال 42.

من فائدة بالرغم من سلبيتها منهجياً. فالمعلومات التي قدمها عن أبي يعزى، وأبي مدين مثلا **مفيدة جداً** وإن جاءت عَرَضاً في حديثه عن يوسف بن علي، وكذلك الشأن في كثير من فصول المقدمة.

6 ـ المصادر : لاحظ بعض دارسي «نزهة الحادي» أن اليفرني قد رجع فيه إلى أوثق المصادر المعروفة في عصره، واستعملها استعمالاً سليماً، وإلى المستندات المخزنية التي وقف عليها، ونقل منها بأمانة[40]، ونبّه بنفسه في مقدمة كتابه «صفوة ما انتشر» أنه اعتمد فيها على أزيد من عشرين مصدراً (ذكرها في آخر الكتاب) وقال :

(فكن أيها الناظر واثقاً بما فيه من الفوائد، عالماً أنها منقولة من الأصول المجردة من الزوائد)[41].

لقد سلك المؤلف نفس المنهج السليم في التعامل مع مصادر «درر الحجال» فكان يشير إلى اسم الكتاب، واسم صاحبه، ويحدد بداية النقول ونهايتها، ويضيف إلى المصادر المكتوبة الرواية الشفوية مهتماً بضبط الأسانيد وتدقيقها.

ومصادر ما وصلنا من «درر الحجال» متنوعة : أغلبها في موضوع التصوف، منها الأصول التي لابد أن يرجع إليها في هذا الموضوع كرسالة القشيري، والحكم العطائية، وحلية أبي نعيم، وتذكرة القرطبي... ومنها مؤلفات وشروح لبعض المغاربة كزروق في شرح الحكم، وشرح حزب البحر، وفي كتابه «القواعد»، والناصري في «أسئلته»...

---

40) مؤرخو الشرفاء 96.

41) صفوة ما انتشر 2.

ومنها مؤلفات في الصلاة والتسليم على النبي ﷺ مثل :

القول البديع للسخاوي - وضياء النهار في فضل الصلوات والأذكار لأبي القاسم بن محمد.

واعتمد كذلك كتب التراجم والمناقب وطبقات الأولياء : كالتشوف، ومناقب الجيلاني، والنجم الثاقب لابن صعد، والديباج لابن فرحون. وفهارس العلماء : كغنية غياض، وفهرسة العمري، وفهرسة المنجور. والنوازل : كنوازل ابن رشد، والنوازل القورية، ومعيار الونشريسي...

وأخيراً كتب الحديث وشروحها : كالصحيحين، ومسند أحمد، والموطأ... وذلك لتخريج الأحاديث الواردة في موضوع الزيارة، والولاية والتصليات...

7 - ويصير «درر الحجال» بدوره مصدراً مهماً لتوفره على معلومات لا توجد في غيره :

- منها ما يتعلق بالمؤلف نفسه، انفرد بذكر بعض الشيوخ الذين أخذ عنهم، وهم أبو علي المعداني، العربي بن أبي القاسم الأمراني، أبو عبد الله المسناوي. وإشارته على الولي بإصلاح ضريح أبي يعقوب كما هو عليه الآن.

- ومنها ما يتعلق بظاهرة سبعة رجال : تاريخ تنظيم الزيارة، وملابساتها وهذا ما خوّله مكانةً خاصة بين المصادر التي تناولت هذا الموضوع.

مراكش **حسن جلاب**

المصادر والمراجع

أ ـ المخطوطات :

1 ـ عباس بن ابراهيم المراكشي
إظهار الكمال في تتميم مناقب أولياء مراكش سبعة رجال
مخطوط الخزانة الحسنية رقم 232 (النسخة المطبوعة غير تامة).

2 ـ مجهول
العيون المرضية في ذكر مناقب الطائفة الرجراجية
مخطوط خاص بمراكش.

3 ـ محمد الأمين الشنجيطي الصحراوي
المجد الطارف والتالد على أسئلة الناصري أحمد بن خالد.
مخطوط الخزانة العامة بالرباط 588 ك.

4 ـ محمد الصغير اليفرني المراكشي
درر الحجال في سبعة رجال.
مخطوط خاص بالرباط.

5 ـ محمد الغالي بن المكي الأندلسي.
بادرة الاستعجال في مناقب السبعة رجال
مخطوط خاص بالرباط

6 ـ محمد المكي بن مريدة السرغيني
الكواكب السيارة في البحث والحث على الزيارة
مخطوط الخزانة العامة بالرباط 479 ك.

ب ـ المؤلفات المطبوعة :

7 ـ أحمد بن خالد الناصري
الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى
طبعة دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954 ـ 1956.

8 ـ عباس بن ابراهيم المراكشي
الإعلام بمن حل مراكش واغمات من الأعلام
المطبعة الملكية، الرباط 1974 ـ 1983.
9 ـ عبد السلام بن سودة
دليل مؤرخ المغرب الأقصى
طبعة دار الكتاب، الدار البيضاء، 1960.
10 ـ عبد الواحد المراكشي
المعجب في تلخيص أخبار المغرب
ط. القاهرة 1949. بتحقيق العريان والعلوي.
11 ـ ليڤي بروفنصال
مؤرخو الشرفاء
تعريب عبد القادر الخلادي، طبعة دار المغرب 1977.
12 ـ محمد الصغير اليفرني المراكشي
صفوة ما انتشر من صلحاء القرن الحادي عشر
طبعة فاسية.
13 ـ محمد بن محمد المؤقت المراكشي
تعطير الأنفاس في التعريف بالشيخ أبي العباس
طبعة فاسية 1336.
14 ـ محمد بن محمد المؤقت المراكشي
السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية
طبعة فاسية 1335.
15 ـ محمد المنوني
المصادر العربية لتاريخ المغرب
طبعة الرباط 1983.
16 ـ اليوسي، أبو علي الحسن
رسائل اليوسي
تحقيق فاطمة خليل القبلي. طبعة دار الثقافة الدار البيضاء 1981.

ج ـ المقالات :

17 ـ حسن جلاّب
محمد الأمين الشنجيطي.
دعوة الحق، عدد 263، مارس 1987.

د ـ مراجع أجنبية :

18 - – Henri Decastries
Les sept patrons de Marrakech.
Hésperis. T. IV 3e trim. 1924.

19 - **Michaux Bellaires**
Les confréries religieuses au Maroc
Archives marocaines vol. XXVII, 1927.

20 - **Robert Montagne**
Les bérbères et le maghzen dans le sud du Maroc
Paris, 1930.

مراكش **حسن جلاب**

شعر العرشيات

عبد الواحد ابن صبيح

نشأة أدب العرشيات :

يندرج شعر العرشيات في إطار أدب العرشيات، ونعني به الأدب المتعلق بعيد العرش المجيد الذي يحتفل به المغاربة قاطبة في كل سنة تخليداً لذكرى جلوس جلالة الملك على عرش أسلافه المنعمين؛ ولكي ندرك طبيعة هذا الأدب ينبغي أن نتعرف على نشأته، وبما أن نشأته مرتبطة بعيد العرش أرى من الضروري أن ألقي بعض الضوء على الظروف التي عملت على وجود هذا العيد.

عندما نتصفح تاريخ المغرب الحديث ندرك أن المغرب عاش فترة حالكة إبان عهد الحماية التي فرضت عليه في ظروف قاهرة غامضة منذ سنة (1912 م)، وازدادت الأوضاع تأزما بعد إعلان ما يعرف بالسياسة البربرية في السادس عشر من شهر ماي سنة (1930 م)، تلك السياسة التي هدف

الاستعمار من ورائها إلى تجريد الملك من اختصاصاته الدينية والمدنية، وتمزيق وحدة الأمة بتكوين قومية مزدوجة : مغربية وفرنسية، وسلب مقوماتها الروحية والحضارية، وانتزاع سيادة المغرب الشرعية المتمثلة في العرش العلوي والجالس عليه، تمهيداً لجعله مستعمرة فرنسية خالصة بدلا من دولة محمية، ولقد فطنت الحركات الوطنية ـ التي كانت تمثل الجماهير الشعبية ـ لعواقب هذه السياسة الماكرة فعملت على محاربتها بكل ما أُوتيت من قوة، وكان في طليعة ما فكرت فيه أن تحدث عيدا وطنيا شعبيا يعرب فيه المغاربة عن تشبثهم بالعرش العلوي وتعلقهم بالمتربع عليه، تأكيداً لسيادة الدولة المغربية، وتمتيناً لوحدة المغاربة[1].

وتفيدنا بعض المراجع أن أول من كتب من المغاربة مطالباً بإحداث عيد العرش هو المرحوم الأستاذ محمد حصار، حيث كتب مقالا في هذا الصدد بمجلة «المغرب» الشهرية في العدد الحادي عشر الصادر بتاريخ شهر يوليوز سنة (1933 م)، ومما جاء فيه : «...كما نطالب منها ـ أي الحكومة الفرنسية ـ أن تصدر قراراً باتخاذ يوم جلوس صاحب الجلالة على العرش المغربي عيدا وطنيا»، ثم نشر مقالا ثانيا في العدد الموالي من المجلة نفسها يعزز نفس الفكرة ؛ وتكونت بعد ذلك لجنة وطنية لهذا الغرض، فقدمت مطلباً للحكومة باسم الأمة المغربية، ولم ترضخ الحكومة الفرنسية لهذا

1) لمزيد من التفصيل راجع مقالاً للأستاذ محمد العربي الشاوش بعنوان : «قصة عيد العرش بتطوان» نشر بمطبوع أصدرته عمالة إقليم تطوان في مارس 1986 بمناسبة الذكرى الفضية لتربع جلالة الملك الحسن الثاني على العرش. (ص : 75 ـ 98).

المطلب إلا على مضض، فأصدرت قرارا وزيرياً بتاريخ : السادس والعشرين من شهر أكتوبر سنة (1934 م)، أعلنت فيه عن جعل مناسبة جلوس جلالة الملك على عرش أسلافه الكرام عيداً وطنيا شريطة ألا تلقى فيه خطب ولا تحدث فيه تجمعات[2].

وما أقبل اليوم الثامن عشر من شهر نوفمبر من نفس السنة ـ وهو اليوم الذي يوافق تربع صاحب الجلالة محمد الخامس طيب الله ثراه على العرش ـ حتى بادرت الحركات الوطنية في كل أرجاء المملكة المغربية إلى إقامة الحفلات، وإرسال البرقيات إلى جلالة الملك يهنئونه بالعيد السعيد ويجددون له الولاء. ومنذ ذلك الحين صار عيد العرش مناسبة وطنية يتصل فيها العرش بالشعب اتصالاً كان له ما بعده من نتائج وطنية باهرة، وبالرغم من الرقابة الاستعمارية أصبحت حفلات عيد العرش عبارة عن مظاهرات شعبية تُلقى فيها الخطب والأشعار وتدبَّج فيها المقالات، وكان يعقب الاحتفال عادة أسرُ كثير من الوطنيين ومصادرة بعض المجلات من قبل السلطة الاستعمارية، وكان لا يتجرأ على الممارسة الأدبية فيه من الأدباء إلا من عُرِف من بينهم بالتضحية والفداء. وبلغ الاحتفال بعيد العرش الذروة الثورية بعد نفي محمد الخامس وأسرته الكريمة في يوم عشرين غشت سنة (1953 م)، عندما ثار الملك والشعب الثورة الكبرى، فتطور الاحتفال بعيد العرش من مظاهرة شعبية سلمية إلى عراك حادّ بين الجماهير والقوات الاستعمارية.

---

2) انظر في هذا الصدد مقالة للأستاذ أبي بكر القادري بعنوان : «فكرة الاحتفال بعيد العرش انبثقت من صميم الشعب المغربي». (مجلة دعوة الحق، مارس 1981، ص. 61 وما بعدها).

يتضح من هذا العرض التاريخي الموجز أن أدب العرشيات أدب مغربي أصيل برز في عهد جلالة الملك محمد الخامس قدس الله روحه، وبالضبط منذ أول عيد العرش المؤرخ باليوم الثامن عشر من شهر نونبر سنة (1934 م)، ونشأ نشأة شعبية ثورية في خضم الأحداث الوطنية التي عايشها المغرب (ملكا وشعبا) إبان فترة الحماية، ففي هذه المرحلة اتخذ طابعه الخاص وشكله المتميز، وبعد أن كان الأدب الذي يتعلق عادة بالمناسبات الرسمية أدبا لا يعدو أن يكون من قبيل المدح صار أدبا وطنيا اجتماعيا يصور كفاح العرش والشعب من أجل التحرير والوحدة، والتقدم والازدهار، ويعبر عن مشاعرهما المتبادلة وآمالهما الموحّدة[3].

فنونه وقيمته :

يضم أدب العرشيات عدة فنون أدبية يمكن تصنيفها بالصورة التالية :

1 ـ الخطب : وفي طليعتها الخطب التي يُلقيها صاحب العرش على الشعب بهذه المناسبة، ثم خطب الأدباء وتلقى عادة في المحافل الشعبية.

2 ـ المقالات : وهي متعددة الموضوعات، فمنها : التاريخية، والسياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والدينية، ومنها الذاتية التي تتخذ شكل الذكريات الوطنية.

3 ـ الشعر الفصيح : وهو الذي يهمنا في هذه الدراسة، والملاحظ أنه من النوع العمودي التقليدي، ويسهم في إبداعه شعراء من المغرب والمشرق أيضاً.

3) انظر كتاب : «أحاديث عن الأدب المغربي» لفضيلة الأستاذ عبد الله كَنون ص .

4 ـ المسرحيات : وهي نوعان : فصيحة ودارجة، وتشخص عادة من قبل الفرق المسرحية المغربية في صورة ملاحم وطنية.

5 ـ قصائد الملحون والزجل : وتدخل في إطار الأدب الشعبي؛ حيث تُنظم باللهجات المغربية المحلية بما فيها القريبة من اللغة العربية أو التي لها أصول بربرية، وجلها يلحن ويغنى.

وإن مادة هذا الأدب وفيرة وخصبة وجديرة بالبحث والدراسة لما تحتوي عليه من قيم عديدة أهمها :

1 ـ القيمة التاريخية : حيث إنه يوثق الأحداث الوطنية الهامة ويعرض المنجزات الضخمة التي حققها العرش والشعب.

2 ـ القيمة الحضارية : إذ يصور تقاليد وأصالة المجتمع المغربي وأخلاقه النبيلة من شجاعة وإباء، وتضحية وفداء، وإخلاص ووفاء.

3 ـ القيمة الوطنية : فهو يبرز مدى تعلق العرش والشعب بالوطن، والعرى المتينة التي تربط العرش بالشعب والشعب بالعرش.

4 ـ القيمة القومية : حيث إنه يصور مدى حرص المغرب على قوميته العربية وإسهاماته في تحقيق سيادتها ووحدتها وازدهارها.

5 ـ القيمة الدينية : إذ يصور تشبث المغاربة (ملكا وشعبا) بالتعاليم الإسلامية المثلى، والجهود التي يبذلها صاحب العرش من أجل النهوض بالأمة الإسلامية.

6 ـ القيمة السياسية : حيث إنه يصور السياسة الرشيدة التي ينهجها صاحب العرش، بما فيها السياسة الداخلية والسياسة الخارجية.

7 ـ القيمة الفنية الأدبية : فهو لون أدبي فريد من نوعه في تاريخ الأدب المغربي، له خصائصه ومميزاته، ويتبوأ مكانة بارزة في الأدب المغربي الحديث.

تأطيره بين الأغراض الأدبية :

لعل أول قضية تواجه الباحث وهو يدرس العرشيات هي تأطير هذا الأدب وتصنيفه ضمن الأغراض الأدبية، وعندما وقفنا على مضمون هذا الأدب وعلى الظروف والملابسات المحاطة به وبمبدعيه، لاحظنا أنه أدب وطني مغربي أصيل سواء في نشأته وطبيعته، أو في موضوعاته ومضامينه، أو في أهدافه ومقاصده، ولا علاقة له بالمدح التقليدي. ولكي نرفع الالتباس عن هذه القضية أعرض الأدلة التالية :

1 ـ إن مبدعي هذا الأدب ليسوا أدباء متكسبين، وإنما هم أصحاب مبادئ سامية وأفكار نيرة، وجلهم من الذين أسهموا في الحركة الوطنية المباركة وذاقوا عذاب الأسر أثناء فترة الحماية وهم جميعا يصدرون في ممارستهم لتجربته عن روح وطنية صادقة.

2 ـ إنه أدب يشتمل بالإضافة إلى إبداع الأدباء من الرعية إبداع صاحب العرش نفسه، وذلك بواسطة خطبه البليغة التي يلقيها على الشعب في هذه المناسبة الوطنية، فكيف يمكن أن تدرج العرشيات في غرض المدح التقليدي وهي تشتمل على إبداع الموجهة إليه أيضا ؟

3 ـ إنه أدب ذو نزعة شعبية جماعية، فالأديب يتحدث بلسان الأمة جمعاء، يترجم عن آمالها ويعرب عن مشاعرها، ولا ينزع نزعة فردية كما هو

الشأن في غرض المديح، وحتى عندما يعبر أحد الأدباء عن مشاعره فإنها لا تتسم بالخصوصية الفردية، وإنما مشاعره جزء لا يتجزأ من مشاعر الجماعة.

4 ـ إن مضمون هذا الأدب لا يقتصر على تمجيد الملك فحسب، وإن كان هذا التمجيد صادراً عن روح وطنية صادقة، وإنّما يحتوي أيضا، مضامين أخرى بعيدة كلّ البعد عن المضامين التي ترد عادة في المدح التقليدي.

5 ـ إن الشاعر لا يعرب عن التكسب البتة، فلا يطلب هبة ولا حاجة كما هو الحال في قصائد المديح التي لا يخجل فيها الشاعر المتكسب فيعرب عن التكسب صراحة وكأن قصيدته بضاعة يعرضها على الممدوح.

وحتى لو اعتبرنا ما يشتمل عليه أدب العرشيات من تمجيد لصاحب العرش، فإن هذا لا يجعل منه أدباً مدحيا تقليديا، لأن المدح عندما يصدر عن شعور صادق ممزوج بالروح الوطنية والقومية والدينية لا يكون مدحاً بمفهوم المدح التقليدي، وإنما هو اعتزاز بالوطن والقومية والدين، ومهما بالغ الأديب في التمجيد فإنه يظل بعيداً عن المدح التقليدي إذا كان هذا المُمجد متفانيا في خدمة شعبه وأمته؛ ولقد أعربت عن هذا الرأي أيضا عند دراستي للأدب المرابطي فقلت إنّ التنويه بمفاخر المرابطين كان واجبا مقدّساً على الأدباء جميعاً، لذلك أشاد بهم حتّى الأدباء المتأففون من خدمة السلطان، وكذلك الشأن بالنسبة لأدب العرشيات إنه فيض من الشعور الوطني الصادق يصدرُ عن النبل والكرامة وليس عن المحاباة أو المجاملة.

كل هذا يدل دلالة قاطعة على أن العرشيات لا تندرج في إطار المدح التقليدي، ولا تَمُتّ إليه بأية صلة ؛ ولقد رأى كلّ من فضيلة الأستاذ عبد الله كَنون، والدكتور عباس الجراري، والدكتور إبراهيم السولامي والأستاذ

عبد العلي الوزاني إدراج العرشيات في إطار الأدب الوطني[4] وهو رأي صائب إلى حد بعيد، غير أنني أرى أنه بالإضافة إلى ذلك، يتسم بخصوصيات وطنية متفرّدة، فهو لون أدبي وطني جديد يختلف عن الأدب الوطني المعهود لدى الأمم الأخرى، ومردّ هذا الاختلاف إلى كونه مطبوعاً بطابع مغربي محلي أصيل، إنه أدب أسهم في إبداعه عرش مجيد وشعب نبيل تفانى كل منهما في حب الآخر، واختار الله لهما موعداً للقاء هذه الأرض المغربية الطيبة، فنتج عن هذه العناصر كافة أدب العرشيات.

عرضنا فيما سبق لشعر العرشيات ضمن أدب العرشيات بصفة عامة والآن سنلقي بعض الضوء على القصيدة العرشية بصفة خاصة :

أولا : المحاور والمضامين

يقوم بناء القصيدة العرشية على عدة محاور يمكن إجمالها فيما يلي :

1 ـ تصوير بهجة عيد العرش المجيد.

2 ـ الإعراب عن الحب والولاء للملك والعرش.

3 ـ الإشادة بصاحب العرش وبأعماله الجليلة.

4 ـ الإعراب عن حب الوطن وتمجيد الشعب المغربي.

5 ـ عرض الأحداث الوطنية الهامة.

6 ـ الإعراب عن الأماني والطموحات.

---

4) انظر : «أحاديث عن الأدب المغربي» لعبد الله كَنون ص. 153 ـ 157.
ـ و«الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه» للدكتور عباس الجراري ص. 210.
ـ و«الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية» للدكتور ابراهيم السولامي ص. 112.
ـ و«أدب عيد العرش فكرة واقتراح» للأستاذ عبد العلي الوزاني ـ مقالة بدعوة الحق العدد، مارس 1969 ـ ص. 96.

7 ـ تقديم التهاني والدعاء.

8 ـ محاور متنوعة : إذ يلاحظ في بعض القصائد محاور أخرى غير قارة، مثل : حديث الشاعر عن شاعريته وشعره، والتنويه بالجيش المغربي الباسل، والتعريض بأعداء المغرب، وعرض قضايا الأمة العربية الإسلامية.

ويختلف ترتيب هذه المحاور من قصيدة إلى أخرى إلا أن الصورة العامّة لبناء القصيدة العرشية لا تخرج عن هذا الإطار، مهما تعددت نزعات الشعراء واختلفت مضامين فرعية تضيق هذه المحاضرة عن استيعابها جميعاً وتحليلها تحليلاً مفصلاً، إلا أنه نظرا لأهميتها في تكوين رؤية مكتملة عن العرشيات سأعرض لها ولو بكيفية مقتضبة :

1 ـ تصور بهجة العيد :

يرد هذا المحور عادة في صدور القصائد وتختلف صوره باختلاف نزعات الشعراء :

ـ فتارة يرد في صورة حديث الشاعر عن نفسه بطريقة طريفة يُعرِب من خلالها عما يختلج في الصدور من سرور وابتهاج بهذا العيد السعيد :

ما لنفسي... ما اعتراها ولمن تُبدي هواها

قد تجلّت في بهاءٍ تتباهى بسَناها

وبنور وضياء شاع فيها فزَهَاها

رفرف البشرُ عليها حائما يكسو حلاها[5]

5) من قصيدة «حب ورجاء» للشاعر مالك محمد بنونة.

ـ وتارة يرد في صورة حديث الشاعر عن شعره، فمن خلال هذا الحديث يصور الفرح الذي يغمره والبهاء الذي يَشِعّ في كل الكائنات من حوله :

طربت ولم أطرب للحن مهيج	يخف إليه الناسك المتعبد
وما طربي إلا لغرّ قصائد	بدائسع في العرش المجيد تنضّد
نظمت نثر المدح فيها قلائدا	فذَا لؤلؤ منها وهذا زبرجد
تخرّ مصاقيع البلاغة سُجّداً	لها وتهز المنتدى حين تنشد[6]

ـ إلا أن الصورة الغالبة هي التي تقوم على استلهام عناصر الطبيعة المغربية، حيث يُضفي الشاعر عليها الحياة، ويجعلها فرِحة جذلى بحلول عيد العرش البهيج ومن الأمثلة على هذه الصورة البديعة ما جاء في صدر قصيدة للشاعر محمد أجانا :

رقص الأطلس يبدي	فرحة العيد السعيد
وانتشى الشاطئ بُشرى	وتغنّى بالنشيد
طرِبَ الجدول يمشي	جَذلا نحو المصبّ
هتف الشعبُ رضيّا	باسماً بسمة حب
ضحك الروض وغنّى	بلبلُ الرّوض لُحُونا
وجرى النهر طليقا	عاشقا يهوى الفتونا
وغزا الفجر الوجودا	بضياء وشعاع
أصبح الكون بهاء	في علو وارتفاع[7]

6) من قصيدة آيات البشائر للشاعر محمد الكبير العلوي/مجلة دعوة الحق، يونيو 1981.
7) من قصيدة «العرش الصامد والخالد» / «مجلة دعوة الحق، أبريل 1982.

2 ـ الإعراب عن الحب والولاء للملك والعرش :

من المضامين السامية التي يحفل بها شعر العرشيات الإعراب عن الولاء للعرش العلوي المجيد وللمتربع عليه، وتصوير الحب المتبادل بين الملك والشعب، هذا الحب الذي آثره صاحب العرش حفظه الله عن حب النفس والأهل حين دعا الله في صلاته قائلا : «اللهم إنّي لا أسألك نفسي ولا مريم ابنتي وإنما أسألك شعبي»[8].

وبالمقابل إنه الحبُّ الذي وصفه شاعر العرشيات المعبر عن شعور الشعب بقوله :

إمام أحبته الجماهير حبّه لها، وله فيها الغرام المسهّد
وبادلها حبّا بحب فأخلصا وكلّ له عهدٌ مصونٌ مؤكد[9]

وصور هذا المحور متعددة بتعدد أواصر هذا الحُبّ العظيم والولاء الراسخ :

ـ فمنها ما ترْتكِز على العُرى الدينية وتستلهم التعاليم الإسلامية :

إن الوفاء فضيلة وعقيدة والعهد عهدُ نبيّنا العدنان
إن الولاء لعرشنا نعني به إذعاننا للواحد الديان

---

8) وقال المغفور له جلالة الملك محمد الخامس في هذا الصدد عندما نفي في فترة الحماية : «هانت علينا التضحية بسعادة أسرتنا الصغيرة، ولم تهن علينا التضحية بأسرتنا الكبيرة».

9) من قصيدة «آيات البشائر» لمحمد الكبير العلوي/ مجلة دعوة الحق، يونيو 1981.

ـ ومنها ما تقوم على عُرى الأصالـة والتـاريخ، فحب العرش إرث[10] حضاري يرثه الخلف عن السلف :

فنفديـه بـالأرواح مـا صـاح صـائح هلمّـوا إليـه فـالخطـوبُ مَـواقـدُ
خـلال ورِثنـاهـا على طـول دهرنـا ومنـه اقتبسنـا مـا بـه نتـواجـد[11]

ـ ومن صوره أيضـاً مـا تستنـد على عرى إنسـانيـة تتمثـل في الخصـال الكريمة كالرحمـة والمودة واللطف والرعـايـة والإيثـار، ومن الأمثلـة في هـذا الصدد :

هـو الحسن الينبـوع يـدفـق رحمـة فيجني وداداً في القلـوب وأنصـاراً[12]
يـا عـاهـلاً ملَـك القلـوب بلطفـه فغـدت تكِنّ لـه الوفـا وتنـاصره[13]
تنـام عيـون المـالكين وعينـه على الشعب يقظى لا يَرفُّ لها هدب[14]

ـ ولم ينحصر هذا الحب بين صاحب العرش ورعيتـه وإنمـا فـاض على الناس كافّة، وهذا ما يعلل ولاء كثيرٍ من غير المغاربة لجلالة الملـك سواء في العرب أو العجم، وأذكر من بينهم الشاعر الجزائري مفدي زكريـاء الـذي لـهُ في ديوان العرشيـات قصـائـد غرّاء، والشـاعر السوري الكبير عمر أبو ريشـة

---

10) من قصيدة «عشق وجهاد وبشرى» لمحمد العلمي / مجلة دعوة الحق، مارس 1980.
11) من قصيدة «قفوا لجلال العرش» لقدور الورطاسي / (مجلة دعوة الحق، مارس 1980.
12) من قصيدة «العاهل الفياض» لشهاب جنبكلي / (مجلة دعوة الحق، شتمبر 1982.
13) من قصيدة «مواقف البطولة لعبد الواحد أخريف/ (مجلة دعوة الحق، مارس 1980.
14) من قصيدة «أيا حسناه» لمحمد الحلوي/ (مجلة دعوة الحق، مارس 1980.

الذي يقول منوها بالحب المتبادل بين العرش والشعب :

والشعب حــولــك راحــات مهللــة ترعى خطـاك ولا يشكـو لـه طلب
لأنت دمعتـــــه إن عضـــــه ألَمٌ وأنت بسمتُـــــه إن هَـــزّه طَرَبُ
إن العروش لأبقــاهـــا وأكرمهـــا ما صاغه الحبُّ لا ما صاغه الـذهب[15]

والواقع أن هذا المحور لـه نصيب وفير في القصيـدة العرشيـة، ويصعبُ حصره وتصنيفه فضلاً عن سبر أغواره والإلمام بلطـائفـه ودقـائقـه، وإذا كان جهابذة الحكماء قد حاروا في معرفة حقيقة الحب العادي، فما بـالـك بمعرفـة أسرار حب بين عرش مجيد شريف وشعب أبيّ نبيل.

3 ـ الإشادة بصاحب العرش وبأعماله الجليلة :

إن صاحب العرش أعزه الله في القصيـدة العرشيـة المثل الأعلى والرمز الأسمى والنور الأسنى، ويتضمن هذا المحور عدة عناصر أهمها :

- ـ الإشادة بشخصية الملك العظيمة وعبقريته الفذة.
- ـ الإشادة بأخلاقه الكريمة وخصاله النبيلة.
- ـ الإشادة بحنكته السياسية الرشيدة.
- ـ الإشادة بعلمه وثقافته وفصاحته وبلاغته
- ـ الإشادة بنسبه النبوي الشريف.
- ـ الإشادة بأعماله الجليلة ومنجزاته الضخمة.

---

15) من قصيدة «زين الشباب» / مطبوع الحسنيات ص. 260.

والعرشيات خاصّة بهذا المحور الذي يدل على اعتزاز الشاعر بملكه وتقديره لفضائله وثنائه على آياديه السابغة التي عمّت خيراتها الشعب المغربي قاطبة والأمة العربية الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها، ولعمري إن صاحب العرش لجدير بكل تقدير وتمجيد، فخصاله الكريمة وعبقريته الفذة وأعماله الجليلة واضحات للعيان، لا ينكرها إلاّ جاهلٌ بليدٌ، أو جاحدٌ عنيدٌ. ومضامين هذا المحور الفرعية متنوعة وغفيرة، والأمثلة عليها كثيرة ومتعددة، أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر قول الشاعر محمد العلمي :

إن ابن يوسف والد الحسن الهما ... م كلاهما في السرّ يلتقيان
وإمامنا في حدّه ونضاله ... بالفضل أصبح قُرّة الأعيان
منه الكرامات الحسان تزينت ... للناظرين قوية البرهان
والعلم صنو ولاية في ملكه ... وسلوكه يأتيك بالتبيان
وإذا يد الأجواد جادت بالندى ... فاضت ببحر الفضل منه يدان
بيضاء تستبق الأيادي هاهنا ... من عرشنا فليشهد الثقلان
صدَقت فراسته فأشرق عهده ... بالعدل بالتهذيب بالعرفان
فانظر إلى تلك المعاهد أينعت ... بحدائق الفتيات والفتيان
وفتوحه تسْبي قلوب ذوي النُّهى ... والشعب يلقاها بالاستحسان
والوعي في ندواته متبلور ... وسبيلُه للنصر خير ضمان
قد بزّ سحبانا وقسّا في الفصا ... حة واستمد الوعظ من لقمان
وسدود تروي الحقول بمائها ... فتمدّها بالروح والريحان
وإمامنا الحسن الحبيب المرتضى ... سعد السعود وبسمة الرضوان

بركاتـــه من جـــدّه عمّت بهـــا في المغرب البشرى بـــالاطمئنـــان
ومثـــالـــه من نفســـه لرعيـــة أمسَى يربّيهـــا على الإحســـان
والفـــوز مضمـــون بعرش مخلص يحمي الحِمى بعنـايـة الرحمـان[16]

4 ـ الإعراب عن حب الوطن وتمجيد الشعب المغربي :

إن شاعر العرشيات هائم في حب وطنـه ومعتزّ كل الاعتزاز بمواطنتـه، وغنيّ عن البيان ما يتحلّى به المغاربة (ملكاً وشعبا) من كرم ونبل وشجاعة وإباء، وما قـدّموه من تضحيـات في سبيل عزة العروبـة والإسلام ومنـاصرة قضايا العدل والسلام، وكـذلـك الوطن المغربي فـإنـه أصبح بفضل صـاحب العرش مَقصِدَ كل القادة المحبين للخير والسلام، بالإضافـة إلى مـا حبـاه اللـه من خيرات سابغـة ومنـاظر طبيعيـة خـلابـة وتـاريـخ حـافـل بـالأمجـاد والمكرمات، لهذا كلّه فلم يتغنّ بالمغرب والمغـاربـة الشعراء المغـاربـة فحسب، وإنما أشاد بها كلّ الشعراء الذين زاروا المغرب وتعرفوا على أهاليه[17].

ولقد اتخذ هذا المحور في القصيدة العرشية صوراً شتّى، إذ حشِرتْ فيه المشـاعر الرومـانسيـة والخصـال الخلقيـة، والمـواقف النبيلـة والاستلهـامـات التاريخية المجيدة، وغيرها كثير من صور الحب والاعتزاز، وكمثـال على ذلـك أعرض هذه المقتطفات من قصيدة «عشق وجهـاد وبشرى» للشـاعر محمـد بن

16) من قصيدة «عشق وجهاد وبشرى» / (مجلة دعوة الحق، مارس 1980.

17) انظر مطبـوع الحسنيـــات، ص. 84 ـ 119 ـ 204 ـ 207 ـ 215 ـ 243 ـ 248 ـ 260 ـ 262 ـ 263.

محمد العلمي[18] :

يقول معرباً عن حبّه للوطن المغربي :

بـــالمغرب الأقصى يهيم جنـــاني   وأراه في الأعمـــاق حيث يراني
لـو أنت تـوزن بـالجـواهر كلهـا   يـــا مـوطني لرجحت في الميزان

ـ ويقول متغنياً بجمال طبيعته الآسر :

يـا مـوطني يـا جنـة الـدنيـا التي   تختـال بـالأفيـاء والأغصـان
تجري بـك الأنهـار كالشهـد المـذاب   ويستحمّ العطر في الغـــدران

ـ ومن أقواله في الإشادة بخصال المغاربة :

والمغرب الأقصى جـــواد محسن   أكرم بـــه وبطبعـــه المعـوان
والمغـرب الشهم الأصيـل بـذاتـه   نـال الثنـاء بسـائر البلـدان
فـانظر إلى الأبطـال في الميـدان قـد   ثـــاروا على الأعـــداء كالبركان
لبيــــك من شعب وفيّ مخلص   وحّـدت فيـه تربـة الأوطـان

ـ ومنها مستلهما تاريخ المغرب المجيد :

من نسل (طـارق) الشجـاع شعـارنـا   عـزّ فلم نحمـل قيـود هـوان
نحيي من التـاريـخ خير فصـولـه   فتعـود فينـا صـولـة الشجعـان
إن (ابن تـاشفين) العظيم بروحـه   حيّ يخـاطبنـا بخير بيـان
فيعيـد تـاريـخ البطـولـة نفْسـه   فينـا ويـذكرنـا بيـوم رهـان

18) مجلة دعوة الحق، مارس 1980.

ـ ومنها أيضاً منوها بمواقف المغرب النبيلة :

فـذهب في (الكونغـو) لنجـدة إخـوة وأغـاث (شـابـا) عنـد يـوم طِعـان
(زايير) لا ينسى حمـايـة وحـدة لترابـه وكيـانـه اللّهفـان
يـا حبـذا وطني الـذي آلاؤه وجهـوده ذكرت بكل مكان
يحمي السّـلام فمـا تـأخر لحظـة بـل كان سبّـاقـاً لكسْبِ رهـان

5 ـ عرض الأحداث الوطنية الهامة :

مـا من حـادث إلا وثقتـه العرشيـات بحيث يمكن اعتبـارهـا سجـلا توثيقيا أساسيا يرجع إليه الباحث في هـذا الصـدد؛ يجـد فيـه المنشآت التي أنشأها الملك، والمؤتمرات التي ترأسها، والمعـاهـدات التي أبرمهـا، والمخططـات التي أبدعها، والأحداث التي أسهم فيها سواء المتعلقة بالسيـاسـة الـداخليـة أو الخارجية.

وإن هذه الأحداث في القصيدة العرشية كثيرة وجليلة، وسيطول بنـا الحديث لو عرضنا لها جميعاً لذا سنقتصر على حادثين كنموذج لهذا المحور :

ـ الحـادث الأول يتعلق بنفي المغفور لـه جلالـة الملـك محمـد الخـامس وأسرته الكريمة في فترة الحماية، ومن الأمثلة عليـه قول الشـاعر وقـد أمضّـه الحزن والكدر لهذا المصاب الجلل :

ملـك البـلاد المنتظر هـا عيـد عرشـك قـد حضر
والشعب بعـدك ذاهـل شـاكٍ يردّد في كـدر :

بطـــــل الحمى عن عرشـــــه متغيّب يــــــا للقــــــدر !
لكنــــــه متربّـــــع عرش القلـــــــوب المعتبر[19]

ـ أما الحادث الثاني فيتعلق بالمسيرة الخضراء التي أبدعها جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله، ونمثّل له بهذه الأبيات للشاعر عبد اللطيف أحمد خالص :

صحراؤنا تدعو له بعقيدة يحيا المليك : بقاؤه لبقائها
عاث الدخيل بأرضها متحدياً آمالها، متجهّلا لإخائها
فأغاثها الحسن الهمام مصمما في عزمه، وملبياً لندائها
وأمدّها بمسيرة خضراء أغـ ـنى عن مضاء السيف سرّ مضائها
أنظر إلى الآلاف من أتباعها ماشين كالفرسان في خيلائها
الله أكبر رددوها جهرة أوحى الإمام البَرُّ في إعلائها
وتسابقت نحو الحدود سلاحها الـ قرآنُ والتوحيد سرّ وقائها
فتحطّم الطغيان رغم صموده وتدانت الأبعاد من أنحائها[20]

وإن هذا المحور في العرشيات له أهمية خاصّة، ومادة خصبة، فحسبنا أن نعلم أن ما نظم في المسيرة الخضراء وحدها من شعر يشكل ديوانا مستقلا، ولولا ضيق الوقت لعرضت له بما يستحق من تفصيل وتحليل.

---

19) وردت هذه الأبيات ضمن مقالة للدكتور عبد الله العمراني بعنوان «من أمجاد العرش والشعب» / مطبوع إقليم تطوان بمناسبة الذكرى الفضية. ص : 41.
20) من قصيدة «نشيد العرش»، (مجلة دعوة الحق، مارس 1976.

6 ـ الإعراب عن الأماني والطموحات :

يقوم هذا المحور مقام إعراب الشاعر المتكسب عن مطلبه الشخصي، وأودّ أن أذَكِّر هنا بأن هذا المحور يؤكد ما قررناه سابقاً من أن العرشيات لا تندرج في إطار المدح التقليدي، فالحال هنا غير الحال هناك، إذ بيْنما الشاعرُ في القصيدة المدحية يستدرّ العطايا والهبات لنفسه، فإن الشاعر في القصيدة العرشية يعرب عن أماني الشعب وطموحاته. وإن الأماني في العرشيات مختلفة باختلاف الظروف ومتعددة بتعدد طموحات المغاربة (ملكا وشعبا) :

ـ ففي عهد الحماية كان شاعر العرشيات ينادي بتحرير البلاد من نير الحماية :

أبا النّصر تَمّمْ ما بدأت فما بقي   لفوزك إلا قاب قوسين أو شبر
فحقق أماني أمة ضاق ذرعها   وأرهقها الحامي وأثقلها الأمر
تريد حياة تحت تاجك حرة   وتطلب حقّاً ليس عن نيله صبر
ستبذل في آمالها كل ما اجتنت   قواها فإن عزّت فأرواحها مهر[21]

ـ ولما تحقق الاستقلال صار الشاعر يعزّز خطوات الملك في سبيل الإصلاح والنهوض بالبلاد :

أُبا الشعب عش لشعبك وحده   وشيد صرح العلا مشْمخِرّا
حسبك الله ناصرا ومعينا   فيه نلت في جهادك صبرا

---

21) «أحاديث عن الأدب المغربي» لعبد الله كَنون ص. 155. من قصيدة للشاعر محمد الحلوي.

يـا أبـا الشعب دمت للشعب حصنـا   لا تـــدع للشقـــاق فيـــه مقَرّا
قـد لمست الخطـوب كانت جسامـا   فتـــولّت بـــالعـــزم كرّا وفرّا[22]

ـ وعندما تحقق الإصلاح وعم الازدهار أصبح الشاعر ينادي باسترجاع الأراضي المتبقية إلى حظيرة الوطن :

يـا من بـه حفـل الـزمـان مهـابـة   ولـــه مشـــاعر قـــد عنّت وضراغم
صحراؤنـا لـك تشتكي أوصـــابهـا   وخضمّ (سبتـــــة) مشرئب نـــاقم
أمـــواجـــه غضبى تـــزمجر حـــدّة   وتكاد تـــوقـــع بـــالعـــدا وتهـــاجم
و(مليليـــة) أربـــاضهـــا فـــوّارة   وشطُـــوطُهـــا للغـــاصبين مـــآتم
وعلى (جـزائر جعفر) أشبـــالهـــا   تحمي المعـــاقـل والعـــدوّ تُصـــادم
و(صفـاة نكـور) تنـادي أُسـدهـا   إنـــا نـــدمّر من بغى ونـــداهم[23]

ـ وبـالنسبـة لقضيـة الأمـة العربيـة الإسلاميـة الأولى ألا وهي تحرير القدس، بارك الشـاعر مسـاعي جلالـة الملك الحميـدة ووجـه إليـه نـداءاتـه المستنجـدة، ولم تـأت النـداءات في هـذه المرة من الشعراء المغـاربـة فحسب، وإنما صدرت من مختلف شعراء الأمة العربية[24]، ومن شعر محمد الحلوي في

22) من قصيدة «لك مولاي قد رفعت قصيدا» لعبد الرحمن الدكالي مطبوع الحسنيات، ص. 14 ـ 15.

23) من قصيدة «صحراؤنا لك تشتكي أوصابها» لمحمد الحلوي، مطبوع الحسنيات ص : 256.

24) انظر على سبيل المثال قصيدة «يا من رعى الوعى الوحدة الكبرى» للشاعر الجزائري مفدي زكريا/مطبوع الحسنيات ص : 204.
وتوجد عدة قصائد في هذا الصدد منشورة بمجلة دعوة الحق، نظمت في مناسبات أخرى غير عيد العرش.

هذا الصدد :

فيا حسناه ! يا سليل محمد	وحامي مَسْراه، لقد روّع الركب
فقُدْهَا إلى شطّ الأمان سفينة	فأنت لها الرّبان والقائد النّدب
وطهّر رحاب القدس من رجس طُغمة	فإبقاؤهم فيها تدنّسها ذنب
ونحن ملايين، وفينا سواعد	ولكن خلاف المسلمين هو العيْبُ
فوحّد قواها واستردّ شبابها	فلا قدس إن لم يتّحد حولها العرب[25]

في هذه الظروف والقضايا جميعاً كان شاعر العرشيات لسان الأمة، ولم يكن قطّ شاعراً متكسّباً ؛ ولم يتعارض أبداً رغبات الشعب وأمانيه مع إرادة العرش وطموحاته فكأنها معاً نفس واحدة متحدة في الفكر والإحساس، يؤكد هذه الحقيقة ما نلمسه من تجاوب وتكامل بين مضامين خطب العرش ومضامين شعر العرشيات.

7 - تقديم التهاني والدعاء

يرد هذا المحور عادة في خواتم القصائد، والملاحظ أن شاعر العرشيات يوليه عناية فائقة، نلمس هذا في جمال الصياغة، وبلاغة الإيجاز، والجدير بالذكر أن الدعاء لأمير المؤمنين له أبعاد دينية فقد اعتاد سلفنا الصالح أن يُخلص الدعاء لأمراء المسلمين، فما أُثر عن الفضيل عن عياض أنه قال : «لو كانت لي دعوة مستجابة لدعوت بها للسلطان». وهذا ما يعلّل حرص شاعر

25) من قصيدة «أيا حسناه»، (مجلة دعوة الحق، مارس 1980).

العرشيات على الدعاء لصاحب العرش، ومما لاشك فيه أن هذه العناية تدل دلالة واضحة على حب الشاعر الخالص لصاحب العرش ولأسرته الكريمة، مما يجعل هذا المحور مرتبطاً بمحور الإعراب عن الحب للملك وللعرش، ولا يختلف عنه إلا في كونه يرد في صورة الدعاء أو التهنئة أو التحية. ومن الأمثلة في هذا القبيل قول الشاعر عبد الواحد أخريف :

فدُمْت لهذا الشعب مصدر عزة   تبوئه مجداً على الدهر باقيا
وعاش ولي العهد شبلك للهدى   يسير على النهج الذي شدت راضيا
ودام رشيد البيت في كنف التقى   يرى في حلاها بُرْدَه والآليا
وآلكَ في عزّ طريف وتالدِ   وشعبك يرقى في حماك المعاليا[26]

ومما يرد فيه الدعاء والتهنئة والتحية معا قول الشاعر قدور الورطاسي :

ففي منهج التوفيق، يا خير مَالك   رعتك السماء والسجايا روافد
ومنا التهاني الصادقات مدى الدّنى   وما صاح شعر صادق متوارد
قفوا لجلال العرش، فالعرش رائد   وحيّوا مليكاً توجتهُ الخوالِد[27]

ثانيا : نزعات الشعراء :

يلاحظ في شعر العرشيات نزعات شتى تتنوع حسب ميولات الشعراء، إلا أنها تدور جميعا في فلك واحد، هو فلك محاور القصيدة العرشية، وإليكم صورة مقتضبة عن أهم النزعات :

26) من قصيدة «ربع قرن على قمة المجد» لعبد الواحد أخريف مطبوع عمالة إقليم تطوان بمناسبة الذكرى الفضية ص. 36.

27) من قصيدة «قفوا لجلال العرش» / (مجلة دعوة الحق، أبريل 1982.

1 ـ النزعات الرومانسية :

ترد في صورة مشاعر حالمة تنساب من وجدان الشاعر الوطني لتضفي على القصيدة العرشية ألوانا زاهية وأنغاما عذبة وإحساسات رقيقة، إنها رومانسية وطنية فريدة من نوعها تقوم على أربعة عناصر هي :

- حب صاحب العرش.
- حب الوطن المغربي.
- وصف جمال الطبيعة.
- وصف بهجة العيد.

وتأتي هذه العناصر إما مؤتلفة أو متفرقة، ويرد ائتلافها في معظم الأحيان في صورة مزدوجة، فيمتزج حب الملك بحب الوطن، ويمتزج جمال الطبيعة المغربية ببهجة عيد العرش المجيد :

وكمثال على المزج الأول من شعر محمد العلمي :

بـــالمغرب الأقصى يهيم جنـــاني وأراه في الأعمـــاق حيث يراني
حسنـاتـه تثرى مـع الحسن الـذي بـالفكر والخلـق العظيم سبـاني[28]

ومن صور المزج الثاني من شعر عبد الواحد أخريف :

عيـد تعـود مـع الربيـع بشـائره وتلـوح في أفـق الـديـار سرائره
عنـد ابتسـام الزّهر في كنف البهـا تفترّ في ثغر الـزمـان بـوادره[29]

---

28) من قصيدة «عشق وجهاد وبشرى» / مجلة دعوة الحق، يونيو 1981.

29) من قصيدة «مواقف البطولة» / (مجلة دعوة الحق، مارس 1980.

وقد ترد مؤتلفة جميعا في صورة واحدة، ومن ذلك قول الشاعر نفسه :

حبّ الربيع بأرضنا حبّ لها ولمن يريد لها العلا ويؤازره
مليك يشيدُ بفعله أمجادها تحصى الرّمال ولا تعدُّ مآثره[30]

ولا يخفى ما في هذين البيتين من إبداع في المزج بين جمال الطبيعة وحب الوطن، وحب جلالة الملك، ومن براعة في التخلص من التغني بالوطن إلى الإشادة بصاحب العرش بالإضافة إلى حسن الصياغة وإيجاز العبارة.

وأحيانا أخرى تأتي تلك العناصر متفرقة ومتناثرة ولكنها لا تخلو من مسحة رومانسية بديعة.

ومما تجدر الإشارة إليه أن عنصر الطبيعة يطغى في القصائد العرشية التي نُظمت في عهد جلالة الملك الحسن الثاني، ومردّ ذلك إلى كون تاريخ عيد العرش في عهده الميمون يوافق حلول فصل الربيع البديع، مما يزيد العيد بهجة وجمالا وبالتالي يُضفي على القصيدة العرشية مزيداً من النضارة والبهاء. ويحلو لشاعر العرشيات أن يعلل هذه الموافقة السعيدة الرائعة بالعناية الإلاهية فيقول :

وما اختار القضا آذار ذكرى له عفوا، وقد جَلّ الصنيع
ولكن شاء ربّك ـ يا مثنّى ـ لعهدك أن يواكبه الربيع

---

30) نفس القصيدة والمرجع.

فتبتسم الأزاهر والأقــــــــاحي وتخضلّ الجــــداول والجــــذوع
وترتجــزُ البــلابــل في انتشــــاء أغــاريــدأ يرومهــا الربيــع[31]

والشاعر في كل هذه الأحوال عاشق صادق وفنـان مبـدع ورومـانسي حالم.

2 ـ النزعة الدينية :

هذه النزعة وإن بدت تقليدية فإنها بالنسبة لشعر العرشيات لها طابع خاص يجعلها محاطةً بهالـة قـدسيـة مفعمـة بـالخشوع والجلال، وليس هـذا الطابع سوى طابع الصدق والواقعية، فالشاعر عندما ينزع هـذا النزوع إنما يصدر عن إيمانه الراسخ بالدين الإسلامي الحنيف وحبـه العميق لآل البيت الكرام؛ كما أن تعلّق صـاحب العرش بكتـاب اللـه وسنـة رسولـه غير خـافٍ للعيان ولا يحتاج إلى برهان.

وتطالعنا هـذه النزعـة في كل القصـائـد، وتسري في كل المحـاور، ومن الأمثلة عليها قول الشاعر قدور الورطاسي مشيرا إلى الرعـايـة الإلاهيـة التي يكلأ بها الله سبحانه وتعالى العرش العلوي الشريف والمتربع عليه :

فللــــه عرش في القلــوب محبب وللـه ملـك صـارم العـزم صـامـد
أضــاءت لــه السماء نهج خلـوده فمن نبلــه تنمــو النّهى والمــوارد
فـأيــدي السماء حبيبتـهُ لشعبــه فـلانت ـ بحبـه العميـق ـ المقـالـد
ففي منهج التوفيـق يـا خير مـالـك رعتـك السّماء والسجـايـا روافـدُ[32]

---

31) من قصيدة «تحية وفاء» لعبد الكريم التواتي. (مجلة دعوة الحق، مارس 1979.).

32) من قصيدة «قفوا لجلال العرش» / (مجلة دعوة الحق، أبريل 1982).

ـ وترد هذه النزعة في صور متعددة إما على شكل اقتباس من القرآن الكريم واستلهام لآياته الكريمة ومن هذا القبيل قول الشاعر المدني الحمراوي :

كيف لا يحتفى بخير إمام فرض الله بالهدى إجلاله
طاعة الله أن يطاع إمام وصل الله بالعباد حباله[33]

ـ أو في صورة تشبيهات يُضفي بها الشاعر على المعنى قوة وتقديسا وجلالا :

وأحاط العشق بالعرش ليبقى في الزمان
خالداً كالروح كالقدس كتوراة وقرآن[34]

وتنحى في بعض الأحيان منحى صوفياً مجرداً كما هو الحال في هذين البيتين :

حسّاً ومعنىً شعبنا موحد بالعرش في تكوينه النوراني
فانظر إلى الثالوث يطبع وحدة في الذات والتنسيق والعنوان[35]

3 ـ حب آل البيت :

نلحظ في العرشيات ومضات حب آل البيت بعيدة عن الغلو والمبالغة التي نلاحظها عادة في الشعر الشيعي المتطرّف، فهي لا تتعدى الإعراب عن

---

33) مطبوع الحسنيات ص : 154، من قصيدة «عرشنا فكرة ودين ومذهب».
34) من قصيدة «العرش الصامد والخالد: لمحمد أجانا/ (مجلة دعوة الحق، أبريل 1982).
35) من قصيدة «عشق وجهاد وبشرى» لمحمد العلمي/ (مجلة دعوة الحق، مارس 1980).

حبّ آل البيت واقترانه بحب العرش العلوي الشريف وصاحب العرش الذي هو سبط الرسول عليه أزكى السلام. يقول محمد العلمي في هذا الصدد :

حسّان قد مدح الرسول بشعره   ما أعذب الأشعار من حسّان
وأنا كما تهوى المعالي مثله   أشدو بحمدك، مشرق العنوان
في حبّ جدّك سيد الأكوان أشـ   كر عرشك المحبوب من ربّاني
في الله في خير الورى في سبطه   قد كان شعري صورة لكياني[36]

فالشاعر وهو يمجد صاحب العرش، إنما يمجّد سبط الرسول، وعندما يُشيد بالعرش العلوي الشريف إنما يُشيد بآل البيت، وهو في هذا الصنيع بمثابة شاعر الرسول ﷺ، حسان بن ثابت رضي الله عنه، وشعره لا يكون صورة لكيانه إلا إذا أنشده في الله تعالى وفي نبيّه عليه السلام وفي سبطه صاحب العرش أعزه الله.

وفي غمرة هذه النزعة النبوية يشيد شاعر العرشيات بخصال صاحب العرش فيقرنها بخصال جدّه عليه السلام :

فما عرفتْ دنياي مثلك مالِكاً   تقيّاً فأنت الُمجتبى والمقرّب
ولا عجب يا ابن الرسول محمد   فمن طيبات الدّوح قام طيّب
تضاهي أبا الزهرا ندىً وسماحة   فأنت إلى كلّ القلوب محبب[37]

---

36) نفس القصيدة والمرجع.

37) من قصيدة «أبا مريم يرجوك دين محمد» لأحمد بن سودة، الحسنيات، ص. 73.

ويحلو للشاعر في إطار هذه النزعة أيضاً أن يربط بين نسب الدولة العلوية والدولة الإدريسية أُولى دولة علوية في المغرب فيقول :

وعلى الولاء قلوبنا ونفوسنا مجبوله
والحب في التاريخ زا د لعرشنا تبجيله
إدريس صافح ها هنا في العرش (إسماعيله)[38]

4 ـ النزعة الحماسية :

نلاحظ أيضاً نزعة حماسية في كثير من القصائد ولا سيما عندما يعرض الشاعر لبعض الأحداث التي لها طبيعة «حماسية» كتمجيد الجيش الملكي الباسل، أو الحديث عن استرجاع الأراضي المغربية، أو تحرير القدس الشريف.

وتنطبع حماسة العرشيات بمعاني الجهاد الإسلامي، وتشتمل على صورٍ رائعة تنقل المتلقي إلى جو من البطولة مُفعمٍ بالشجاعة والإقدام والتضحية والفداء والبطش بالأعداء :

قَتلَى وجرحى قد ثقفناهم فكم منهم وجدناهم بغير ختان
وبكل موقعة تحقق نصرنا ونصد أهل المكر والعصيان
فانظر إلى الأبطال في الميدان قد ثاروا على الأعداء كالبركان
من عاش فالمجد الأثيل جزاؤه والفوز للشهداء بالغفران
والراية الحمرا في يوم الشها دة للمجاهد، أطهر الأكفان[39]

---

38) من قصيدة «عنوان الأمجاد» لمحمد العلوي/ (مجلة دعوة الحق، مارس 1972).

39) من قصيدة «عشق وجهاد وبشرى» لمحمد العلمي. (مجلة دعوة الحق، مارس 1980).

وكثيرا ما يستلهم الشاعر تاريخ البطولة في المغرب والعالم العربي الإسلامي الحافل بالأبطال العظام والانتصارات الباهرة، وهو بذلك يصل حاضر البطولة المغربية بماضيها المجيد وبماضي الأمة العربية الإسلامية الأغر.

وادي المخازن قبله زلاّقة لشهادة التاريخ يبتدران
إذْ سفّها أحلام رهط مارق من دولة الأوثان والصلبان
هذا صلاح الدين يبعث بيننا وتزف بالنصر المبين تهاني
يا قبلة الآمال يا حسن الشما ئل، طهّر الأقصى من الأدران[40]

ثالثا : الخصائص والمميزات :

يمتاز شعر العرشيات بعدة خصائص ومميزات يمكن إجمال أهمّها فيما يلي :

1 ـ صدق الشعور وحرارة العاطفة :

نلمس هذه الخصِيصَة من خلال الحب الصادق الذي يكنّه شاعر العرشيات للملك وللعرش وللوطن، ويصل هذا الحب إلى درجة من العشق والهيام قلما نلاحظها في شعر غيره بما فيه الشعر العاطفي الذاتي. وإن من عاين عن كثب حرارة اللقاء بين صاحب العرش والشعب خلال الزيارات الرسمية للأقاليم يدرك في غير عناء مدى الحب الصادق المتبادل بينهما، وكذلك الحال بالنسبة لحب الوطن، فإن من شاهد زحف المسيرة الخضراء يقف منبهراً أمام هذا الحب العظيم الذي يكنه المغاربة (ملكاً وشعبا) للوطن

---

40) نفس القصيدة والمرجع.

المغربي العزيز. فلا غرابة إذا وجدنا القصيدة العرشية تفيض بهذا الحب الوطني العذري وتتسم بصدق الشعور وحرارة العاطفة. ويأبى شاعر العرشيات إلا أن يصدر عن هذا الشعور الوطني الصادق وعن عقيدته المذهبية الخالصة فيقول :

وما الشعر عندي للتباهي وسيلة   ولكنه حبٌّ ودين ومذهب[41]

ويصرح بأنه قد جعل شعره حبُساً ووقفاً لملكه وشعبه ووطنه، ولا يريد عنه جزاء ولا شكوراً، فحسبه الإخلاص والوفاء للعرش العلوي الشريف :

لا تسألوني اليوم عن قيثارتي   قيثارتي حُبِّست لخير جناب
للعاهل الحسن العظيم وشعبه   لأبي المكارم سيّد الأقطاب
لا أبتغي فوزاً من وراء قصائدي   فوزي الوفاء لأشرف الأنساب[42]

2 ـ الحقيقة والواقعية :

هذه الخصيصة لها علاقة بسابقتها، ونلمسها في العرشيات بوضوح بالرغم ما يتصف به الشعر عموماً من خيال ومبالغة. والواقع أن الباحث في الشعر العربي بصفة عامّة يجد صعوبة في إثباتها ويرجع سبب ذلك إلى قولة

41) من قصيدة «أبا مريم يرجوك دين محمد» للأستاذ أحمد بن سودة/ الحسنيات ص. 73 ـ مارس 1965.

42) من قصيدة «من غيرك المرجو للمحراب» لوجيه فهمي صلاح/ (مجلة دعوة الحق، مارس 1979).

قديمة، مفادها : «أن أعذب الشعر أكذبه». ويبدو أن شاعر العرشيات قد شعر بحساسية هذه القضية فأبدى رأيه فيها حيث قال :

ومن قال إن الشعر يعذب كاذبا تـوارى عن الآداب أبعد نائيا
أليس هو الديوان ديوان يَعْرُبٍ يؤرخ أمجاداً ويشجب واهيا
ألم تر «حسّاناً» ينافح بالذي يحيد عن السّوأى ويصدّ حاميا
وفي مسجد يعلو على منبر الهدى ويسرد أشعاراً تزيح الخوافيا(43)

أما رأينا الخاص في هذه القضية فنقيمه على ما أثبتناه سابقاً من أن شعر العرشيات نابع من الشعور الوطني الصادق، وصادر عن الواقع المغربي المعيش وبعيد كل البعد عن المحاباة والمجاملة أو الغلو والمبالغة. وهذه حقيقة لا تحتاج إلى دليل أو برهان لأي الموضوعات التي يعالجها هذا الشعر مطابقة كل المطابقة لما نلاحظه في الواقع، ولو كان هذا الواقع بعيداً عنّا لبذلنا جهداً في محاولة إثبات هذه الحقيقة أما والواقع موجود وقائم فلا حاجة بنا إلى ذلك، فالمشاعر الجياشة التي يتحدث عنها الشاعر ما زالت تنبض بالحياة، وكذلك الشأن بالنسبة للأعمال الجليلة والأحداث الهامة، ويكفي أن نقارن بين الواقع الملموس ومضامين القصائد العرشية حتى نتأكد من وجود هذه الخصيصة.

وحتى بالنسبة لتمجيد صاحب العرش فكل ما وصف به من خصال جليلة تنطبق كل المطابقة على شخصيته العظيمة ؛ ولقد أشاد بشخصيته الفذة كل العالم، ولم تقف هذه الشهادة على الأشقاء والأصدقاء، وإنما تعدتها

---

43) من قصيدة «آيات البشائر» لمحمد الكبير العلوي. (مجلة دعوة الحق، يونيه 1981).

إلى الخصوم والأعداء، والحق ـ كما يقال ـ ما شهد به الأعداء فلا غرو إذا قال شاعر العرشيات :

أقرّت لـه الـدنيـا بفضل وسـؤدد ونبـل بـه الخصم المعـانـد يشهـد[44]

والحق أن مهما بالغ الشاعر فإنه لم يبتعد عن الحقيقة والواقع، لأن التضحيات التي يبذلها صاحب العرش والأعمال التي يُنجزها في سبيل شعبه ووطنه وأمته فوق الوصف والبيان. لذلك فلا نتعجب من قول شاعر العرشيات :

ومـــا حيلتي والمنجـــزات كثيرة إذا قلت بحراً لم يكن ذاك كافيـا[45]

3 ـ التجويد والتهذيب :

أشار إلى هذه الخصيصة الدكتور ابراهيم السولامي في كتابه القيم «الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية»، (ص. 198). والحقيقة أن شعراً يُنظَم بهذه المناسبة العظيمة ويحمل هذه المضامين الجليلة ويعبر عن هذه المشاعر النبيلة، ويوجّه إلى صاحب العرش وإلى الأُمة المغربية من الضروري أن يكون منقّحاً ومهذباً، غير أن هناك أمرين لابد من الإشارة إليهما :

ـ الأمر الأول : أن هذه الخصيصة لا تعمّ كل القصائد العرشية، فهي تختلف جودة ورداءة باختلاف مستوى الشعراء الإبداعي، وحتى بالنسبة

44) من قصيدة «آيات البشائر» لمحمد الكبير العلوي. (مجلة دعوة الحق، يونيو 1981).
45) من قصيدة «ربع قرن على قمة المجد» لعبد الواحد أخريف؛ مطبوع عمالة إقليم تطوان بمناسبة الذكرى الفضية. ص. 34.

للشاعر الواحد نلاحظ تفاوتا من حيث التجويد بين بواكير قصائده والقصائد الأخيرة التي اكتمل فيها نضجه الشعري. وإن الاختلاف والتفاوت في مثل هذا الموضوع أمر طبيعي، لأن الشعور الوطني يعمّ الشعراء جميعاً بما فيهم المبدعون أو الناظمون، والمبتدئون أو المتضلعون، وما كان أحد منهم ليترك هذه المناسبة الوطنية الجليلة تمر بدون أن يسهم فيها ويعبر عن مشاعره نحوها.

غير أن السمة الغالبة على هذا الشعر هي سمة الجودة والتهذيب، ولاسيا بالنسبة لشعر الشعراء المرموقين كمحمد الحلوي ومحمد العلمي وعبد المالك البلغيتي وعبد الكريم التواتي وعبد الواحد أخريف، والمدني الحمراوي وغيرهم كثير من الشعراء المبدعين.

ـ أما الأمر الثاني : فهو أن هذا التجويد والتهذيب لا علاقة له بالتصنع، فشعر العرشيات ينطلق من وجدان الشاعر ويصدر عن طبعه وإن ما يلاحظ فيه من صنعة إنما هي ناتجة عن عظمة الموضوع، فالموضوع الجليل ـ كما هو معلوم ـ يُفَتِّق شاعرية الشاعر ويوحي إليه بالشعر الجيد المهذب، دون أن يجهد نفسه أو يكابد من أجله، ولقد عبّر شعراء العرشيات عن هذه القضية غير ما مرة، ومنهم على سبيل المثال الشاعر عبد الواحد أخريف، إذ قال في مطلع إحدى عرشياته :

بأيّ بيان أستعيد القوافيا ؟ وأي بديع أستميحُ المعانيا ؟
وعرشك في ذكراه يلهم خاطري صنوفاً من الإبداع دِمَنٌ غواديا[46]

---

46) نفس القصيدة والمرجع.

4 ـ الخطابية وإثارة المشاعر :

أشار إلى هذه الخصيصة الدكتور السولامي أيضاً حيث قال : «تمتاز (أي القصيدة العرشية) بالخطابية وإثارة المشاعر، لأنها كُتبت لتلقى على الناس في المحافل»[47].

وتجدر الإشارة أيضاً إلى أن الدكتور السولامي لاحظها في القصائد التي نُظمت قبل الاستقلال كما يشير إلى ذلك عنوان كتابه، ونحن نلاحظ أن بالنسبة للقصائد التي نُظمت بعد الاستقلال ضعفت فيها هذه الظاهرة، وهذا أمر طبيعي لأن ظروف الحماية ليست هي ظروف الاستقلال، فالشاعر أثناء فترة الحماية كان يحث الشعب على مناهضة الاستعمار وكان من الضروري أن يلجأ إلى الأسلوب الخطابي لإثارة المشاعر واستنهاض الهمم، قلت : ضعفت هذه الظاهرة، ولم أقل امحت لأننا ما زلنا نلاحظها في بعض القصائد، ولذلك نعدّها من مميزات القصيدة العرشية.

ـ غير أنه لابد من التنبيه إلى أن هذه الخطابية لا تُنقِص من القيمة الفنية للقصيدة العرشية سواء التي نظمت في عهد الحماية أو بعدها، وإنما تضفي عليها جمالاً وجلالاً مما يجعلها مستساغة وجذابة، ولعل هذا راجع إلى ما يتسم به هذا الشعر عموماً من صدق وعفوية.

ـ كما يلاحظ أيضاً أن الخطابية في القصيدة العرشية بعد الاستقلال قد صارت لها صبغة خاصة، فقد تحسّنت الأحوال، ولم يعد الشاعر يعاني من الاستبداد والعبودية وإنما أصبح ينعم بظل الحرية والديمقراطية، وهذا ما

---

47) الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية، ص. 198.

جعل خطابيته هادئة وبهيجة بعد أن كانت ثائرة ناقمة، ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في عرشية للشاعر محمد أجانا، إذ يقول :

أيهـــــا الشعب النبيـــــل سر وراء الحسن الثـــــــاني
تتخطـى كــــــل صعـب مـــدركا كل الأمـــــاني
رافـــلا في حلـــل العـــدْ ل فـــلا تخش الظـــلامـــا
نـــائـــلا بـــالـــدمقرا طيـــــة المثلى المرامَى
عشت في أيـــامـــه يمنـــا وخيرا وأمـــانـــا
مثلمـــا نلت حقـــوقـــا ودخلت البرلمـــانـــا[48]

5 ـ المطواعية والعفوية :

نلاحظ هذه الخصيصة من وجهتين :

ـ الوجهة الأولى : من حيث إقبال الشعراء على النظم في هذا الموضوع، «فقد كان الشعراء يتنافسون فيه، ومن لم يقل شعرا طوال العام لابد أن يقوله بهذه المناسبة»[49]. بل حتى من ودّع الشعر منذ زمن بعيد، أو لم يقله قطّ، وكانت له القدرة على النظم أبى إلا أن ينظم شعرا بهذه المناسبة الغالية، ولقد أشار كثير من الشعراء في شعرهم إلى هذه الحقيقة ومن بينهم الأستاذ الجليل السيد أحمد بن سودة حيث قال :

وطلّقتُــهُ خمســاً وعشرين حجــة حــداداً على قـومي وشعب يعـذب

48) من قصيدة «العرش الصامد والخالد» / (مجلة دعوة الحق، أبريل 1982).
49) كتاب أحاديث عن الأدب المغربي الحديث لفضيلة الأستاذ عبد الله كَنون، ص. 153.

ولكن أمير المـــؤمنين استشـــــاره ففجره حيّـــاً يفـور ويعـــذب
أيـــا حسن الأخـلاق والخلـق إنني مـدين بشعر جـاء وُدّك يخطب[50]

ـ أما الوجهة الثانية : فمن حيث تدفّق القريحة الشعرية، نستنتج هذا من خلال غزارة المعاني ومطواعية التعابير وانسياب القوافي، وكذلك نلمسها في طول النفس عند بعض الشعراء كما هو الشـأن ـ مثلا ـ بـالنسبـة للشـاعر محمد العلمي الذي أرْبتْ قصيدته النونيـة «عشق وجهـاد وبشرى» على مـائتي بيت.

وكما أعرب الشعراء عن شعورهم بالرغبة في نظم الشعر بهذه المنـاسبـة المجيدة أعربوا أيضا عن مطواعية قريحتهم الشعرية وعفويتهـا، يقول الفقيـه العلامة الحاج محمد بنشقرون في هذا الصدد :

الشعر عـاود بعـــد طـول زمـــان سلس المقـــادة مرخيـــا لعنـــان
وغـدت قـوافيـه تـدْفـق غضـــة لهـــا استبـــان الصبـح للعيـــان
راودتُهـــا ردحـــا فجـــاء سهلـــة تصف المليـك الخـالـد البنيـان[51]

6 ـ الجمال الفني :

من المعلوم أن الشعر عندما يتجه اتجاها وطنياً أو سياسيـاً يتخلى عن كثير من مقوماته الجمالية، لكن الحال بالنسبـة لشعر العرشيـات مختلف، فهو يحتفي بالقيم الجمالية أيما احتفال، ويوليهـا عنـايـة بـالغـة، ممـا يجعل المتلقي يشعر بمتعة فنية رائعة لا يحس بهـا عـادة في الشعر الوطني العـادي، وتتجلى

50) من قصيدة «أبا مريم يرجوك دين محمد» للأستاذ الشاعر محمد بن سودة/ الحسـنيات ص. 73.
51) من قصيدة «الله أقدر للأمانة بعدكم بطلا» / الحسـنيات ص. 28، مارس 1962.

المقومات الجمالية في القصيدة العرشية في عدة نواح : نجدها في الألفاظ الرشيقة والمعاني البديعة والصور الرائعة والمشاعر الجياشة والموسيقى العذبة، ونلمسها في صياغة هذه العناصر كافة صياغة محكمة ومتلائمة، فهي تنساب في موجات متوازية سواء في هيجانها واحتدامها، أو في هدوئها وانصياعها ؛ ونشعر بها في نزعات الشعراء المتعددة، فأحياناً تداعبك نزعة رومانسية حالمة، وأحياناً تطالعك نزعة حماسية مروعة، وتارة تأسرك نزعة إنسانية رقيقة وتارة تخشع أمام نزعة صوفية روحية. وشاعر العرشيات يشدّك إليه شدّاً ويستَحْوِذُ على عقلك وشعورك معاً، ولو بحثت عن أسباب هذا الأمر لما وجدت غير شعوره الوطني الصادق وحرارة عاطفته الجياشة.

إن هذه العناصر قاطبة هي سرّ الجمال الفني في القصيدة العرشية، ويبلغ الجمال الذروة عندما يمزج الشاعر بين جمال الطبيعة المغربية وبهجة عيد العرش السعيد، وكمثال على ذلك إليكم هذه الأبيات الرائعة للشاعر المبدع محمد الحلوي :

هللي يا ربوات الأطلس الحرّ	وغني اليوم قُدسيّ النشيد
والبسي تيجان أمجادك عذراء	تهادت في أكاليل ورود
واملئي الدنيا أهازيج بطولات	مجيدات لقومي وجدودي
وانشري عطرك فوّاحاً	بذكرى ضمخت وجه الوجود
زغردي يا ربوات الأطلس الحرّ	فهذا عيدك الغالي وعيدي

تطوان **عبد الواحد ابن صبيح**

52) مطبوع الحسنيات ص. 92 ـ مارس 1967. من قصيدة «وانطلقنا خلف شهم حسن».

بَليوغرافية الأبحاث التّاريخيّة عن الدّولـة العَلويّـة

سعيد اعراب

وإذا كان أولئك الذين أرخوا للدولة العلوية هم من القلة بمكان، ويمكن عدهم على رؤوس الأصابع - كما يقال، فإن هناك أبحاثا تناولت جوانب مهمة في هذا الصدد، نشرت بمختلف الصحف والمجلات، لا ينبغي إغفالها أو تناسيها، وهي في حاجة إلى من يرصدها، ويجمع شتاتها، وليس بإمكان أي أحد أن يلم بكل هذه الصحف والمجلات - على كثرتها، وتعدد مناحيها - وقد طال عمر بعضها ربع قرن أو يزيد، وقد حاولت - في هذه العجالة - جرد طائفة منها، وهي كما يلي :

- السلام
- تطوان
- دعوة الحق
- البينة

- البحث العلمي
- المناهل

وأبادر إلى القول بأني لم أسجل في هذه الاستمارة - الأبحاث التي صدرت ككتب، أو تناولت تاريخ المغرب بعامة.

وسأذكر أسماء الباحثين مرتبة على حروف المعجم، بأرقام متسلسلة، مع الإشارة إلى عنوان البحث، والمجلة المنشور بها، والعدد وتاريخ صدوره، والصفحة.

1 - **آمنة اللوه** (إشراقة أولى من تاريخ الدولة العلوية) - دعوة الحق ع 4 ص 10 - 14 (1969). (ملامح من عبقرية الحسن الثاني) ع 1 ص : 69 - 72 (1981).

2 - **إبراهيم حركات :** (ديبلوماسية الحسن الأول) - دعوة الحق ع 4 ص : 167 - 170 (1967). (ابن عائشة أمير البحر في عهد مولاي إسماعيل) ع 4 ص 126 - 129 (1969). (ديبلوماسية الدولة العلوية) ع 3 ص : 134 - 138 (1970). (ارتباط الحضارة المغربية بالصحراء) ع 6 ص : 81 - 87 (1976). (نضال المغرب الديبلوماسي) ع 2 ص 69 - 74 (1977). (تنظيم الجيش في العهد العلوي - قبل الحماية) ع 1 ص 126 - 140 (1982). (بعض منجزات السلطان المولى محمد بن عبد الله) ع 3 ص 20 - 27 (1982).

3 - **أبو بكر** (النهضة الأدبية الحديثة بالمغرب على عهد الحسن الأول) مجلة السلام ع 4 ص 37 - 39 (1934).

4 ـ **أبو بكر القادري** (ربطاً لماضي الدولة العلوية بحاضرها) ـ دعوة الحق ع (234)، ص 13 ـ 16 (1984).

5 ـ **أبو الفداء** (ثلاثة قرون على عرش الدولة المغربية) ـ مجلة السلام ع 5 ص 14 ـ 17 (1934).

6 ـ **أحمد أحمد البسيري** (العلاقة الديبلوماسية المغربية ـ في عهد "الدولة العلوية) ـ دعوة الحق ع 4 ص 50 ـ 53 (1961)، وع 6 ص : 58 ـ 60 (نفس التاريخ) وع 7 ص 45 ـ 51 (التاريخ نفسه).

7 ـ **أحمد بناني** (توات الشهيدة ـ ودفاع السلطان مولاي الحسن عنها) مجلة البينة ع 5 ص : 50 ـ 59 (1962).

8 ـ **أحمد التاسوكي** (قبسات من جهاد جلالة المغفور له محمد الخامس) ـ دعوة الحق ـ ع (224) ص : 12 ـ 24 (1982).

9 ـ **أحمد التيجاني** (صفحة ميجدة من تاريخ الدولة العلوية المعاصرة) دعوة الحق ع 4 ص 90 ـ 93 (1967)، وع 8 ص 49 ـ 53 (1973).

10 ـ **أحمد مجيد بنجلون** (جلالة الحسن الثاني ملك الحوار) ـ دعوة الحق ـ ع 1، ص 38 ـ 40 (1980). تكريم الأمة المغربية في عهد الحسن الثاني) ع (257) ص 23 ـ 25 (1986).

11 ـ **أحمد معنينو** (الديبلوماسية ومقاومة الاستعمار في العهد العزيزي) ـ مجلة البحث العلمي ـ ع 26 ص 27 ـ 40 (1976). (مذكرة طالب مغربي في بعثة مغربية إلى إيطاليا ـ على عهد الحسن الأول) ـ دعوة الحق ـ ع 1 ص 143 ـ 148 (1968). (تكوين الأطر في عهد الحسن الأول) ع 4 ص 178 ـ 179 (1969). (رسالة الدلوة العلوية من البدء : ضمان حرية الوطن، واستقرار البلاد، وانتصار

دين الله) ع 3 ص 145 ـ 153 (1971). (الجندية في عهد السلطان المولى محمد بن عبد الرحمان) ع 3 ص 127 - 133. (1972). (السلطان المولى سليان مفخرة من مفاخر الدولة العلوية). ع (4 - 5) ص 215 - 221 (1974). (السلطان المولى اسماعيل) ص 4 ص : 56 - 62 (1978). (قبسات من جهاد بطل الاستقلال محمد الخامس) ع 1 ص : 128 - 130 (1980). (من تاريخ الدولة العلوية في مطلع القرن : 20 : (المولى عبدالعزيز) ع 1 ص : 106 - 110 (1982). (وثيقة تاريخية عن بدء احتفال المغاربة بعيد العرش المجيد - سنة (1934)). ع (234) ص : 39 - 40 (1984).

12 ـ **إدريس العلوي** العبدلاوي (جلالة الحسن الثاني الملك العالم والحاكم العادل) - دعوة الحق (246) ص 34 - 38 (1985).

13 ـ **إدريس الكتاني** (المغرب العربي مع المشرق العربي في ساحة المعركة مع إسرائيل في الحرب الرابعة : 6 أكتوبر 1973) - دعوة الحق - ع (4 - 5) ص 131 - 135 (1974). (من محمد الخامس ومعركةالاستقلال - إلى الحسن الثاني ومسيرة الوحدة) ع 4 ص 122 - 125 (1975). (خصائص ظاهرة الاستمرار في المجتمع المغربي من خلال المسيرة الخضراء) ع 2 ص 76 - 80 (1977).

14 ـ **اريباس مريانو** (معلومات جديدة عن سفارة محمد الدليمي - على عهد مولاي هشام العلوي) - **مجلة تطوان** ع 1 ص 69 (1956). (رسائل عربية حول المغرب في عهد المولى يزيد) ع (3 - 4) ص 109 - 151 (58 - 1959). (مبايعة مولاي سلمة بطنجة - عقب وفاة مولاي اليزيد) ع 5 ص 175 - 186 (1960).

15 ـ **أمال جلال** (ربع قرن في رحاب السياسة الحسنية) - دعوة الحق - ع ص (255) ص 53 - 59 (1986).

16 ـ **أمينة أوشار** (الصحافة المغربية المعارضة للحماية) مجلة البحث العلمي - ع (32) ص 75 - 76 (1980).

17 ـ **أمينة عوشار أهري** (التطور الحضري - وظهور الصحافة الوطنية في عهد الحماية بالمغرب) - مجلة البحث العلمي - ع (35) ص : 219 - 253 (1985).

18 ـ **باهي محمد أحمد** (صفحات من تاريخ الكفاح الوطني في الصحراء المغربية) - دعوة الحق ع 1 ص 159 - 161 (1975).

19 ـ **بوعزي الزموري** (السياسة البربرية والتعليم) - مجلة السلام ع 9 - ص : 27 - 36 (1934).

20 ـ **تقي الدين الهلالي** (ملك المغرب الصالح محمد الخامس) - دعوة الحق ع 3 ص 78 - 79 (1959). (عناية ملوك الدولة العلوية بالكتاب والسنة) ع 4 ص 41 - 50 (1967)، وع 4 ص 30 - 37 (1968)، وع 2 ص 41 - 44 (1977). (من مناقب عالم الملوك وملك العلماء في زمانه : محمد بن عبد الله العلوي) ع (4 - 5) ص : 167 -173 (1974) (السلطان مولاي عبد العزيز بن الحسن العلوي) ع (2 - 3) ص 51 - 55 (1978.

21 ـ **التهامي محمد الوكيلي** (جلالة السلطان الحسن الأول) دعوة الحق ع (227) ص : 95 ـ 106 (1983). (السلطان المولي محمد الثالث) ع (237) ص 10 ـ 16 (1984).

22 ـ **جاك كيلي** (السفارات والبعثات المغربية إلى فرنسا ـ من سنة 1577 ـ 1912) ـ مجلة تطوان ع 6 ص : 155 ـ 194 (1961).

23 ـ **جرمان عياش** (جوانب من الأزمة المالية في المغرب سنة : 1830) ـ مجلة البحث العلمي ـ ع (4 ـ 5) ص : 116 ـ 148 (1965).

24 ـ **ج. كولفن** (بعثة برتغالية إلى مراكش) ـ تعريب جواد المهدي ـ مجلة البحث العلمي ـ ع (33) ص : 127 ـ 139 (1982).

25 ـ **حسن السايح** (محمد الرابع : مخطط تصميم الإصلاح) ـ دعوة الحق ـ ع 4 ص : 134 ـ 139 (1967). (الدعوة الإسلامية في العهد الإسماعيلي) ع 3 ص : 94 ـ 99 (1971). (الديبلوماسية الإسماعيلية) ع (4 ـ 5) ص 182 ـ 186 (1971). (الصحراء المغربية بين أصالة التاريخ ودعوى الاستعمار) ع 10 ص 109 ـ 115 (1975). (مستقبل الصحراء من خلال الماضي) ع 8 ص 59 ـ 64 (1976).

26 ـ **الحسن بن عبد الوهاب** (تاريخ القضاء بشمال المغرب على عهد الحماية) مجلة البحث العلمي ع 3 ص 84 ـ 113 (1964)، وع (4 ـ 5) ص : 149 ـ 172 (1965) وع 9 ص 7 ـ 44 (1966).

27 ـ **خوسي اغيليرا پليغثويلو** (وثائق تتعلق بالسفارة المغربية ـ إلى البابا البون الثالث ـ على عهد الحسن الأول) ـ مجلة تطوان ع 2 ص : 155 ـ 161 (1957). (رسالة من سلطانة المغرب للافاطمة ـ إلى ماريا لويسا دي پلرما) ـ نفس العدد ص 187 ـ 188 ونفس التاريخ.

28 ـ **الراجي التهامي الهاشمي** (أثر الفتاوي في تصحيح الأحكام ـ على عهد السلطـان مولاي يوسف) ـ دعوة الحق ـ ع 4 ص 160 ـ 166، (1969).

29 ـ **الرحالي الفاروقي** (الدولة العلويـة والقرآن الكريم) ـ دعوة الحق ـ ع 4 ص : 27 ـ 29 (1968). (الدولة العلوية وعنـايتهـا بـالثقـافـة العامة ومجالس التفسير والحديث) ع 4 ص 8 ـ 12 (1969).

(الحسن الثـاني : رسـالـة إصلاح وتجـديـد) ع 1 ص : 35 ـ 37 (1980).

30 ـ **رضى اللـه إبراهيم الإلغي** (جـلالـة الملـك الحسن الثـاني أمير من أمراء البيان) ـ دعوة الحق ع 1 ص : 75 ـ 79 (1981).

31 ـ **زين العابدين الكتـاني** (الخـط الثـابت للتفكير المغربي الحسني) ـ دعوة الحق ـ ع 1 ص 143 ـ 147 (1972). (الاختيار الديبلومـاسي المغربي) ع 6 ص 50 ـ 59 (1977)، وع 8 ص 136 ـ 139 (1973).

(الاختيار المغربي الحديث من بين المعجزة والتحـدي) ع 2 ص 95 ـ 102 (1977). (في ركاب المغرب الحسني : أدب المغرب الصحراوي) ع 2 ص 71 ـ 78 (1981). (الصحراء المغربيـة والحـدود المغربيـة) ـ ع 8 ص 33 ـ 38 (1980)، (معـالم من الاختيـار الثـابت لتحقيـق الوحدة في المغرب الحسني) ع (238) ص : 11 ـ 20 (1984).

32 ـ **سعيد أعراب** (ظهائر سلطانية برعـايـة الربـط وحراسـة الشواطئ المغربية) دعوة الحق ع 3 ص 121 ـ 124 (1970). (السلطـان المولى سليـمان ـ صـور من مجـالسـه الأدبيـة) ع (9 ـ 10) ص 144 ـ 149 (1973).

(الأمير محمد العالم ـ ونداوته الأدبية) ع 2 ص : 57 ـ 67 (1977)، وع 4 ص : 35 ـ 39 (1977). (المدرسة القرآنية بالصحراء المغربية في العصر العلوي) ع 6 ص 74 ـ 80 (1976)، وع 9 ص : 73 ـ 82 (1976).

(السلطان المولى سليمان ـ وعناية بعلوم القرآن) ع 1 ص 48 ـ 50 (1980).

33 ـ **شبيهنا حمداتي ماء العينين** (دور العرش والأمة في استكمال الوحدة الوطنية والمحافظة عليها) ع (6 ـ 7) ص 62 ـ 67 (1979).

34 ـ **العابد الفاسي** (القرآن وعلومه في عهد الدولة العلوية) ـ دعوة الحق ع 4 ص 38 ـ 42 (1968)، وع 5 ص 35 ـ 38 (نفس التاريخ).

(الدولة العلوية وأثرها العلمي بالمغرب) ع 8 ص 39 ـ 42 (1969).

(السلطان سيدي محمد بن عبد الله الملك السلفي العالم الإمام) ع 8 ص 161 ـ 163 (1973).

35 ـ **عباس الجراري** (الثقافة المغربي في ظل صاحب الجلالة الحسن الثاني) ـ دعوة الحق (257) ص 26 ـ 38 (1986).

(النضال في الشعر العربي بالمغرب من سنة (1830 ـ 1912) ـ مجلة المناهل ـ ع 3 ص 106 ـ 148 (1975).

36 ـ **عبد الجواد السقاط** (من تاريخ الحركة الثقافية في عهد المولى إسماعيل) ـ دعوة الحق ع (258) ص 42 ـ 49 (1984).

37 ـ **عبد الحق بنيس** (الديبلوماسية المغربية في فجر العصر الحديث) دعوة الحق ـ ع 12 ص : 91 ـ 93 (1958).

38 ـ **عبـد الحـق حمـوش** (أزمـة المـدفـوعـات بين المغرب والبلـدان الاسكندنافيـة في القرن 18) ـ دعوة الحق ع (9 ـ 10) ص : 141 ـ 144 (1968).

39 ـ **عبد الحق المريني** (الإصلاحات العسكرية ـ في عهد الملك الصالح مولاي الحسن الأول) ع 4 ص 167 ـ 170 (1969). (الجيش المخـزني في عهد الدولة العلوية) ع 3 ص : 193 ـ 198 (1971). (السلطـان المولى إسماعيل وسياسته الخارجية) ع 1 ص 160 ـ 162 (1972).
(الحسن الثاني الملك المتحدي) ع (255) ص 57 ـ 59 (1986).

40 ـ **عبـد الحي العمراني** (المسيرة الخضراء : هجرة جهـاديـة) ـ دعـوة الحق ع (234) ص 69 ـ 78 (1984). (موحـدات المغرب) ع (246) ص 69 ـ 74 (1985).

41 ـ **عبد الرحمان الزيـاني** (صفحـات مشرقـة في تـاريخ مولاي عبـد الرحمـان بن هشـام) ـ دعوة الحق ع 9 ص 42 ـ 45 (1979). (محمـد الخامس الملك الرائد العبقري) ع 1 ص 126 ـ 130 (1981).

42 ـ **عبد السلام الحضري** (علاقة شفشاون بدولـة الأشراف العلويين) ـ دعوة الحق ع 4 ص 172 ـ 176 (1975).

43 ـ **عبـد العزيز بن عبـد اللـه** (مغربيـة الصحراء بين الحسن الأول والحسن الثـاني) ـ دعـوة الحـق ـ ع (227) ص : 22 ـ 25 (1983).
(جلالة الحسن الثاني رمز الأصالة والتجـديـد) ع (246) ص : 15 ـ 18 (1985).
(تعـاون مـوصـول طـوال ثـلاثـة قرون بين المملكتين : المغربيـة والسعودية) ع (255) ص 60 ـ 68 (1986).

44 ـ **عبد القادر الإدريسي** (الإعلام في عهد الحسن الثاني ـ حاضرا ومستقبلا) دعوة الحق ع (4 ـ 5) ص (272 ـ 275) (1974).

45 ـ **عبد القادر البوشيخي** ـ (في ظلال المسيرة الحسنية الخضراء) ـ دعوة الحق ـ ع 6 ص 111 ـ 121 (1976).

46 ـ **عبد القادر الخلادي** (من مظاهر الإصلاح الاجتماعي ـ في عهد الملوك العلويين) ـ دعوة الحق ع 4 ص : 140 ـ 144 (1969).

(مؤرخو الدولة العلوية حتى حكم مولاي الحسن) ع 8 ص 65 ـ 72 (1976).

47 ـ **عبد القادر الرزيني** (السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام العلوي) ـ دعوة الحق ع 9 ص 42 ـ 46 (1979).

48 ـ **عبد القادر رفعي العلوي** (الحسن الثاني حامي الملة والدين) ـ دعوة الحق ع 1 ص : 75 ـ 78 (1982).

49 ـ **عبد القادر زمامة** (مفارقات ومقارنات بين مؤرخي الدولة العلوية : الزياني واكنسوس) ـ دعوة الحق ـ ع 4 ص : 121 ـ 125 (1967).

(من مآثر مولاي الحسن الأول ـ رسالة التجديد الإسلامي في المغرب) ع 3 ص 18 ـ 21 (1971).

50 ـ **عبد القادر الصحراوي** (الملك العالم مولاي سليمان) ـ دعوة الحق ـ ع 4 ص 54 ـ 63 (1967). (على هامش رسائل الحسن اليوسي إلى مولاي إسماعيل) ع 4 ص : 66 ـ 73 (1969).

51 ـ **عبد القادر القادري** (السلطان مولاي عبد الرحمان والأمير عبد القادر الجزائري) ـ دعوة الحق ـ ع (4 ـ 5) ص : 39 ـ 40 (1957).

(تطوان عـادات وتقـاليـد وأعراف المجتمع الربـاطي ـ خـلال أربعـة عقود : 1939 ـ 1969) ـ ع (9 ـ 10) ص : 116 ـ 120 (1969).

52 ـ **عبد القادر التكادي** (الديمقراطية في عهـد الـدولـة العلويـة ـ من خلال أقوال المستشرق الإسبـاني پـلانينيـوس) ـ دعـوة الحـق ـ ع 8 ص : 173 ـ 176 (1973). (من مـآثر السلطــان المـولى إسماعيـل ـ قصبــة سلــوان) ع 2 ص 142 ـ 145 (1972)، وع 3 ص : 143 ـ 145 (1972).

53 ـ **عبـد الكبير الفهري الفـاسي** (الصحراء المغربيــة وإمكانيــاتهـا الاقتصادية) ـ مجلة البينة ـ ع 2 ص 7 ـ 23 (1962).

(علاقات روسيا بالمغرب على عهـد المولى عبـد العزيز) ـ مجلـة دعوة الحـق ع 4 ص 22 ـ 24 (1960). (الصحراء المغربيـة الـواقعـة تحت الاستعمار الإسباني) ع 10 ص 57 ـ 67 (1975).

(خواطر حول الاتفاقية الثنائية بين فرنسا وإنكلترا ـ 1940) ـ مجلـة المناهل ـ ع 6 ص 228 ـ 262 (1976).

54 ـ **عبد الكريم التواتي** (أهمية علاقـات الـدولـة العلويـة ـ بتونس) ـ دعــوة الحــق ع 4 ص : 159 ـ 166 (1967). (بعض مظــــاهر الديبلوماسية المغربيـة في عهـد الحسن الثـاني) ع 4 ص 122 ـ 144 (1971).

55 ـ **عبد الكريم غلاب** (محمد الخامس مجـدد نظـام الملكيـة بـالمغرب) ـ دعوة الحق ع (4 ـ 5) ص 29 ـ 30 (1957).

56 ـ **عبـد اللـه الجراري** (أبو النصر المولى إسماعيل) ـ دعـوة الحـق ع 4 ص : 131 ـ 133 (1967). (الحسن الثـاني من شبـابـه إلى كهـولتـه)

ع 8 ص 48 ـ 52 (1969). (العلويون في تحرير التراب وتهذيب الأفكار) ع 3 ص 125 ـ 130 (1970).

(الحسن الثاني رائد الثقافة) ع 4 ص 149 ـ 153 (1975).

(حظ الدولة العلوية في نشر الكتاب) ع 4 ص 86 ـ 88 (1976).

(عناية ملوك دولتنا العلوية بتثقيف أبنائها) ع 10 ص 130 ـ 132 (1975).

(الحسن المجدد) ع (2 ـ 3) ص : 95 ـ 98. (1978).

(محمد بن محمد الشريف في قوته وارتياحه للأدب) ع 4 ص 90 ـ 92 (1969).

57 ـ **عبد الله العمراني** (سرجون هـ دهاي - وجهوده الديبلوماسية في الحرب الستينية بين المغرب وإسبانيا) -مجلة البينة - ع 6 ص : 65 - 76 (1962). (سياسة مولاي اسماعيل الخارجية) مجلة البحث العلمي ع (4 - 5) ص 280 - 301 (1965).

(سلطان عالم شاعر) - مجلة دعوة الحق - ع 4 ص : 67 - 75، (1968). (سفارة فرنسية لدى جلالة الحسن الأول) ع 1 ص 56 - 60 (1972). وع 3 ص 121 - 126 (1972). سيكلوجية المسيرة الخضراء) ع 6 ص 66 - 73 (1976).

58 ـ **عبد الله كنون** (الملك العبقري سيدي محمد بن عبد الله) - مجلة دعوة الحق - ع 5 ص 21 - 27 (1967). (عناية السلطان المولى سليمان بعلم التفسير) ع 4 ص 24 - 26 (1968). (البعث الإسلامي بين جلالتي الحسن الأول والحسن الثاني) ع 8 ص 10 ـ 13 (1973). (المبادرة الحسنية : امتداد للمهمة التاريخية للمغرب) ع (4

ـ 5) ص 50 ـ 52 (1974). (جلالة الملك الحسن الثاني يطلقها صرخة مدوية ضد الوجود الإسباني في أطراف المغرب) ع 10 ص 25 ـ 30 (1975). (بطل الاستقلال محمد الخامس) ع (228) ص : 5 ـ 7 (1983). (الرسالة الملكية : وثيقة إصلاحية تجديدية). ع 1 ص 34 ـ 36 (1982). (السلطان المولى عبد الحفيظ والحماية) ع (234) ص (4 ـ 6) (1984).

59 ـ **عبد اللطيف خالص** (بلادنا بين الذاتية والتقليد) ـ دعوة الحق ع 1 ص : 51 ـ 54 (1963). (الدولة العلوية في خدمة العلوم الإسلامية) ع 4 ص 112 ـ 116 (1968). (ديبلوماسية جلالة الحسن الثاني) ع 8 ص 43 ـ 47 (1969). (الإصلاح والتجديد في عهد الدولة العلوية) ع 4 ص 153 ـ 159 (1969). (وثبات ديبلوماسية مغربية موفقة في عهد الحسن الزاهر) ع 3 ص 147 ـ 156 (1970).

60 ـ **عبد اللطيف الخطيب** (علاقات المغرب بفرنسا وإسبانيا ـ أواسط القرن التاسع عشر) ـ مجلة تطوان ع 7 ـ ص 49 ـ 55 (1962).

61 ـ **عبد النبي ميكو** (المغرب بين الامتيازات الأجنبية ـ والتسامح الديني) دعوة الحق ع 2 ص : 121 ـ 125 (1966).

62 ـ **عبد الهادي التازي** (الدولة العلوية وإقطاعية ابن مشعل) ـ دعوة الحق ع 9 ص 31 ـ 32 (1959). (محمد الثالث ومحمد الخامس) ع 10 ـ ص 59 61 (1959).

63 ـ **عبد الهادي الشرايبي** (الديبلوماسية الإسلامية ـ في عهد الحسن الثاني) ـ دعوة الحق ع 8 ص 69 ـ 75 (1969).

64 ـ **عبد الهادي الحسيسن** (موقف السلطان محمد بن عبد الله من كتب الفروع) ـ دعوة الحق ع (246) ص 161 ـ 168 (1985).

65 ـ **عبد الوهاب بن منصور** (على هامش الرحلة الملكية إلى الولايات المتحدة) ـ دعوة الحق ع 7 ص 17 ـ 19 (1985).
(جهود جلالة الحسن الثاني لتحرير الصحراء المحتلة) ع 3 ص 13 ـ 27. (1971).

66 ـ **عثمان بن خضراء** (صفحات ذهبية في سجل المولى إسماعيل) دعوة الحق ـ ع 1 ص 148 ـ 150 (1972). (محمد الخامس مفخرة الدولة العلوية، وباعث نهضة المغرب الحديث) ع 8 ص 177 ـ 180 (1973). (دور الصحراء المغربية في ازدهار الآداب والعلوم) ع 10 ص 53 ـ 56 (1974). (الحسن الثاني معجزة الدولة العلوية) ع (232) ص : 153 ـ 156 (1978).

67 ـ **عثمان عثمان إسماعيل** (أضواء على بطل الاستقلال محمد الخامس) ـ دعوة الحق ع 6 ص 26 ـ 31 (1977). (علم صاحب المسيرة التاريخية إلى أقاليم الصحراء المغربية ـ الحسن الأول) ع (250) ص 18 ـ 23 (1985). (ضريح محمد الخامس : المعلمة الحضارية لدولة الأشراف العلويين) ع (258) ص : 50 ـ 59 (1986).

68 ـ **علال الفاسي** (اهتمام الأسرة العلوية بحفظ القرآن) ـ دعوة الحق ع 4 ص : 20 ـ 23 (1968).

69 ـ **على لغزيوي** (قضية الصحراء في الشعر المغربي المعاصر) ـ دعوة الحق ـ ع 4 ص 138 ـ 146 (1975).

70 ـ **عمر الجيدي** (دعوة إلى نبذ المختصرات الفقهية في عهد الدولة العلوية) ـ دعوة الحق ع (227) ص 260 ـ 264 (1983).

71 ـ **فاروق حمادة** (يد جلالة الحسن الثاني ـ وزمام السياسة الدولية) دعوة الحق ع 2 ص : 220 ـ 225 (1977).

72 ـ **فاروق النبهان** (الحسن الثاني ملك المغرب) ـ دعوة الحق ع 1 ص : 41 ـ 47 (1980).

73 ـ **فاطمة الحراق** (قضية تسليم الحصون الصغرى للمغرب ـ من خلال الوثائق الإسبانية : 1790 ـ 1822) ـ مجلة البحث العلمي ـ ع (35) ص 367 ـ 385 (1985).

74 ـ **لطيفة كندوز** (التنافس الأوربي في المغرب ـ على عهد السلطان الحسن الأول) ـ البحث العلمي ع 39 ص : 139 ـ 152 (1981).

75 ـ **مبارك الريسوني** (مواقف جلالة الملك الخالدة) ـ دعوة الحق ع (227) ص 148 ـ 152 (1983). (شذرات في الفكر الحسني) ع (246) ص 205 ـ 215 (1985)، وع (255) ص 179 ـ 185، (1986).

76 ـ **محمد الآمري** (رائد السلفية بالمغرب : المولى سليمان) ـ دعوة الحق ع (5 ـ 6) ص 116 ـ 120 (1970).

77 ـ **م أبو سليمان** (منطقة طنجة ـ في عهد الدولة العلوية) ـ مجلة السلام ـ ع 6 ص 3 ـ 8 (1934) وع 7 ص 1 ـ 9 (1934).

78 ـ **محمد أحمد أشماعو** (جيل الخمسين سنة : جيل التحدي والوفاء والصمود) ـ دعوة الحق ع 1 ص 116 ـ 118 (1982).

79 ـ **محمد أحمد الغربي** (السلطان المولى محمد بن عبد الله ومآثره الخالدة) ـ دعوة الحق ـ ع (234) ص 35 ـ 38 (1984).

80 ـ **محمد بن إدريس العلمي** (النهضة العلمية على عهد العلويين قبل الحماية) ـ دعوة الحق ع 4 ص 177 ـ 180 (1967).
(عناية محمد الخامس بالقرآن وعلومه) ع 4 ص : 128 ـ 130، (1968). (محمد الخامس المحرر الأكبر) ع 3 ص 198 ـ 203، (1970).

81 ـ **محمد بن تاويت** (أول معاهدة صداقة بين المغرب وأمريكا في عهد الدولة العلوية) ـ مجلة تطوان ع (3 ـ 4) ص 207 ـ 212 (1956).
(بين انكلترا والدولة العلوية) ـ مجلة دعوة الحق ع 4 ص 71 ـ 89، (1967). (مأثرة من مأثرات السلطان مولاي الحسن الأول) ع 1 ص : 44 ـ 49 (1972). (كيف نشأت الدولة العلوية) ع 8 ص 54 ـ 57 (1973).

82 ـ **محمد التوزاني** (القضاء الإداري في المغرب ـ بعد الاستقلال) ـ دعوة الحق ـ ع 1 ص 42 ـ 46 (1958)، وع 3 ص 24 ـ 27 (نفس التاريخ).

83 ـ **محمد جلال** (النهضة التعليمية العلمية الحسنية في مغرب التحديات دعوة الحق ـ ع (246) ص 21 ـ 25 (1985).

84 ـ **محمد جلال كشك** (كيف استلهم جلالة الملك الحسن الثاني – المسيرة – من كتاب حياة محمد) – دعوة الحق ع 2 ص 168 – 178 (1977).

85 ـ **محمد حجي** (تأملات في الفترة التي سبقت تأسيس الدولة العلوية) – دعوة الحق ع 4 ص 140 – 143 (1967). (الأسطول المغربي أيام العلويين) ع 4 ص 100 –103 (1979). (ملامح عن المغرب العربي – وقيام الدولة العلوية) ع 3 ص 113 – 115 (1971).

86 ـ **محمد حمزة** (المسيرة الخضراء في ضوء القرآن والسنة) – دعوة الحق (2 – 3) ص 134 – 138 (1979).

87 ـ **محمد الخطيب** (الحرب المغربية الإسبانية – على لسان انجلس) – مجلة المناهل – ع 17 ص 399 – 406 (1980)، وع 18 ص 187 – 192. (1980). (حول مقال علي بيه الجاسوس الإسباني بالمغرب – على عهد السلطان المولى سليمان) – دعوة الحق ع (225) ص 16 – 19 (1982).

88 ـ **محمد السايح** (المولى اسماعيل العلوي) – دعوة الحق ع 8 ص 27 – 32 (1959). (الحركة السلفية الإصلاحية ونزول الشيخ أبي شعيب الدكالي – على عهد السلطان المولى عبد الحفيظ) ع 2 ص 38 –40 (1979).

89 ـ **محمد بن شريفة** (ملامح من شخصية محمد الأول) – دعوة الحق ع (258) ص 19 – 27 (1976).

90 ـ **محمد الصادق البقالي** (التخطيط الاقتصادي – وأعمال الدولة) – دعوة الحق ع 7 ص 48 – 50 (1960).

91 ـ **محمد الطنجي** (خطوات أمير المؤمنين الحسن الثاني لإعادة مجد الإسلام) – دعوة الحق ع 4 ص 51 – 52 (1967). (المولى محمد ابن عبد الله العلوي : العالم المفكر مفخرة المغرب) ع 4 ص 48 – 52

(1979). (المرأة المغربيـة في عهـد الحسن الثـاني) ع 8 ص 35 – 38 (1979). (الحسن الثاني وثقافة الإسلام بين أقطـاره) ع 6 ص 19 – 23 (1976).

92 ـ **محمـد بن الطيب العلـوي** (صفحـة من تـاريـخ الـدولـة العلويـة : المولى المرتجي ابن السلطـان المولى اسماعيـل) دعوة الحـق ع (2 – 3) ص : 114 – 118 (1979).

93 ـ **محمد بن عبد الله** (السر الرهيب في مسيرة الفتح والعبور) – دعوة الحق ع 4 ص 154 – 158 (1975).

94 ـ **محمد عبد العزيز الدباغ** (رحلة سفـاريـة إلى إسبـانيـا – في عهـد المولى اسماعيل) – دعوة الحق ع 4 ص 147 – 152 (1969). (التمهيدات السابقة لمعاهـدة الحمـايـة) ع 8 ص 134 – 135 (1973) (رحلة سفارية في عهد المولى محمد بن عبد اللـه) ع (4 –5) ص 159 – 169 (1974). (موقف المولى سليمان من الحركـة الوهـابيـة) ع 10 ص 133 – 139 (1975). (المغرب في عهد المولى عبـد العزيز) ع 2 ص 176 – 190 (1977). (المسيرة الخضراء في تـــاريـخ المغرب الحديث) ع (2 – 3) ص 140 – 143 (1978).

95 ـ **محمد عبـد العزيز الكفراوي** (المولى اسماعيل بن الرشيـد) – دعوة الحق ع (2 – 3) ص 139 – 141 (1982).

96 ـ **محمد عبد الواحد بناني** (مـا حققـه المغرب في عهـد الحسن الثـاني من منجزات في مجـال الإسلاميـات) – دعوة الحق – ع 4 ص 147 – 151 (1965).

97 ـ **محمد العربي الخطابي** (تعليمات الملك كارلوس الثالث إلى مبعوثه لدى السلطان محمد بن عبد الله) – مجلة المناهل ع 16 – ص 10 – 21 (1979). (نضال المغرب في الحقل الدولي – في سبيل استرجاع أراضيه المغتصبة) – دعوة الحق – ع (2 – 3) ص 164 – 172 (1975).

98 ـ **محمد العربي الزكاري** (أضواء على ملامح العرش المغربي : محمد الخامس والحسن الثاني) – دعوة الحق ع (227) ص : 77 – 80 (1983).

99 ـ **محمد العربي الشاوش** (دفاع عن المولى اسماعيل) – دعوة الحق – ع 1 ص 108 – 110 (1972). (تقويم الحركة الوطنية من عام إعلان الحماية إلى عام المسيرة الخضراء) ع 6 ص 131 – 142 (1976).

(أسرار عن موقف المولى عبد الحفيظ من معاهدة فاس) ع (246) ص 169 ـ 173 (1985).

100 ـ **محمد الفاسي** (سفارات محمد بن عثمان على عهد السلاطين الثلاثة : المولى محمد بن عبد الله، مولاي اليزيد، مولاي سليمان) ـ مجلة تطوان ع 5 ص 8 ـ 31 (1960). (حياة المولى إسماعيل ـ مع رسائل وظهائر إسماعيلية) ع 8 ـ وهو خاص بالذكرى المئوية الثالثة لجلوس المولى إسماعيل على العرش المغربي ـ ص 5 ـ 89 (بدون تاريخ). (نشأة الدولة العلوية) ـ مجلة البينة) ع 2 ص : 51 ـ 67 (1962)، وع 3 ص 86 ـ 101 (1962). (مشاهدات سفير مغربي بإسبانيا في القرن 18) ـ مجلة البحث

العلمي ع 3 ص 173 ـ 201 (1964). (الملك المصلح محمد بن عبد الله) مجلة دعوة الحق ـ ع 4 ص 26 ـ 31 (1967). (الصحراء المغربية ـ مغربية طبيعيا وجغرافيا وتاريخيا وإنسانيا وحضاريا) ع 10 ص 36 ـ 47 (1975). (فلسفة سياسة الملوك العلويين) ع 2 ص 14 ـ 17 (1981).

101 ـ **محمد الكتاني** (مغرب المسيرة) ـ دعوة الحق ع (255) ص : 42 ـ 46 (1976).

102 ـ **محمد المكي الناصري** (العرش العلوي الشريف ـ وملامحه البارزة) ـ دعوة الحق ـ ع 1 ص 54 ـ 56 (1981)، (من الحسن الأول إلى الحسن الثاني) ع 1 ص 17 ـ 21 (1983). (لقب أمير المومنين ـ واستعماله على عهد الملوك العلويين) ع 246، ص 8 ـ 9 (1985). (العبقرية الحسنية وبروزها في عهد مبكر) ع (255) ص 7 ـ 9 (1986).

103 ـ **محمد المنتصر الريسوني** (لمحات من الإسهام العلوي في خدمة العلم ورعاية العلماء) ـ دعوة الحق ع 4 ص 94 ـ 96 (1968). (المولى محمد بن عبد الله بين شعراء عصره) ع 3 ص 182 ـ 188 (1970).

104 ـ **محمد المنوني** (وصف القصبة الإسماعيلية بمكناس) ـ دعوة الحق ـ ع 4 ص 107 ـ 120 (1967). (الدراسات اللغوية في المغرب العلوي) ع 4 ص 51 ـ 62 (1968). (ثلاث رسائل من المغرب إلى ليبيا ـ على عهد السلطان المولى سليمان) ع 4 ص 42 ـ 47. (1969) ـ وع (243) ص : 80 ـ 85 (1984). (أربع وثائق علوية

ضد بدع الشورة والأفراح) ع 3 ص 51 ـ 59 (1971).
(الوراقة المغربية في العصر العلوي) ع 10 ص 80 ـ 82 (1975).

105 ـ **محيي الدين المشرفي** (ملوك الدولة العلوية في خدمة كتاب الله العزيز) دعوة الحق ع 4 ص 63 ـ 71 (1968). (الحسن الثاني ومقاومة التخلف الفكري) ع 4 ص 130 ـ 134 (1969). (نظام الكتاتيب القرآنية في عهد الدولة العلوية) ع (4 ـ 5) ص 90 ـ 94 (1969).

106 ـ **مصطفى الشابي** (صمود الملك والشعب : مثال معركة وادي اسلي، دعوة الحق ع (246) ص 29 ـ 334 (1985).

107 ـ **مصطفى الشليح** (لوحات من عرشيات المسيرة) ـ دعوة الحق ـ ع (227 ص 155 ـ 159 (1983).

108 ـ **مصطفى العلوي** (مواقف ومنجزات في العهد الحسني) ـ دعوة الحق ع 255، ص 74 ـ 79 (1986).

109 ـ **مفدي زكرياء** (وثيقة تاريخية عن زيارة جلالة الحسن الثاني إلى تونس ـ 1949) ع 2 ص 107 ـ 110 (1977).

110 ـ **مكالي مرسي** (تكلفة بعثة دبلوماسية إنجليزية إلى المغرب ـ خلال القرن 18) ـ تعريب **جواد المهدي** ـ مجلة البحث العلمي ع 32، ص 101 ـ 108 (1981).

111 ـ **المهدي البرجالي** (لمحات عن الديبلوماسية المغربية على عهد الدولة العلوية) ـ دعوة الحق ـ ع 4 ص 153 ـ 158 (1967). (لمحات من دنيا الفكر الديني على عهد الدولة العلوية) ع 4 ص : 72 ـ 77 (1968). (نظرة على الأحوال المغربية في القرن

التاسع عشر) ع 6 ص 106 ـ 111 (1969). (المغرب في عهد العلويين : الوزن الدولي للمغرب في غضون القرن 18) ع 1 ص 118 ـ 121 (1975). (تأملات تحليلية لمضمون وظروف المسيرة الخضراء) ع 6 ص 95 ـ 105 (1976). (في الأفق الفكري للمسيرة الخضراء ـ مغربيا وعالميا) ع 4 ص : 132 ـ 135 (1975).
(الانعكاسات التاريخية والدولية لاسترجاع الصحراء) ع 2 ص 125 ـ 131 (1977).

112 ـ **موسى عبود** (النظام القضائي بالمغرب منذ العهد السابق مباشرة للحماية) ـ دعوة الحق ع 5 ص 26 ـ 31 (1960).

113 ـ **هلال ناجي** (دور الشعر المغربي في مقاومة الاستعمار وتحرير الصحراء المغربية) ـ مجلة البحث العلمي ع (34) ص 243 ـ 254 (1984).

114 ـ **يوسف الكتاني** (الدولة العلوية وعنايتها بالحديث الشريف) ـ دعوة الحق ع 2 ص 139 ـ 142 (1977). (محمد الثالث : نموذج رائع للملوك والحكام) ع (2 ـ 3) ص : 130 ـ 134 (1978) (محمد الخامس المحرر) ع (2 ـ 3) ص : 129 ـ 133 (1979) (معالم الفكر الإسلامي في عهد الحسن الثاني) ع (255) ص 152 ـ 158 (1980). (رائد البعث الإسلامي : الحسن الثاني) ع 2 ص 59 ـ 63 (1981). (الخطوات الحسنية في سبيل الوحدة الإسلامية) ع (234) ص 64 ـ 68 (1984).

تطوان : **سعيد أعراب**

الإعلام الثقافي

الاجتماع الأول للجنة المكلفة بتسجيل الموسيقى الأندلسية

برئاسة السيد الوزير الأستاذ محمد بن عيسى، شكلت وزارة الشؤون الثقافية لجنة من حفاظ ومختصي الموسيقى الأندلسية، للنهوض بمهمة الإشراف الكامل والأمين متنا وميزانا، على تسجيل النوبات الإحدى عشر.

وخلال الجلسة الأولى لاجتماع السادة أعضاء اللجنة بتاريخ 1987.4.10 حرص السيد الوزير على ترشيدهم إلى منهجية معاصرة وعلمية ييسر اعتمادها تنفيذ المشروع الذي يتوجب سبعين ساعة من التسجيل لإمكان إخراجه في أسطوانات وأشرطة ڤيديو بصورة فنية مرضية تقتصر على استعمال الآلات الوترية، وتحقق طموح وزارة الشؤون الثقافية إلى الشروع السليم في توثيق تراثنا الفني، وإشاعة التعريف به.

انطلاقة التدريس بالمعهد العالي للفن المسرحي والتنشيط الثقافي

امتدادا لخطة وزارة الشؤون الثقافة بإحداث مؤسسات متخصصة عليا، ترأس السيد الوزير الأستاذ محمد بن عيسى، صباح الخامس من فبراير 1987، حفل تدشين انطلاقة التدريس بالمعهد العالي للفن المسرحي والتنشيط الثقافي في مقره المؤقت داخل مبنى مسرح محمد الخامس.

وفي كلمة ألقاها السيد الوزير بالمناسبة، ذكر بالريادة المولوية للمغفور له محمد الخامس، في دعم الحركة المسرحية من خلال تشييد مؤسسة شرفت بتخليد اسم جلالته.

وتتلخص وظيفة المعهد، في إعداد أطر متخصصة عليا في المسرح بخاصة وفي التنشيط الثقافي بعامة في مفهومه الشامل.

وتتمثل مواد برامج المعهد في تدريس :

- التمثيل في قطاعات المسرح والإذاعة والسينما والتلفزيون.
- هندسة الخشبة المسرحية.
- الدراماتولوجيا.
- تقنيات الخشبة.
- التنشيط الثقافي والاجتماعي.
- إدارة المؤسسات الثقافية وإنتاج العروض الفنية.
- استكمال خبرة وتخصص المحترفين في فنون العرض والمنشطين الثقافيين والاجتماعيين.
- تنظيم برامج خاصة لفائدة البيداغوجيين والمربين والمعالجين والاجتماعيين والمهن الحرة.
- إعداد دراسات وأبحاث حول أشكال العروض المتوسطية العربية الإفريقية.

يتم الالتحاق بالمعهد العالي للفن المسرحي والتنشيط الثقافي على إثر مباراة يشارك فيها المرشحون الحاملون لشهادة البكالوريا أو ما يعادلها، وتستغرق مدة الدراسة فيه أربع سنوات للحصول على دبلوم المعهد العالي للفن المسرحي والتنشيط الثقافي، مقسمة إلى سلكين.

تـــدشين المركــز الثقـــافي المغربي في موريتانيا

تنفيذا للتعليمات السامية لصاحب الجلالة الحسن الثاني نصره الله، توجه السيد محمد بن عيسى وزير الشؤون الثقافية على رأس وفد رفيع المستوى في زيارة رسمية إلى العاصمة الموريتانية نواكشوط من 28 جمادى الأولى إلى 2 جمادى الثانية 1407 (29 يناير إلى فاتح فبراير 1987).

وبمعية نظيره الموريتاني السيد محمود ولد ودادي وزير الثقافة والإعلام، افتتح نشاط زيارته الرسمية بالإشراف على حفل تدشين مبنى المركز الثقافي المغربي، والذي أهدى خزانته صاحب الجلالة ألف عنوان من الكتاب المغربي تم عرضها بالمناسبة. وقد روعيت في هندسة تشييد المبنى أصالة معمارنا في جمالية القرميد والفسيفساء والجبس والخشب المنقوشين.

وترحيبا لافتا من الحكومة الموريتانية الموقرة باستقبال الوفد، وما بذله السيد سفير المملكة المغربية الأستاذ عبد الرحمن الكوهن من جهد مقدر، فقد كللت الزيارة بتخصيص السيد الوزير بمقابلة رئيس اللجنة العسكرية للخلاص الوطني ورئيس الدولة العقيد معاوية ولد سيدي أحمد الطايع، والذي نقل إلى فخامته خلالها تحيات صاحب الجلالة الخاصة، كما اجتمع السيد الوزير بالعديد من الوزراء وكبار المسؤولين في موريتانيا، لتدارس أوجه التواصل الثقافي الثنائي بين شعبينا الشقيقين.

وبالنسبة لأعضاء الوفد المرافق، والمتألف من :

- السيد عبد الهادي التازي (مدير المعهد الجامعي للبحث العلمي وعضو أكاديمية المملكة المغربية).
- السيد المهدي الدليرو (مفتش عام للمكتبات بوزارة الشؤون الثقافية).
- السيد أحمد التوفيق (مدير معهد الدراسات الإفريقية).
- السيد محمد مسعودن (الكاتب العام المساعد للوكالة الموريتانية المغربية للتعاون).
- السيد إدريس الناقوري (نائب رئيس اتحاد كتاب المغرب).
- السيدة مليكة العاصمي (شاعرة).
- السيد عبد الرفيع الجوهري (شاعر).

فقد حرص جميع أفراده على تكثيف التحرك من خلال محاضرات وندوات وقراءات شعرية، وزيارات للمؤسسات الثقافية العليا والمتخصصة إلى جانب التحاور مع الشخصيات العلمية الموريتانية، ترسيخا للصلة المباشرة، وإثراء لمردودها.

والجدير بالإشارة ما تميزت به جلسة افتتاح المركز الثقافي من خطابين هامين للوزيرين المغربي والموريتاني وما ذكرا به من وشيج عرى التاريخ ووثيق قرابة النسب بين شعبينا الشقيقين.

وقد تمثلت صياغة النتائج الرسمية للزيارة في توقيع السيدين الوزيرين محضرا يبرمج خطوات تنفيذية للشروع في تعاون

ثقافي تحدد في :

- إحداث جائزة مشتركة بين البلدين باسم عبد الله بن ياسين تنظم بالتناوب وتمنح لأفضل دراسة علمية عن هذه المنطقة أو للأعمال الأدبية، والفكرية الرفيعة.

- دعوة الباحثين في البلدين إلى التعاون لإحياء ونشر تراثنا الفكري والحضاري المشترك.

- التعاون في مجال جمع المخطوطات وفهرستها وصيانتها وتبادل صور فيما بين المكتبات.

- التعاون في سبيل تسجيل وحفظ التراث الموسيقي والغنائي وأنماط الأزياء التقليدية في المنطقة.

- تبادل الوفود الثقافية والفنية وإقامة الأسابيع والمواسم المتخصصة.

- تكثيف الاتصال بين المؤسسات والهيآت الثقافية في البلدين.

وفي أمسية شعرية مشتركة، ألقى مدير تحرير المجلة السيد المهدي الدليرو القصيدة التالية :

تحية

سجلماسة.. شنقيط

يا معزوفتان،

أصيلتان،

سجيتان،

يناغيان سمع الدهر،

مُجزٍ عطاؤهما،

مُجدٍ سخاؤهما،

كفيض النهر،

لا يستحلا أن يقالا،

للفعل.. لا.. لا،

كانا.. وما زالا،

وبثُقل ما في واقع التاريخ

يمتلكان،

أرضا.. رجالا،

سيتابعان،

حمل الرسالة،

ذات الوظيفة في الدلالة،

مدّ الجسور على جناحين،

متباعدين،

معنى.. ومبنى،

لونا.. ولحنا،

لكنها.. تكسو الجوار،

طِيب الحُلل،

وتقي التواصل والحوار،

عبث الخلل،

وإذا طموحات الدلالات،

حسنت مقاصدها، بإخلاص القيادات،

يسترجع المعتلّ ـ حتما ـ،

صحة السالم،

والمستحيل لممكن.. تغييره،

بين المحارب والمسالم،

والحب.. في متنزّه الإنصاف،

يخضرُّ.. يُثْمر.. كامل الأوصاف،

المهدي الدليرو

مهرجان الأغنية المغربية الثاني

احتفاء بعيد العرش المجيد، وإسهاما في النهوض بمستوى الأغنية المغربية، وإشاعة التعريف بخصوصياتها، وتوسيعا لآفاق كتاب الكلمات والملحنين والمغنيين والعازفين تطويرا لعطائهم الإبداعي.

تولت وزارة الشؤون الثقافية تنظيم مهرجان الأغنية المغربية الثاني بمدينة الرباط أيام الخميس (19) والجمعة (20) والسبت (21) فبراير 1987.

وقد احتفظت لجنة التصفية بترشيح تسعة عشر أغنية للمباراة الإقصائية، تم اختيار ثلاثة منها للفوز بالجائزة من لجنة تحكيم المهرجان. كما منحت اللجنة جوائز تشجيعية لأحسن : كلمات، لحن، صوت، والتي اختيرت من بين الأعمال غير الفائزة.

وتوج ختام المهرجان بأداء جماعي لأغنية «الأسطورة الحية» تحية لمناسبة عيد العرش، من شعر الأستاذ أحمد عبد السلام البقالي ولحن الفنان سعيد الشرايبي.

صاحب السمو الملكي
ولي العهد الأمير الجليل
سيدي محمد يترأس حفل
توزيع جائزة المغرب
لسنة 1986

تواصل العناية المولوية الخاصة التي يوليها صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله للعمل الثقافي والعلمي والإبداعي، بسنه ـ

حفظه الله ـ في السنة الفائتة (1985) تقليدا حميدا في مناسبة اعتلاء جلالته عرش أسلافه الميامين والذي يتمثل في تكريم الفائزين بجائزة المغرب من خلال إقامة حفل كبير يتولى رئاسته الفعلية صاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير الجليل سيدي محمد كما يتميز الحفل بتوشيح سموه باسم والده المنصور بالله، صدور نخبة من الرواد والمبرزين بأوسمة تقديرية رفيعة المستوى.

وامتدادا لانعام جلالته ترأس كذلك في ذكرى عيد العرش لهذه السنة صاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير سيدي محمد مساء الأحد فاتح مارس 1987 بالنادي الملكي للغولف / دار السلام في الرباط حفل تسليم جائزة المغرب لسنة 1986، بحضور الوزير الأول ووزير الثقافة والاتصال الفرنسي ومستشاري جلالة الملك وعدد من الأساتذة الجامعيين والشخصيات الوطنية وبعض أعضاء السلك الدبلوماسي.

ووسط هذا التكريم الفكري والعلمي شرف الحفل سمو ولي العهد الأمير سيدي محمد بتقديم جائزة المغرب لسنة 1986 :

ـ في الفنون والآداب إلى الأستاذ الدكتور محمد بنشريفة عن كتابه :

أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة.

ـ وفي العلوم البحتة والتجريبية إلى الأستاذ الدكتور عبد الحفيظ الهلايدي عن كتابه : التشريح الطبوغرافي والتطبيقات التشريحية الجراحية.

ـ وفي العلوم الإنسانية والاجتماعية للأستاذ الدكتور محمد القبلي عن كتابه : المجتمع السلطة والدين بالمغرب في نهاية العصر الوسيط.

وتميزت هذه السنة بتقديم سموه جائزة الاستحقاق الكبرى للأستاذ أحمد العلوي وزير الدولة عن مؤلفه «الحسنية».

وإعرابا من الفائزين عن إكبارهم للفوز بالجائزة، وامتنانهم لما خصت به أعمالهم الفكرية والعلمية من تقدير ألقى الأستاذ محمد بنشريفة باسمهم فعبر عن الشرف الكبير الذي حظوا به وهم يتسلمون الجوائز من يدي سموه الكريمتين وأكد أن رئاسة صاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير سيدي محمد لهذا الحفل ما هي إلا مظهر من المظاهر الرائعة لأيادي أمير المؤمنين البيضاء، وقال إن جلالة الملك ما فتئ يشمل أهل العلم والأدب والفن بعطفه السامي ورعايته الكريمة وينعم على ذوي الكفاءات الفكرية داخل المغرب وخارجه بجوائزه السامية وأوسمته الشريفة.

وذكر في هذا الإطار بالاهتمام الخاص الذي كان يوليه على الدوام للثقافة ملوك الدولة العلوية الشريفة ومن بينهم على الخصوص المولى الرشيد وسيدي محمد بن عبد الله.

والتمس من سموه أن ينوب عنهم في تبليغ آيات ولائهم وإخلاصهم وتعلقهم المتين بشخص جلالة الملك الحسن الثاني حفظه الله حامي حمى الوطن والدين وراعي العلوم والآداب والفنون في هذا البلد الأمين.

وألقى الأستاذ مولاي أحمد العلوي بعد تسلمه الجائزة كلمة تحدث فيها عن الحضارة والثقافة والعلم وأكد أن المغرب يملك في تاريخه حضارة وثقافة أكثر مما يملك من العلم وطلب من صاحب السمو الملك ولي العهد أن يرفع إلى جلالة الملك اقتراحا بإنشاء جائزة الحسن الثاني الدولية للأبحاث الجادة التي تتناول الحضارة الإسلامية والعربية والإفريقية.

وكان السيد محمد بن عيسى وزير الشؤون الثقافية قد افتتح الحفل بكلمة أوضح فيها أن هذا التكريم الذي جاء في وقته ليؤكد الدور الطلائعي الذي أصبح يقوم به المفكرون والكتاب والمبدعون المغاربة في نشر الإشعاع الحضاري المغربي والتعريف بالمستوى الفكري والعلمي والإبداعي الرفيع الذي وصلت إليه المملكة في ربع القرن الماضي... وكل التباشير والإرهاصات تدل على أن مملكتنا أصبحت مركز الإشعاع الفكري والثقافي في إفريقيا والوطن العربي، وأمست بذلك الأرض المتميزة في بلاد العالم الثالث حيث يلتقي المفكرون والمبدعون والعلماء من مختلف المشارب والتوجهات للتحاور وتبادل الرأي والتجارب في حرية وأمن وسلام.

وبالمناسبة أعلن السيد الوزير في كلمته عن التدشين المرتقب لمشروع إنشاء دار للطباعة والنشر تابعة للوزارة، بهدف تسهيل سبل النشر أمام المواهب الصاعدة من الكتاب والشعراء وسواهم من المؤلفين الواعدين، فضلا عن إحداث شبكة خزانات أم ورئيسية في مختلف جهات أقاليم المملكة وتزويدها بأهم المراجع والمصنفات.

وفي إطار تنفيذ التعليمات الملكية الواردة في الخطاب الملكي السامي الموجه للمناظرة الأولى حول الثقافة بتارودانت أضاف السيد الوزير في كلمته بأن الوزارة تتابع الإعداد لإقامة أول معرض دولي للكتاب بالمغرب في الدار البيضاء خلال شهر نونبر القادم.

وجدير بالإشارة أن لجنة تحكيم الجائزة تألفت هذه السنة (1986) من سبعة أعضاء برئاسة وزير الشؤون الثقافية الأستاذ محمد بنعيسى والدكاترة علال برادة وإدريس بنصاري وإدريس بن علي والأساتذة عبد الجبار السحيمي، وحليمة فرحات وإدريس الناقوري.

وقد استعرضت هذه اللجنة تقارير تقييمية للجنة القراءة وإبداء الرأي شملت 116 مؤلفا من إصدارات السنة، 45 مؤلفا في العلوم الإنسانية والاجتماعية وعشر مؤلفات في العلوم البحتة والتجريبية و61 مؤلفا في الفنون والآداب.

وقد أصدرت وزارة الشؤون الثقافية بهذه المناسبة كتيبا من 28 صفحة تصدرت صفحاته الأولى صورة صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني حفظه الله، وصورة صاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير سيدي محمد في حفل توزيع جائزة المغرب سنة 1985 بمراكش.

وقد تضمنت مواد الكتيب النصوص التنظيمية لجائزة المغرب إلى جانب جدول شامل بأسماء الفائزين وعناوين مؤلفاتهم من تاريخ إحداثها سنة 1968 إلى سنة 1986.

البرنامج التنفيذي للتعاون الثقافي والعلمي بين المملكة المغربية وجمهورية مصر العربية 1989/1987

توجه وفد مغربي إلى القاهرة لدراسة البرنامج التنفيذي للتعاون الثقافي والعلمي بين المملكة المغربية وجمهورية مصر العربية، حيث تم استعراض مشروعي البلدين في هذا الشأن وطرح مجالات التعاون الفعلي بجزئياته المجددة، وقد أسفر الحوار الموضوعي بين أعضاء وفدي الدولتين على إقرار الشروع في تنفيذ برامج عامة، يتمثل جانبها الثقافي الخطوط العريضة التالية :

- تبادل معارض : تشكيل، صور تعريف بالبلدين ماضياً وحاضراً، كتب، وثائق ومخطوطات، مهارات حرفية، مشاركة الطرفين في معارض كلا البلدين.

- تبادل زيارات المختصين، والمهتمين بشؤون المكتبات والمتاحف والحفريات.

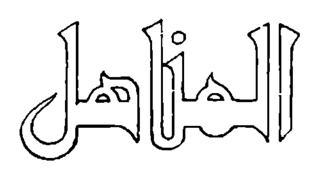
- تبادل المطبوعات والخبرات في مختلف مجالات اختصاصات الشؤون الثقافية.

- تبادل استقبال الفرق المسرحية والموسيقية والاستعراضية الشعبية منها والتقليدية والعصرية.

مهرجان الطرب الغرناطي بوجدة

احتفاء باستقبال «عيد الشباب» المجيد وبالرئاسة الفعلية للسيد رئيس مجلس النواب الأستاذ أحمد عصمان والسيد وزير الشؤون الثقافية الأستاذ محمد بن عيسى، بحضور السيد عامل الإقليم وصفوة عريضة من الولوعين المهتمين، تم صباح السبت 4 يوليوز 1987 حفل افتتاح «مهرجان الطرب الغرناطي» الأول بمدينة وجدة والذي شملت أيامه الخمسة، تقديم برامج غنية ومتنوعة تمثلت في :

- احتضان المدينة : «مركز الدراسات والبحوث الغرناطية».
- إلقاء محاضرات وتنظيم ندوات في إطار محور المهرجان الأول : «الطرب الغرناطي، واقع وآفاق».
- تقديم سهرات يومية للطرب الغرناطي، من إحياء المجموعات الموسيقية لجمعيات تعنى بإشاعة التعريف بهذا التراث الفني وتطويره.
- إقامة معارض : للكتاب الموسيقي، الآلات الموسيقية، والأزياء التقليدية.
- منح مكافآت تشجيعية للفرق الموسيقية المشاركة.



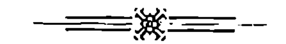
تصـــدرهـــا :

وزارة الشــؤون الثقافيــة

زنقة غاندي ـ الرباط ـ المغرب

التليفـــون : 680.37

تلكـــس : 63 318 الثقافة



AL - MANAHIL

Publication du

MINISTERE DES AFFAIRES CULTURELLES

Rue Ghandi – Rabat (Maroc)
Tél : 680-37
Télex : 318 63 Attakafah

مطبعة فضالة ــ المحمدية ، المغرب ،



ثمن النسخة 20ر00 درهما